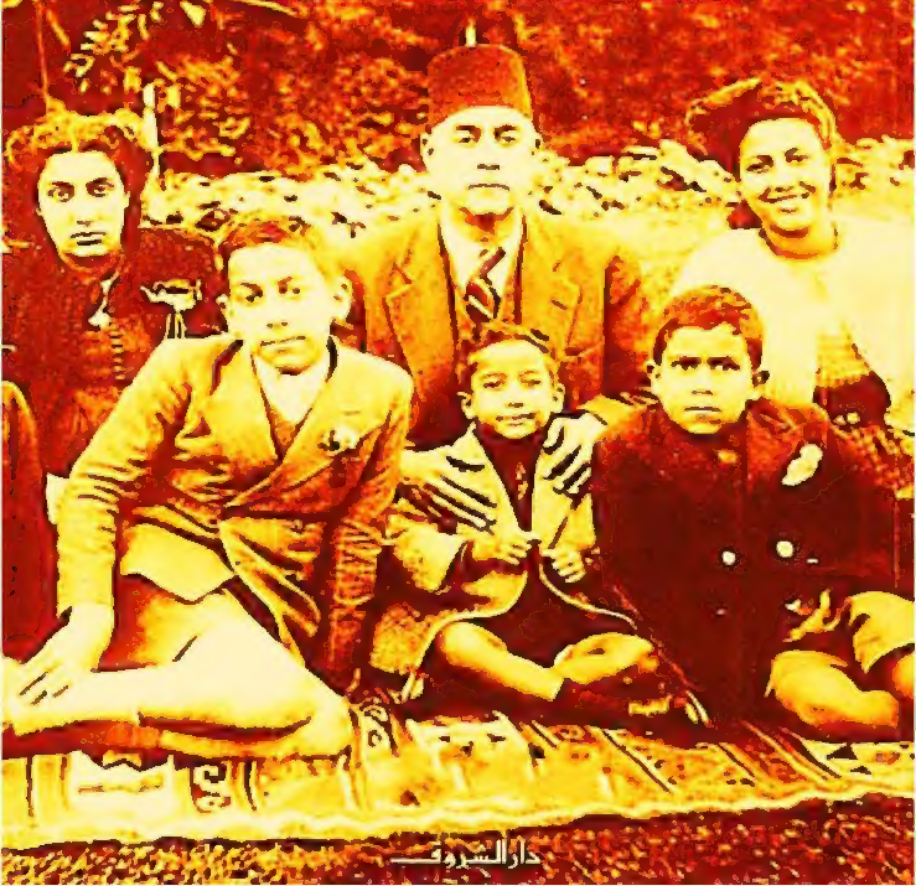


جلال أمين  
ماذا علمتني الحياة؟  
سيرة ذاتية



ماذا علمتني الحياة؟

الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٧

الطبعة الثانية أغسطس ٢٠٠٧

رقم الإيداع ٢١٠٦ / ٢١٥٧٢  
التراخيص الدولية ١٠٣٥٠ ٠٠٠ ISBN 017

جميع الحقوق محفوظة

© دار الشروق

٨ شارع صليبيه المصري

مدينة مصر - القاهرة - مصر

تکلیفون - ۲۲۳۹۹-۱

فاكس: ٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: [dar@thoruk.com](mailto:dar@thoruk.com)

www.shorouk.com

جلال أمين

# ماذا علمتني الحياة؟

سيرة ذاتية

دار الشروق



## المحتويات

٧	الإهداء
٩	تقديم
١٣	مقدمة
٢١	ولادة متسرعة
٢٣	أبي وأمي
٢٣	مذكرات أبي عن أمي
٤١	البيت
٤٩	الإخوة السبعة
٦٥	أصدقاء الصبا
٧٧	مهاج الصبا
١٠٥	الجامعة
١٢٩	البعث
١٤١	البيعة
١٧١	ثورة يوليو
٢١١	عين شعس
٢٣٧	الكويت
٢٦١	لوس أنجلوس
٢٧٥	الجامعة الأمريكية
٢٩٣	«ماذا حدث للمصريين؟»
٣٠٣	«الزرايين الجديد»
٣٢١	المرض والشيخوخة
٣٣٣	الذكريات والنهايات
٣٩٥	كتب أخرى للمؤلف



## الوقرة

إلى زوجتي جان،

عرفانا بجميل ثلاثة وأربعين عاما من الحب والصدقة،

والى أولادى: دانية ونامر وأحمد،

وحفيديّ: شريف ولارا.

ستة أشخاص ملأوا حياتي بالبهجة.

٢٣ يناير ٢٠٠٧





## تهييد

بدأت أكتب هذا الكتاب منذ عشرين عاماً، عندما كنت أقضى سنة فى لوس أنجلوس، أدرس فى إحدى جامعاتها، ووجدت لدى من الوقت ما يزيد على ما أحتاج إليه لتحضير محاضراتى. وكان لدى أيضاً من هدوء اليأس وقلة المشاغل ما يلائم الجلوس لاستعادة ذكريات قديمة. لم أبدأ الكتابة بالترتيب، بل أخذت أكتب عن أى حادث حدث لى وأعتبره مهماً، أو عن أى شخص عرفته يوماً ما وأثر فى نفسى، بحسب ما يلائم مزاجى أو حالتي النفسية وقت الكتابة. وزاد ما كتبت مع مرور الزمن حتى بدا وكأن لدى بالفعل شيئاً يصلح لأن يكون سيرة ذاتية، إذا أحسن ترتيبه واستكمل الناقص فيه، وإذا استعدت الأجزاء التى يظهر لى أنى لم أحسن كتابتها. فعلت كل ذلك دون أن أعطى أى اهتمام لما قد يسببه بعض هذا الذى كتبت من ألم لبعض الأشخاص، الذين ذكرتهم بالاسم، أو الذين يمكن التعرف عليهم بسهولة، أو ما قد يشير على غضب هذا الصديق القديم أو ذلك، إذا حدث وقرأ الكلام المكتوب عنه.

فلما اكتمل الكتاب أعدت قراءته من هذه الزاوية، فكنت أقارن بين النفع الذى يأتى من ذكر الحقيقة كاملة وبين الألم الذى قد يحدث ذكرها. فوجدت فى معظم الأحيان أن حذف اسم الشخص الذى قد يؤلم ما كتبت، أو إدخال بعض تغييرات طفيفة على الظروف التى تم فيها الحدث الذى أصفه، لا يترتب عليه أى ضرر على الإطلاق. وأن القصة إذا كان لها مغزى، لن يقلل من قيمتها ما إذا كان مرتكب الجرم هذا الشخص أو غيره، أو أن يكون طبيبياً بدلاً من أن يكون مهندساً، أو العكس.

أما الأشخاص الذين أحببتهم، ولم يكن لدى من أذكره عنهم إلا مصائبهم وحسن صيغتهم، فلم أجد أي سبب للاستماع عن ذكر أسمائهم كذلك لم أمتع عن ذكر الأسماء الخفيفة لبعض الأشخاص الذين أوجه إليهم النقد في هذا الكتاب، حتى لو كان نقد فاسيا، إذا كانوا شخصيات عامة، تاريخهم ملك للناس جميعا، كعص السببيين المصريين الذين كان لي معهم قصة أو قصص لا يعرفها عيرى، ورأيت فيها معنى عاما يجعلها حديرة بأن تروى

كنت أتردد أحيانا بين الإبقاء على مقرة وبين حذفها، إتصورت أن النقد يمكن أن يكون مؤلما، ولكني لم أتردد قط وراء سقد الذي رحتته لشخصية عامة، بل أبقيت على النقد على اعتبار أن المصنف لموقع يبرر ذلك.

ترددت أَيْضاً عند فقرات كثيرة، بين الإبقاء عليها وحذفها، لسبب مختلف تماماً، وهو الخوف من أن أكون قد أطلقت العنان أحيانا للتعبير عن أحداث حدثت لي واعتبرها أنا مهمة، بسب ما أثرتة في نفسي وقت حدوثها من مشاعر قوية، وقد لا يهم القارئ في قليل أو كثير ولم يكن لقراره أن أيضاً قرار سهلا، إذ نوقف على تفديري لدى صر العاري عن قراءة مثل هذه الأجزاء، ولما إذا كان هذا يحدث أو ذلك يحمل أي معنى عام، أم يقتصر أثره على ما أثرتة في أنا وحدي من مشاعر

كان على أن أجد قرارات كثيرة من هذا النوع أو ذاك، ولكن كان لابد أن أنهى من هذا الكتاب حلا أو عابلا وعندما شعرت بأنه لابد أن يكون لهذا كنه آخر، اعتبرت أني أنعمت الكتاب وقررت إرساله إلى المطبعة، وأنا وثق تماماً من أنه لا يزال هو ما يؤلم وتُغضب، وأن هو أيضاً قدزار لنا من الرجعة أو اهتة ما رائدنا عن أحد بعضي. لابد لي من أن أرحر من القارئ أن يسحق، وهو يقرأ هذا الكلام، بعض الكرم والأريحية ولعلني أستحق بعض الكرم والأريحية لسبب واحد على الأقل وهو أني محت لبقارئ صدوقا ملينا لأسرار لا يصطرس أي شيء إلى فتحه، وإنما دعمني بي إشراف معارفي في الاطلاع على حساده، لا الإعجاب الرائد بالنص

ولا الرعة في امساهاة بعض عظم قمت به ، من مجرد الأمن في أن يخذ بعض لقراء  
فيه ما قد يحفف عنهم بعض الأحرار ، أو يريد من فتوتهم على الاستمتاع ببعض  
بواعث السرور بل حتى إذا لم يتحقق هذا سمع ولا ذاك ، قد يصد قرءه  
الكتاب في شيء واحد على الأقل ، وهو أن يعرف القارئ ، إن لم يكن قد عرف  
بعد ، أن الناس أشبه كثيراً ، بعضهم ببعض ، مما قد يطرأ سواء فيما يتعرضون به من  
بواعث السرور أو فيما لابد أن يصدفوه ، بين الحين والآخر ، من حيلة أمل



## مقدمة

قرأت مرة قولاً مسوداً إلى بحات مشهور مؤداه أنه كان يفرح هر حاً عطماً صداما بصافه كتلة كسره من الحجر من النوع الذى يستخدمه فى صنع تماثيله، إذ كان بمجرد أن يراها يتصور التمثال الذى يمكن أن يستخرج منه كان يتصور كتلة الحجر وكأنها تحتوى فى أحشائها على هذا التمثال الكامل فى حياله، وأن كل المطلوب منه هو أن يقتطع بمحولة قطعة صغيرة من الحجر بعد أخرى، من هذه الكتلة الكبيرة، ويلقى بها جانباً لكي يخرج هذا التمثال الرائع الكامل فى جوهرها لو كان هذا البصير يعبر عن الحقيقة لكان معناه أن الحيات لا يصعب شئ فى الحقيقة، بل هو فقط يستعد بعض الأشياء لا نصيف شيئاً إلى الأشياء لمجموعة من العمل، بل ينسحب عن غير ضرورى منها ويستبقى فقط ما يستحق البقاء

تذكرت هذا خلاف شرعت فى التفكير فى هذه هذه الكتب، وسألت نفسى عما إذا كانت حياة هذا الحيات كحالاتنا جميعاً، بل حياة كل منا شئ قطعة الحجر فى هذا التصور لا يحتاج كاتب السيرة الذاتية إلى بحث عن تبرير لكتابتها، إذ إن تمناً جميلاً يكمن فى حياة كل منا والمطلوب فقط هو الكشف عنه لا يحتاج كاتب السيرة الذاتية إلى أن يكون شخصاً عظيماً أو سياسياً خطيراً، أو أن يكون قد قابل فى حياته بعض النكراء والمشهورين، أو أن يكون كاتباً مرموقاً أو فناناً موهوباً. إلخ. فكل منا شخص مميز، بل ومميز جداً، وبنية فى مسيرة حياته ما يستحق أن تروى. لئلا التمثال الجليل كامل داخل كل قطعة من الحجر، حتى ولو بذت قطعة حجر عادية المطلوب فقط استخراج التمثال المختبئ من مكانه.

هذا هو ما حاولت أن أفعله فى المصاحبات التالية أن أتمسح عما يقضى التمثال مما يطمس ملامحه ويحجب معزاه أن أكتشف عن هذه الملامح وأستخلص معزاه

ولن يستطيع أن يحكم حكماً صحيحاً على مدى نجاحي أو فشلي إلا القارئ لابد أني تركت بعض التفاصيل أو الأحداث «تافهة» دون أن أصر بها معمولي، ربما لمجرد أنها تتعلق بشخص عزيز علي، ليس مثلك ممن لا يعتد به عزيزاً أيضاً أو مهماً لدى قارئ، أو لأن الأحداث تركت أثراً كبيراً في نفسي دون سبب معقول فظلت أن له من الأهمية في دأته ما ليس له في الحقيقة، فلذا بي أثقل على القارئ بذكر تفاصيله وكان الأجدر بي أن أهمله وأسقطه كما أسقطت غيره. وما أكثر ما حدث خلل حياتي أن شرعت في رواية قصة حدثت بي، أو في الحديث عن شخص كسأه مهماً، ثم تبي لي من وجهه من يسمع إليّ أنني أخطأت التقدير، وأن القصة التي كنت أختارها حديرة بأن تروى ليست جديرة بمهد على الإطلاق، وأن لشخص الذي كنت أظهراً مهماً ليس مهماً، إلا في نظري.

أرجو ألا تخموي هذه الصفحات عن الكثير من ذلك. وبكفي من ناحية أخرى لابد أني أخطأت بسبب قلة حظي من المهارة أو الموهبة، فصررت معمولي صرورة أقوى من اللازم بأطحت ما لب أو أدن أو صم لم يكن هناك أدنى مس للإطاحة به. معبرة أخرى، لابد أني، بالرغم مني، قد فعلت بعض الأحداث المهمة أو بعض الأشخاص الذين كان يحدر مني أن أذكرهم، مدفوعاً بحظي من التقييم أو تريب حاملو للأهمية بل وربما كان الله مع إلي هذا الإهمال أو هذا الخدع أقطع من هذا وأنشع، وهو حادج لا شعورية لدي في طرده هذه الأحداث أو هؤلاء الأشخاص من ذهني، لإحباط حقيقة محزنة، ليس فقط من الفراء بل وعن نفسي أيضاً.

عسى أي حال، عهده هي حصينة جهدي ومحاولاتي أستطيع أن أوكد أنها لم تحتوي على ما يحالف الحقيقة (أو عسى لأقل لا تحتوي على ما يحالف الحقيقة كما أراها)، ولكن من المؤكد أيضاً أنها لا تحتوي على كل الحقيقة. وليس في هذه العسرة الأخيرة ما يدعو إلي الاستعجاب ولا إلى الاعتذار فمحصلاً عن أن ذكر الحقيقة كلها مستحيل، فإنه لا مع يرحى من ورائته، إذ لو قبلت كل الحقيقة لانهى الأمر بأن أعيد إلي القارئ قطعة كاملة من الحجر لا قيمة لها مالمرة

ولكن لابد مع ذلك من الاعتراف بأن إحدى بعض الحقائق لم تكن دائما دافعة برىء تمامًا. ذلك أن ذكر كل الخسعة لابد أن يطوى على ذكر بعض لقصص، المتعلقة بنفسى أو بعبرى، بما لا أحب ذكره. لقد كتب جودس آرروس، الكاتب الإنجليزي الشهير والأثير لادى، بصراحته المعهودة «إن كتابا فى السيرة اله تة لا يمكن أن يصح محلا للثمة إلا إذا كشف بعض الأشياء التى تشين صاحبها»<sup>(1)</sup>.

وأظن أن لرحل كان هذا على صواب، كتب كتاب عادة. ولكنى لا أظن أنى نعتت بى هذا المستوى الذى يطلبه. صحيح أنى ذكرت فى هذه الصفحات بعض لاعمال وانشعر التى أحسن الآن منها، ولكنى لم أذكر كل ما أحسنه. ومع هذا فلا أعتقد ان حذف بعض هذه المشاعر و لاعمال قد أصغر كثيرا هذه السيرة لدية، كما أن إدراكى لهذا الحذف لا يشكل عبئا ثقيلا لوظة على نفسى، وإن كان من الممكن أن يكون ثقل بوظة على نفسى مد عشرين سنة أو أكثر. ذلك أنى أعرف الآن أنى بوجه عام، لست أسوأ كثيرا من عبرى، كما أنى أعرف كثيرين من الناس من لديهم أكثر بى لدى بكثير بى مستوجب الحفل.

من ناحية أخرى، فقد أشفق على القارئ، وحسب من نفسى، عندما خطر لى أن أنكم عما أعتقد أنه ميرة من، فحذف أكثر هذا الكلام أو يُحيل إلى أنى حذف أكثره. وبما اكتشف القارئ مع ذلك أنه قد بقى من ذلك، فى الصفحات التالية، أكثر بى بيس.



على الرغم من كل ما ذكرته عن قطعة الحجر وامشجراح، ثمثال من جوفها لبع، فلا أحس على لمدارى أنى طوال كتابتى بهذه الصفحات كت أعود لأسأل نفسى، امه تلو الأخرى، عما إذا كان لى أن فعل أشياء جديدة بأن تروى، وعما إذا كتب قد صدمت فى حينى أحداثا بها من الخبطة ب سرور ان أشعل القارئ به.

---

(1) "Autobiography is only to be trusted when it reveals something disgraceful"



قلت لعيسى أكثر من مرة «ألمست حياتي عادةً جداً مثل آلاف وملايين غيره؟»  
 بـت إلا أن الأسوأ أصغر من أسرة كبيرة الحجم ومتوسطة الحال. أتوه أستاذي من  
 الجامعة، أرسله إلى المدرسة ثم إلى الجامعة مثل ملايين آخرين من تلاميذ المدارس  
 والجامعات. تخرج وسافر إلى إنجلترا ليحصل على الدكتوراه في الاقتصاد ثم عاد  
 يعمل بدوره أستاذاً في الجامعة، وظل أستاذاً حتى سن متقدمه من العمر أو  
 لدهش أو غير المعهود في أي شيء من هذا؟ صحيح أنه يكتب في الصحف وبشر  
 بعض الكتب، ولكن ماذا في ذلك؟ ألا يستحسن، والحال كذلك، السكوت، كما  
 يسكت آلاف المؤلفين من الناس ولا يشعلون بقية سائر مسيرة حياتهم؟»

خطر لي هذا الخطر أكثر من مرة، ولكني كنت أيضاً أتذكر أحياناً حادثاً قطعياً أو  
 مدهشاً حدث لي، مما يجعلني أقول لعيسى «ومادة عن هذا الحادث انقطع أو  
 اندثر أو ذاك؟ هل يحدث هذا لكثيرين؟ وحتى لو كان قد حدث مثله لكثيرين،  
 ألا يتوقف هذا إذا كان يستحق أن يروى أو لا يستحق، على كبره روايته؟»



شيء آخر كذلك يقلقني أثناء كتابة هذا بكتب. قرأت مرة حملة حامية للأدوس  
 هنكسلي، الروائي الإنجليزي الشهير، يقرر فيها بين القصة الخيالية (fiction) وبين ما  
 يحدث بالفعل في الحياة، فيقول: «مشكلة لقصة الخيالية أنها تطوى على معنى  
 (أو معنى) أكثر مما ينبغي، يسم ما يحدث بالفعل في الحياة لا يبدو وكأن له معنى  
 (أو معنى) على الإطلاق»<sup>(1)</sup>

إذا كان هذا صحيحاً، فكيف لي أن أحفل ما أرويه مما حدث لي حياتي، ومن  
 علمت وعرفت من الناس، ومن جرى بينهم من علاقات، دا معروى على الإطلاق؟  
 كيف يستطيع أي شخص ما أن يستخلص من حياته أي معنى، إذا كانت الحياة  
 الواقعة بالفعل حاله من المعنى؟ من الممكن بالطبع أن يستخلص معنى معناه من

(1) "The trouble with fiction is that it makes too much sense. Reality never makes sense"

هذه الحادثة أو تلك، وأن يجد طرافة أو مأساة في واقعة عسها أو عمن عس، وبكن هل يمكن أن نرى قصة حسنة واقعة، كت حسنت بالفعل ودون إضافة مصطفة بقصد التجميل أو إظهارها بمظهر القصة الحياتية، ويكون لها مع هذا نفس الأثر لدى بحسده لما نقرؤه من قصص وروايات وما يشهده على المسرح أو نراه في الأفلام؟ وإذا كن هذا مستحيلا، فما الذي يبرر رواية هذه القصة أصلا إلا مجرد إعجاب بكانت عسسه، وتعليقه أهمية على ما حدث له أكبر بكثير مما في الحقيقة؟

أصارع القارئ بأنى لم أفقد الأمل قط وأن أكت فصلا بعد آخر من هذا الكتاب، من أن يكون لقصة التي يحكيها كع حدثت بالفعل، ودون أى تجميل. معرى عام يتجاوز معرى الأحداث الحزنية وكس أشعر دائما، ولا أزال، بأن القصة إذا مثلت في نقل هذا المعرى للقارئ، فلا أد أن يكون السب هو مجرد أن صريت بمولى أكثر من اللازم أو لم أصرب به بالقوة اللازمة



بعد أن كست الجزء الأكبر من هذ الكتاب كت أتذكر من حين لأخر، سيرة دنة بعد أخرى، بما كت قرأته من قبل، فأعود إليها لقراءة فيها، أو أتذكر سيرة داتية مهمه لم تسق بي مرأتها فأقنيتها وأشرع في قراءتها كت مثلها، إذ بدأت أعس شيئ عمله أحرون من قلى، أن أقارن بين أدائي وأدائهم، وأتأمل سب يحرح هذا ونقل ذلك، حتى يكون في هذا وذاك درس لى أتعلم مه

تذكرت بامطع «الأيام» لطفه حسين، و«زهرة العمر» و«سجن العمر» لتوفيق الحكيم، و«أوراق العمر» لمويس عوض، ما هيئت عسها عن كتاب «حياتي» لأبى، (أحمد أمين) الذى مثل محوارى دائم أعيد القراءة فيه، لرة بعد المرة، حتى كدت أحفظه عن ظهر قلب. وتذكرت أيضا بعض السبر الدية التي همت بها حب لمؤلفين أجانب؛ كالفيلسوفين البريطانيين برتراند رسل (B. Russell) وألفرد إيسر (A. Ayer) فأعبد القراءة فيها من جديد

وعد كان رد على في جميع الأحوال مدعسا كانت الدهشة أحيين من مدى

منه حتى إذ قُدرت بكتاب في المناصى بأكثر كثيراً مما يستحقه، وأحياناً من أبى وإن  
كنت أعجبت في المناصى بكتاب جيد - لم أعطه من التقدير قدر ما يستحق

كنت دهشتي كبيرة بوجه حاصر من أبى سم أكتشف من قبل روعة كتاب أبى  
«حياتي»، وأبى كنت سعيداً غاية للخافة وأنا في الخامسة عشرة من عمري،  
عندما كان أبى على -على بعض فصول هذا الكتاب -بضع صفحات بصره واعتماده  
على الإملاء بدلاً من بكتابة يده، فقد كنت إجابسى عندما سألتى عن رُبى فيما  
أعلاه عنى أبى أفصل عليه كتاب «لأبام» لطف حسين إحداه من أهق محقق يريد  
دفع أن يتحدث أباه!

وجدت بعض كُتّاب لسيرة الذاتية بمصنوعون للإشارة إلى أنفسهم بصيغة  
الغائب، فدلّا مر أن يكتبو قنت ووعنت، يقررو - قال صاحباً أو قال فعنى كذا أو  
فعل كذا - ولم أنسج هذه الصيغة فعد فى بقراءة، فلم يحط ببالى قط أن  
أستعملهم فى الكتابة وإذا كان البعض يرى فى هذه الصياغة براصف فببى أرى  
فيها عكس ذلك، بل بها عكس الكتاب من كبل البناء على نفسه، وسنة العصل  
إليها بأكثر مما يحكمه الإشارة إلى نفسه دور بواء



منذ سبوت كثيرة، رُبى فيما بولنديا صامتاً لا يريد طوله على عشر دقائق،  
طلت قصته بعود إلى ذهنى من وقت لأخر، وعلى الأحص كلب رأبت أحداً من  
أهلى أو معارفى بصادف فى حياته ما لا قبل له بده أو التحكم فيه

تبداً القصصه أسبطة لمطر بحر واعم، يحرح منه رجلاان يرتديان ملابسهم  
الكامنة، وبجملات معاً، كل منهما فى طرف، درلاان عتيق صخما، يتكون من  
ثلاث صلب، وعلى صلته بوسطى مرة كبيرة -سير الرحلاان فى تقه نشاطى  
وهما بجملان هذا الدولاب بشقة كبيرة، حتى يصلان إلى لربى فى حالة إعياء شديد،  
ثم يبدآن فى التجول فى أنحاء المدينة وهما لا يرايان -جملان الدولاب -فيذا أرا د  
ركوب الترم حارلاان صعود السلم بالادولاب وسط رجلاان الركاب وصيحات

الاحتجاج وإذا أصب بهما الجوع وأرادا دخول مطعم، حاولا دخول المطعم بالدولاب فيطردهما صاحب المكان

لا يحتوى العلم إلا على تصريح محاولتهما المستمته في الاستمرار في الحياة وهما يحملان دولاهما الثقيل، إلى أن ينتهي بهما الأمر بالعودة من حيث أتيا، فيلعن الشيطان الذي رآياه في أول العيلم، ثم يعيان مثنًا مثنًا في البحر، حيث يعمرهم أمياه وهما لا يزالان يحملان الدولاب

مد رأيت هذا بعلم وأن أنصّر حالي وحال كل من أعرف وكأن كلاً ف يحمل دولاه الثقيل، يأتي معه إلى الدنيا ويفضي حياته حاملاً إياه دون أن تكون لديه أية فرصة للمخلص منه، ثم يموت وهو يحمله. على أنه دولاب غير مرتى، وقد يقضى حياته متظاهرين بعدم وجوده، أو محاولين إحقاقه، ولكنه قدر كل ما احتوم الذي يحكم بصرها ومشاعرها واحتيارها أو ما نظن أنها احتيارها فأنا لم أحتز أنى وأنى أو نوع المائدة التي شأت بها، أو عدد إحوسى وموقعى بينهم، ولم أحتز طوبى أو قصري، ولا درجة ومعنى أو دمايتى، أو موطن القوة والضعف في جسمى وعقلي كل هذا على أن أحمله أبسدا ذهب، وليس لدى أى أمل في المخلص منه.



(١)

## ولادة متعصرة

بدأت قصتي حتى من قبل أن أولد ذلك أن والدتي كانت لا تكف عن رواية قصة حملها بي بأوجع، حتى رُسحت قصة هذا الحمل في ذهني على نحو لا يمكن معه مصيبتها كانت فحيرة بمقاومتها لأبي، وما خأت إليه من حيل والأعيب حتى تحفظ بي من أحشائها وتنج لي فرصة لوجود

كان أبي لا يريد من الأولاد إلا ثين أو ثلاثة، فانتهى به الأمر بي أن أصبح أنا لعشرة، مات منهم اثنا في المهمل وبقي ثمانية على أنه عندما وصل الأمر إلي، احتمال محيئ انثاء، وهو أنا، ثم يطن أبي صرا وقرر أنه إن لأوان لأن يصع حداً للأمر وأن يحس والدتي على الإجهاد ولا أدرى بالصط سر نفسك أمي بهذا الطفل ثاس، فقد كانت لديها ومرة من الأولاد ولسات من المؤكد المصريين كانوا، ولا يزال أكثرهم يسرون كثرة الأولاد ممحرة للآم ولكن الأرجح أن الأمر كان يتعلق بوجه خاص بمعنى التي كانت، على حد قول والدتي، تمسكها أشد بحسد لكثرة ما أعم الله به على والدتي من لأباء الذكور، ومن ثم كان نفسك والدتي بي رجع هي الأبس إلى رعتها في إعاضه عمتي.

لم يكن الإجهاد في هذا الوقت (منتصف الثلاثينات) أمر سهلاً، وكان على أبي أن يستعين في ذلك بطبيب أحسن، إذ لم يكن هناك طبيب مقيم في ذلك الوقت يقبل أن يقوم بهذه المهمة، فرتب أبي موعداً مع طبيب إيطالي لم يكن من السهل على أمي أن تعصى أمي، ومع ذلك فقد حاولت عدة مرات انهرب، مرة إلى بيت أجيها في العاصمية، ومرة إلى بيت أختها في قريتها (راوية القلي) بالمروية.

حتى اضطرت في النهاية إلى الرضوح لتهديدات أبي، فاصبغت لأمره واربدت ملاسها لذهب معه إلى نطس. وهي الطريق إلى محطة لثرو كان أبي، كعادته، يشق أمي بسبع خطوات، إذ لم يكن من المألوف أن يسير الرخص في الشارع بمحاداة زوجته، حتى وصلا إلى المحطة. فمع حاء القطر استقل أبي العربة لأمامية على أن تصعد أمي إلى عربة لسيدات، وهي عبارة عن ديوان صغير في آخر المطار كُتب عليها (سيدات) ولا تتسع لأكثر من ست أو ثمان من النساء واستحمم أمي كل شجاعتهما وتركب أبي يصعد وحده إلى القطار وعادت إذا رحا إلى المنزل، فإذا بأبي، لدى محطة الوصول، يحدد نفسه في ذلك الموقف المصحك. ينتظر نزول أمي من عربة السيدات فلا سر، ويكتشف أن زوجته قد حذته بإمكان أن تصور الصباح والشجار اللذي لا يدان عن بيت ذي عردة أبي، في ذلك، ملا شك، التهديد بانطلاق ومع ذلك لم تعمر عريئة أبي، وعاد إلى محارته، مستخدما العنف مره والمليين والملاطفة مره، حتى رصحت أمي بالاعمال للذهاب إلى الطب

حسب أمي أمام طبيب الإيطالي وسمحت له بأن يبدأ بالكشف. ثم تحرك في قلبها غضب عريري جعدها تدفع، لضيق يقدمها بكل قوتها صانحة في ثورة «روح يا شيخ، هو أنا حلى في الحرام؟» فترجع الطيب حائفا وقال، معلنا استسلامه، ولكنه أحنه طلت دائما معثا للضحك في أسرته عني مر الأمام كلم أعادت أمي رواية القصص يا حبيب أو مالى؟ عاير تسقط تسقط، عاير تحبل بحل ١١ وعادت الزوجة إلى است متصره، ولأب حائفا، ولم يعود أبي الكثرة منسما لشجة لله

هكذا حث إلى الوجود في ٢٣ سبر ١٩٣٥

(٢)

## أبى وأمى

لا يجب أن يتوقع أحد أن يكون محورتي صورة لأبى وأمى يوم رواجهما،  
بسم فيها بروج لروح كما يعمل لاس في هذه الأيام سدى ناعمل صورة لأبى  
يوم رواجه، ولكيها له وحده، فقد ذهب بمفرده إلى لمصور بعد تمام عقد الزواج،  
فالتفت له المصور صورة، وبدا لا من لروح استند أبى بده بى بصعة كتب، وكتب  
حلف بصورة، لى لا ترال فى حورتا، أنه اخار الكب رمزاً أو شعاراً، كما كب  
أبى وراء لصورة «وأرحو من الله أن يوفى إلى عمل عظيم أنعم به أبى» وقد  
رفقه الله إلى ذلك فعلاً، وبكى المهم لذى الآن أنه لم يشر فيما كتبه وراء بصورة،  
وبإشارة عارضة، إلى أبى الذى كان قد عقد لوه رواجه عنهما

كان أبى رجلاً قليل الكلام، قليل المرح، يأخذ الحياة مأخذ احد، ولا يجد متعة  
حقيقية إلا فى القراءة والكتابة والرواح فى نظره لا يستلزم حب بل هو لمجرد  
تكريم أسرة وإكمال اندي ومن ثم فهو يطلب يد أبى دون أن يراها، وأسرة الصاة  
تقبل تزويجها له دون أن تشترط مرافقة لعتاة، التى لم تكن بدورها قد وقعت  
عنده عليه قط. المهم فقط ان ترصى أسره لعتاة أو لى أمره عن حلمه واستقامته  
وتأكد من عدوته لالیه

كان أبى من أسرة قاهرية جاء أبوه وهو صغير بى القاهرة هرباً من قرية بمديرية  
البحرية حيث كان يجتهد بملاحون بسطط دالم يؤدوا ما عليهم من صرائب  
وتعلم حتى فى القاهرة حتى صار من علماء لأهر كانت أسرة متوضعه ادخل  
نعيش عيشة عاية فى اسباطة، ولكن أبى لم يذق ضطرب لعيش فى صفوت أو



صه فلا هو فعلى اللئى حائف ولا تعرض لصدره مرة بن حاله وحال الأسر الأكثر ثراء ويسر. لم يكن لدى الأسرة بالمقطع ومرة من المال، ولكن المال لم يكن بصلاً شغلها أو مصدرًا شقي رائد. سمح هذا لأني أن يشغل فكره مما هو أعظم شأنًا، وإن لم يكن هذا بالطبع تفسيراً كافياً لهذا الانشغال بما هو «أعظم شأنًا» إلى لا أعرف كيف أسمر لما استمر في ذهن أي - منذ وقت مبكر من حياته - أن من الواجب، ومن الممكن، أن يكون حياته يعمل عظيم؟ هل كان سبب دكاؤه وتوبيخه المستمر في دراسته؟ أم مرة متأصلة منه منذ الطفولة نحو الإصلاح، تحتاج بذوره إلى تعبير؟ لقد كان عدو كتب تلك الحملة وراء صورته، عن أمله في القديم يعمل عظيم، من التاسعة والعشرين من عمره، وكان يعمل قاصياً شرعياً، وهي وظيفه لا تعد مداتها يعمل عظيم، وإن كان قد عرف عن قرب رجالاً عظاماً أثروا تأثيراً كبيراً في نفسه، أكرههم أثراً عاطفياً يركاب، ذو سرعة الإصلاحية القوية، وناظر مدرسة نقضاء الشرعي عندما كان أبنى تلميذاً ثم مدرّساً صعباً به

إن التفسير بدى أمين إليه أكثر من غيره لهذا الطموح القوي عدو، وقد وقت مبكر، إلى نيلام «معظم عظيم فيه مع أمته» هو حبه الأخلاقي لسلع القوة نعم، كان ابن من أسرة شعبية متوسطه الحال، ولكنه كان بلا شك «أرستقراطي» الأخلاق والخص. كان دائم التساؤل عن الموقف الأخلاقي الصحيح، وكان لمنازل كلها وصور الحياة كلها تحول عده في نهاية الأمر إلى مشكلات أخلاقية. إليه يستقبل من وظيفة ربيعة بدى أي اعتداء طفيف على كرامته، ويقف ضد السلطة إذ رها طلبة، ويرفض منصباً خطيراً إذ اعتقد أنه ليس أهلاً له، ولا يرقى موطناً لأنه محبه ولكن لأنه أحدر من غيره بالترقية إلح

من أين نبي بهذا الحس لأخلاقي اتري؟ هل ورثه عن أبيه؟ أم كان سيحه لربيه الدينية العميقة؟ إلى لا أعرف كيف يورث الحس الأخلاقي أن عن جد، كتب لا أعرف كيف يولد الشعور الديني القوي حساً أخلاقياً قوياً بعد البعض ومجرد تمسك بشكليات الدين عند البعض الآخر

أذكر مرة أن كنت، أنا وأخي حسين، نتحرق شوقاً لرؤية فيلم يعرض في سينما

في وسط البلد كما يسكن في مصر الجديدة وكان الأمر يتطلب ركوب المشي الذي علم يكن أبى يسمح لنا بعد تركوبه وحدها، إذ لم تكن قد تجاوزنا العاشرة أو الحادية عشرة من عمره. (ربما كان «لعلهم» «يلبي» لليلي مراد وحسين صدقي، والمأخوذ عن رواية عادة الكاميلى، وأظن أن السبيما كانت كورموس بشارع عماد الدين أو محمد فريد الآن) كما عني نقن بأننا إذا استأناه فسوف يرفض ههنا تفكرنا إلى الحلّ الاتي. سأله عما إذا كان يسمح لنا بالذهب إلى سبيما في مصر الجديدة فأذن لنا، ثم استجمعنا شجاعاً وركبنا المشي، وذهب إلى السبيما التي تريدها في وسط البلد، وفي طريق عودنا مررنا من المترو قرب السبيما التي سمح لنا بالذهاب إليها، وههنا إلى ههنا فعلاً دون أن ندخلها، ثم مررنا عني أقدمنا معها إلى أسرل، مررنا ههنا لأنست داب من الزاوية ههنا ما ذكرناه به بالوسط، أي أننا لم نقل له شيئاً يخدع حقيقة، وإنما فقد لم نقل به كل الحقيقة. ومع ذلك فلا أدري كيف سبب القصة بأن اعتدنا له ههنا، ودارت مناقشة طويلة بيننا وبينه عما إذا كنا قد ارتكبنا عملاً غير أخلاقي محرماً لم نقل له كل الحقيقة

لم يكن لأبى هذا الحس الأخلاقي القوي الذي كان عند أبى ربما كانت أحسن طلاءً وألطف معشراً، ولكنها كانت بلا شك أكثر مكرراً وأشدّ دهماً. لم تكن بحبيبة محلاً مفرراً، ولكنها كانت بلا شك حريصة على المال حرصاً وصحاً. كان يزيدها الحرص قوة اعتقادها بأن الرجال لا يمكن الاطمئنان إليهم، وكانت دائمة التردد لتمثل الشعبى «يا مائة بلر حال، يا مائة للجاء في العربى»، فسيطرب عينيها فكرة أن يكون لها من المال ما يكفي لشراء بيت باسمها يدرّ عليها من الدخل ما تعنيها من أبى، إذ حدث وتكرّره.

بدأت منى مدّ أنام روحها لأبى تصيب القرش بعد نمرش إلى دفتر انتوير يكتب البريد، تقتضه غا يعطيه بها أبى من مصروف البيت، إذ لم يكن لها مصدر للأجل إلا ما يعطيه لها أبى. وهى تحتفظ بحجم مدّ حراتها مراً من الأمراء لا يعرفه غيرها. كان أبى يعرف ما يحدث بالوسط ويخض بصبر عه. وكانت هى تعرف ههنا مبالاة بالمال متبع فى تصوير ما يتكلمه الصغار ولوازم البيت معطيه دائماً ما تطلبه

دون نقاش، وهو يعرف جداً أن ما يعطيه لها أكثر بكثير مما تحتاجه ولكنه إذا كان يعرف هو نفسه عجزه الثام عن الادخار، يتطهر بتدبيرها أصلاً في أن تقوم هي بما يعجز عن القيام به من ادخار - حاجاته مره بإحداه بأنها أصبحت لأن تملك ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه في دفتر التوفير، وأنها يريد أن تشتري منه نصف البيت الذي يسكنه، وكانت قيمة هذا النصف تزيد بالطبع عدة مرات عما تقدمه، فإذا به يوافق، دون مناقشة، على أن يكتب - سمها نصف المنزل - وتصر هي بعد قليل على تسجيل ذلك رسمياً في سجله. ثم ثم يفتقر ستان أحياناً أو ثلاث حتى أعلنت أنها تملك الآن نصف مئات أخرى وأنها ترغب في شراء النصف الآخر، ووافق أبي على ذلك أيضاً، رغم تعاضد المصع الذي تعرضه عليه. وإذا ما بيعت ابدي يسكنه، وهو فينالا جميلة من دورين بحسب راق من أحياء القاهرة (المدني) قد اشترته أمي ماقبل من أربع من المصحات. ثم ثم يفتقر سنوات أخرى وإذا ما يفتقر لأبي صا حكة به يسكن هو بيتها دون أن يدفع بها يجاراً، ثم تتحول البكتة إلى جد، فيقبل أبي أن يعطيها عشرين جنيهاً في الشهر إيجاراً للبيت الذي يسكنه. ولم تمنع أمي بهذا بل ظلت كل بضعة سنوات تسدّر سماهة هذا للإيجار، معددة مرابا المرن ومشيرة إلى حملاته وحملات حقيقته، ي فيها من أشجار الحواقة وشجرة الماعوز، فإذا بها تطلب كل بضعة سنوات زياده الإيجار ويقبل أبي عن طيب خاطر ما يطلبه.

كان حصول أحد من على بضعة فروش من أمي أنه يحاوله اسحراج أمه من الصحر، فقد كانت دائماً تتظاهر بأنها لا يملك فرشاً واحداً، حتى يأتي نصريحها المصاحي هذا، كل بضعة سنوات، بأنها تصرم ثمن هذا البيت أو ذلك. لم يكن من السهل أيضاً أن يعذب أحداً من أبي ما لا يريد على ما قرره لكل من من مصروف شهري. ولكن بصحوة هذا لم يكن مصدرها حرصه على المال، بل مجرد الخوف من إزعاجه، ومن أن تكتشف عجزه عن الالتزام بما قرره لنا. كان من أكثر الأمور دده أن يصرح لمطلب أحد من العصف المال قل أن ينتهي اشهر؛ حوها من أن يولد لدي هذا شعوراً بأنه لا حدود لما يمكن لنا الحصول عليه من المال فيعبد عليه هذا مستقبل حياتنا.

كان هذا الموقف من حاشه معقولا تماماً، ولكن من كان يضايقنا من أبي حقيقته هو

عجزه عن شعاطف مع أية رعة لديها في أي نوع من أنواع الرماية . كان هو نفسه قبل لاحتمال أية صورة من صور ثأس ، واهدأ تماماً في أي محاولة لمحاربة الآخرين في رماية العيش . وكان يفرض أن لديها بعض المدرخة من الامتلاء في من لم تكن تسمح بأبحاراته في بساطه . تهور مرة فأنسى أن أنه قرر شراء سيارة جديدة من طراز الكرايفرلر ، لحل محل سيارته القديمة التي كانت تثير ارتداء من فرط قدمه ، وتستند الصدك والسحرة من أصدقائنا . وقف نحن باعلان الخبر على امور للأصدقاء ، ونحن شعر بمنتهى السحر . هوذا به نصيبا بحية أمل كسرة إذ يحربنا بعد بضعة أسابيع به قد استرد العريون ، وألقى فكرة سياره الحديدية ، إذ هذه تمكيه . إن الأهر لا يريد على أن يكون حياقة دافعة ، وحيا للمطهر الصارغة ، ما دامت السيارة القديمة قادرة على أداء الوظيفة المطلوبة من قبله لعدة سنوات أخرى .

هكذا كان حاله مع كل مطهر المدنية الحديثة . فقللة الماء والإسبري لمحاري لواقص في صبية على سور الشرفة ليشترب من الجميع ، يصدق عن الشلاحة الكهربائي ، وحمار الراديو يعنى عن خرافات والأسطوانات . إلخ . ومن ثم لم يكن يشا يحتوى إلا على الضروريات ، فلا أذكر أن صورة جميله قد علفت على الحائط . أو قطعة أثاث جديدة اهتمت بسب حملتي بحث . ومع ذلك فمن المؤكد أن أبى كان يحمل إلى جانب حبه الأخلاقى القوي ، حباً حمائى قوياً كذلك كان حبه الحمائى يظهر في حوسه أمام السحر ساعات طويلة يتأمل نتائج امواجه ، أو في حبه للحرج إلى الصحراء للاستمتاع بالامتداد اللانهائى للرمال والهدوء الشامل ، وفي فصله للمحارس والكتابة أو القراءة في الحديقة ، وفي متابعته لما عما وما لم يسم من أشجار ودهور ، وفي كراهيته الشديدة للصوت والصوت المرتفع ، وفي تقديره للغة الحميمة والكنية ، في ورعنا ، قبل هذا ، في حبه الأخلاقى القوي . أو ليس صحيح أن الحسن الأخلاقى هو من نفس نصيبه الحسن الحمائى أو هو جزء منه ؟



لا أعرف الكثير عن طموحه ووظيفته ، اللهم إلا أنها كانت من أسرة

متوسطة خراب يعيش في قرية من قرى الموقية (رواية العقلى)، وأن أباه كان قاصيا في مدينة إقلصة، مات في صغولته، فهي لا تكاد تعرفه، وإن كانت طلت دائما تصحريه، من باب محاولة تحقيق درجه من البديه معنى، تتكرر أنه كان قاصيا، وأن عبد العزيز باشا فهمي عندما تفصل نليغويا مرة ثانية، وردت هي علي السبعون وعرف أنها بنت القاصي عند نوهات فهمي وكان من نفس قرية، برحم عليه وأثنى عليه طويلا ثم ماتت أمه وهي في نحو العاشرة من عمرها، فانتقلت أمي ربحرتها التامى إلى ست حائلها

كذب القصة بي لا تغل أمي من روايتها لي، عدا قصه كهاجها أثناء حملها بي، هي قصة حها الأول، وما صاحبه من شجون وحية أمل طلت معها، فيما يبدو، إلى يوم وفاتها كان لأمي حب آخر، غير الحال الذي تقيم في بيته، وقعت أمي في حبائه ووقع هو في حبها. وتبع هذا لأثاب على الزواج، فذهب أبو الفتى العاشق إلى أخيه، وسأله أمراة المشقة، يضلها لاسه، عرفص الطيبه بشرة، إذ كان لولى الأمر بت في من الزواج ولم يكن يرغب في أن تنروح الفت التيمنه فهمي، وأحد يحتل الأعداد للرفص سأل عن المهر فقيل له إن الفتى لا يملك شئ ولكنه مستعد لدفع المهر لطلوب بالتقبط فرد لولى الأمر ساحركا بأن امه أخته ليست مأكسة حطاة يمكن شراؤها بالأقساط تحطم قلب الفتى ورقد مريضاً من شدة الحزن، وكتب رساله إلى محبوبته حفظتها أمي عن ظهر قلب من كثرة قراءتها، ثم حفظتها أنا عن ظهر قلب من كثرة ترديد أمي لها عنى مسمى قال لي أبى كانت سكي نكاه مرآ كلف وصلت إلى نهايتها انى يقول «وبالاحصاء أنا مريض، ولم أر مثل هذا المرض من قل في حياتي لا يوم ولا أكل وجميع جسمي يوحى، وهذا المرض جاءنى من يوم مضالته الحن مع العم قال هذا انعم كلام يصحك ريكي فرد كان لى عمر ثقابسا وإن لم يكن، هعيك مى ألف سلام» والتوقيع «مريض مشتاق»

هربت لفتاة من بيت حائل، على أثر هذه الواقعة، دون أن تحر أحدًا عما عرفت عليه. وقصبت قريب من قربانها كان ينسج بالماهرة، واسع الشراء وعظيم خاه اسمه

محمد عفيفي ناش، كان نشغل وظيفه عاليه فى الدائرة الملكيه وبهت من مش  
 سن أمى اسمها (هندي)، وتزوجت فيما بعد رجلا من عائلته كبيرة أصبح له شأن  
 كبير فى السياسة المصريه (بهي الدين تركات) استقبلت ابعائله الأرستقراطيه  
 امريقيه هذه الفئاه بسيمة ودب القلب الكبير بالرحاب، وأحاطها بالحب  
 واعطف فقصد الفتاة معهم ستين أو ثلاثا، كانت دائما تذكرها بالحب والامتنان  
 وكانها كانت تسعد سنوات حياتها كان يسرها عاية سرور ان نذهب لإيقاظ  
 الناشا العجوز فيتسم لها بمحرد أن يفتح عييه قائلا إنه يستبشر بوجهها فكانت  
 تعيظه أحيانا بأن ترمى إليه من يوقعه عيها فيعصب ويقول به لا يريد أن يوقظه  
 أحد غير «ريث» فيزداد سرورها، إلى أن تقدم أنى لزواجها فبدأت متاعبها، أو  
 هكذا كانت تقول

وحدث أبى رجلا قليل الكلام لا يعرف المزاج أو المرح وهو يطلب الزواج منها  
 دون أن يراها، فليس هناك إذن حب ولا حتى تفصيل لها على غيرها، بسم هناك  
 على قيد الحياة قلب سبى نحها ولا تمنى سواها ثم تصدم الفتاة فى أول أيام  
 الزواج بعد اتعاها إلى بيت الزوجية باشعانه المستمر مكتنه وأوراقه تدح على  
 لشحه بأن العناء حاضره فيشير بوضعه إلى رأسه علامة اشعاله بالتفكير، وكان  
 رثها - كما شرح هول فيما بعد - يترجم حملة صعبة من كتاب «مادى الفلسفه»  
 بالإنجليزية الذى كان قد تعلمها حديثا تال الفتاة معها باستعرا عما إذا كان  
 هذا هو معنى الزواج، ثم ترفض الفكرة قائلة لنفسها «لا يمكن أن يكون الأمر  
 كذلك، فقد رأيت حاسى يكتم روحه حاسى أحيانا» ويريد لأمر سرياً أن يوقف  
 العدائى الذى نجهده الروح من شقيقت الروح وأنها على استفادها صديوم  
 الأول. فإذا أرسبهن بروح لتفقد بيت الزوجية قبل الانتقال إليه للاطمئنان على أن  
 أهل العروس قد فرشوا البيت فرشاً ملائماً، عادت لشقيقات به تقرير غير صر  
 وعلى بالانتقادات، من أهمها أنها لم يشرى من البيت على ككة لنصع «قهوه»  
 وإاشتد اللؤس وحسة الأمل تأمى استجمعت يوما شجاعتهما وسألت أبى عما إذا  
 كان يقن الزواج من أختها بدلا منها، فكانت إجابته «لا أدت ولا أحنت» ثم فكر  
 جدا فى الطلاق معها عندما وقعت ابرقة الثانية\*

كانت أمي وأختها مشغولتين يوماً بالعجين وصنع الفصائر والكعك استعدداً  
سعيداً، وكنا نتبادلان الحديث وناصحتك عندما وصل العجين من الفرن فلاحظنا  
انتفاخ إحدى العطاير انتفاخاً غير عادي، فإدنا أمي تسأل أختها صاحبة عجن ياترى  
الشخص المنفوخ مثل هذه العطيرة؟ فاصدة أمي ثم تنفجر الأختان بناصحتك،  
وإدنا أمي واقفة عند باب المطبخ تسمع حديثهم وترعد أمي خوفاً ويعصب  
الروح عصاً هتلاً وتدور فكرة سخيفة في ذهنه، ولكن العقل والمنطق يتعلنان  
في النهاية، كالعادة، وتعود الأناام إلى سابق عهدهن بلا طلاق ولكن أيضاً دون  
الكثير من الحب

لأن أن لأمر قد تحسنت مع مرور الزمن، فلأن أن أمي قد راد كلامه مع أمي  
عما كان في أسدي به، إذ لا يتصور أن تحسن مه عشر مرات دون ذلك، ولكن خيبة  
الأمل ظلت كامنة في قلب الروحجة التي لم تشعر فيما يبدو بالحب الحقيقي إلا لأن  
حالتها كان الروح عذاب دون حدود ندرتته الأولى وما تعرض له من مريرة  
صادمة في طفولته. فتح فصل الأفكار التي كانت تدور برأسه عن الأسرة السعيدة  
ومع كل حسن نيته، لم يكن قادراً على التخلص من دور الروح الديكتاتور صاحب  
السلطة المطلقة أو أن يجد في عهده العذرة على ملاحظة مرأته ظلت ولدتى طول  
حياتها لا تستطيع أن تصدق أن روحها لم يبدعها باسمها مرة واحدة، بل كان إذا أراد  
أن يهت بطرفها إلى شيء صبح فيا ولده فتعهم أنها هي المنصودة وكنت تتبدل  
بذلك أحياناً أحسب مع بعض لرفضه فتسأله عما إذا كان من المحتمل أن يأتي  
اليوم الذي تترى فيه فيحاطها على الأقل به بـ ١٠، إذا كان مصراً على رفضه  
أن يبدعها باسمها كان أقصر ما يستطيع، إذا شعر بحوجها بمنتهى الحرص أن يبدعها  
بـ ١٠ أم حمادة، مستخدماً اسم التذليل لأكثر أسائهم، ولكن هذا كان أمراً نادراً  
لنعاية لا أذكر أمي سمعته منه أكثر من مرتين أو ثلاث طوول حياتي، وإن كانت هي  
شعوراً بذكر لقصة تالية على مسامعنا، عندما موديت بالهمل بـ ١٠ أم حمادة في  
طروف كان أمي يشعر فيها عنتهى الاضطراب والوجل أمامها، وهو لأمر الأكثر  
ندرة بظنهم والأكثر مدعاة لشعوره بالاعتز والعجز

أما القصة فهي أن أبا أي كان يحظر له أحياناً في لحظة من لحظات سأمه من بقائه  
والكتابة، أن يقوم بعمل غير مألوف لديه، من باب الترويع عن نفسه، كصنع المربى  
مثلاً كانت أمي في ريادة لأخيها عندما تحضر لأبي مثل هذا الحفاط فأتني سمص  
البلح وشرع في صنع المربى، فوضع البلح مع بعض السكر على نار رسي أو  
بصيف ماء، ثم حطرت به فكرة مقل جديد فتأدر للطبخ واتجه إلى حجرة مكتبته  
لشرع في الكتابة وسمى المربى برفته وصلت إليه بعد عدة دقائق حزين، فإذا به  
يحد الباب كله وقد اسلأ بالندخان يسما كاتب أمي تصعد انسلم عائدة من ريدتها  
استقبلها أبي في أعلى نسيم وهو مضطرب، وقد اعلمت وجهه اسساماً عريضة  
وقال لها مرحاً على غير عادته. «أهلاً يا بنت أم حمادة!» وأصابت أمي دهشة  
عظيمة، إذ تستعجب هذا الاستقبال الخاف، وبهذا التعبر الودي عن المألوف،  
مطرت إليه نظرة ملؤها «شك فائقة» والتهبت عامل عمله، وسرعان ما  
اكتشفت قصة المربى التي لم يكن من الممكن حفاوها فاتضح لها كل شيء.



نعم، كانت أمي تودد من حين لآخر قصة حبها لأبن خالتها وحبه لها، ولكن  
القصة كانت تنسوي عندما كب اسمعها منها وأما صغير، مجرد قصة مصحكة  
ومسلية، لا أكثر ولا أقل، كما كانت تبدو لي وكأنها قد حدثت فيما قبل التاريخ،  
عندما كانت أمي فتاة صغيرة جميلة فدره على الشعور بالحُب وإثارة الشعور  
بالحب فإذا بي أكتشف فيما بعد أن الأمر كان خدأً محصلاً بل وكان يحمل طابعاً  
مأساوياً بكل معنى الكلمة. لقد توفي أبي في سنة ١٩٥٤، وبعد ذلك بسنين حدث  
الاعتداء الإسرائيلي على مصر المشهور بحرب ١٩٥٦، وقد راح صحفية هد  
الاعتداء عدد كبير من الشبان المصريين، كان من سهم من هذا اللعشوق القديم، ابن  
خالها وتعرّفت أمي على اسمه على الفور. من مراءتها لصمحة الوفيات في حريضة  
الأهرام وقد استرعى شأني أن هذا الخير على أمي بالمقاربة بأخبار أخرى مماثلة،  
وعرّت أمي عن ضروره دهايتها لأهل الشاب التوفي بتعزية، وأحدث نقبص في  
التعبير عن حرقه القلب التي لابد أن تكون قد أصابت أناه وأمه ودهشت أمي



لشعرته وعادته وقد بدا عليها التأثير والحزن الشديد . ثم مر - شهيو فنية حبه  
 بعدها الأب نفسه لشكر أمي على قيامها بالعزاء وجلسا معا في سريفة بيتنا يتبادلان  
 الحديث . كنت أراه في ذلك اسوم لأول مرة ، فرأيت رجلا مهيب نطلة في نحو  
 الخامسة وستين من العمر أو أكثر ، فارع الطوب وأيقا أفاقه واصحة لم أعلن  
 أهميه وقتها على هذه الريزة ولكني عندي نذكر بها بعد وفاة أمي بعده سنوات ،  
 بدت لي هذه الريزة وكأنها نهاية مؤثرة لقصة حب ظل مكتوما ومحروما من التعبير  
 عن نفسه لعشرات السنين . كنت أدوس في إنجلترا عذمت توفيت والدي ، ولكن  
 أحسني الكبري قلت لي ، ان أمي قل وبها ياسابيع قسبة حاءها حبر وفة بن حالها  
 فتم تعبق عليه ، وإن كان قد بدا عليها حبر . عمن لعدة أيام قبل أن تمر من المرض  
 الذي أودى بحياتها

## مذكرات أبي عن أمي

كان أبي في الخمسين من عمره عندما ولدت، وكانت أمي في نحو الأربعين. وعندما بدأت أفهم معنى العلاقة الروحية كان أبي قد حاور النبي وأمي حاوورت الحسين. لم يكن من المتوقع إذن أن أشهد أي مطر للسودد بن أبي وأمي أو لبيادلهما أي نوع من عبارات الحب والفرام. بل أصبح يشوب الشجر بينهما مع تقدمهما في السن أكثر تكراراً بكثير من خطبات الصفاء. أثر هذا بلا شك على تصوّري لطبيعة العلاقة بينهما، ورى جعلني هذا أدلّع في تصوّر ما كان يشوب هذه العلاقة من جهاء.

لهذا كان استعراضي شديد عندما وقعت يدي، منذ سنوات قليلة، على مذكره ترجع إلى سنة ١٩١٧، كتب فيها أبي مذكرات يومية تدور أغلبها حول علاقته بأمي. فقد تبين لي من قراءة هذه المذكرات أن سنواتهم الأولى لم تكن قط حالية من الشعور بالوادة والحب، كما أن أبي يبدو من قراءة هذه المذكرات في صورة رجل أكثر رقة بكثير من الصورة التي استغرقت في وعيي من خلال ما كنت تردده أمي عن أسبغني من شكوى.

بدأت أدرس أبي لهذه المذكرات في ٩ يناير ١٩١٧ وعمره ٣١ سنة، وكان قد مضى نحو عام على زواجه، واستغر نكته فيها على فترات متقاربة حتى نهاية العام، عندما بلغ عمر أول أولاده ثلاثة أشهر. وقد يكتب بصراحة لا لونه بلطر. وإن كان أحياناً يكتب ببعض الجمل المتعلقة بروحه بالإبحيرية، حوفاً من أن تقع المفكرة في يده فلا يسرها ما تقرأ فيه.

ومررتُ نعلين للفرس هذا معصم ما كتبه عن علاقته بأُمي ، ثم بقى مصوء ليس فقط على شخصته وخصيئتها ، ولكن أيضاً على بعض جوانب لشائعة من حياة الأسرة المصرية ، المتصلة لشريعة من الشرائع المتوسطة من الطبقة الوسطى ، في مطلع القرن العشرين

٩٥ يناير ١٩١٧ - أشعر كثيراً من الأوقات بأني سعيد لأني ورفقتُ wife مدبرة وظيفتي ، ذات عواطف محببة ، لا تقوى غير ما يصبر ، وكن أحببتُ feel rath  
er painful for she is not very beautiful وأحمد الله على هذه الحال

وقد أحسبت بأن العلاقة بين ترداد منه بمرور الأيام ليست أحذوماً أحبوبة بمعنى كثيراً ، كما كنتُ أعتقد ، ولا أفراً كثيراً كما كنتُ أفعل . فقد قرأتُ يوماً كثيراً أنسى صميري لأني لم أعطه حقها من الانتباه ، وإياهم أقرأ أسحب بدلتُ فأن بين أُنس . أحس بأنه يجب عليّ تمحيه عقلها ببيت بعض المعلومات العامة ، رزجو أن أوفق إلى الشروع في ذلك والسبر فيه .

٩٩ يناير - مع أني معيشتي على العموم بعد الروح خير مما كانت قبله ، فقد اعترضني صعوبات سبها أفر من احتشمة من حجاب وعدم انتشار معلّمات العلم كاف . إيج

٢٢ يناير - لمعنى اليوم حمر عجت له جيداً العجب . فقد كنتُ حطت فتاة من أبيه وهو موصوفه اعد ، ليس من عائلة عريقة في العجد ، ورفض أبوها أن يزوجها لأني معصم ، ثم رويها من شاب في المحاكم الأهلية تماهية قدرها خمسة حبيبات . وهو «طهورات» (أني غير مثبت في الوطعة) وأقل من استقامة

٢٣ يناير - لي نحو ثلاثة أيام أحس فيها شيء من المصيق for my wife is not very beautiful وأبوم يمسى على هذا الأكم ، والواحد حمد الله على ما وصل إليه .

وكان منذ الأكم على أثر حديث حدثني فيه أختي عن فتاة كانت حطت لي ، وكانت very pretty ، وكانت قد ذهبت أخيراً بروحى فمسل عليها وروحى لي احترت

٦ فبراير - انتهى اليوم بأسف وحزن وتفصل ذلك أب والذنى، فل اليوم،  
شككت لى من عدم محامله روحتى لها وقد جرت بينهما بعض مازعات صغيرة  
على أسور تافهة، مثل أب والذنى تريد أن تادبها (يا والذنى) وتأنى روحتى ذلك  
محنة أب والذنى متوفاة وذلك يذكرها بوفاها

ولاحظت اليوم أن روحتى لا تعامل والذنى، ولا تقابلها بشاشة، ولا تنكس  
معها كلام المحترم، فلا تنكس إلا القليل، وما تنكسه تنكسه بمرود، فعند أن  
مرلت والذنى حاطب روحتى بكلمات تأيب على عمها وردع بها عن العود إلى  
مثل ذلك وما قلت لها،

إلى أحاسن حاد مات الشأ إرصادك فلا يلىق 'لا تعامل' والذنى إذ صاء لى  
عصبت من ذلك وعصبت وأما ساعة هذه السطور عصرت أسف أنرد بين  
مضاجعها وعدمها أقول لمن تركها وقتاً أطول أردع لها، وأقول من جهة أخرى  
لعل ما عدها من صراحة وعدم خلطة بالناس حمداً على ذلك، وبالتعلم تعلم

وكل هذه دروس تعلمى التمسك برأى فى الشئ بحزن وحذى، وعدم سكى  
مع أهلى، فبه إن كان البراع وحسن وحسنا وهم وحدهم، لا يجمعهم إلا الشرور  
فما بالك لو كان الاجتماع دنماً والمعيشة واحدة؟

٧ فبراير - استحسب إظهار قوة إرادتى فيصمم على محررها مدة، وصعظ  
على نفسى يوماً ونصف إلى أن جاءت رلة، فاضطرب إلى التخاطب أمامها، ورال  
الحصم، وحصل ما كنت أريده من لتأثير

١٦ فبراير - تحقق أنها حامل، وقد كنا - كما ذكرت - نود أن نؤخر حتى نتمتع  
بالروحة حد التمتع، ولكن لم يقع ما أمنا واشتدأت يظهر متاع الحمل  
وتعباته

وبالأمس سألتها رأيها فى صحب لى يود الرواح بشاة تعرفه، وكانت على مثل  
الحب الذى وصفت، فقالت، بها صاحبة لرواحه ولكن حير من ذلك أن تصحه  
بعدم الرواح ولعلها لا تقبل هذا القول فى أوقات سرورها

أخشى أن يرث أو لادى من قصر نظرى ، وأوجو أن يرثوا بطرهم من أمهم وهى  
أطول وأجمل عيا

لذم كثير من النساء اللاتى رفضن أن يزوجن بناتهن لى بحجة أوى شيخ ، عسى  
رفضهن ، بعد أن شاهدن حسن معاملتى للروحة وحسن سيرتى فى بيتى فحدثنى  
والدتى أن روضة أعزى التى رفضت الزواج من أنت التى وبكت فى أثناء حدثها  
وبدعت على ما كان من الرفض

١٤ مارس - لا يزال أبى وأمى وأخى يبحون فى الرجوع إلى بيت القديم  
والاشتراك معهم فى المعيشة (عسى أن) يحلوا لى دورا من دورى البيت أعيش فيه ،  
وأنا أرفض . وكنت اضل أن مصى أربعة أشهر عسى معسنت هذه بسببهم (هد  
الأمر) ولكن لم يكن ذلك ، فاستمر وألحون وتظهر عليهم أعراض الحزن الشديد  
لعراقى .

١٩ مارس - قالت لى مدرسى الإنجليزية Miss Power : «استحسن أن تعيش مع  
والتك وبصحى شيئا من لداتك لإرضاء ولستك فى آخر أيامهما» . وقالت «سى  
فى مصر الآن أتمتع بحسن جوها وهو أوفق لصحتى ، وبو دعنى أمى لسارت إلها  
على أول بحرة ، وصحيت حو مصر الماس لى إرضاء لوالدتى» . فاستحنت  
كذلك ما رأت .

٢٠ مارس - نهيت زوجى من الذهاب إلى بيت لسخوف بعض النساء يراها من  
المعيشة مع أم الزوج . ولدتك أراها واجمة منك فى ذلك كثيرا ، وأحبول نحيف  
ذلك عها فلا أفلح

٢١ إبريل - جاءها دور لقص حكى ، وعصت من غضبها وبسختها بكلام  
شديدا وامتنعت عن الأكل طوي يوما ، ثم أهدت تسرصى ووعدت بعدم  
إبعده

لا تزال أمى معتقدة فى زوجى الكبر لأنها لا تقول لى «يا بيتى» ، ولأنها لا  
تحملها . وزوجى من طبعها عدم المحامدة وهى تقول «صباح الخير» و«كيف أنت؟»

ولا تزبد - وقد نصحت أمي وروحي بأن حظتي شئ رصحتها إلا أسمع كلمه من أمي  
في حق روعي ولا من روعي في حق أمي، وفهمت أمي أن هد طبع وليس بكر

١٩ مايو - كنت أحشى هل الاشتغال إلى يشا الخالي أن تصد أخلاق روعي  
فإني أعتقد أنها صريحة لا تكذب تحمي عني شيئاً، صدقة فقما تكذب، وإذا شاءت  
الكذب ظهر ذلك على عيبيها فقرأت الصدق فيهما - وقد نبي لي صدق رأيي في  
هذه الحشبة، فكنتنا زوجة أختي وبته مكره كذوبة قانوه على إحصاء ما في نفسي،  
تعمل أعمالا كثيرة من ورائي ثم لا يظهر عليها ما عملت. وقد بدأت أشعر بتأثير  
ذلك في زوجتي - فمن حديث طوبى اليوم عرفت أنها حرجت في هذا الشهر من  
غير إنني ثلاث مرات (لزيارة بعض سيدات)، ولكنها لم تسطع أن تكلم بي في  
نفسها بياحت به - فالت حد الألم، وحجت من شر أتوقعه واجتهدت في درء الشر،  
وعسى أن أوفق فيه (أضاف أبي ما من القوس فقلتم محتلف على سبيل  
الاستئذان!)

١٩ يونيو - من أعرب ما روي أن لي مدرسة إنجليزية اجتمعت في بعام الماضي  
مروور ٦٤ سنة عليها فهي عجوز، وهي عبر جملة المنظر إلى معها ثلاث سنوات  
تدرس الإنجليزية - رعت في ريارتي في هذا اليوم فذهت إلى منزلها عياد  
الأرهار. وركبت معها عربيه وأنا خجل جدا، لأن الناس لم يأمنوا شيخاً معها  
يحبس أوروبية ويحادثها، وبكس لم أعش بأمرأى العلم في هذه المسألة. حتى  
وصلت إلى بيت فظهرت التألم من مباحة الناس في الرش أمام بيتي، لما رأيت  
كثيره الماء التي تحوت إلى وحل - وضعت ادخل ففكلتها روعي بشاشة  
وبرحاب، ثم والذي ثم أختي وبنت أختي - وشربنا الشاي جميعا وكنت أترجم بين  
المدرسه وأهلي، وكان موضوع الحديث يدور حول مسائل عادية، من تصفيبي  
السكى مع الأهل وبحوه - ومكتب ساعة وانصرفت، فركبت البرم وركبت معها  
إلى الأركية، وأركتها نرماوى الحيزة إلى ميدان الأرهار ثم ودعتها وانصرفت

رجعت إلى المنزل بعد نحو ساعتين، في مرعلة عتاد، فأجسست من روعي  
شئ من المنور، فحيسي سرود، وتعمل ما تعمل بشغل، سألتها عن السب فعاتت

لا شيء، وإنما أنا مئة أريد اسوم ألححت عليها همدادت عما قلت بامت ولكن  
لا كالعتاد، فكانت ناعرة تصدر عنها حركاتها شراسة، حتى أصحبت، فقالت إني  
أزعب في الخروح وأريد المكث في ست الماشا أسوعاً أو يعود ألححت عليها في  
بدا السب فقالت

«الإبحرية» «مالها» «تركها العرة» وترك معها، وتسرب بجانبها وهي  
لاسة ليا حليب، و «و» «صهبت أنه أدركتها لعيرة من مائة المعجور  
النس لا تشبهى بحال معجب من ذلك جد العجب، ويحبب على ظها النس،  
وأهملتها، ثم أتت واعدت وأنتهت لمسألة

٣ يوليس - رأيت أمي لا أصل إلى الخير لا بخصوص في كثير من الشر، صهبت.  
عيسى الصحار أبو امرأة - وربما كل إنسان - لا بد لها من دائرة ترك لها فيها الحرية  
فتتصرف كما تهوى، وتكون هي فيه لرؤسة، وإلا لا يستقيم حالها، إلا إذا كانت  
أمرأة مينة الإرادة

كان أعبط شيء لروحي أنها لا تتصرف في است تصرفها فروح أحى أو است  
تطرح ونهض، لأكن وروحي تترك متآخده جهرها فشكت لي من ذلك ففرضت  
على كس واحدة أسوعاً تطرح به، ومهن وروحي متعدي عليها في نوبتها تأملت  
وقد قالت لي إنها هي تأخذ لأكن من تحت، تعرورق عياها بالدموع تحمها عن  
الطرس دختائها ومحاولتها عملاً من الأعداء فرأت حمر طرمه أن أمصل في  
معيشة وحدي وقد أعصب هذا والدتي وأعقد أن سيرول هذا الغصب وتؤلف  
أحبة بخديدة وقد اعتقدت أن لروح أخى دخلا في إهمام أمي أشياء على غير  
حقيقتها للإيقاع. فاهممت أمي عالم بذلك وحذرته من العودة.

٣١ يوليس - جرى بيني وبين my wife حديث مفيد لي أسس تذاكرنا أمر mar  
riage وكيف ابتدأت الخطبة وكيف أن الحاطبات are deceived قالت «إن روجة  
محمود أفندي فهمي، وهي السب في الزواج، حذعها الشفرب من ست عفى  
بانا واحترم العائلة لها فإرادت أن يكتسب صحة هذا است زوجي، لأبها رأسي  
على طبعتي حالية من الرمة والخنى، لاسة ثوبى العدى، وبكى أرمها أمي من

مت الباشا وقرينته، وأم أحنى وروح أحنى وبقي الخاطبات بعد جدعتهن أمور.  
 أولها: أنهم حلات، وقد فقد شعورهن أو كذب بمقدد بدحولهن في بيت  
 صحن وتقدم لهن أية صحة، عاية في الحمال وتقر عليهن جدمات إمبرغاب  
 عاديات رائحت وثابها حدث جميل حلات من روضة لبثا وثالثها: قصر  
 الوقت لدى جلست مع الروحة أمامهن وقد كن في كل مرة تذهب خاطبات  
 محبس في حجرة غير ما قلها ورابعها: أنهم أسعد عمدا من البؤلؤت الباشا  
 تساوى مثاب من الحبيبات فطر أن هذا لها وأن مصاعها وجهارها سيكون ناعما  
 مهي الحمال وهذا يعمل العصب والخرن الذي اعمرى أهلى عند رؤية الخهر  
 وخامسها: مهارة ييب الباشا في تزيينها (سمة) حبيبة

ذكرت لي روجي هذه الأمور على سبيل المرح، ولكن، لكن it has great effect،  
 عني: فقلت أيضا مرحا، وقد تم الحدع بدعوى روضة الباشا، كما يلعي، أن لك  
 حمية حبيبات شهيرة، فقالت: «نعم» ثم الحديث ترك الحديث في بعضي أثرًا  
 وموعظة وأمت بالقلدر حبره وشبهه

٢٧ ستمبر - في هذا اليوم، يوم الخميس ٢٧ ستمبر ١٩١٧ الموافق ١٠ ذو  
 الحجة ١٣٣٥ هـ، ساعة التاسعة والعشرون دقيقة مساءً، وكُنْتُ لي موبود سميت  
 «محمد أمين» وقد استمرت أمه في ولادته نحو ثلاث ساعات مع ألم شديد. وقد  
 برل قالوا كهذه النساء إنها ولدت بنتاً فشعرت بشيء من الخرج حفيف جداً،  
 ومكنت أنى مالا على تربتها وتطبيق الطبريات المصرية في تهديتها إلى غير  
 ذلك، وبعد ذلك نحو ساعة قبل لي إبه وبد شعرت بعرج أكثر

وقد كنت من قبل الولادة موهوماً وحلاً حاسماً حساباً أنا نادم علمه من أنى  
 أن وما أكف به من مشق الأوبة، حدثاً أن يرث عني قصر نظري فيمتع في  
 الحياة ثم ولد ذلك يمارجى أحياناً أمل فيه وفي تعليمه وتربيته، وأدعو الله أن  
 يرفقه جمللاً في جسمه وعقله وحقه

وهذا تأملت بعض الأنس لا تشاد أهلى عليه كرامته، وبالعوا تي وضعها بالكر،  
 وحمد الله على أنه ذكر، ولو كان بنتاً ما كانت حميلة وبصعب دواحبها 'ما أنا



فصرى عن ذلك ما قامه صديقى إن الأولاد لا يظهر جمهم أو قبحهم فى الأيام الأولى من ولادتهم وحلى أنى أنه كان له من ولد كـ الأنثى جداً وهو الآن صغيرها. حلى أنى اعتد أن حماد علمه وحلعه، إن تم ذلك، سيحوص عن حماد بده واستدأت لا أمتنع بما كنت أمتنع به من قبل من اليوم الهادئ العميق، فالأم تشكو من نوحه وعناً سيبنى الولد لحاجته إلى ابرصاع أو سحر ذلك

٤ أكتوبر - مصى هذا الأسبوع و تولود كثير البكاء وبحس شديداً والتعب، لانه حوكان ولا يعرف كيف يرضع لأن ثدى امه سـ له حلمة مدرة، وتعلـ له التنسـوت فتعبه وقد اشتد صحرى من ذلك وكب سبب فى انتقال والدته به إلى حجرة اخرى

٢٢ ديسمبر - طعمنا امورد هذا اليوم، وقد اسنظم فى نومه ورضاعه وقبل من كانه وحسنت له لأن أفعه صعرت عما كانت وصار أجمل من يوم ولا

٣١ ديسمبر - لا تزال نعيد بعض خطوات أقول فيها فى مصى ديشى ررفت more beautiful wife وأرجو أب بهذا فكرى فى هذا الموضع ونشر نسى!

(٤)

## البيت

لم تراث أمي قرشاً و حداً من أسرتها ولم يرث أبى شيئاً يدكر ، ولكن كان لابي دائماً دخل محسوب من وظيفه ، كمدرس أو قاض أو أسد في الجامعة ، بالإضافة إلى مكافآت عما يشتره من مقالات وكتب أو يشترك فيه من حاد ، سمح له بشراء بيت من دور واحد في مصر الجديدة ، ثم به دور آخر فوقه

كانت الملاحح الاساسية لهذا البيت ، الذي عشت فيه طوب الثلاثينات ومعظم الأربعينات ، تنكرر بحذائبرها في معظم بيوت أهاري وأصدعائي ومعارفي حجرات وفرفرات واسعة ، وأسقف مرتفعة (إذاً ، قوربت سموت الفلقة لوسطى اليوم) في منز يدردريد ارتفعه على ثلاثة أدور ، سم يكن يذ هك ما يحوب دواب وصول لهواء أو أنشعة الشمس ، كما كان هك دائماً متسع للأطباء بلع وبخري ، سواء داخل البيت أو في حديقة صغيرة حوب البيت ، أو في الشارع ، إذ كان من الممكن أن تمر عليهم الساعات دواب أن يعكر صغورهم مروي سيرة وحدة

كل هد صحيح ، ولكنى لا أكداصديق ، عندما أستعيد في محيلتي ما كان عليه مرلنا وأن صغ ، أى منذ بحر ستين عاماً ، ليس فقط حبو لمرب من أى مسحه من الجمال ، ولكن كيف أن أحداً ما ، لا أبى ولا أمي ولا أن ولا أحد من حوتي ، كان يلاحظ وقتها هذا الانقراض إلى الجمال ، أو يمس أهمية على ذلك لو كان قد لاحظته

الأمر يدعو للدهشة لأكثر من سبب فأسرتنا لم تكن أسرة مصرية يعورها مال اللازم بشراء نافه من الورد من حين لآخر ، أو برواز صرورة حميله وتشبه بالحائط ، أو أنشاء فمائل لسعطيه الكسب أو الكراسي بلوب يتسجم مع لوب المسجدة مثلاً

مع. لا لم يكن عاجزين عن شيء من هذا، كل ما في الأمر أن تشكك من هذا لم يحظر أساساً فقط. وأنتى رجل وسع ثقافته، بل هو كاتب أدب تميز الاحمال وقدره في أشياء أخرى كثيرة، فمدا لا يلاحظه في ليت وطريقه تأثيث؟ رعا كان الأمر يحتاج إلى تقدير سوع معين من خمان هو مدى يتواءم للصور التشكيبية، وإلى التدرج على إدراك الاحمال في انساق الألوان والخطوط، وهو ما لم يتلقه أبى أو مى قط لا من المدرسة ولا من خارجها. ولكن الأرحح أن العامل الخامس كان يعلق بالبيئة الثقافية بوجه عام. كان المجتمع كله، باستثناء جملة صنيعة للعبية نعتت وتأثير قوى من المجتمع العربى، يظن فى طريقة تأثيث المنزل نظرة «وظيفية» بحتة، أى أن المهم فقط فى نظرها هو أن يؤدى الآثار وطفته بكفاءة، دون أن يدخل فى هذه الوظيفة أشياء كمناليه من نوع إثارة الإحساس بالحلال الكرسى لجلوس والسرير للوم والمكتب للكتابة والخدم للاستحمام. إنى، فما الذى يربطه أكثر من ذلك؟ يعلق صوره على الحائط؟ لماذا ياصطف؟ لأناس من دنك إذا صمعت عليه، وهى فى هذه الحالة توضع أعلى من مستوى النظر بكثير، لا تكاد تستدعى نظر أحد، وإذا هبّ بعض الهواء فمالت عن وضعها لصحيح وقد تغل على هذه خيال سنوات، بل رى عشرات «سبب» دون أن يتسعت إلى هذا أحد، أو يبالى أحد بتصحيح وضعها.

من المؤكد أنى لو قُدر لى أن أدخل من حديد مطبخ كما كان عليه من سبب عما لأصابى الذهوب من حاله ومظهره مع لم يكن أنى يدخل المطبخ فقد، أو على الأقل لا أتمكن قط أنى رأيت به، ولم يكن يدخله إلا أنى وأخادeme، لكن كيف استطاعت أنى أن نحمل مطبخ بهذا الشكل، تقضى فيه كل هذه الساعات كل يوم، وهو الخافى من أى حمى أو نظام، ومن أى تهوية صحية أو أى وسيله من وسائل الراحة، دون أن تدمر أو حتى أن تلاحظ أن فى الأمر أى نقص يجب تداركه؟ بل كيف استطاعت أنى، على أى حال، أن تتخ من هذا المطبخ المتعصر الفيح كل هذه الأصناف الرثعه من المأكولات؟



كان المودح الشائع للباء، الذي دحراف كان يشبهه أى حرب من مذبذب  
 انطبقه الوسطى في مصر، هو صالته واسمه (ك تسميها «لصحة» قبل أن يطلق  
 عليها، لاسم الأمر بحى «صاله») تخرج منها من كل ناحية أبواب يزدى كل منها إلى  
 حجرة أو إلى المطبخ والحمام. هذه بصالته أو الصحة كانت تستخدم في الأساس  
 بوضع مسئلة الطعام التي كانت توضع عدة في الوسط بوسط لم يكن يعرف  
 شيئ اسمه «حجرة الطعام»، بل حتى حجرة الجلوس أو الاستقبال، كانت في عادة  
 حجرة معيقة لا تفتح إلا في المناسبات، فلا عجب أنها كانت تسمى «حجرة  
 لمسيرين»، إذ إنها لم تكن في لأصل تفتح إلا لاستقبال الآتين من سفر طويل  
 وكانت تحتوى عدة على كراسى مرصوفة في شكل دائرى بحيث يلتصق كل  
 كرسي بـ الحائط، على نحو يتكرر في كل بيت دون أى تغيير أو استخدام لأى  
 حال

إذن محجرات البيت لمستخدمة كلها، هي محجرات سوم، وكلها محجرات  
 تستخدم «على الشارع» وتعتبر إلى أى خصوصية، باستثناء حجرة واحدة كانت  
 تتمتع بهية مدحرفة وتلقى عناية خاصة عند نظيفها، ولا يحددها أحد إلا لسبب  
 وحيد كانت هذه هي حجرة نوم أبى، اكتست في بطرنا بهية بل ودرهية التي  
 كانت تحيط بأى شىء يتعلق بأبى كان لهذه المحجرة أبى اسم غريب ليس من  
 السهل تسميته وهو «حجرة السرير» فالمحجرات الأخرى كانت بها أيضاً أسرته،  
 فهل لسبب هو أن حجرة أبى كان بها أنعم سرير، وهو صحيح، أم أهم  
 سرير؟ المؤكد أبى أذكر كيف أبى، وأنا طفل صغير، كنت إذا منددت بلى لأبى  
 الملاحة المروشة على هذا السرير شعرت بأبى من نوع محبب تماماً في أى ملاءة  
 أخرى منسلة بـ عمة المنسك كحرير، وباردة برودة معشة في عز الصيف لا  
 أذكر أبى رأيت أبى قط على هذا السرير أو حتى بالقرب منه، وإنما كنت أعتبر أن  
 سرير أبى هو نفس السرير الذى أم أم أبى عليه ذلك أبى باعتباره أصغر الأولاد،  
 كنت أحظى بامتياز النوم إلى جوار والذى بعد أن طرد الولد الأكبر منى، بمجرد  
 وصول أبى إلى الوجود، للنوم «تحت الرحلى»، وهو تصوير كان معروفاً عنده

ومعاه النوم في نفس السرير ، ندى يتام عليه شخص آخر ولكن في غيها معكوس ، ومن ثم كان هالك دائم حصر يتعرض له كلا الثائمين وهو أن مصطفى وحده أحدهما بدمي الشخص لائم في الأتخذ الآخر

كان هذا السرير ، ذو الاتجاهات المتعددة ، موجوداً في حجرة لها اسم بسيط هو «حجرتنا» ، والمقصود بذلك أنها كانت لحجرة ندى يتام فيها «الحضرة» أو «نعمانه» ، فمبغياً لها عن حجرة «الزير» التي يتام فيها والدى . وقد كانت «حجرتنا» هذه ، كالسرير يتنام بها ، هي بدورها متعددة الأغراض فمفصلاً عن السرير ، كانت تحتوي أيضاً على مرتبة مرسوعة على الأرض ، جلس عليها للحديث أو لتناول العشاء ، وأمامها مائدة صغيرة مستديرة وقسلة الأرضاع اسمها «طلعة»

يمكن للفناني إند أن يتصور درجه الموصى الصارم في هذه الحجرة ، التي كان يمكن أن يجرى فيها أى شيء . لنوم أو لأكل أو استقبال الزوار من الأقارب . أو استذكر للروم أو اللعب والهرج . يح . وذلك بعكس حجرة ندى أو «حجرة سرير» ، التي لم تكن مدججاً إلا لإد شعربان مراح أبى يسمح تبادل الحديث معه ، وجيد تدخل أى بحجرة وسحر وراءها ، فحتل الصر بحدرو إلى أبى الخاس على الكفة الامتائولى وهو يحتسى القهوة . إذا لم يجد مشغولاً بكتاف أو جريدة جلست أوى على الأرض وحلست بى جورها كالقطط الصغيرة . كانت هذه الجلسة هي أقرب ما كان يمكن أن يحدث للجلسة «العائلة» الحفمة ، وهي على أى حال لم تكن تدوم طويلاً ، إذ سرعان ما تيسر من أبى كلمة أو حركة يفهم بها أن اسيارة قد انتهت ، فمسحب وراء أوى كما دخل

لقد ذكرت بعض الأسماء العربية التي كانت أمربا يطلقها على هذه الحجرة أو ملك ، ولكن الحقيقة أن الأسماء الثلاثة لهذا الجزء أو ذاك من سوت الطقة المتوسطة كانت بدورها أسماء غير مأثورة لأسباب اليرم ما شرفة أو الباكورة كتب تُسمى بالاسم الإيطالي «ترامبية» ، و«أنواليت» كما يسميه «بيت الأد» أو «بيت ماحة» أو «لكيف» . كما أن بيوت هذه المنطقة كانت تحتوي على أشياء ثائرة لا يكاد يحلو معها بيت ولكها كانت تنقرض انقرضاً تاماً النوم من دت

اصيبة القتل والإبريق الموصوعة على سور إحدى شرفات، والتي كانت المصدر الوحيد للماء البارد في الصبف، ثم حلت محلها ثلاثة مدائن لا تزيد على كونها صندوقاً خشبياً لا صلة له بالكهرباء، يوضع في اجزء العلوى منه لوح أو قطع من الثلج على ماسورة متصلة بمسور يحرق منه الماء البارد، ريثما يذوب لوح الثلج فيستبدل به غيره.

والحقيقة أن الكهرباء لم تكن طوال فترة طفولتى وصبي، تلعب دوراً هاماً في حياتنا المنزلية. فلم يكن يعرف من أثارها إلا لثة الكهرباء التي تندى على عادة من وسط السقف. فلا ثلاثة كهربائية ولا عتبه أو مكسبه أو مروحة كهربائية، ولا جهاز لتكييف الهواء أو تيفريون. بل حتى الراديو كان يحس شيئاً شامياً يتطلب رصمه على رف عال لا تنص إليه أيدي العابثين. لم ندخل الثلاثة الكهربائية بيت إلا في سنة ١٩٤٧، عتبت كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكانت ثلاثة أصركة ضخمة، مرت مرة من الزمن قبل أن يعرف مدى فائدتها، وهل كانت تستحق حقاً الملح الكبير الذي دفعه أبى ثمالها، ولكننا مع مرور الزمن أصبحنا لا ننصو العيش بدونها. فلا دخول الثلاثة، وصون العناية الكهربائية التي اشتترها أبى وجلسها إلى المنزل دون أن تطلب والمضى منه ذلك، مدعوتاً بما سمعته من مدى توفيرها للجهد والتعب. وقد حاول أبى دون جدوى دفع أبى باستخدام هذه المسألة الكهربائية، فلم تحط هذه المسألة من أبى إلا بالاستحسان والاحتقار، لس فقط من باب المل الطبيعي لدى الروجة للثقل من دهره ورحل وعجانهى بصع، بل بسب اعتقادها الصديق بأن العليل لا يلد هو الطريقة الوحيدة لتنظيف الملابس نظيفاً حقيقياً. وعندما قامت أبى بحرقها تحت إلحاح أبى، أعلنت بحسم تام أن هذه المسألة الكهربائية تعبها أكثر من نعمها، وتركتها في مكانها دون استعمال لعدة سنوات حتى فقدت قيمتها بظهور ما هو أفضل منها بكثير، ولكنى على أى حال لا أدكر أبى رأيت أبى قط تستخدم أى جهاز في عيب الملابس سوى يديها.

إذا كان هذا هو مصير العناية، فلا يجب أن نتوقع شيئاً محتملاً فيما يتعلق

المكنسة الكهربائية، فهذه تم إدخال بيتا فقط حتى انعدمت أبعادها حتى خاص في بعد المراح. روى ظلت وسيلة تنظيف الأرض هي تلك الأداة العتيقة ذات الأهمية البالغة في أي بيت مصري، وهي «المقشاة»، أو بعضا الحشية الطويلة التي تنهى حرمة من الفس. كان استخدام هذه «المقشاة» في تنظيف الأرض ثم دعت الأرض بالماء والخيش عند ذلك، هو الوسيلة المدسة تداً لبلالط الذي تم بكن معرف غيره في أراضات المنازل. كان استخدام السجادة والكلم بادراً، ويكاد يقتصر على فرش سجادة في «حجرة المسافرين»، أي الصالون، وربما سجادة أخرى تفرش في الشتاء في بعض الحجرات المهمة كحجرة أبي مثلاً. وأما الحشيش فلم يكن يستخدم على الإطلاق في أراضات منازل لطيفة الوسطى أو اللب، بل كان مقصوراً على منازل قليلة للغاية من منازل الطبقة العليا المتأثرة بنمط المنازل الغربية. وعنى الرعم من أمة هذه «المقشاة» وحردل الماء ونظفة الخش، وضرورة استخدامها باستمرار مع كثرة البراب في مصر، لا تعلق بدهى فقط صورة أمي وهي غشت بأى شيء من هذا، بل كانت هذه المهمة التي تحتاج إلى درجة لا يستهان بها من الدباغة اللديه، تلقى على عاتق الخدم، وعلى الإناث منهم بوجه خاص، الأمر الذي كان يحلق حرصاً لا يستهان بها أيضاً لئلا أمام الذكر من أفراد العائلة، لا يمكن أن يتصور حدوثه بالصبر من المكنسة الكهربائية.

عنى أن تُر الكهرياء لم يقتصر على إحلال المكنسة الكهربائية محل الكناسة الأدمية. فكلماً استدعت ذاكرته كيف كان حياتنا في البيت في طفولتي وصباي معقارة بما ألت إليه حياتنا اليوم، راعى كيف أدى دخول الكهرياء إلى حره بعد آخر من أعمالنا اليومية، إلى قلب نمط حياتنا رأساً على عقب. فعلى سبيل المثال، كان «يوم المسيل» يوماً تشيع فيه الموصى في البيت نكمله، سواء كان من يقوم بمسيل الملابس أمى أو غسالة أدمية مدفوعة الأحر. فالحمام يصبح معلقاً بسبب حالة الطوارئ التي تستدعى استخدام «طشت» كبير للمسيل، وحتلال تلك المرأة المفترطة لسمعة القائمة بالعسل، تقرب من نصف مساحتها، ناهيك عن الصوصء الناجمة من صوبها العالي من ساحة ومن مائور. حار الضرورى لتسحين الماء إلح. كان من سادر أن بص إلى سمعك صوت رديو (ناهث عن التلميزبون) من

بيوت الحيران، ولكن كثيراً ما كنت أسمع أصواتهم ترتفع داخل سحر أو الحب  
أدت قبة الأحهرة الكهربائية أيضاً، إلى شدة اعتماد الطمعة المتوسعة المصرية على  
الخدم، فالخدم في كل مكان، رجوع عاديون في كل لحظة، يربطون لشراء كمية  
تافهة من الخبز أو قطعة صغرة من الخس، ثم سرعان ما يبعث بهم مرة أخرى إذا  
كانت ربة البيت قد نسيت في المرة الأولى أن تطلب أيضاً شراء ليمونة أو ليمونتين.  
وليس ناست ثلاجة كهربائية تحفظ لأكل من البعض وهم داهيون عاديون أيضاً في  
طريقهم إلى المتكوى أو عائدون منه، إذ لم يكن يعرف أحد بعد المكتواة الكهربائية،  
أو داهيون بنى معمرن معمومي أو عائدون منه، حاملين صبية المنكورة أو  
الطدطي، إذ لم يكن بالبيت فرد خاص به يعمل بالكهرباء أو العار أما لعب  
الأطفال التي تحتاج إلى الكهرباء، فلم يكن يعرفها أو تصورها، كان يعبس ولهب،  
مثل كل شيء آخر في حياتنا، فكيف الاستخدام للعمل قليل، لاستخدام بر من  
«ال» إذا استخدمت لغة الاقتصاديين فكيف لعت بعلة سحر بنى بعد أن ملئ  
بها فريسة، وكلم استخرجت أصوات من وقتها لفحصه الهاهرة، موضعها ملاحظته  
لشعني وتغريبها مع النفع منها، هذا كنا قد حرف في طعولنا من تلك «السيارات  
الهاهرة التي تسير بالطاريات، أو من الماذح الرائعة للعطارات وبقصات إلح،  
فقد كان لها لحس الخط متع اللعب في الشوارع

مع مرور الزمن حلت «الأهرة» بمختلف أنواعها محل العمل لأدمي أو  
الاتصال الإنساني المباشر، فعمل لتسهرسون من الكلام ورد أنصاً من الشجر،  
وقصت اشلاحة الكهربائية على العلة والإريق، كما كذب بشلاحة والعبانة  
والمكوة الكهربائية تعنى بأسس من الخدم وعن العسله الأدميه ولكوحي ولكن  
هذه الأشياء الكهربائية كلها، وإن كنت قد جعلت حياتنا اليومية أكثر بظافة وأقل  
عشوائية، فرضت على الجميع الحاجة إلى كسب المزيد من المال حتى يمكن اقتضاها  
وهكذا بدأ الحديث عن المال وطريقة توافره أو زياده، يزداد في بيت مع مرور  
الزمن، ثم كان يندر أن سمعه في طينوتى





## الإخوة السبعة

كان لدى هانك اعتماد واسع بأن الاختلافات الشاسعة بين شخصيات وميول إخوته السبعة لابد أن يكون مرجعها، قبل كل شيء، عامل الوراثة. فهو نحن شأننا في نفس البث، وذهبنا إلى نفس النوع من المدارس، وقضى كل منا فيما عد إحدى شقيقتي وأخي أحمد، عدة سنوات في أوروبا، وإذا بكل منا عالم مختلف تمامًا عن بقية الإخوة. قد يكون من الممكن اكتشاف علاقة القرابة بيسا من مقارنة شكل العينين أو حجم الأنف. أما لشخصية ريتبول ملائمة أشبه أجدب لآخر فيها قيد أمثلة

كان أخي الأكبر (محمد) يكبرني بسبعة عشر عامًا، وودع مع هد لعازق الكبير بين عمرنا من أن نسمو بيسا أية صداقة حقيقية، وجعل التهامهم بيسا شديد الصعوبة، كما جعل معرفتي بطموخته ومساوات شأنه المكنر لا تعتمد على الخبرة المباشرة بل على ما سمعته من الآخرين. سمعت مثلاً أن أبي كان أشد قسوة في معاملته معي من معاملة أي من الإخوة الآخرين، ظن من أبي بأنه إذا صلبح الابن الأكبر اقتضى به الاخرون. كما سمعت أنه تعرض للضرب من أبي بيسا لم يضرب غيره. ولكن ما سمعته عن تصرفاته المبكرة يبدو لي الآن لي يستوجب انصرب حقاً.

كان طويل، ناعمة دا ورسمة واضحة، إد راب تمامًا. بك الخطر الذي كان يفلق أبي وهو كبير حجم أمه. كما لم يحقق فقد م كان يفلق أبي عليه من وراثة قصر بظه، فقد تمتع محمد بقوة الإبصار ولم يحتج إلى نظارة طوال حياته. شديد الاعتراض بكرامته، عتيق في عضه، قليل التسميح، ودو ميل قوئ للانتقام ممن يسيء إليه.

له حلق لإقطاع المستد، بعاص حدمه ومرءوسه معاملة أقرب إلى معاملة السد  
للعبد، ويحبب الجميع بها حه وعصه بل ومجرد احتمال وقوع هذا لعصب

لم يظهر لى مه ما يدل على المليه الثالثة إلا فى لإدارة وعلى الأحص فيما يتعلق  
بإدارة أموره المالىة. فقص سواب دراسه طابا عاديا لا يظهر تفوقا ملحوظا، رغم  
كل ما رجهه أبى من اهتمام لتعليمه وتنمية عقفه، ولم يبد أن كان حياة أبى فى بصره  
ما يعبره بتقليده أو اقتفاء أثره، بل كانت تصدر منه أحيانا عبارات توحى بأنه كان  
يعتقد أن أبى أصاغ من مرض الكسب واعتلاء لمصا لكبيرة ما كان معتبره محمد  
أجدر من قضاء بوقت فى قراءة كتابه الكسب لا أذكر أبى سمعه يكلم عن كتاب  
قرأه أو مقاب أعجب به. كان حلمه أن يصير مبيريرا، فإذ حصر كمية الهندسة  
فلاعتقده بأنه بها أقرب إلى تحقيق هدفه، احلم منه بغيرها، وإذا ذهب إلى أوروبا  
لتحصر الدكتور ه شعلته محافوا لأنه الحصول على بوكس لإحدى شركات  
الإعلانات، لإلمعية ليرود إلى مصر وسائل الإعلان الأتوماتيكية الحديثة، وكان  
بالفصح من أول من أدخل إلى مصر ما نجعل به الفاتريات اليوم من إعلانات  
متحركة، كتشمل رجل يسحب لك مرقبا، وأسماء للمحلات لمصنعة باليون والنس  
مصحف النصر تتابع إصدارها وإطاعتها

لم يكن من عريب إدد أن نشأ فجوه كبره مه وبين أبى فهم طرفا قص لم  
يكن بقدرة أحدهما أن يستيع طريقه لأخرى التفكير أو نظرتة للحياة كك كلام  
أبى فى لأدب ير من أدب أخى محمد يخرج من الأخرى دون أن يثر أى أثر. أما  
استهذه أبى بالمال وقعة احتفاله بجمعه فلم يكن يستدر من محمد أى إعجاب  
وعنده تجتمع لدى محمد من مال ما يمكنه من شراء أو ص واسعة فى المعادى وماء  
فبلا فاحرة عبيها، فقص بءها على حرمه من الأرض على نحو لا يقلل من القيمة  
المجارية لبعية لأرهم، ثم ملا القيدلا بقطع الأثاث الذى يمكن أن تزيد قيمتها مع  
الوقت، فأصبح بيته محزنا هائلا للتحف الثمينة. لم يكن ريدته فى هذا البيت  
مهمه سهلة، فباب الخلافة أب حيدى شدة الارتفاع معذ بالسلاسل التى تحتاج  
لم نأشى من داخل بيت لمكها، وتحرسه أربعة من الكلاب لمخيفة التى تهب

مستعده لالتهامك بمجرد اقترانك من الباب ، حتى يصبح بها أحد الخدم لتهدئتها ويحصب من روعك هذا دخلت بيت راعك ظلامه الشديد ، حتى لو كانت الشمس ساطعة في الخارج ، ووضع سائر ثيجه على اسواقه لحماية الأثاث الثمين من اشعشع وفي طريقك إلى حجرة الخلوص يمكنك أن تلمح النصف النخبه متراسه يميناً ويساراً ، ولكن الحادمة تقودك إلى حجره مقروشة فرشاً بسيطاً بلعانة لا يحشوى من الأثاث إلا ما قل منه بحيث لا تبنى أصحاب البيت يحدث له . هـا يقضى أصحاب البيت يومهم تاركين بقية البيت بأذنه الفاحش قابلاً في الظلام ، لا يراه أحد ولا يلمسه أحد إلا في مناسبه أو مناسبتين خلال العام ، كترجيع ست أو استقبال وزير

من المؤكد أن حب أمي لاسها الأكبر سم يكن يعادله حبها لأي من أولادها الآخرين ، أو لأي من البنين ، ولم تكن تنوع عر أن تظهر هذا للجميع . بما كانت تدرك فطرتها من الذاية أنه ، بميله واستمداته بطيعه ، ينشئ إلى معسكرها هي لا إلى معسكر أبي . كان سيطر عليها شعور دفين يحتاجه إلى الحماية من أبي ، إذ كانت تشعر بوع من الخوف المستمر منه ، ولم تطمئن قط إلى دوه ممكنه بها وقد أظهر محمد من بداية أنه ، إذ حدث ما يدفعه إلى لا حيدر ، فسوف يحذر الوقوف إلى جانبها هي . كان وجهها يتهلل لدحوله البيت كما لا يسهل لأي واحد منا ، وكانت تعثر بهذيه مع اعترافها لا يظهر مثله لأي ابن آخر أو بنت أخرى نها على أن هذا الحب العظيم أصابها بصدمتين كبيرتين

كانت الصدمه الأولى عندما دخل عليها أبي يوماً معلناً أنه ستطعن يحصل لمحمد عبي بنه حكوميه لتحصير الدكتوراه في إنجلترا . وقع عليها الخبر وقع الصاعقه وأصابتها هم عظم . فـهـ هو الزوج استند بعرق سها وبن سها المصقل ويرسله إلى بلاد البرد القتال ، وكأنه يتعمد إيداعها وتحريرها من وسيلتها الوحيدة للتصدي خبرته . منذ أن عرفت أمي الخبر تنازع عليها مرهض بعد آخر ، وعودنا أن نرى ونسمع بكاءه وحبها الذي وقوع أى حادث مهما كان صغيراً ، أو لذي رؤيته لعلام تمثل فيه أعيه رزق دور الأم التي فرقت الأيام بينها وبين اسها

كـ يستنيق ليلاً مدعورين إذ محمداً قد قامت من به مها نصيح وتشتب أثر  
كايوس يدور حول فراقها الغريب لاسها، ويحول أبي تهنته قائلاً إن صغر محمد  
شيء المروص أن تفرح به وتصح به، وأنه لا يحور لها أن تصف عفة في طريق  
تقدمه فيكون ردها أن بإمكانه أن يرسل كل أولاده الآخرين إلى الخارج إذا شاء،  
بشرط أن يترك لها عبد الابن لمفصل

وإذ لم تستطع أمي إقناع أبي بالعدول عن أنه لحات بي الحبة كانت تعرف  
مكانه صه حسين ومودة في وزارة المعارف، وأنه هو الذي ساعد أبي في الحصول  
لأبيه على البيعة، فبدأ بها تتصل بطله حسين تلميذ من وراء ظهر أبي. وتصف له  
بؤسها وعداها منذ سمعت الخبر، فيظهر طه حسين أولاً عجزه ثم يبين لها قلبه  
وعيوب لها جملة يرتاح لها نفسها ويطن تردده عليه وكأنه الطفسم الذي سيضع  
حداً لها ثانياً لعلها نقد قال لها الرجل نالعه للعربية الفصحى «كوس واتقه أنه لن  
يسامر حتى يأتي لأدن سث» ووصلت بقصة لأبي عن طريق صه حسين بمه  
فابتسط غصبا، وحاول أن يبدد محووف طه حسين بما ذكره له عن «جهن أمي  
وحبفتها» ومع ذلك طلت أمي مضطه إلى وعد برجل بصردرة حصوله على  
إدنها، وتردد عبارة «كوس واتقه» لتأكيد حصولها على ما أرادت، حتى رأت بها  
يسفر العذر في طريقه إلى محلتها، بعد أن أجبرها أبي على الاتصال بطله حسين  
لتقول له إنها توافق الآن على صغره

وحاء الصدمة الثانية بعد عودة الابن من البيعة، وقد حصل على الدكتوراه،  
مستين أو ثلاث، حينما أعلن له عزمه على الزواج كان لأرجح أن رواج محمد  
من أي امرأة، ولو كانت هي التي اختارها له، سيب لها من المؤ من مثل ما صبه  
لها بسفر، ومن ثم لم يكن هناك أي أمل في أن تغطي الروحة ابتذاره برصها  
كانت العروس مختارة امرأة محنته عويه الشخصية سمعت أمي أنها تروحت من  
قل وظلقت مريين، وأن محمداً هم زوجها الثالث. لم يبد الأمر مفهوم لها على  
الإطلاق - محمداً بدا لها، وكأنه يستطيع أن يتزوج من أفضل سائت البلد، أسره  
وصافاً وحمالاً ومالاً - وكانت له أثناء قدمته بالخارج، صديقات إنجليزيات

وسويسرييت وسويديات رائعات الجمال، طمعت كلهن في الرواح مه وهد  
 حاوب أمي إقناعه بالنسبم نخسة أبة صديقها «هدية»، الأرسقراطية المنعمه  
 والثرية، فرفض محمد لعدر ناله احتلقه اختلاقاً، ثم إدا نه يختار امرأة من سره  
 اعتبر نه أمي أسرة عاذية، متوسلة أحمال، لا يعرف عنها نراه أو جاء، كما سبق  
 له الرواح وبطلاق كاد موقب أي في مثل هذه لأمور موقما عقلا ب عماماً، فهو  
 بقتر في داخل نفسه بحق انه في حشر من يشاء راحة له، فإذا أصابته حسه الأمل  
 رأى من الراحب ألا يظهرها فد يحاول إثناء عرم انه برهن ودون إلحاح، فإذا رأى  
 نصيبا من لاس لم يعود الكرة مرة أخرى أما أمي فقد أغلب الحرب على  
 الرواحه، فرفضت ريرة عائلتها، ولم تقبيلها في بيها إلا مصغرة، ثم اسحب  
 اسحباً نه من حياة أبها بعد رواجه، وقعدت تحترأ آخر بها وحبية أملها وتكرر  
 الأمر عندما طلق محمد روجته وبروح باحري، إذ لم يحظ الرواحه بخديده من أمي  
 معاملة تفصل عما حظيت به الأوسى



ولد أخى عد الحمد بعد أخى الأكبر شعله أعوام، ررق خلالها والدى بارعة  
 أطفل لم يعش منهم إلا ستان، ومات الآخران في المجها كان المتوقع إذن أن يحتل  
 هذا الذكر ابدى مد الله في عمره مكانه خاصه لذى أبي وأمي، ولكن لا أذكر شيئاً  
 يد على ذلك، بل يسرعنى سباهى بوجه خاص فله أحمال والدني به بالمقاربه  
 مشغوره نحو الابن الأكبر - فما أذكره هو مقبولة متكررة تعده أمي بين «بولدين  
 تنهى منها دائماً إلى تفصيل الأكبر، ولا تنزع عن أد تسمع عد الحميد رأيها كان  
 عيد الحميد في نظرها، على ما يبدو، ينتمى إلى معسكر أبي، له نفس حسه الخلقى  
 الصوى، وقبة اهتمامه بكل ما يتعلق بالذ وأمور لحياه البومه كان مد طفولته  
 «وحن فكر»، بينما كان محمد «وحن عمل» ولان أب والذى قد لاحظ ذلك مد  
 البدياه، فقال إليه طلب الأب دون أن يسمح ليه بأن يعنى تفصيله له، بينما مال  
 قلب الأم إلى الابن الأكبر وأطلقت نفسها العنان في الإفصاح عما تشعر به

لم يد عد الحميد لأمي الشخص المزهل لحمايتها من أبي، فهو هادئ الطمع،

بطيء الاستجابة لمشاعر العصب، هناك لتروى في العواقب، وهو على كل حد يحمل قدر من ثقة لقدرة أي الفكرية و الحلقية، ويجل مل في إلى الكتب ويتوهمه نفس ما يستهوى أي من معضلات إنسانية وأخلاقية، مما لا يفهمه أي أو نصر عليه كان يعكس الأخ الأكر يأخذ دراسته مأخذ، ويصيه القلب الشديد لدى اقتراب موعد الامتحان وهو صادق بعينه وذو إحساس في قوى، بحمد الرسم ويتحسن للقصة الجيدة والكتبة الدكية، وله قدرة ملحوظة على رواية ما يقرأ من قصص بطريقة شائعة بأخذ بالأساس، وعلى رواية الكتبة على نحو يفهم له ضاحك

دخل عبد الحميد كلية الهندسة مفتعيا خطوات أخيه الأكر، فتوق فيها حيث لم يسمح لأخر إلا بصعوبة وإذ سافر الأثن إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه، جاز عبد الحميد مكانه واحده تقدير أساده الإنجليزى وإعجابه، بينما لم يحصل الأخر على مثل هذا التقدير والإعجاب وبما قصى الأخ الأكر وقته في الخارج بحث عن توكيلات تجلب له اربح بعد عودته، انعم عبد الحميد، في حاش دراسته، في نشاط سياسي أدى به مرة إلى إلقاء حبة في الدى لثقافى المصرى في مدن نادى فيها سفوف الملك فاروق، وكذب تودى في اعتقاله بدى وصوبه في ميناء الإسكندرية، لولا أن قدمت ثورة ٢٣ يوليو وهو على ظهر الناحرة في عرض البحر وبسبب كان محمد يبدل عشيقاته الأودوبيت دون أن يعرف له قط صديقه ثالثة أو عراب حاشا، وقع عبد الحميد في حب فتاة تساو به طيبة القلب أحلص لها طم أن إقامته بمخفتر وأعاد مرو حاشا إلى مصر

عاد الأثن ليبدأ التدريس في كتبة الهندسة بمصر، ولكن سرعان ما تركه محمد الجامعة ليوسى وطيفة أعلى مرنا وأقرى مودا في مؤسسة حديثة أسأها عبد الحميد لفهوض بالصناعة هي لامركر النكمية الإنتاجية، وتعد الترمي السريع في المرتب وامركر، بسبب ظل عبد الحميد أستاذة بالجامعة، بعشقه تلاميذه عشقا وتقصى أمسياته في مركز للبحوث، وقد أصبح في صاحب مدرسة صغيرة يبيع فيها البحث في موضوعات مبكرة ويحصل ببعض لأساتذة العالمين في موعده، ثم باتون لمصامه في جهود عبد الناصر لإحداث نهضة علمية وصناعية في مصر

عندما أعلن عن إنشاء تلك المؤسسة الجديدة (مركز الكفاءة الإدارية) وعن وظائف جديدة بها، يشعلها بعض حاملى الدكتوراه فى الهندسة، يقدم محمد وعبد الحميد بطلب الانضمام، فصار محمد بالوظيفة ورفض عبد الحميد. كان واصحا أن محمد هو الأكثر نصيباً والأشد حرصاً على برك الجامعة التى لم تنتهوه كثيراً، ولم يحقق فيها نجاحاً يذكر. كما أن المسئولين عن الاختيار لابد أن وجدوا فى جرأة محمد واعتزازه برأيه بعد سنوات إدارة عالية يبعثوا فى عبد الحميد غاماً وناحلاً لا يصلح للإدارة.

اسم محمد الأصح الأكر فى لترفيه من وطيمه إلى وطيمه أكثر، حتى أصبح فى مسوابة قليلة وكيلولة لورادة الصناعة، وفى تنمية ثروته فى بيئته أخرى، وشرى شقة بعد أخرى، بينما ظل عبد الحميد حبيبهاته المندودة التى يحصل عليها من الجامعة، لا يكاد يستطيع الحصول على الضروريات، ولا يستطيع أن يصيبف إليها إلا بشئ الأتيسر، ترجمة كتاب للمؤسسة فرانكس فى مقابل خمسين جيبه، أو تأليف كتاب مبسط فى النشرة لسلسلة الألف كتاب ويحصل به على جائزة لا تزيد على مائة جيبه.



كيف لا يكون غامر الوراثة هو المسئول عن ذلك الغار الشامع بين شخصين أحنى فطمة وبعيمة؟ إن الأولى لا تكبر انشابة بأكثر من عامين، ومن ثم فقد واجهتا ظروفًا عائلية تكاد تكون متطابقة، ومع ذلك فهما تدون وكأيهما تنتميان إلى عالمين مختلفين، ولا يمكن لمن لا يعرف أيهما أحن أن يحسن أيهما كدث، إذا شاهد سلوكيهما وميوليهما ونظرة كل منهما إلى الحياة.

كانت فاطمة دائماً تنتمى من قبة رأسها إلى أحمص قدميهما إلى العالم الحديث أو المتقدم، وبعمة إلى العالم القديم، التقسدى. فقد أن بعثت فطمة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها وهى تسدى مظالم التمرد على السلطة الأبوية وتطالب بحريتها وتحارب اكتساب المجهول، وأن تتعلم الحديث وأن ترى العالم وهى مدمرة ومقاهرة ولا حد لظموحاتها. تحب الثراء ولكن كوسيلة للحياة الطيبة



بيت حميل، والظمام لحيد، والشباب الأملقة. تجدد الإمبريرية ولها معرفة لا بأس بها بالعربية، ومواظب على قراءة الصحف الأسبوعية الإنجليزية، وتتابع من خلالها تطورات السياسة في العالم. وهي وإن كانت لا تتألمى إلا كد رئيس الوزراء المصري على صبرى أو كزكريا محيى الدين فإنها تعرف أدق تفاصيل السياسة الإنجليزية وخصوصيات أسرتها المالكة. وإذا كانت لا يسالى بالمتميز بين محبي محفوظ ونوفيق الحكيم فإنها تعرف أدق تفاصيل العلاقة بين مبارك وميمون دى موبارز، وتقرأ وتولستوى وتعشق دستور ملكى عشقا، وتستطيع أن تقص عليك تفاصيل «الكارنيه» أو «الإحوة» كما يسمونها، متى تعود إلى هراتها مرة بعد المرة، وأن تقدم لك تحيلا يديما لشخصية كل بطل من أبطالها.

وعم كل ذلك، فإن علاقة أحنى فاطمة بأبى لم تكن طيبة في أى يوم من الأيام. لا استطع أن أقرر ذلك إلا بحذو طبعها ومرجى الثورى الذى كان من الصعب على أبى أن يقبله في أحد أمانه المذكور، مما يالك إذ وحده في سبب سبته؟ كانت فاطمة بلا شئ، مد طعوسها، جدى مفصصات حياته، بهي دائمة الشريرة على سلطته وعلى تدخله في حياتها، سواء تعلق الأمر بما ترتديه من ثياب أو اختيار من سرحه. حذر لرجل في أمره حتى اهتدى إلى حل يريح به نفسه وقد يؤدى، كما كان يظن، إلى بهذب طابعها. فأرسلها إلى مدرسة ثانوية داخلية بحلوان، وهو تصرف عرس من أب مصرى، مقيم في مصر. ويدور أن غرامة هذا التصرف، وإبعادها في هذه السن عن الأسرة، قد ردت كما كانت تشهر به من عصب على أبى، وهو عصب لأرمي طول حياتها. فهي وإن كانت تذكر أمى دائما بحب، لا تكاد تنسى بحرف عن أبى.

أظهرت است تصرفا ودك في درستها الثانوية، كما أظهرت من الحرة والشجاعة ما جعل أبى يستجيب لرغبتها في أن تذهب لإكمال درستها في فرنسا، وهي لم تتجاوز الخامسة عشرة، في بعثة حكومية لبعض العائلات المصرية تحت إشراف سفير بعملاوى، على أنها سرعان ما عادت بعد بضعة شهور قصصها في مدارس سب قيام الحرب العالمية في ١٩٣٩

عادت فاطمة إلى التمسك على أسي رقصها الزواجر من ابن عمي كان أبي يستعجل تزويج بنتيه، ولم يند منه التزويج الواجب من كان له مثل نفاعته وسعة اعمه، في احتير روجيهما كان تبريره الوحيد للمرافعة على تزويجها من ابن عمها أنه «يعرفه معرفته لشخص عدا أمامه»، فاصداً أن مجرد كونه من الأعمه ومعرمه بكل شيء عنه يجعل الزواج مأمون العواقب، أم أمور الحب أو عدمه هم نكس في بأحده مأخذ الخلق الأعرب من ذلك أن اعويس المرفوض من يتوزع عن انشقدم لطلب بذلت الصغرى بعد أب رقصه أحتها، وأن أبي من منه دلت، وأن «الأحب الصغرى منه بدورها

كانت مريمة في ذلك الوقت في الساعة عشرة من عمرها، فلعلها تقبول هذا الزواج لم يكن تدرى المصط ما تفعل، كما أنها لم تكن تجيد متعة كسره في الدراسه، فرحت بهذه «فرصة للخروج من المدرسه إلى الأبد» وعل أن تتم ذواسها الثانوية، ولعلها تطلعت إلى ما يصحب الروح عادة من مديا ومغن المجهورت أما فاطمة فقد انتظرت أن يتقدم لها عريس آخر مناسب، محه ويحبها، فلم تظهره حتى بدأ يصعب العلق من أن يعوتها القطر، و فطرت إلى قوب عريس آخر أكثر اتصلا لدعلم الحديث من ابن عمته، ولكن قلبه لم يهتر له أكثر مما اهتر للأخر كان العريس الجديد وسيم سحيا، رفيق انشاعر ومحباً لثقافة ويطمح في أن يكون له مستقبل في الأدب وكتابة الشعر، ولكنه كان بعد كل البعد عن فارص الأعلام الذي كانت تنظره فاطمة، والذي لا يوجد إلا في الكتب أو الأفلام كما أخطأ الرجل خطأ حسيماً يستحيل صلاحه عندما يندب منه عبارة مزداها أنه حاء «ليزوج لا من فاطمة بل من أحمد أمين»، ومسمعت العاة عن نفوهه بهذه اعمارة، ولم نكن في من النوع الذي يمكن أن يعقره له فقد.

تزوجت فاطمة إذن من رجل كان يشعر بالحب، لا يحرمها في ولكن نحو أبيها، وتزوجت مريمة من ابن عمها الذي لم يكن يهيم كثيراً ما إذا تزوج من منه السب أو أحتها وقد كتب أبي عن مدين الرواجين في كتابه «حياتي» أنه «روح يشبه «رواجا» بقدر الإمكان سعدة»، وهو وصف أعتره بالغ التهذب لحالة كلا الرواجين، وأن لا

أكد أدرك الشقيقة الصغرى إلا وهي شكوى من روحها، وما أكثر المرات نرى سمعت  
 فله روح أحتى بكبرى وهو يشكرها إلى أبى ومع هذا وذاك نعم يشتهى من  
 الروح حين بالطلاق، ولعل لسبب الوحيد لذلك هو خوف كس من الروح حين  
 الأحتين من أبى، الذى لم يكن يتصور سمع كسبه «الطلاق»، حاصه إذا تعلق  
 يوحى ستيه

توفيت أحتى نعيمة فى من مكررة سببا، إذ لم تلغ الثالثة والستين، وتركت  
 وراءها ثروة لأمنس بها، وأما فاطمة فعاشت حتى الخامسة والستين وماتت وهي  
 لا تملك شئاً غير وديعه فى بيتك كانت تعيش على ما يدره من فوائد ولا تملك حتى  
 الشمة نرى تكفيها، عاشت دائماً عيشة أوسعراطية، تكس أحسن شمة، وترتدى  
 أخضر، لثياب، ولا تأكل إلا أفصل الطعام، وتنصى حراً من كل صيف فى أحر  
 القادى. كانت نعيمة كثيراً ما تعبر عن صيقتها من قلة مالها أو من ارتفاع الأسعار،  
 أما فاطمة فظلت دائماً مبتهجة ورصة عن الحياه، وظلت حتى أيامها الأخيرة تطلق  
 المضحكات المستشرة باحة، وتلمع عيناها بسرور كلما ذكر أحد أمامها، هذه القصة  
 أو تدث من قصص دستوبسكى



لاند أن أحمى أحمد فدا حار حيرة بالغه، إذ وجد نفسه فى ذلك المركز المحرج فى  
 وسط هذا الجيش الضخم من الأولاد والنساء، لقد وجد نفسه فى مركز لا يسمح به  
 بالتماهر على الآخر، ولا يتيح له ما يمكن أن يستلزمه فى ريادة قوته فى المساومة  
 مع أنه أو أمه أو أبا، حوته فهو ليس أكبر الإخوة حتى تتمتع مثلما كان تتمتع  
 أحمى محمد بالحيار والذى إلى تفضيله به على كل من عداه، أو باهتمام أبى،  
 ولو بالشدّة الزائدة، حتى يصلح حاله فمصلح حان الجميع. وهو ليس أصغر  
 الأولاد حراً مثلى مما يمكنه، على الأقل بطريق، من أن يطالب برعاية خاصة. كان  
 لاند لأحمد أن يجد حلاً لهذه المشكلة، إذ إن الحياة بدون هذا الحل لا يمكن أن  
 تطاق. عشر أحمد عنى الحل أدى بحث عنه فى أن بنى لنفسه عالماً خاصاً  
 استقلال شبه تام عن العائلة. ويتكون هذا العالم الخاص من بعض الأصدقاء من

لدراسة أو من الحيران ، فأصبح يعصى كل وقتهم معهم ، لا تأتي إلى البيت لألا لالتهم  
لقصه سريعاً يخرى بعدها إلى أصدقائه بأي حجة من الخجج هكذا هم يكن يرى  
أحمد إلا قائماً وهم يصبره عصراً عاملاً في أوسرنا ، بل عضواً مسياً فهو لا يسمع  
أحبر العائلة ، ولا حتى المهم منها ، إلا بعد أيام أو أسابيع ، ولا يشاركها أفرانها أو  
أثريها ، بل له أفرانها وأثراها الخاصة التي لا يتكلم عنها مع أحد اضط إلى  
الجلوس من جلس صامت ، وبدا دائماً مشغول البال بشيء آخر لا يدري كنهه وهم  
بعد يرى جدوى من سؤاله عنه

لم يكن من الممكن لأحمد ، مع ذلك ، أن يتعش عن العائلة مستعناً تماماً ، فهو  
لا بد أن يحتاج من حين لآخر إلى شراء بدله جديدة مثلاً ، بل هو أكثر حاجة من إلى  
ذلك بسبب مما يراه من ملابس فاحرة لدى أصدقائه الذين يتكون منهم عالمه  
الأناسي وهو يرغب في استعمال مبادرة أبي ولو مرة في كل شهر ، لكيلا يشعر  
بالخروج أمام هؤلاء الأصدقاء . كان أبي كذا سبق أن أثرت ، لا يتسرع بالمره بدليل  
للملاس بهذه السرعة ، كما أنه لا يستطيع أن يفهم بالمره ما حاجه صبي أو شاب  
صغير في بس أحمد التي سادرة وهو الذي لم يرك سبادة خاصة قط قبل من  
الخمسين؟

لحق أحمد إلى الحيلة وكاتب حيله تمجد أحياناً صوراً لطيفة ، ومع ذلك  
كتب تطلعي على أبي فيصدقته ويقع في الشرك الذي نصه له أحمد فعلى سبيل  
التمثال عندما رفض أبي أن يعطي أحمد المال اللازم لشراء بدلة جديدة ، وكان أحمد  
في سنه الأولى أو الثانية الجامعة ، لكي أحمد يكافأ مرأهم يقع هذا في متدارر  
الملف المطبوع من حيث أبي ، فإذا بأحمد شفق مع أحد أصدقائه على أن يذهب إلى  
أبي متطهر ، بالخروج الشديد ليثبت أن أحمد حاول الانتحار برميائه معه من فوق  
اهرم الأكبر ، ولكهم أفقده في اللحظة الأخيرة وكانت النتيجة أن حصل أحمد  
على بدله

يمرر الزمن اكتسب أحمد قدرات ومهارات جديدة جعلته محل أنظارنا جميعاً  
واكتسب بها تقديراً للجميع واحترامهم ذلك أنه بعد أن حقق مركزاً مرموقاً في

يحدثى الوزراء، وأصبح يذمه من لئال ما يعوق ما لغيره من الإحوة باستثناء الأخ الأكبر، المشهور أحمد بير أمراء العائلة يذمرته على تخمين أى رعة لأى فرد ما باستخدام بقوده، واتصالاته لو سمعه، واستعداد الكثيرين لخدمته بس هذا المصعب أو بس علاقته الاجتماعية الكثيرة والحميمة، مع استعداد مخلص لديه لتقديم أى مساعدة لمن يحتجهم من أمراء العائلة. كان أحمد هو السجاء الذى يلجأ إليه إذا احتاج أى من لشراء تذكرة طائرة أرخص من التذاكر المتاحة للجميع، أو خبز حجرة فى فندق بطى، لجميع أن كل حجراته محجورة، أو للحصول على موعد مع طبيب شهير محدد، بهذه الرعة فى ذلك، بينما يكون أول موعد متاح لمدة الناس بعد شهر أو أكثر، فضلاً عن تعيين صديق فى وظيفته، أو تصريح باستيراد سيارة لا يحصل على مثله إلا عليه القوم. إلح ك حبيباً، باستثناء أحمد، عاجزين عن الإتيان بمثل هذه المعجرات، إذ لم تكن تعرف مثل أحمد هذا، بعدد العشر من شخصيات دت القود



كان موقف أحمى حافظ فى لعائلة قريب من موقع أحمد، لا يجب لصاحبه أى ميرة، فلا هو فى أعلى سلم ولا فى أسفل، وقد احتار حافظ مسك الناس المصروف والراهد فى مادات الحبة، وظل مخلص لهذا الاختيار طول حياته، فلم يظهر به أنه يفعل شيئاً صديقه، ولا أعرف أنه فعل فى الخفاء شيئاً يهدف ما يفعله فى العلن.

كانت كل اختيارات حافظ مجردة عن اعتبارات الثراء أو سلطة أو نفوذ أو المظهر الاجتماعي، سواء كان الأمر يتعلق بختيار وظيفة أو صديق أو روعة أو يتعلن بطريقة تربته لأولاده، أو بقاء ميرة أو تأنيث بيت. إلح كان المهم دائم فى نظره هو رصده عن نفسه، أو رحتة وزاخرة أسرته، أو أثر هذا الاختيار أو ذلك على صحته، أو ما يسمى بوجه عام «راحة الدل» كان يشعر باحتقار حقيقى لكن شخص ينكب على جمع المال، أو يسافر إلى بلد عربى لريدة ثروته، أو لمن يتفق الآلاف المؤلفة من وجهات لشراء سيارة كن يمكن أن يستمنى عنها بسيارة أصغر

وأرخص أو حتى بالمشي، أو من يرسل أولاده إلى مدرسة باهظة التكاليف ولا تقدم تعليمًا أفضل مما تقدمه مدرسته الحكومية مجاناً، أو من يذهب بالتصنيف في أوروبا حينما يكون التصنيف في جمجمة أو رأس الر يتيح له نفس الدرجة من الراحة و لتغيير بعض التكاليف، أو من يأخذ سيرة للعداء في مطعم يستولى على بقوده دون أن يشع جوعه، بينما كان من الممكن أن يستعنى عن ذلك بصعده سدوتشات تعدها زوجته بقروش قليلة ويجلسان لتناولها في يوم مشمس في سبغ الهرم

كان ينطق عليه، ربما أكثر مما ينطق على أي شخص آخر عرفته عن قرب، تصنيف الأعمال على الأسماء أي تعجيل ممارسة نشاط أو القيام بعمل، على شيء أو حيلة سلعة. ومن ثم كان يبدو لي دائماً أنه أحققاً جميعاً حركة وأكثرها نشاطاً، إذ لا ينقل كاهله ما يمكنه من ملع ولا ينقد من حركته رى نائم وما يفعله من بين هذه الأعمال كان أكثر ما يجلب له السرور والرض عن نفسه تأليف المسرحيات وربما كان هذا هو الشيء الوحيد الذي كان حريصاً على أن يحصن فيه عن رخص الناس عنه وعثراتهم به. وكان يتمتع بالعمل بالمدرة على كتابة حوار مقنع ومؤثر، وأن يحول القصص البردى لأي حادثة إلى حوار حداث. وما أكثر ما كتب من مسرحيات، قصيرة وطويلة، مؤلفة ومترجمة، وما أكثر ما أرسل منها لهذه الفرقة المسرحية أو تلك، المشهور منها والمعمر، العوامي والسملي، ولحظطات الإذاعة والسينمائيون. وكان إلخاحه ومنايرته في هذا بما يستحق الإعجاب حق، إذ لم يكن ليصده أي رفض أو نقد عن هدفه وعن إعادة الحياة من جديد. فإذا طلب منه إجراء تعديل على مسرحية كتبها، عكس على إحراثة مهما كان التعديل جذرياً وشاملاً، حتى يظهر بالموافقة على غشيتها ومع كل هذا هو أقل ما حظى به من نجاح في هذا الصدد. نعم مثلت له بعض المسرحيات لشرحه، وقامت بعض الفرق المحلية الصغيرة بتمثيل مسرحية قصيرة له أو مسرحيتين، وعرفه واستمع له بعض المخرجين الكبار، ولكنه لم يظهر منهم تساعدة ذات شأن، وظل إلى أن مات لا يعرفه ككتاب مسرحي إلا عدد صغير جداً من الناس، عدد أفراد أسرته

مع تكرار عجزه عن تحقيق النجاح الجماهيري الذي كان يعتمد اعتماداً حازماً أنه ستحققه ككاتب مسرحي، أصيب بحية أمل شديدة زدت هونها مع مرور الزمن، وحملت حديثه لا يكاد يدور، في سوانته الأخيرة، إلا حول هذا الموضوع، إما أن يشيد بغيره، فكذلك مسرحي إشادة فيها مبالغ غير مقبولة، أو يسقذ الكتاب المسرحيين الساخرين انتقادات فيها أيضاً قسوة غير مقبولة، فصلاً عن أن انه مع إلى هذه القسوة كان وصحاً للجميع. وقد راد لين إلى المحر بنفسه وإلى توجيه سهام النقد إلى ساححين في هذا الدرب الذي كان يسمي النجاح فيه دون جدوى، إلى درجه كانت تبعث أحياناً على السأم. ولاندأ صدرت مني مرة أو مرتين، خلال السواب الأخيرة من حياته، عذرة أقرب في نفسه تأثيراً بالغاً، فلته، شكل عموي وبدمت عليها مجرد أن تعوّهت بها، وتعمل معنى شعوري بالملل من كثرة ما يردده من محر بنفسه وقد بلا حزين. سكنت وقتها بصبح لحظت ثم عاد إلى ما كان يقول ولكن بعصمة وصحة لم تستطع إطفاء أثر عذرتي في نفسه. لأزال أقصر بوجر الصمير حتى الآن كلما تذكرت هذه الواقعة، ولكنني أقرب لثغري أحداً إنه لم يكن هناك مفر من أن يحدث شيء كهذا في يوم من الأيام



حين هو الأخ الذي يكبرني مباشرة، يكبرني بعامين ونصف، وهو بلا شك أكبر، حوتى ثرا في. كان ينقسم بصفة لا يشترث معه فيها أى طفل آخر من أصصال العائلة، ذكرًا أو أنثى، وأحار في تفسيره، بما يجعلني أستمع في النهاية بهذا التفسير الوحيد الباقي (إن كان هذا تفسير على الإطلاق)، وهو أنه قد ولد بها، ونه، من بين حصائص حياته لموروثته. أقصد بها ذلك الميل السالغ القوية للاعتماد بأنه شخص فريد من نوعه، لم يأت أحد مثله من قبل، وليس يأتي أحد مثله في المستقبل.

كان بأناش الحس والآخر شأ أنه قرر من هو الشخص الذي سوف يتخذ مثلاً أعنى لنفسه. وكان هذا الإعلان يتكرر بكثرة، ولكن الأهم من ذلك نوع الأشخاص الذين كان يحتارهم كمثّل أعلى له. فكلهم من النوع الذي يمكن أن

يرشح للقب «أعظم الناس، أو أقوى دس، أو أشدهم مودة، أو أبعدهم أثرًا»  
 فالمثل الأعلى هو تارة دسيوب، هما القائد المعسكى الأعظم، وهو أحيانا كارل  
 ماركس، ذلك الثورى العظيم صاحب اللحية الكثيفة، وهو أحيانا تولسوى، ذلك  
 الكاتب المعسكى الذى يمكن عساه سهولة أعظم الكتاب دروس، وهو أيضًا  
 صاحب اللحية ليضاء الكثيفة والطويلة لاحظ التماوت كبير بين هؤلاء الأعظماء  
 الثلاثة هي مجرد العنقريه ومصمود الرسالة، معصهم يكاد يكون الطرف اسفص  
 تمامًا لبعض الآخر ولكن هذا لا يهم بالطبع، المهم أن كلا منهم يمكن ترشيحه  
 للحصول على هذا اللقب العظيم لم يكن عرسا دن ولع أحيى حين سمثل  
 انصرى العظيم يوسع وهي، اندى كان يهرى القيام تمثيل شخصيات معيه من  
 نوع راسوتين أو لحكم بأسر الله، بل كثير ما كان يحول الشخصيه العاديه إلى  
 شخصيه من هذا النوع

كان المطلوب ما جمعا، كلما أعلن حين عن معبره لثله الأعلى، ان يوافق  
 على أن لثن الأعلى احدى، هو بالفعل أعظم الناس طرًا، وحتى يشعر حر  
 وكان أى اعتراض أو تحفظ من جانب أحد القول بأن هذا برعيم لمحتدر ليس  
 جانب مما من العيوب، لا يقابل من جانب حين إلا بالاحتقار، دون أن يبالى  
 حتى يارد على ما نقول، ومن ثم لم تكن هناك حدودى تذكر من يبداء الآخر من أو  
 التحفظ

كانت وسيلة حين للإنثاء أنه أعظم الدس تحصل أكثر قدر من الثفاته وقد  
 عجم بالفعل هي تحصل قدر من الثفاته تتجاوز بمسافة شاسعة ما حصنه أى أع و  
 أحت، بل ومعظم من عرفت من المثقفين المصريين وهذا عتبرت هذه ثقافته  
 الواسعه عزمه حقيقه لميه في الكنه والتعبير عن النفس، وسلاسه وحدنيه  
 بادرين، جعلاً أبى يعنى عليه ما لا فى أن يخلفه ككاتب وأديب أكثرى على علقه على  
 أى ولد آخر من أولاده، وإن لم يكتم أبى ما كان يعنتره من خوف من أن يحنانه  
 حين في حبه الكثير من الصعاب من جراء اعتداده بمرط نفسه

ما أذكره من تصرفات حين المدهشه وحين أطفال، ما حدث عندما أهدا أبى -



نحس لإحوة الثلاثة أن وحسب وأحمد وأعماراً تم روح بين السادسة والعاشرة - إلى حبب الألف والأدب والحدرة في عيادته لاستصل المور كان لمطوب عمله أمراً كريهاً حدراً ومحبها لمعاية دلسة لنا نحن الأطفال الثلاثة، ولكن دخل أكبرنا، أحمد، في البداية دون اعتراض، فاستصلت لوره، وجاء دور حسين فرفض رفضاً تاماً أن يجرى له العملية، غير مصبور، فيما يظهر، أن يجرى عليه ما يجرى على الآخرين، وأحد يجرى من حجرة لأخرى من حجرات العيادة ورواء الطبيب والممرض يحاولان الإمساك به وهو يصيح بصوت عالٍ سمعه كل من في العيادة «أنا قلت مش حعمل عملية المور، والله العظيم ما أنا عاصيها، شوف والله العظيم يعني ده؟» وقد صارت هذه العازة من العازات المأثورة بين أفراد الأسرة، بعيد ذكرها صاحبكم كلما دار الحديث حول حسين وشخصيته سمير صبح أبي دطعم للأمر وأجريت العملية للجميع، وإن كان قد اصبر أن يعيد ترتيباً، فحدث أن كالحمل الوديع بعد أحى أحمد، وأجريت لي العملية في هدوء تام، ريثما يتم الغص على حسين

(٦)

## أصدقاء الصبا

عندما أفكر الآن فأكفه أسى عن حيرة جدى، والجهد المصلى الذى بذله لاختار نوع التعليم المناسب لابنه، وعن العذاب الذى تعرض له أسى من جراء إخراجها من مدرسة بعد أخرى لإدخاله مدرسة يسمع فيها جدى أنها أفضل وأبسط، أشعر بالإشفاق على أبى وحذى على السوء. أشعر أيضاً بالإشفاق كلما سمعت لأن عن حيرة الكثيرين من معارفى وأصدقائى لنسب، وصحيات الكيرة التى يدلونها بكى يتعلم أولادهم فى مدرسة دور أخرى. ذلك أنه لم يعد لدى شئ فى أبى بلع شدة فى أهمية المدرسة فى تنمية القدرة العقلية للطفل أو تنمية حسه الخلقى. نعم، هناك بلا شك مدارس أكثر قدرة على إدخال الصحة فى بورس تلاميذها وأقل تعديلاً. ولكن لم يعد يحامى أبى شئ، بعد ما شاهدته فى إحوالى من ناحية، وفى أولادى من ناحية أخرى، وفى أصدقائى ومعرفى وأولادهم، فى أن أثر الأسرة والمناخ البائس فى بنت فى التربة العقيدة والخلق أهم من أثر المدرسة. ولكن الأهم بكثير من هذا وذاك هو الاستعداد الفطرى الذى يولد به الطفل فإذا توفرت هذه الاستعداد الفطرى فما أسهل أن يعرض الجهد شخصى عند طلب المدرسة فى تحقيقه.

يصف أبى فى كتابه «حياتى» حيرة جدى فى اختيار نوع التعليم لأفضل له، على النحو التالى:

«وضع لى أبى بردها صرهما لا أدرى كيف احتسبته. كان يوفى فى المسجر فاضلى معه، ثم أقرأ جزءاً من القرآن وأحفظ من من السور الأربعة كالفية ابن ميث

في النحو، حتى إذا طلعت الشمس أظورت ولست ملاسي وذهب إلى المدرسة  
أحضر دروسه في الظهر وهي صفحة يظهر أتعدي في المدرسة على عجل وأذهب  
إلى كتاب بمسجد قريب من المدرسة وقد اتفق أبي مع فقيه الكتّاب أن يسمع مني  
حرراً من القرآن حتى إذا ما أتمته سمعت حرس المدرسة هدهت إلى الفصل ثم  
أحضر حصص المدرسة بعد الظهر، فإذا دق الحرس الهدأني خرجت إلى البيت  
وحللت ملابس المدرسة وسبت جنباً وذهبت إلى المسح الذي أبي إمامه،  
فمكثت معه من قبيل المغرب حتى يصلي العشاء، أسمع بدرس الذي يليه في  
المسجد بين المغرب والعشاء، ثم أعود معه إلى أبي وفي أثناء الطريق يحفظني  
بيناً من الشعر أو يتيين ثم يسألني إعرابه فأعزّه، ويصحح لي بعضي، وكن ذلك  
وبعض مسائل في الطريق، ثم أتعشى وأمام وإذا كتاب علي واجب من المدرسة  
أقمته على عجل قبل أن أذهب إلى أبي في مسجد، وليس لي من الراحة إلا عصر  
يوم الخميس ويوم الجمعة، على أبي كثيراً ما أحرم أيضاً من صبح يوم الجمعة لعمل  
واجبي المدرسي أو بقراءة مع أبي وهو برنامج غريب متناقض الأجزاء، منه أن  
أبي كان حائر في متعلمي، أوجهي الوجهة الدنية معدني للأزهر، أو يوجهني  
الوجهة الدنية فيعلمني في المدرسة الابتدائية والثانوية؟ كنت أدرك حيرته من كثرة  
استشارته من يوسم فيه حسن الرأي، وهم لا يتدبرونه من حيرته، فمهم من يشير  
بهذا ومهم من يشير بذلك، فأملك البعض من وسطهم، فكان يعدني للأزهر بحفظ  
القرآن ولتوثق، ويعقدني بمدراس المدرسة بدراسي في المدرسة وهذا أسوأ حل  
ولكن حراء الله خير أعني تمتد المصطفى في التفكير في مستقبلي، وعمر الله له ما  
أرهمني به في دراستي!

كيف استطاع أبي أن يضع بأذ هذا الذي فعله أبوه في معلمه كان أسوأ حل؟  
ومن ما استطاع أن يقطع برأي حاسم في هذه الأمور؟ ومن درسنا أن الذي حواره  
حدى لتعليم أبي لم يكن هو، على العكس، أفضل حل، لو لا ما فيه من إرهاب  
مائع فيه؟

لقد أدى أبي اهتماماً مثلاً، اختيار نوع التعليم لأفضل الأولاده، ولا شك

عدي في نه بدوره، عني الأقل في المراحل الأولى من حياته، كاد يطرأ  
لمدرسة تأثير أكثر مما بها في الحقيقة، في التربية العلية والحلقية لا يبدو إذن  
مدهشاً تماماً أنه قرر إرساله الأول إلى مدرسة الفريز (عريسة، إلا لاند أنه سمع  
من بعض أصدقائه عن مستواها الرقي في تعليم، فضلاً عما كان يسيطر على ألب  
من اعتقاد في الأهمية القصوى لعدم لغة أجنبية لاند أن هذا، وذاك كانا وراء دهاب  
أخي محمد إلى مدرسة الفريز، ولكن يبدو أن التجربة لم تكن نجاحاً، فلم  
يظهر على أخي محمد أنه أجاد فائدة كبيرة مما قدّمته هذه مدرسة من مرما كل ما  
لاحظته من أثر هذه المدرسة عليه أنه عندما كان يقوم بعملية حسابية تتعلق بالبيع أو  
الشراء، بصوت مسموع، كان يستخدم القرينة بدلاً من لعرية

لاند أن اهتمام أبي سرح المدارس التي يتبقى فيها أولاده تجميعهم قد صعب  
بعض الشيء بعد تجربته مع محمد، ولكنه لم يزل غامضاً فلاند أن قيامه بتحويل أبي  
وأخي حميد من مدرسة مصر الجديدة لابتدائية إلى مدرسة السم دحية في حيائ  
القبة كان لهذا السبب، ولكن لا أظن أنه كان في مهية حياته لا يال عند اعتقاده  
الأول فيها هم خمسة أولاد، إذا استعينا الولد الأول لدى ذهب إلى مدرسة  
عريسة، يكادون أن يكونوا قد تلقوا بعض التعليم بالسيط، ومع ذلك كان دأؤهم  
العلمي معاونا أشد التعاوب وهذا مما ساد أرسلهم أبي إلى نفس المدارس  
تتموقت واحدة وأظهرت طول حياتها شعفا واصحابها يمكن تسميته «مشكلات  
العكرية»، أيا كان نوعه، أدبية كاتب أو فلسفية الفذيع أو سياسية، ولم يظهر أن  
شيء مماثل في البيت لأخري التي لم استطع صرا حتى على الدراسة الثانوية  
فبحر حب مه قبل تمامه كذلك فإن تجربتي وشهدتي، ليست فقط لمستهم من  
تسري بل ومن خارجيه أيضاً، تكاد تجعلني أقطع بأن اخن اخنني لصره بولد مع  
الطفل بدرجة معينة من القوة، متحفا يولد معه ألف بحجم معين وصوت ذو نغمة  
خاصة إيا من بين أفراد عائلتي من لا يتصور الكذب ومهم من يكاد يستعده  
مهم من لا يهجم كثيراً إذا كان عباً أو سم يكن، ولكن مهم من كان، مدبوعمة  
أظفده، على استعداد دليغ بصره من الماعز التي قد يحلها أبي معه بلعاء، وإضافة  
حصيلة البيع إلى مد حرارته مهم من كان دافع بفتحهم الكنت النها، ومهم من

كان محجور ما هو، عد الكت المدرسة، بعض مقالات جمعته في كتاب أنى  
«بعض الخطوط»، كان يقرأها أحيان قبل النوم ثم سرعان ما يعيده للمعس

وعندما أسس عرض ما إلى أصدقائى فى المدرسة الابتدائية أو الثانوية، من  
عرفت تطور حياتهم بعد تخرجهم، أجد ما يقطع بصحة هذا الاستنتاج كان من  
بيهم سابع والمحدود اندك، سريع المهم، لطفى، العميق واسطحي، من يلتقط  
لفكره بصحة بسهولة وسرعة، ولكنه قلل الصبر على الربط سهل ومن فكرة  
أخرى، ومهم أنسأى الطيء الذى لا يهتم سرعه، ولكنه يصبر على سحت عن  
العلاقات غير الطاهرة حتى يحدتها كدنت كتاب من بيهم أسيل وأسافر، الشهم  
والبدن، المستعد دائما لتنصحية ومن لا يعكر إلا فى نفسه فقد دخل معظمهم، بل  
ورى كلهم، الجامعة وتخرجوا بشكل أو بآخر فيها، وحصل معظمهم على وظائف  
محترمة، وحصل بعضهم على الدكتوراه، من بين الأذكاء والأعباء، ولكن ظل  
كل منهم عنى حاله الذى بدأ به، عقليا وحلفيا



مد ثلاث أو أربع سنوات حطرت لأحد زملائى القدامى، الذى كان تلميذا معى  
فى نفس الفصل المدرسى مد ما يقرب من ستين عامًا، عديم كما فى نحو ثمانية  
عشرة من عمرنا، أن يدعو أكبر عدد ممكن من هؤلاء الزملاء القدامى إلى العشاء  
فى مطعم بطن على سبل وقيلت ندعوه مسرورا ومتشوقا إلى أن أرى ما فعله  
الدهر بأصدقاء الصب، وبعضهم لم أكن رأته قط منذ كنا فى تلك الدس الصغيرة،  
فرأيت عجب. نعم، لقد شاب شعر أكثرهم، وتشققت البشرة بالمحاعد، وحاء  
أحدهم يسند إلى عكار، وسيطر الحزن على آخر سبب أزمة قلبية حديثة العهد  
ولكنى وجدت أن من كان ذكي لا يزال ذكي ومن كان غبيا لا يزال غبيا، وثقيل الغفل  
ظل كما هو، وكذلك خفيف الغفل كنهم فى يسر نسى، وكثير لهم، أو كان لهم  
وطيف أو أعمال محترمة، ولكن التفوت العقلى والحلقى سم يظروا عليه أى  
تغير، إذ بدو أنه لا المدرسة المودحيه، ولا المدارس الأهل مودحيه، استطاع  
أن تقصى عن هذا التفوت

لم يحصر للأصمب إس حفل العثء صديق قديم كنت د نعا أعثره ملح الأرض ،  
يد كان يجمع بين عدد من الصفات نادراً ما رأيتها مجتمعة (هو المهندس محمود  
كشت) لم يكن ، ونحن بلامد صعد ، متعوق في دراسته بمعدار تصوفى ، ولكن  
الأرجح أنه لم يكن يذب فيها مثلما كنت أنبل من جهده ، وهو على أى حال لم  
تعثر فيها قط . كان نصح دائما بمرحاة معمولة ، ولكن دون أن يلمت أذوه  
لأنظار إد لم يكن يشعر بالحاجة إلى ذلك . دخل كلية الهندسة فخرج بسهولة  
مهندساً من قسم الاتصالات ، وعين فور تخرجه فى منتصف الخمسينات مهندساً  
فى الإذاعة . وأذكر زيارتى له فى ١٩٥٦ ، فى داخل كهف من الكهوف فى جوف  
جبل المقطم ، عندما اضطرت حكومة الثورة إلى نقل محطة الإرسال الإذاعى إلى  
هذا المكان الحصين بعد أن بدأت القاهرة تُصرب بالقبائل رداً على تأميم قناة  
السويس . وأحد يطرف بى لمرئى طريقة عملهم وما اتحلوه من احتشادات بضمان  
استمرار الإذاعة حتى فى أحلك الظروف . ثم مرت بضح سبوات وقررت الحكومة  
إدحاب تليفزيون إلى مصر وأرسلته فى بعثة إلى أوروبا للدروس والإعداد لهذا  
الأمر . ثم عاد وأشرف على بدء البث التليفزيونى . فلما قررت الحكومة إدخال  
التليفزيون المتن ، أرسلته مرة أخرى فى بعثة إلى أوروبا للدروس والإعداد له ، ثم  
عاد لتفنيده ، حتى أصبح بعد بضع سنوات كبير المهندسين فى التليفزيون المصرى .  
كنت أراه حالا ، تلك السنوات على فترات متقطعة فببهرنى أدبه الحزم ، وبعبه فى  
عمله وحنه له ، وكان يشرح لى مساحة شديدة ما استعصى عنى فهمه فى متعلق  
بعممه ، وكنت ألبح شعوره بوطنى لقوى من خلال ما يقوله عن عمله ، دون أن  
تظهر عليه أى رعب فى السامى أو اسدرا الإعجاب . كان مصر ب مائة بالذات ،  
مخلصاً للده قدم الإخلاص ، دون أن يقرب كسمة واحدة بمحاولة سدليل عسى  
ذلك . وكان يدعشتى بقوله إنه قرأ بى هذا المقال أرواك فى مجله لهلال أروى  
صحيفة معارضة ، ويستسم من حرأى . وكأنه يتذكر نصر فائى أثناء التلمذة ، ولا يرى  
فى هذا إلا استمرار الذاك . احتشاح بى إلى خدمة صغيرة منى فى أمر يشعب  
بدراسته ، هاكتفى صدى بى أن عرفى عسى أنه وترك دون أى بدلح مع أو أى  
محاولة للتأثير عنى ، يد كان لا يريد أن يحكم تصرفى إلا صميرى . ثم قابلته منذ

سنوات قليلة هو وأسرته مصادفة ، وقد أنى بزوجته وكل أولاده ليحضر حفلة من حفلات الموسيقى العرسية في مسرح الجمهورية ، فوجدت في ولديه وابنته نفس الهدوء النفسى الرائع الذى أعرفه فى أبيهم ، وأحسبى فى أثناء الاستراحة أنه عيّن مسئولاً عن محطة التليفزيون القصائية التى قررت الحكومة إنشاءها وأنه سوف يحتاج إلى بعض خبر حتى يخاطمه الأمريكى لعمل فيها ، ويتصل بى فرب علما يبدأ فى اختيار موظفين بعد عودته من رحلته لفرنسا يحرق فيها التريبات النهائية لتدشين هذه المحطة . كان يتكلم عن مهمته الجديدة بحماسة وروح ثم قرأت بعد ذلك بأيام حر به مشوراى جريده الأهرام ، إذ بوى صجاء وحده فى أحد صادق مارس أثناء مقارصه مع الفرسيين حول المحطة القصائية

فى الحفل الكبير الذى أقامته الحكومة بعد ذلك شهر أو شهرين لإعلان بدء تشغيل لمحطة القصائي ، شكر الوزير رئيس الجمهورية على دعايته للمشروع ، وعلى إصداره الأمر بتعيينه ، وشكر رئيس بورراء على تحشمه عناء حضور حفلة الافتتاح ، وشكر عدداً من الوزراء بسبب أو حر سم أتبه . ولكنى سم أسمع اسم صديقى الذى حمى الإذاعة المصرية من عدوان ١٩٥٦ ، وأيضاً التليفزيون لأبيض والأسود ، والتليفزيون الملون ، والمحطة القصائية نفسها لم يكن هناك أى شيء غير عالوف فى هذا السلوك من جانب المشويين المصريين ، كما أنى لا أظن أن صديقى كان ليأبه كثيراً له لو كان قد امتد به العمر لشهده نفسه



سأب صديقا الذى نظم هذا اللقاء بين الزملاء ابتدائى ، صب إدا كان قد تذكر أن يدعوا «تيمور» ، فقال . بالطبع ، ولكنه اعذر بسبب السفر فصحبنا كلما من مسبب عتذاره . ذلك أن تيمور هذا كان دائماً يجلس فى آخر صف فى الفصل ويبدو دائماً مشغولاً بشيء آخر غير ما يقوله المدرس ، ومن ثم لم يستطيع أبداً أن يحقق معروف فى أى مده من المواد ، بل كان يجد صعوبة دالة فى الوصول إلى درجة النجاح . كان انشغاله فصب على شيء واحد وهو « لظافة » فاللدرس جميعها ، لوأحد بعد الآخر ، علما يصممون على معرفة ما أبى شعله عن مدرس .

بصطوبته وهو يحاول إحصاء شىء فى الدرج أو تحت الكرسي، فإذا استقصوا الأمر وجدوا طائره صغيره قام بيمور نضعها فى الورق، وهو مشغول إما تلويها أو تركب حشا لها أو مروحة - كان المدرس العاسى يطرده من الفصل، والمدرس الطبيب يحذره من أن هذا بأى نمعه لاند أن يؤدى به إلى مستقبل مظلم للعلماء

ومرت السنوات دون أن يرى تيمور، حتى تخرجنا فى الجمعه وتوطنا وإداني مرة، وأما رايك فى طائرة شركه مصر لطيران إلى سدين، وقد ربطت لتوى حرام المقعد، أسمع صوت من الميكروفون يرحب بالضيفين ويقول لهم: «الكانت تيمور يحييكم» قنت نفسي على الفور إلى مستعد لدم هاب بأى شىء على أن هذا كان تيمور هو زميل القديم، إذ كيف يمكن أن يكون شخصاً غيره؟ وهذا هو ما كان الناس، فعدمت طبت عمالة الكائن، أذنبوني كايته لعيادة وحدثه هو معيه وفاللى نفس الانتباهه التائهة لتى لم تكن توحى بأى نأثر من حاشه فباله زميله القديم، وكى اطمأنت على الأقل أن بسوء المدرس افنكم بمستقبل معلوم به لم تتحقق بالمره



كان هناك أيضاً من وملاتنا القدامى من سافر إلى الأند، وترك مصر مع عزم أكيد على عدم عموده من هؤلاء صديق كان باع الرقعة، وسيماً للعلماء، قليل الكلام ولكنه عميق المشاعر، يؤدى أدبه طب فى الدراسة دون لعب، وحمه كل المدرسين بدون استثناء دخل كلية لط وتخرج فيها، وكى لم أراه قط بعد تخرجنا. لا حرياً ماؤنا بما يراه من حال المرضى الفقراء والمعلمه التى تقوى فى منفى قصر امعى وكان يقص علينا قصصاً كثيرة مؤثرة عن رحاب أو ساء أتوا إلى قصر امعى من أقصى بصعيد وهم لا يكادون يملكون ثمن تذكره السعر، واصطروا للمعمدة دون علاج لأنهم لم يجدوا سرير، فى المستشفى، أو لأنهم لا يعرفون أحداً شأناً فى القاهرة يمكن أن يتوسط لهم كان الحل الذى وقع عليه اختيار صديقى الرقيق، هو أن يترك مصر كلها ويبحث عن عمل مناسب فى الخارج، لا يعرفه لرفقة مثل هذه المواقف للصعبه. ونسبى به الأمر طيباً وأتتدا فى جامعة مرموقة فى الولايات



الشحله، واشترى هالك بنا جمللا وتروح من دحلة بركة وأحب منها ولدس واستقر في أمريكا استقرا دائما وهو حل لا بأس به من بعض الوجوه، وإن كان يحط بالنال أحب أهلك شيئا من العراة في أن يكون حل مشكلة المصطفى الفقراء في مصر هو الاشتغال بعلاج المرضى ميسرى الخلل في أمريكا



رمين آخر لم تدفعه في الهجرة رقة لمشاعر بل مجرد حب أمال كتب هذه حصنة من حصله وصحة له جمعا وصوح لشمس صدق يوم عرفاه فيه كان مصيرا ماكر لا يدفع أبدا ما يجب عليه دفعه، ويحاول دائما، ويسمح عدة، الشهير من أي مسئولية يمكن أن تورطه في دفع أي مبلغ من المال كانت حصلة مصرية في حد ذاتها، ولكن الذي جعلنا نصمه إلى شئت ولا يمنع هي مصاحته أنه كان ذا ذكاء ملحوظ، ومحا للكتابة، فصلا عن أنه لم يكن مافيا كان يجهر بحبه الشديد للملح ولا يحجل من بحله، ويحير بصراحه بين أن يقبله كم هو أو أن يصرف لحال، فهو لا يبالى برأي أحد فيه، والمهم لديه هو التمتع باليوم الذي هو فيه، مادام هذا التمتع لا تكلفه شئ من المال

مصر صديقا هذا إلى أمريكا لاستكمال دراسة الطب، ثم اشتغل طبيا في إحدى الشركات الأمريكية الكبرى، ثم سمع عن روجه امرأة هتائه جاءت إلى أمريكا هربا من صعوبات الحياة في عيتهم بعد أن بلغ من سنين قرر أن يعود إلى مصر، مع زوجته العيتنامية، ليستقر بها ثانيا فيها، معتمدا على ما تدره مدرجته من دخل ودعائى لريدرته في شقة لتي اشتراها بالقرب من النيل بمعداى كانت شقة قربة من النيل حد ولكنها - كما كان لابد أن أتوقع - حارة من أي ححة من الحمد العمارة كلها مسية بأقل قدر عكس من السكالكيف، وكأنها سيب حبيب لستكن فيها صاحب ويطرت إلى الأثاث فإذا به أقل أثاث يمكن، لا بد أن صاحب قد دفع فيه أقل ثمن عكس لم يكن هالك في الشقة أي شئ يتجاوز الضرورى، وكان الرجل قد جاء ليعيم في مصر يومين أو ثلاثة لا بقعة عمره ليس هالك صورة

واحدة على احتياط أو بعض الأهرار على المائدة ، أرى بعض الكتب العرسة التي  
شترها قائلًا به أمنتع بها ، اى استمتع بها ، فقلت لها وتضعها و وحدث أن مررتها  
لوحيدة هي وحدها فحسب نفسها ، فمررت الكتاب ليس بحسب موضوعها أو شهرة  
مؤلفها ، بل بحسب سعرها ، وأظن أن السبب الأساسي لاسماعه بقراءتها أنه كسا  
صادف عبارة نصية في الكتاب أو معنى به بعض بكاء ، بقول نفسه بإعجاب  
«صورتي لم أذبح أكثر من جبين في الحصول على هذا الكتاب»

لم يكن كل هذا غريب تمامًا عليّ ، وإلى الذي أدهشني حقًا هو أنه مع كل هذا  
السعي والدواء وطول حياته ، لم يجمع ادس وتحريره ، لم يكن لديه أى معرفة بحجم  
الثروات التي يحققها بعض الناس في مصر ، دور أن يصادفوا مصر إلى أمريكا أو  
غيرها ، و يكملوا دراساتهم في الخارج أو الداخل ، ودون أن يدرسوا انطب أو  
غيره . إلح بل كانت تبدو عليه دهشة حقيقية عندما أذكر له مثلاً ان شخص ما  
حصل على مكافأة مائة أو مائتي دولار مقابل مقال صغير كتبه لحريرة بصدر في  
الخليج ، أو أن رئيس تحرير إحدى الصحف المصرية قد تجاوزت ثروته بضعة ملايين  
من الجنيهات . لم يكن قادرًا على تصور شىء من هذا ، ذلك أن عمره المألوف كان  
قريبًا يدرجه أن المنع التام كان يبدو في عيبه كبيراً للعناية ، ومن ثم كان عاجزاً عن  
تصور كميات من المال كبيرة حقاً . كان حبه الشديد للمال إذن سبباً في عجزه عن  
تحقيق قدر كبير منه ، على الأقل بالمعيار الشائعة في هذه الأيام . أى أن ادبي قد  
عاملته ، من الحية لمادة ، نفس المعاملة التي عاملها به «ما كنت تصور أن هذا  
المبلغ الباه كبيراً ، فلن يعطيك إذن أكثر منه»

عندما عدت من سفر قصير خارج القاهرة ، أخبرنى زوجته بأن ميدة مصرية  
انصبت بالمطبخ وأحرقها بوفاء رملى القديم وجاءه بالسكة القليلة أثناء جلوسه  
بعد الإفطار لتدو كواب من الشئى اتصلت بالروحة لميدانية لأعزبها وأعرض  
عنها أى مسعدة قد تحتاج إليها في مثل هذه الظروف . فأكدت لى أن كل شىء  
على مايرام . لم أعثر له على نعى فى أى صحيفة على الإطلاق . وأحرق صديق  
أحرق من كان على صلة أوثق به ، بأن شيعه ، أى شقيق ، ميدا المتوفى ، أخبره أنه لم

مجد ثمة حاجة لشر أي معنى لأحده في أي حادثة، لا في مصر ولا في أمريكا، إذ إنه على حد قول هذا الشفيق «لم يكن يعرف أحداً في لوف»



كان صديقي «على مختار» من نوع مختلف تماماً من الناس إن كل من عرفته في حياتي يهيم بنفسه على شيء، ولكن سعد الحظ حقاً هو من يتوارى منه بالفعل ما يهيم به عليه. وكان على مختار من هؤلاء الناس سعداء الحظ. كانت الميزة التي يشعر بالفخر بنفسه سببها وتوافر فيه بالفعل هي «الكفاءة» لا أفصّد الكفاءة في مجال معين أو عمل بعينه، بل الكفاءة بوجه عام، بمعنى تحقيق أقصى عند تمكن من أي حجم معين من الجهد، أو بوصول إلى هدف معين بأقل جهد ممكن. الكفاءة بهذا المعنى تكاد أن تكون مرادفة للعقلانية، وهذا بالمصطلح كان هو المصدر الأساسي لرضا «على مختار» عن نفسه. كما جميعاً، بالمقارنة بمعنى محضار، عددي الكفاءة وعمتين في اللاعقلانية. كان يحقق في بيوم الواحد ما يحتاج لتحقيقه إلى أيام أو أسابيع. وهو دائم الحركة من مكان لآخر، ولا يضيّع وقته في ثروة لا تعيد أو حضور حفل لا يقع فيه، أو في الذهاب لشهقة صديق أو زيارته عربص ما دامت الشهقة أو الزيارة لا تحقق أي فائدة عمدة. نعم من الممكن أن يحلّط للعربص دواء محتاج إليه أو ترتب له موعد مع طبيب، أم مجرد الكلام والتقدير بالشفقة وما جدواهم؟ كذب يعلما لبعض بعد الظهر صام، وهو يعتبر هذا إصباحه بوقت ثمين كان من الممكن أن يسجّر فيه عدة أشياء، حتى في أشد الأيام حرارة. نعم كان يغلله اليوم أحياناً من حوط الشعب، ولكن كان هذا يحدث أثناء جلوسه معاً، عندما لا يكون ثمة ما يمكن عمله، فإذا نه يومه برأسه ويستغرق في النوم أثناء انبهاك أحد من كلام لا ضرورة له ولا دفع يرحى به.

كان لا يدان تمكن هذه الكفاءة أو العقلانية في اتخاذ موقفه مسجدة تماماً من التقاليد والعادات المألوفة إذا لم يكن لها مع وأصح أو مرر معقول. هكذا كان على مختار «كشراً جراحة» في اتخاذ مواقف ككل ما تنمي أن تكون لدينا الحرة على اتحد، ولكنا لم نعد نحب لما يمكن أن يتوله الناس كان حرثا في حصار ما

يرتد به من ملابس، وما تناوله من طعام، وفي تحدّد الوقت الذي يأكل أو ينام فيه، وفي اختيار امرأة تشرّ وجهها متى وقت كما كلفه بصره لئلا يلهيه الفتاة أو تلهي، ولكن عن بعد ودون أن تتحد أي خطوة إيجابية لتكوي أي علاقه معها، بل وأحياناً ولاحتي لمخاطبتها، جاء على مختار ليعلم لها أنه تقدم بالعمل لخطوبه فتاة، وأنها بيت، وأن الزواج سيتم بعد شهر. والفتاة ليست امرأة عادية بل فتاة جميلة مثقفة ومثابرة، كانت قد تحرّرت لثوبها في كلّة الأداب، ثم التفتحت بمهجد السبب لمدّرس الإخراج. وهي ليست مصرية بل لبنانية، تجلس معها فيكلما كلام، لئلا تلتد، وتضحك بحرية ودون عقد، وهو ما سمّ بتمردة فقط من أي فتاة مصرية. كما حميف محرومين حرماناً تاماً من أي علاقه سواه مع الجنس الآخر، وما هو مختار، بحرأته وثقته بنفسه، يصل إلى ما كما حميفا تسمى في حياناً تحقيقه لأطرف من هذا أن هذه الفتاة لديه استطاعت، سب سرتها وسط هذا الجمع من الذكور المساكين الممضطئين لأي كمية أو اسماء تصدّر من أنس، أن تظهر بحب عدد لا يسهان به ما، ولكنما اضطررنا بالطبع إلى بسكوب والرضا بسفر من بعيد، بعد أن أعين صديقاً عرّمه على الارتباط بها

كان هذا الصديق الغدّ، على مختار، هو أول من عرّفني على العمل السياسي، وكما- هر وأما- لوحيدين من بين هذه لشنة من الأصدقاء، العديدين يهتمان بالسياسة على الإصلاح. ولكنه كان ساطع، في هذا لأمر أيضاً، أكثر كفاءة مني بكثير، كما كان أكثر شجاعة، ما أدى به إلى دخول السجن لمدة أسبوعين في منتصف ستينات دواب أن يكون قد ارتكب أي جرم من أي نوع، سيما اكتفيت أياً لاسمى لإحارحه منه دون تنقذ. ولكن هذه قصة أخرى تسمى إلى مرحلة محتفة تماماً من العمر



(٧)

## مباحث الصبا

-١-

ما أحمل الكتب التي مرأتها بين سني العاشرة والعشرين . كتب هذه هي سموات العشر التالية لمحرب العالمية (٤٥ = ١٩٥٥) وعندما أسترجع في ذهني ما كنت أقرأه في تلك الفترة لا يدهشي كمثته بقدر ما يدهشي خلوده وأثناءه تأمل كم هو صعب في أيامه الحالية أب تصادف صبي في مثل هذه السن ، لا في مصر وحدها بل وفي غيرها أيضاً ، هذه الفرصة ابرئعه التي تبيحت لي منذ خمسين عاماً

كتاب الفصل الأكبر في هد يعود بلا شك إلى طبيعة البيت الذي نشأت فيه . كتاب أبي يلقي سبلاً لا يقطع من الكتب المهداة إليه من مختلف الأنواع . وكان يحصلها من قصص الأطفال التي كتبها بعض أصدقائه أو تلاميذه ، فكانت تبقى إليها بهذه الكتب ليقرا منها ما يشاء دون أي توجيه منه أو متابعة لما يقرأ . هكذا قرأت في سنواتي لأرثي كتب كامل كيلاني ذات لطافة الأسفة والصور الملونة ، وما كان يؤمعه أو يبرحمه أحمد عطية الإبراشي وخودة السحار . لا تزال مطبوعة في ذهني حتى الآن صورة حصان المسحور ذي الحماحير التي كانت مرسومة على غلاف قصة معصلة لي ، والتي لا بد أنني كنت أطبل النظر إليها بشدة التصاقها بذاكرتي ، وقصة العريس الذي ابتلع سمكة واستقرت في حلقه . لعلني قرأت كل قصص كامل كيلاني الذي يدين له حيل مأكمله من المصريين بإحدة عربية ، وبحيال أكثر اتساعاً ، وطفولة أكثر سعادة أو أقل مؤد

من الأمثلة القديمة التي لا أزال أتذكرها مما مرّته في طرولتي وصداي، سعت نظري كم كان المرء مشغولاً في تلك السن لأن نصرت الصبح عن أي أحداث عربة عبر معقوله في مقابل أن يحصل على الحد الأقصى من الإثارة فالسائط البحرية الذي يحصل بطل النص من مكان إلى مكان، أو مصباح علاء الدين الذي يجلب له حبة أي شيء يريد، بمجرد أن يحك المصباح هذه، أو حبة البحر التي تعودك إلى ما في قاع المحيط من اللؤلؤ وكور، أو عذبة «اتبع باسم» لمدهشة التي تنبع لك الاعتراف كمن تشاء من كهف على باب البحر، كل هذا يقبل دون تساؤل، ويستمتع المرء بقراءته المرة بعد المرة ويريقته صورته، التي قد تكون مرسومة وسما بدائياً للعامة، بل وربما سيئا، دون أن يألئ قط بمدى الواقعية أو بغرامه كم كان يحدث في تلك السن أي قصة تدور حول الملك والوزير، والملك أو الأميرة ذات الحس والجمال، وكم كان يصديق ما تصعله الصبية الخميّة، البيضاء كالثلج، مع الأقزام السبعة، وتلك الصبية الجميلة الأخرى التي ذهب بربارة جدتها فوجدت الدنث قد انهمها، وتخفى في صخرة لحدة بمسهي السهولة، أي بمجرد أن وضع عمي رأسه عطاء رأسها وعلى عيبيه نظارها، فلم نستطع الصبية أن يمر ببر الدنث واحدة كل هذا يقبل بصلور حب في سبيل أن يصل إلى نهاية سعيدة للقصة

ثم انتقلت كغنية جيلي إلى قراءة محمود تيمور وتوفيق الحكيم وطه حسين وأمازي ومعموصي والروايات أو المسرحيات المرحمة ترجمت بديعة السي كاس تشهرها بجة الأساليب والم ترجمة والشعر ودار المعارف وغيرهما خوتها وبرازدشو وبومس هاردي وأندريه جيد، وبعض مسرحيات سوفوكلينس إلح، قيل أن نص في مطلع الشباب إلى عجب محفوظ أثرت في نفسي بوجه خاص، في تلك العترة، رواية جوه «الأم هانم» التي ترجمها الزيت، وروايات العربية الشهيرة إلى نفسها المشغول، ورواية «السوى في مهج» لتيمور، وأعجبت بشدة بكتاب «زهره انعم» للحكيم، وهو كتاب يصف فترة إقامته في باريس في بداية شأنه متلف على ثقافت نفسه من ناحية، ومعبراً عن اقتبائه الشديد لمختلف مظهر التقدم الفني والأدبي في أوروبا، وجد هذا الكتاب صدى قوي لدى، وأن في تلك السن المكرة ولكن عندما وقعت يدي من جديد على نسخة من هذا الكتاب وقد

عجائز الستين، وقرأته مره أخرى، لم يترك لدى أى أثر من الإعجاب والتقدير  
 القديسين، بل تعجبت كيف ظهر هذا الكتاب بعجائبي وإعجاب كثيرين في أى وقت  
 من الأوقات. كان فيما يبدو أكثر من تعبير عن رفوات وطموحات شاب وجد  
 صدى لدى صبي مرهق به فصول حبات بمائلة. كذلك كتب لفرة قصيرة في تلك  
 الأيام بأسلوب صه حسين، ولكن لم تحس سنوات كثيرة قبل أن أحدهم  
 ومصطفا كتب في تلك السن أصغر من أن أقدر كتب العقاد حق قدرها أو  
 معاللات وكتب النقد الأدبي ليويس عوض أو ممدوح أو أنور المعدوى، فكأن  
 أسلوب العقاد سرعان ما يصيب بالاعياء فيما عدا قصة سارة التي أحسها، ولم  
 يمت بطر أحد في ذلك الوقت في سلامه موسى الذي كان يكتب على أى حال  
 في موضوعات لم تكن تثير اهتمامه لدى في تلك السن



كان يعطى من أحي حس، الذي يكرس بعض وصف، أنه كان دائما يتكلم  
 عن «مثله الأعلى» الذي كان يدين مرة وتونسوي مرة، ويسألني باستمرار عن  
 يكون مثلي الأعلى دون أن أكون حصلت على واحد بعد. فحدثت بسرعة عن مثل  
 أعني لا يقل قيمة عن مثله العليا، وإذ وقع بيدي كتاب عن هولتير، قرأته بسرعة  
 ووجدت الرجل مناسباً تماماً فقلت لأخي حسين أن هولتير هو مثلي الأعلى،  
 وكتب عنه مديلاً كان لدى أبي المرأة الكافية بشره في محبة الثقافة التي كان يرأس  
 تحريرها، تشجيعاً لي على القراءة والكتابة. وربما كان هذا أول مقال بشرى عن  
 الإلهلاق مع ردياد شهرة بحج محفوظ أحدثت أقرأ له، ولكني لا أظن أبي  
 تمسب له مثل حماسي لبعض كتب الحكيم وطه حسين، باستثناء ثلاثته، وعن  
 الأحص (بين لقصرين)، إذ كتب دائماً أفقد فيه الفكرة الفلسفية أو الإحصائية، و  
 هكذا كنت أظن وهتها، ولا أذكر أسي كنت أصل تفكير لدى انتهت في مره  
 رواية له. ولهد لا أظن أبي حررت من كتب بحج محفوظ تعبير المتعة عن  
 العكس من ذلك كتب بقصص يوسف دريس في الخمسينات، وأشعل حماسي  
 وأن أشاهد مسرحيته مثل لقطن وجمهوريه فرحات، وظللت حريصاً على قراءة  
 كل ما بشره، في ذلك مدلاته اسبانية في الصحف.



دس أيضاً بعض الشعب بالعلمه، حتى هي تلك الس المكورة، فكنت قدرا على الصبر على كنهها بل والاستماع بعصها، لاهتمام حقيقتي لدى بالمشور على حانات عن بعض أسئلته. أذكر لي في الخامسة عشرة أعجبت بديكارت، بعض كتب الدكتور عثمان أمين، وكتب عنه مقالا لا بأس به بعنوان «أدلة ديكارت على وجود الله»، وبشره لي في مجلة الثقافة قبل أن أدخل الجامعة، كما نشرت لي بعض لمجلة، في نفس الفترة، بعض المقالات الحمقاء بعنوان «نظرات فسيحة»



ثم بدأت مرحلة جديدة عندما بدأت أقرأ كتب في الأدب بالعلمه الإنجليزية. كان أول كتب أقرأه بالإنجليزية، عندما ما كان مقررا عينا في المدرسة، قصة هويله للكاتب الأمريكي دي لأصل لأرمي وليم سارويان، أعدها لي زميل في المدرسة متدحفا إياها شدة. لاند أن قرائتي بها قد استعرت وقتا طويلا، إذ لم أكن قد تجاوزت الخامسة عشرة، وكانت معرفتي بالإنجليزية محدودة. ولكني أذكر أنني طرقت به فرحا وكأني قد دخلت عالم لم أكن أعرف بوجوده من قبل. وتحسنت لكتابته تحمسا شديدا ورحت أبحث عن كنهه في مكتبات شارعي عماد الدين وعبد الحلي ثروت فوجدت به أربعة أو خمسة كتب أخرى، تصم روايات أو قصصا قصيرة. وراي عجيب به وحماسي له، إذ لم أكن قادرا وقتها على مقارنته بغيره، ومن ثم جدعتي بسطته وحماسة دفعه وما بدا فيه من مشاعر إنسانية. كان إعجابي بأول روايته هوانه به (الكوميديا الإنسانية The Human Comedy) قد وصل إلى حد أنني ترجمت أحد فصولها، وبشرته لي أيضاً مجلة الثقافة، ووصلتني عنه مكافأة قدرها جنيه واحد.

ثم بسبت سارويان سببا دائما، وصاغت كتبه مع ما صاغ بسبت معري في السبعة إلى إنجلترا، والعرب أتى لم أجدل أثناء وجودي في إنجلترا أن أبحث عن أي كتاب آخر له، بل لا أظن أنني تذكرته أو سمعت اسمه طوال إقامتي هناك. ومرة السراب حتى تصادف، عندما روت الولايات المتحدة وأن في الخمسين من عمري، أن وجدت كتابا صغيرا له في إحدى المكتبات يضم بعض ذكرياته

مفرحت بعثورى على صديقى القديم بعد فراق ٣٥ عاماً، ولكن حاب أُملى حية عظيمة لم أجد فيه، وأنا أقرأه فى سن الخمسين، أى سنة من مئات العشرة التى كت أظها فيه عندما كت فى خمسة عشرة، ومع ذلك فقد صدقت بعض مغفرات العبدلة التى ذكرتنى بمنعتى القديمة به حتى روايته للذكراته وهو طفل، وصف وصفا شائفاً عملة الاستحمام التى كان يتعرض بها على يد جدته، وراعى الله لشدة بين ما كوت تصعبه به حذته فى أرمسا، وما كادت تفعله أى أثناء استحمامى ونامها تنطلي جسمى كحلوسها نلى كرسى الحمام الخشبى لصغير والمصروع حصيصا بعد تعرض، وعلى الماء فى صبيحة مرسوعة عني وامور حار، وعلى كور ساء نالغ السعونة ثم صته على جسمى «صغير دون أن تقل أى شئ تصدق صبحى وشكوى من شدة السحونة ودحول نصابون فى عيسى، وهري جسمى باللوفة حتى يحمر الخلل من شدة الحكة، ورفض أى أن تهتسر أن الاستحمام قد تم حتى تسمع صبحى وترى حمرة جلدى

بحثت عن كتب أخرى به على أمل أن أجد ما يعيد إلى أعصابى لقديم به، فوجدت كتاب به نشر فى ١٩٦١، ويحتوى على سيرته الذاتية، فقرأته فى محاولة لاكتشاف حقيقة الرجل، وربما أيضاً لاكتشاف سبب إعصابى امكر به، وحاب أُملى مرة أخرى إذ كان من الرصع أن الرجل كان قد أصابه لهرم وهو يكتب هذا الكتاب فبعد حتى طُرفه القدم لفت نظرى فى نكتات أنه وإن كان لا يكتب عن ذكر اسه (ارام) واسمه (لوسى) وأهله الأرض انديين هاجروا إلى أمريكا، وبعض الناس عن الحب لهم جميعاً، لا يذكر أى شئ عن روحه، التى يوحى الكتاب بأن امره انتهى بطلاق. ثم وجدت فى نفس المكتبة كتابا حار عن سارويان، كتبه ابنه ريم، وشاهى بنده أب أعرف قصة نرجس بالتفصيل، خاصة إذا كان لراوى هو هذا الابن بحسب الذى كتب عنه الأب بكل هذا الحب وسمى أخد كتبه باسمه فودابى أحد كتاب الاس لا يحتوى إلا على دم مسمم للآب، وكان الرجل ليس به حصة واحدة تستحق الذكر بل به حتى عندما يأتى بى ذكر معه حادثة بوبنيزر، وهى أغلى حادثة أدسه فى أمريكا، ورفض سارويان للحادثة قبالا «ن لا مال لا يحب أب يكون له صلة بالأدب»، حتى هذا عسر الاس سحب سارويان لشهرة

كان من الواضح أن الاس لم يكتب هذا الكتاب إلا في محاولة مستمته لدفاع عن  
مه ، وإلقاء اللاب كله على آله الذي يعنه بالأسنة المعرطة والفسوة وما يشه  
الخرن ، وأدى بعضهم من لكتاب أن لأم كننت عن روحها أنها طفلة عبر شرعية  
وأها يهودية حتى انقصت عدة سوات عني روحها ، وحدث حوفا من أن يهجرها  
إن عرف الحقيقة ، وقد طلقها الرجل لمعمل عندما أخبرته بالحقيقة ، إذ لم يتصور أن  
تكون لديها هذه القدرة على كتمان مثل هذا عه ، واستمر أراه في الكذب طويلا  
نك لسوات

على أن إقالي على قراه كتب الأدب بالإنجليزية حدث أساسا بمصل أحي  
حسن ، فمن طريقه عرفت على الأدب روسي ففتح أمامي فضاء عالم جديد  
تمام ، كانت روايات مستويصكي وتولو مستوى وترجف من نوع يختلف عن أي  
شيء قرأته من قبل ، وكانت قصص ومسرحيات تشيكوف على الأخص هي التي  
استوبت عني قلمي ، ولأول لا من ذوي مسان الكدر أو نشققات الثلاث أو  
الحان فانب على المسرح ، المرة بعد الأخرى هذا حبل سدن وكنت تعرض  
مسرحية من مسرحيات تشيكوف كسب هي ما أحسن رواية ههما كان عدد  
مشاهدات لها من قبل عرقي حين أيضا على سارتر وأندريه جيد وكامي ، وعلى  
إستيجان زديج وإيس وأرثر ميلر ، حتى إني عندما تركت مصر إلى إنجلترا في  
١٩٥٨ ، كنت قراة في الإنجليزية تكاد تقارب قراة في العربية في السهولة ، وإن لم  
تقاربا حتى الآن في السرعة



لا أستطيع أن أذكر معرفة واسعة بالشعر والشعر ، في أي لغة ، بما هي ذلك  
اللغة العربية ، كما أني لا أحفظ منه إلا أقل لقليل بهرتي أحيان بعض عبارات  
سكبير ولكن يصعب على أن أعثر على مثال شعر أو روسي آخر ثار حماسي ، بل  
ولا أستطيع أن أرفع هذا حتى عن شكبير ، وقليل من حد من لشعراء العرب من  
جئت إلى إقراه هم متعة رائدة ، فيم عندما لمشي الذي أدين بحبي له للصدفة  
المحنة فهي آخر سنوات دراستي الثانوية كانت ورواء المعارف تسمح لستلامد

دحول مسابقة في الأدب العربي يتغير موضوعها سنوياً ، وتطلب من يشترك فيها قراءة مجموعة من الكتب في موضوع واحد . ويمتنع فيها عربياً ثم شعراً من بعض كبار أساندة لأدب في مصر . وكان الخاتمة فيما أذكر ثلاثين حينها . وكان موضوع المسابقة في ١٩٥١ المتى ، والشعر الأندلسي اس ريدون ، فكان علياً أن يقرأ شعر المتى ، ويحفظ بعضه ويذكر من حياته ، بما في ذلك كتابان كتبهما الشاعر عبي الحارم . و التحمت بالمسابقة وقرأت فيما قرأت عن المتى كتاب طه حسين عنه ، والكتب الصغيرة التي ربح التي كتبه محمود شاكر ، واستطعت أن أعرف قدر هذا الكتاب ، وعوقه على كتاب طه حسين ، وأنا في ذلك السن الصغيره ، ولم أكن أعرف وقتها أن الأستاذ شاكر كان هداهم طه حسين بالسطر على بعض أفكاره عن المتى . انهم أرى مسبق وقصها لمسى ولا أزال حتى الآن أنصه على غيره ، وألفت عنه مسرحية كماله بالافتراء مع زميل لي ، لا أعثر لها الآن على أثر . وحصلت على الخاتمة بدكت الأول في المسابقة ، رغم أني حصلت على درجة محفص سيما في امتحان اللغة العربية في السنة السرحيه ( لتدويه العامة ) ، وكانت درجتها تصاف ، في درجة مسابقة المتى . كما حصلت على جائزة أكبر منها ، في خمسون حينها ، لكوني أول الثانوية العامة في القسم الأدبي في القطر المصري ، وشتر سمي في الخردل وأدع في آخر شره الأخبار بالإداعه ، رغم أني كتب أحسن المرسوب بسبب خروحي عن موضوع المظروف في ستر الإشاء في امتحان اللغة لعربية

حدث أبهت عندما كتب طلالاً في المدرسة الثانوية ، في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري ، أن جاء يرب زميل لي إلى المدرسة وهو يحمل كتد صغير ، لا يريده حجمه على حجم انكت ، يتضمن شعر أبالإنجليزية للشاعر الهندي الشهير ظاعو . كان اسم الكتاب «الغني» (The Gardener) ، وقال لي إنه معجب جداً بهمه الأشعار وأعوا انكتب لي . وبالفعل وحدث الشعر رائد ، وبدأ أسم صاعو يصيح محبا إلى نفسي ، ترجمت له وأنا في الخامسة عشرة أو نحوها بعض أشعاره ، وشرت أيضاً في مجلة شعاعه ، ثم اقتصت مجموعة أشعاره في مجلد واحد لا أزال

اعتبره من الكتب المحسنة إلى " وبعد سنوات كثيرة فذهب له في التليم يون  
 الإغليزى هلمما مأجورا عن رايته " ليت والعدم " فراعى ، بس فقط جمالها  
 وحكمتها ، بل وما تلقىه من سوء وما تشبه من فكر ، وهي المسرحية المكتوبة منذ ما  
 يقرب من مائة عام ، عما يحدث الآن من تعصب وتعريف في بلادنا و حار حها ،  
 وفي الصراع الخالد بين الوافد والموروث كد لفيلم من إحراج ديك المحرج  
 الهندي الشهير أصا ، والذي أصبح بدوره من أحسن إلى ، سأتحت  
 راي (Satyajit Ray) ، فأصبحت ألتقف أى حبر يتعمق بها عور أو يستأحيب راي  
 شغف وأقرأ باهتمام أى حبر أو مقال يتعلل بهما لا عجب أن ألفت بلهجة على  
 قراءه مقال وجدته في صحيفة بريطانية كتبه المحرج راي عماسة ذكرى طاعور فيه  
 إشارة إلى الواقعة المؤثرة الآتية التي حدثت له وهو طفل في الثامنة من عمره . قال  
 راي : إنه نشأ في نفس اسلده من بلاد سجان بالهند ، التي عاش فيها طاعور ، وكانت  
 أم راي نرور طاغور أحد ما فكان يسألها عن هلمم اسها وبطوره العقلى وفي أحد  
 الأيام حاءته الأم مصطحبة اسها مستأحيب وطبت من طاعور ، أن يدعو لاسها  
 رياركه ، فقام طاعور وأحضر قلما وورقه وكب عليها مقطوعة شعريه قصيرة من  
 تأنيبه ، وطواها وأعطاها للأم قائلا : احتفظي بهذه الفصيذة لقصيرة لاسث حتى  
 يكثر إنه لن يمههم الأد ، ولكنه سيمهمها بكل تأكيد عندما يكثر . وكانت القطعة  
 التي كتبها طاعور

«تدأعت نروة طائلة في سمر إلى شواطئ بعيدة ، هرأت حبالا  
 شهمة ومحيطات لا يحدها حد وبكى لم أجد مناعا من الوقت  
 لأن أحطر بصع خطوات قللة خارج منزلى ، لأنظر إلى قطرة واحدة  
 من الندى ، على ورقة واحدة من أورق العشب»

"I have spent a fortune travelling to distant shores and  
 looked at lofty mountains and boundless oceans and yet I have  
 not found time to take a few steps from my house, to look at a  
 single dew drop on a single blade of grass"



وقعت يدي على معكزه صغيره سنة ١٩٥١ وحدثني دوت فيها، يوماً يوماً،  
 من أول السنة إلى آخرها ما فعلت خلال اليوم ما حصر شديد، بما في ذلك ذكر  
 أسماء الكتب التي كنت أقرأ فيها والأفلام والمسرحيات التي شاهدتها كانت هي  
 سنة امتحانات الثانوية العامة (التي كانت تسمى حينئذ بالثانوية)، وحدثت  
 خلالها أيضاً مسابقة الأدب العربي التي ذكرتها خلافاً والتي عقد امتحانها في فبراير  
 ١٩٥١، وكانت الأشهر الثلاثة الأخيرة من السنة هي أول شهوري في كلية  
 الحقوق. ومع ذلك وجدت أنني خلال اثني عشر شهراً (هي السنة السابعة عشرة  
 من عمري) قرأت عدداً لا بأس به بالمره من الكتب الخيلة، بالعربية والإنجليزية.  
 هذا الإنجازية قرأت عشرة كتب سارومان (ما بين روايات وقصص قصيرة  
 ومسرحيات) وحرراً كبيراً من كتب يصمم الأعمام الشعرية والمسرحيات الكاملة  
 لطاعور، وقصتي لوبرا الكونت الشهيرتين مساء صغيرات وروحات طسات،  
 ورواية عصر العقل خان بوب سارتر، ورواية لتولستوي أصلها رواية البحث،  
 وأربع روايات لشرجف، وثلاث روايات لدمستوفسكي من بينها الجريمة  
 والعقاب، وثلاث روايات لأندريه جيد من بينها نابات الضيق، ومجموعة من  
 القصص القصيرة لتشيخوف، ومسرحية الضائقة لمارا لبرارد شو وأخرى لايس  
 (أسطة البرقة)، ومجموعة من القصص القصيرة لمولاناب، وبعض قصص  
 أوسكار وايلد. قرأت كل هذه الكتب بالإنجليزية، كما قرأت بالعربية كسا عن  
 المنشي وابن رديب (استعداداً لمسابقة الأدب) وكتابات الفيلسوف مسورا،  
 وأربعة كتب سوفيق الحكيم، ورواية إبراهيم الكاكاب للممارس، وترجمة الألام فينتر  
 لحوته، وترجمة لرواية تاييس لأمانول فرانس، وترجمة بروية البيت والعالم  
 لطاعور، وحرراً من ترجمته بكتب أصل الأنواع للداروين، وترجمة لكتب  
 لديكارت لا أذكر، لأن كم هممت منه ومع ذلك فأنا وأنت من أنه كان من السهل  
 على أن أقرأ أكثر بكثير من هذا القدر من الكتب لولا إشغالي المستمر في تلك  
 السنة بما تقمصته ست الخيرة، دون أن يسعني هذا الإشغال للأسف عن أي نتيجة  
 ددت شأن

لأنه أنسى اتحدث هذا القرار في سن مبكرة جداً، وهو أن أحقق مرعاً من التصرف  
أو السبب عن طريق البكائه. ولأنه كان لهذا الغرض غلافه وثيقه بإمكانه إعاليه  
التي كانت تحمله البكائية والتأليف والشعر في أسرنا

كنت شهيرة أبي ومكانته العالية في المجتمع يعود ذلك إلى هذا وحده البكائية  
والتأليف نعم لم يكن أبي يتمتع شهرة بصاهي شهرة طه حسين أو العقاد أو موفيق  
الحكم، ولكنه كان في نظرنا نحن الصصة الصغرى، بصاهي شهرة هؤلاء ونريد  
عنها كعادتي لأبي معالاً بعد آخر في مجلة بعد أخرى، وبري صورته إلى جانب  
المقال، وسمع صوته وهو يلقي حديثاً في الإذاعة، وسمع حرس التليفون من مؤدا  
بالتكلم هذا الكاتب الكسرو أو ذلك، رمي لأعياد برى ساعى الرنة يحمل له عددا  
كثيراً من كروب المعايذة، كثير منها لأسماء معروفة ومشهورة، وعلى الطرف اسم  
أبي مفسراً معارة «الكاتب لكبير» أو حتى في بعض الأحيان «عميد الأدب  
العربي»، وكل هذا أتى من الكنانة والتأليف، فما أعظمها من مهنة، وما أجدرها  
بالاقتناء!

ولكن إلى جانب هذا لابد أن هناك عاملاً آخر، يتعلق بقدرتي أما الذاتية عني  
الكنانة. إذ لا جدوى من أن أظهر بعير ما اعتقده، وألا أعترف باعتقادي بأن لدي  
قدرة على التعبير الواضح والسلس عن نفسي بدرجة تفوق قدرة كثير من عيري  
لأنه أن كان لدي استعداد طبعي تتعامل مع الكلمات ولتعبير الأسلوب الخليل  
عن القبيح هذا الاستعداد اتضح مبكراً لمدرسي اللغة العربية في المدرسة الابتدائية  
فكانوا يعطون دائماً درجة عالية على ما أكتبه من موضوعات الإنشاء أو في مادة  
«السبب»، كما كانت تسمى في مدرستي المتوسطة، وكثيراً ما كان المدرس يكتب  
حاملة أو حليل من الشئ على ما أكتبه من نوع «لأنك أنت سبب» أدياً بملأه أو  
«أنتى لك بهذا وذلك». وكان هذا يسرى مروراً عظيم، إذ لم أدرك وقتها أن كثيراً  
من عبارات الشئ هذه كان المقصود بها أبى في المقام الأول، فقد كنت كثير من

مدرسى للغة العربية حريصين على أن يحصلوا على رضاه، وأن يعرفوه بأنفسهم، عسى أن يستطيعوا في يوم من الأيام تحقيق بعض النفع من وراء ذلك، ولكن يجب ألا أبايع في هذا أيضاً، فلا شك أن بعض هذا «شأن كان في محله»

لا شك أني نسيبت أو ظننت في عيسى بعض التعبير في القدرة على الكتابة في سن مبكرة للغاية، تعود إلى سنوات روضة الأطفال (وكانت تبدأ حينئذ من سن الخامسة وتنتهي في الثامنة)، إذ من بين أولى ذكرياتي عرّمتي على كتابة قصة بكي «عرصها على مدرسة قيمة من المدرسات كان اسمها «أمه طامة»، وامي كتبت هذه القصة «مع»، وذهبت في اليوم التالي متبهما أشد التلهف على إعطائها لها، ولكنها، لحية أنني لشديدة، تم تحصر إلي المدرسة في ذلك اليوم، بل ولم تظهر في المدرسة بعد ذلك قط، وبالنسبة لم تقرأ قصتي ولا قرأها غيرها

بعد هذا يستثنى أو ثلاث، وكنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، اشتريت مع أخوتي حسن وأحمد، في كتابه مجلد يتكون من تسع صفحات، ويحوى على ثلاث قصص قصيرة كانت قصتي، التي تقع في نحو ثلاث صفحات، تحمل هذا العنوان التريدي «ديا»، وكانت مأثورة بالفعل، إذ كان موضوعها حليماً رعت أمي حنينا، وتعرضت فيه لأحداث مأثورية ما يه، منها تعرضي للتعذيب القاسي من مختلف الأبرع، عني يد سيدة عليظه القلب شعبة المطر، دون أن يسير في الحلم أي سبب واضح لهذا التعذيب. وتنتهي القصة بأن أسأل عن اسم هذه السيدة واكتشف أن اسمها «ديا»، فأقول في نفسي «عم، كم أنت قاسية بديا» وبهذه الحملة تنتهي القصة، وأستبعد من دومي، واكتشف أن كل هذا لم يكن أكثر من حلم للقرئ أن يتصور الحالة النفسية التي يمكن أن تدفع طفلا في الثامنة من عمره إلى أن يكتب قصة كهذه، وأن يصنف «الديا» على هذا النحو وأنا أميل في تفسير تلك الحياة النفسية بوقعي كأصغر طفل في العائلة وتعرضي المستمر مصايقات أخوتي اللذين يكرهني مباشرة حسن وأحمد

كانت لفظة الوحدة من بين بعض الثلاث، التي تتنمى بأي قيمة أدبية على الإطلاق، هي قصة حزين، أو هكذا على الأقل ظننت أني أعتمد لسنوات كثيرة، كلف



قرأها من جديد كانت محفل عوان «كهولة مريحة»، وكانت، على عكس قصتي،  
حفلة الطل ومثوقة بل وذات معنى

كان هذا في سنة ١٩٤٣ أو ١٩٤٤، ولا نراي لدى حتى الآن نسخة من هذا  
«المحمد»، وهو مصنوع طبعة أليقة من مطبعة حنة الماييف واسر حنة والمشر، التي  
أسسها أبي ومحمودة من أصدقائه في سنة ١٩١٤. وطل رتبنا لها حتى بهيئة  
حياته كما أنه كان «محمد» بمعنى الكلمة، أي كانت له حمة حمراء أكثر سمكا  
من بقية صفحات كتاب، كتب عليها أسماء القصص والمؤرخين وتمح اسمي  
كتبت عبارة «تلميذ مائة الثانية في المدرسة الابتدائية» كما اعتبر موافقة أبي على  
طباعة مثل هذه القصص بمطبعته أمرا طبعيا ولا يطوى على أي نسب أو كرم من  
جانبه، بل كما اعتبر ذلك وجاهله والحقيقة أنه كان من أسهل الأمور عنه أن  
يهرب ويأمرنا بالكف عن هذا الكلام الغريب ولكنه لم يفعل وافق أبي أيضا بعد هذا  
سنوات قليلة، وكنت في نحو الحادية عشرة من عمري، على أن نطبع في مطبع  
لحمة التاليف محبة أسمتها أما وعدد من أصدقائي تحمل اسم «عصمو الل»،  
صدت منها ثلاثة وأربعة أعداد ثم احتججت عن الصدور عدم حققت بعض  
الأساسي من إصدارها وهو أن يرى أسماء مطبوعة، وموضوعه ألقاب مثل رئيس  
التحرير، أو حتى رئيس مجلس الإدارة، وهو منصب لم يكن من الممكن أن يحتله  
شخص عمري، ليس فقط لأن المحلة طبع في مطبع أبي، ولكن لأني أما لدى  
كنت أكتب معظم مقالات المحبة

الأغرب من هذا أن أبي، عندما دعيت أن أحيي حسين من الرابعة عشرة أو  
الخامسة عشرة، كان يسمح لنا نشر بعض ما يكتب في مجلة «الثقة»، تلك لمحلة  
الرفعة التي كان يرأس تحريرها طوال عمرها، باستثناء السنة أو سنتين الأخريين  
السابقتين على إعلانيها، والتي لعبت دورا مهما في الحياة الثقافية في مصر في  
الثلاثين والأربعينيات بالإضافة إلى هذه المقالات القليلة التي نشرت بمصل  
نسمح أبي وكرمه، كنت أشياء كثيرة أخرى مما لم يكن يتصور نشره في أي مكان  
كنت حتى دحولي طبعة دائم التاليف للكتب المخطوطة بخط أبي لم تكن كنت

صفحة، بل إن بعضها لم يكن يريد حمله على عشرين صفحة، يكون معظمها من صفحة الخلاف، وصفحة الإهداء، ثم صفحة المحتويات والمقدمة، بينها خمس أو عشر صفحات قبل أن تأتي المقدمة. كان المهم هو بالصع مراعاة التقوعد الصرامة التي تراعى في أى كتاب. فلابد للكتاب من إهداء وصفحة محتويات، وقد نأثى تحت عنوان الكتاب عشرة لبعة لكتاب مشهور، بل وريذكرت على صفحة الخلاف أن هذا هو الجزء الأول من عدة أجزاء سوف تصدر بآغا. وقد يتضمن الكتب قصص وأشعار، مجموعة من الأقوال المأثورة وبعض الخواطر العلمية، وقد يصم موضوعا للإشياء كتته لأحد المدرسين وعبر عن إعجابه به كما ذكر أنى في من السادسة عشرة عندما قرأت الترجمة بحرية لكتاب آلام فرير لحونه بأثرت به تأثيرا شديدا، جعلنى أقرر أن أكتب قصة مماثلة أصب فيها ما كنت أشعر به من حب لالة الحيران، فصعدت إلى مطبخ المنزل وجلست في الشمس ومعنى الورق والقدم وشرعت أكتب كتاب بأكمسه، دون أن يكون لى ذى فكره عن موضوع القصة أو كيف يبدأ وكيف يمكن أن ينتهى، ومن لم أكتب إلا مطرير من سبت المشروع بأكمله

كان من المحم أيضا أن أحرب الشعر كما حرته عبرى، قبل أن أكشف متبنا اكتشف كثير من عبرى، عدم وجود موهبه ناتا في هذا المجال وأطن أى كت في نحو السابعة من عبرى عندما بدأت أكتب قصيدة أعربها عن فرحى بعودة أمى من سفرها، فقلت في البيت الأول

أمى العبريرة قد أتت أمى العبريرة قد أتت

ثم توقفت لإبهام تمامه عند هذا الحد وعند ذكرت لأبى ما حدث تصادف أن كان حالى ابن فقرر تشجيعى بأن يؤلف بمعه بيتين إصفيين على أمى أن أصيب إبهام فيما بعد فقد

هيا بنا إلبها ملقى السلام عليها

مفلول يا أم أهلا ومرحبا وسهلا

ولكن هذه لماعة الحجة من حبه لم ثمر أى شىء جديد من حدى

كتب أصغر من أن يلحقنى أى أثر دى شأن من حرب العائنية الثانية فقد قسب  
حرب قس أن يبلغ الخامسة من عمرى وأسب وأنا فى العاشرة معم أذكر صمدان  
البريد و صفارات الأمد، وأنها كانت صفارات حقيقية وجدية نعت الأولى  
أخوف وعبيد الثانية العظمائية، وذلك بعكس صفارات الإنذار والأمدن التى  
سمعناها نصح مرات خلال حرب ٥٦ وحرب ١٩٦٧، إذ لم يكن حاجة هذه مأخذ  
الحذر، وكما على حتى فى الاعتماد بأنها كانت فى أغلب الأحيان، من بين وسائل  
الحكومة لإيهام الناس بأن هناك فتلا حقيقيا

أذكر أيضا جريا إلى المحما فى بدروم السون، وصبيحت الناس فى الشوارع  
مضرورة إطفاء الأنوار، ولكنى لم أسمع صوت قسلة قط أو مدافع، وإن كنت أذكر  
رؤية أصواء الكشافات فى السماء التى سبحت عن الطائرات لنعبره من ذكر بانى  
العنية عن سوات الحرب حرص أسمى على تحميم الحرالد والمجالات التى فرع أسمى  
من هزتها كان الورق فى تلك السوات شيئا نعتا نسب صعوبة الاستيراد، حتى  
إن نعت ما سبعة أسمى من هذه الحرالد كان يعطى نعت كل ما تشتريه من حصوات  
بالإصاحه إلى بعض المناكهه أذكر أيضا تهكم بصعب بما تشتره من رسوم فكاهيه  
بين كنت تسيهم «أعياء الحرب»، وهم من جمعوا ثروات طائنه من التجارة  
بأشياء أصبحت نادرة بسبب الحرب، أو بسبب نعتهم مع قوات الجيش الإبحيرى  
المنتشرة فى مصر على أن أعم آثار سوات الحرب على حياتنا العائنية كن أثرا طيب  
ولم يشق منه فى دهمى إلا ذكريات وصور سازه للعناية كان هه هو قصاؤد لبعض  
شهور لصف من كل عام، فمما بس ١٩٤٠ و ١٩٤٥، فى رأس السر، إذ ظلت  
الإبكلديه طوان هذه لسوات معرفة لأخطار كنت رأس السر بعيدة عنها ومن  
الصعب على أن نقل إلى انقارئ صورة ما كانت عليه رأس البر من جمال ورونق  
فى تلك الأيام، بالمقارنة بما آلت إليه فيما بعد لا بد أنها كانت تستقبل فى كل عام  
عائلات من عليا القوم، من رجال السراى إلى الباشوات من الإقطاعيين، إلى كبار

لميس والميسورين من الطبقة الوسطى في مصر. وكان أبى يعتبر تصييف شيا شبه مقدس، يعكس كثيرين غيره من لمتصيفين نفس طقته ووضع الاقتصادى، ومن ثم هذا شأنت وكبرت على فكره أن التصييف «من ضرورات الحياة»، وأعتبر البقاء طوال الصيف في الماهرة أمراً عربياً حتى الآن، يعكس كثير من أصدقائى وزملائى الذين لا يعرفونه شيئاً ضرورياً على الإطلاق.

لا بد أن كان برأس البحر سحر خاص للأطفال، فليوت ليست إلا عشتار مقدسة على أوصات من «حشب» والشوارع وملة غير مرصوفة فلا تسمح بمرور أى نوع من السيارات أو ادراجاجات، ومن ثم للأطفال أن يبحروا ويلعبوا حول بيوتهم دون أن يخشى عليهم من شيء. ويوم نقضى بين غوم في البحر في الصباح، وركوب القوارب لتسراعية في اميل في المساء، أو سمشيه على كوريش اميل الساحر، حيث يجتمع البائعون لكل ما يمكن أن يحطرب بال طفل من بين كل هذا شصفت في دمس اربع، أو حسن مسرر لا يمكن أن يحمرها برمس، وتعود إلى ذاكرتى بين الحين والآخر قوية واضحة، ليس فقط في شكلها الذى رأيتها به وناهى السادمه أو السابعة من عمرى، بل وتكدد أبعب تعود إلى رائحتها ومدفها

من بين هذه الصور التى لا أنساها صوري أبى وأخى حسين وحين جالسنا في إحدى المندق الماهرة التى أقمت على شاطئ نيل في رأس امبر، وقد أحضر إلنا الخادم ما طلبنا منه بحضرة وهو «شاي كرميه»، ويتكون من إبريق داحر للشاي، وإبريق دحر أصفر قليلا للماء الساخن، وبراء آخر صغير له معدن الفضة للسكر، وشبه اللبن. وبى جانب كل هذا يأبى لكل ما طفق صغير وسكين وشوكة ومنعقة لكن نأكل منها قطع لكث الانعسرى العاجر، المحلى بقطع الفاكهة الحففة، وقطع الوبس، بعد أن يعصيه بالبرند والمربى. كب كل هذا شمله هذا التعبير انحتصر «شاي كومليه» (أى الشاي الكامل) ويصعب على أن أفهم الآن بالضبط ما سحر هذا الشاي الكومليه في نظر طفليين صغيرين يشراوح عمرهما بين السادسة والتاسعة، ولكن مما يمكن أن يعنى صوء على هذا السحر الخاص ابواقعة الثالثة كب أبى فد أحسد يو ما إلى هذا المندق (وأظن أن اسمه كب فندق زوبال) كوع من

الصحفة لتعويضا عن حرمانها منه. تستمر منه وهو مستعرق طوال الوقت في القراءة والكتابة. وسمعناه يطلب لنا «شاي كومبليه»، بينما طلب لنفسه صحفا من القهوة يدون سكر، إذ كلا مجموعا من أكل أى نوع من الحلويات. فلما أتى الخادم بهد لشاي كومبليه لأبداء أدھلنا، نيس الأكل معه، بمقدار ما كان يأنى معه من أشاء سديعة سرق في الصوء، من يريق الشاي إلى أصغر ملعقة لأبدأن طعام الأكل في هذا الإطار العاجز من الصحافة والأبهة، كان له لذة مصاعفه، ناهيك عما لهذه الأشياء في قم طفل صغير من دة، في أى طرف من الطروف، نعرف بكثير ما يمكن أن يكون لها لدى الأكبر سنا رأينا إلى جوارنا شابين يعبان الطاوله، فاستقر عرمانا أنا وحسين. أن نذكر مصرروفا ليصعة أصابع حتى يستطيع أن يرحرح وحدا، أن وهو مقط، إلى فندق رومان، فطلب لشاي كومبليه ثم طلب طاولة لسحب به لمة «عادة نعشها لعه المحسوس»

عندما أنذكر هذا النعيم الذي كانت ترحح فيه الطقة الوسطى والطيفة العليا في مصر، في أشد أيام الحرب بعالية قسوة على الأوروبيين، أعوذ فأتعجب من درجة «الدليل» التي نعتب به الطقة المبورة في مصر، على مر العصور، بالمقارنة بدرجة المعادة التي تعرض لها كافة الصنف الاجتماعي في أوروبا بين فترة وأخرى، إما بسبب الحرب أو بسبب الأزمات الاقتصادية الطاحنة

نصف لي روجتى (وهي الإنجليزية وكانت تنتمى في مجتمعها إلى نفس الطقة الاجتماعية التي كنت أنتمى إليها في مصر، وقد ولدت في نفس السنة التي شنت فيها الحرب العالمية)، محتف أوجه لحرمان التي تعرضت لها هي وسريدي في سوات الحرب، وكيف كان الجميع، مسودين أو غير مسودين، معتروب من قبل أصبحت اشترك الجميع في امضحية حك لي مثلا كيف أن أحويها اللذين يكرانها في السن كانا يعطيانها وهي طفلة، ويعبرانها بأنها «طفلة حرب»، فاصدين بذلك أنھ، وقد وبدت مع شرب الحرب، لم نسمع عما كانا يمتنعان به قبل الحرب من الحلويات واشوكولاتب التي احتف تقريبا من الوجود طوال سوب الحرب وكيف أن أسريدي قبلت عن طيب خاطر أن يقيم معها، في منزلها، بواقع في مدينة

صغيرة في وسط إنجلترا ، وبعدها شهرين ، ست عشرة امرأة وطفلاً من كادوا يقيمون في لندن ، حيث ذهب الرجال للقتال وحرى تهجير النساء والأطفال إلى خارج العاصمة ووزعوا على المدن سميدة ثقيلين عدد ضخماً يقطنون وحكت لي أيضاً كيف كانت أمها مع عدد كبير من النساء عصوات معها كان يسمى «الحش الأرص» ، إذ كن يقمن برعاية بعض الأرامل في جانب أعمال أخرى ، بدلاً من الرجال من المزارعين الذين ذهبوا إلى جبهة القتال



لاندات فصلاً عظيمة الصنف في راسن البر في أربع أو خمس سنوات متتالية خلال الحرب ، فلما انتهت الحرب عدنا إلى قضاء الصيف بالإسكندرية ثم مررت بسواك كشمه دون أن أحظي برؤية رأس البر مرة أخرى ، إلى أن حظرت بحالي بعد مرور ١٢ سنة على انتهاء الحرب ، أي في ١٩٥٧ ، أن أذهب مع بعض لأصدقاء لقضاء بضعة أيام فيها بدعي الرعة في اسعاده أيام هذا الماضي الجميل ولكن كم كانت حبه أملئ كانت العيش قد حل محل معظمها بيوت قبيحة مبنية بالطوب والحديد والأسمنت ، وكان اكتفاء ضائع البحر وضائع الليل بالناس شديداً لدرجة كان لابد أن تحتوى معها أي مساحة من الجمال بحث عن الودع الجميل القديم الذي كان يزين ثمرات المؤدية إلى كثير من «المباني» (أو العيش) الحكومية ، كمس المحطة أو الشرطة أو المطافى ، فلم أحده أثراً ، مايفك عن الشئ الكوماليه في فندق رويال ، إذ حل محل هذا الفندق آخر يحمل سمياً أكثر شعبية ولا يعد شاباً من هذا النوع

كان من الواضح أن الطبقة التي كانت تستمتع وحدها برأس البر منذ اثني عشر عاماً قد طردت شر طردة إلى سكان آخر ، وحل محلها أعداد غفيرة من الناس ينتمون إلى طبقات شعبية أعادت لها ثورة يوليو بعض حقوقها المصاغة . عدد كبير انطلق إلى القاهرة ، أحمل في رأسى بعض الأفكار الاشتراكية التي نادت بها ثورة يوليو ، ولكن قلبي كان يحس بلا شك لأيام «الشئ الكوماليه»

كـ وبـحـن صـبـة صـبـر لا يـنـظر إـلى سـبـب إـلا عـلى أـيـها مـصـدـر رـئـع لـلـصـبـة  
الـخـالـصـه وـفـد كـات بـالـفـعـل كـذـلـك كـان سـجـور مـرـلـا غـصـر لـحـدـيـدة ، اـنـدى وـلدـت  
و تـرـبـت فـيـه حـتى بـغـت اـثـانـيـة عـشـرة مـن عـمـري ، سـيـمـا صـبـيـعة حـمـيـلة تـعـرض أـفـلامـا  
عـرـبـيـة و أـجـسـيـة و كـان الحـصـول عـلى إـد أـبـى لـى و لأـخـى حـسـن بـالـذـهاب إـلـيـها  
مـصـدـر : لـلـفـرح العـومـر ، نـظـل بـعـثـر عـنـه سـاـخـرى بـاره و بـالـصـرـح بـاره أـخـرى حـتى يـحـيـن  
مـوعـد اـلـقـيـم ، أو بـالـأـخـرى حـتى لا يـقـى عـلى مـو عـد بـغـايـة « قـيـم » إـلا سـاعـة و اـحـدـه أو  
سـاعـتـان مـهـدـب إـلى السـنـف و عـلـس مـتـطـرـيـن بـده اـلـقـم عـلى أـخـر مـن اـحـمـر كـانـت  
الأفـلام لـعـرـبـة كـلـها مـن بـوع المـلـود دـرا مـا الصـاـر حـة ، بـشـريـر فـيـها شـريـر جـدا و اـطـب  
فـيـها طـبـب لـلـعـبـة ، مـ اـنـمـلـم كـنـه صـراع مـمـصـوح غـما مـن الاثـنـيـن ، و بـتـهـيـب بـالـطـع  
بـانـصـار اـطـبـب عـلى اـشـرـر ، و لـكـن بـعد أن يـكـون بـيـن هـذا لـشـريـر و الاـنـصـار حـطـرة  
مـصـيـرة و حـدة ، أو طـمـه و اـحـدـة بـالـخـمـر ، ثـم يـدـخـل لـشـحـص اـطـبـب فـى أـخـر  
لـخـطـة لـم يـكـن شـئ مـن هـذا يـصـايـقـا بـنـا ، بـل كـان يـلـا ثـم عـقـلـيـسا و سـبا حـيـثـت عـام  
الـعـلامـة

هـكـذ كـان أفـلام بـدر لـامـا ، الفـد مـن الشـجـاع غـما ، و مـسـراج مـيـر ، اسـطـل لـمـوار  
فـى قـيـم عـتـر مـعـنـة ، و رـكـى رـسـم ، اـلـدى كـان و حـه يـلـا ثـم أـدـوار بـشـريـر ، و مـحمـود  
المـيـحـى اـلـدى كـان رـاعـا د ثـمـا فـى بـديـر المـؤا مـرات و المـكـائـد فـى الحـفـة لـلـأشـحـص  
الـطـيـن ، و عـد بـعـثـا حـالـمـى اـلـدى كـان بـلا ثـمـه دـور رـئـس العـصـاة إـلـح  
و هـكـذا كـان أفـلام بـوسـف و هـى بـرائـة ، مـع لـبـى مـراد اـلـعـاة الرـقـقـه الحـمـلـة ، سـواء  
مـشـت فـى قـيـم لـبـى يـث الأـقـبـاء أو لـبـى يـث لـمـمـراء ، و كـذـلـك عـدما مـثـلـت فـيـلـم  
« لـبـى » بـدـون أـى و صـف - لـح

و عـدما دـخـل أـحـمـد سـالـم مـيـد ن اـسـيـم و مـثـل أـدـوار سـطـل بـوقـار و هـدـوء عـيـر  
مـمـهـود يـن ، أـثـر فـيـه حـدـا فـيـلـمـه مـع بـيـى مـراد أـيـصـا ، اـنـدى عـقـد فـيـه « ذـكـر تـه بـسـب  
حـدـث سـيـارـه ، و اـنـقـضى اـلـقـيـم كـنـه فـى مـحـاولـة لإـر جـاعـه لـر و جـتـه اـسـكـيـنـة ، و تـغـثـل

كل الجهود التي بذلها لأشهر لإنشاء روحته عن محاولة العثور عليه ، وُ شروبيح احمد سالم بعمر ر روحته الحقيقية ، حتى تعود الذاكرة وتعود إلى روحته وستبقى القيمة نهاية سعيدة جداً كانت أفلام نجيب دريخاني محتشفة عن هذا ، وأظن أنا سم غفرها حق قدرها إلا في من أكبر قليلاً ، ولكنها كانت رائعة بدورها في حفة ظلها وبصورتها للشخصيات وللعوارق الصارحة بين الطبقات معرباً أيضاً من حلال السينما على موضوعات روايات عالمية كالمسرح لفيكتور هوغو ، وعدة الكوميديا لألكسندر ديب ، وغيرهما بما قدّم متجوا الأفلام عدداً ملاءمه للدورق المصري ، ولكن بعد أن أدّ علماً عليها كل ما حطر سألهم من تعديلات رأوا أنها تريد من إقبال الشعب المصري عليها ، وكان تقديرهم في محلّه

كان مم هذه السينما القريبة من مزنا دسان متعبوه عدم كنت في السادسة أو السابعة من عمري ، ثم تغير اسمها إلى هريال بعد أن ررق الملك هاروق دسته الأولى هريال وأن في الدمة أو التاسعة ، ثم تغير اسمها إلى سيمبا لتحريز بعد ذلك سواب ، عدم قامت ثورة يوليو وكانت تعرض في جاب الأفلام العربية ما كان يماسا من أفلام أمريكية . وقد أعزمت على الأحص بأفلام لوريل وهاردى ، اللذين كب سميتهما (الحين والرفيع) ، إذ كان من الصعب عليهما بطق اسميهما الحقيقيين ، وأفلام شيرلى نيل التي كب حينئذ طفلة صغيرة ، واسمعت حذاً وحاب أملى عندما رأيت صورتها بعد دث سوات كثيرة فودا بها امرأة عديده كفيه النساء ، وأفلام ميكي رومي الذي بدالي وهتها رائف أيف ، ثم حاب أملى حذا عدم شاهدته في أفلام أخرى بعد ذلك سو باد وحذته رجلا بالغ القصر وحاليا من أن حادثة كما أعزمت جميعاً بأفلام طرزان حيث سألنا ما يعرض به من أخطار من لحيوانات المفترس أخطاراً مخيفه حق ، كما بدت قدرته على الانتقال من مكان إلى مكان اخر بعيد سألنا منك سجد فروع لاشعور ، أقرب إلى عمال سجرة أو الحس

عند بلغنا من امراهقة أصبحت تستهوب أفلام من نوع خمر كالكسحت انباتت لإسبر وليمر ، وذهب مع الريح للكلارك جيبيل ، وجسر وامريو برونر تيدور وسقطنا جميعاً صرعاً واحدة أو أكثر من قدر بهن أن يكن حميلات



السبب وراء نوبت من المرفقة ، كما عرفت برحمن زهيدى لأمبار وفيبيان لي  
 ح ، ولم يكن لديها في الأفلام المصرية من يستطيع مفسه في يقاع في العرام .  
 فليلى مر د مثلاً ، وإن كنت جميلة ، لم تكن طعية الأنوثة مثل دشا هيوث ، كما  
 أنها وإن كنت تمثل أدوار الحب والعرام ، لم ترها قط وهي نقل حبيها وكوكا  
 ص حة و حة جميل قطعاً ، ولكم لم تكن تعرف شيئاً عن مدى رشاقها إذ كانت  
 اللاس البدوية التي ترنديها د تم جمع ذلك

كل هذا كان ر تبعاً ، واستمر حتى بلغت الخامسة عشرة أو نحوها . وهذا سمعنا  
 من يقول كلاماً عن سبباً مثلما سمعنا عن الموسيقى الكلاسيكية ، أى اعتبار روية  
 بعض الأفلام أمراً حيويلاً لا مجرد الاستماع و سلبية ، ولكن كشره لتحقيق سعة  
 المعرفة والثقافة . وهكذا أصبح الذهاب إلى بعض الأفلام «واجباً» ، مثلما أصبح  
 الاستماع إلى محووات تنهوى . وكانت قد بدأت ثانياً إلى مصر في ذلك الوقت  
 أفلام ، بطالية مشهورة تسمى لي ما سعى بالمدرسة الوطنية في السبب ، وكان أشهر  
 مخرجيه ، لهذا هو متورب يودى سبباً ، برامته في سبب أو دوت هي وسط فاهرة  
 عدداً من الأفلام الرائعة «كسارقى الذراحت» و «احد و حمر و ذلع» ، ثم احب  
 و حمر و غيرة . وكثيراً عبره ، استمتع به غاية لا تمتنع كما أمدنا بمحسوعات  
 لتحديث الحاد و لتفلسف ، فضلاً عن اتمتع برؤية جيباً لولا لا بريجيداً التي لم  
 تكشف صحتها في الممثل إلا بعد ذلك بسنوات كثيرة ، إذ صرف بطون عن ذلك  
 جمالها الأحاد ، خاصة عندما كتب مثل أدرا مة فيرة مهلهل الثياب كما أثرت  
 فيها بشدة أفلام مثل «الطريق» لفيليس ، رغم حبه التام من أى امرأة جميلة ، أو  
 «و كوكا و حوته» بيسكونى إلح ، مع بداهة محشورنا بالمشكلة الطقية في مصر  
 وبداهة بطة مع الأفكار ، لا شراكة

- ٥ -

كنت في نحو العاشرة من عمري عندما لاحظت أبى أبى كثيراً ما أردد بأعنية ما  
 وأنا رائج أو غاد في البيت ، أو أبى أحسن ملتصقا بالمدياع الكبير في صالة المنزل  
 عندما يداع أعنية جديدة لأم كلثوم أو عبد الوهاب فاجأني يوماً وهو يدخل المنزل

حاملًا «الكمجة» في صدوقه الكسر فبدأ بها لي، ونصحتني بثوبت دروس للكمجان مع المدرس الإيطالي الذي يعطى دروساً خصوصية في بته الغريب من بيت ذكر لي أنه، وقد لاحظتني شغفا بالموسيقى لم يلاحظه من أي من جوتي من قبل، استدعى شجعت يعمل في لجنة التأليف التي يرأسها، اسمه عباس أهدي، ووظيفته أن يقوم بأي عمل خارج المؤلف يظلمه منه أي عنصر من أعضاء اللجنة، بأهلك عن رئيسها، ومبرته أنه صاحب ويحد المداومة في البيع والشراء، وطبب به أن يعثر لي على كمجة مسعومة فحاء بهده بي لم تكلف أي أكثر من جيه واحد

كان لي يحسني الطبع أن تصيح موهبة فيه كاسية وراء كل هذه التدبئة وبعاء، ومن ثم رأي من الحكمة أن يعدر بهذا الحنة من أجل كتشوف ف ذا كانت هناك فعلا موهبة ذهنية وقد رثيت بالفعل لدروس مع المدرس الإيطالي دون حماس كبير، ونحمل أيي الطبع نقمتها عن طيب خاطر ولكن سرعان ما سئمنا وتوقفت عن الذهاب، بعد شهرين أو ثلاثة، ولم أجد المحاولة إلا مرة واحدة أخرى مع مدرس إيطالي آخر بعد أن بلغت العشرين، ولكن هذه المحاولة لم تسمر ودورها أكثر من أسبوع أو أسبوعين ومع ذلك فإن هذه الدروس القليلة لم تضع هباء. فقد تعمقت كيف أصبحت بالكمجان بيدي ودقي، وكيف أمسك بالقوس وكيف اصسط الأوتار، وبملاقة بين كل وبر وبقيّة الأوتار، وقد مكس ذلك من التجربة بعادة التجربة شهرا وسرايت حتى اصحت قادرا على عزف أي قطعة موسيقية أستطيع أن أعينها بصوتي، وكانت السيخة سارة دائمة بالمسة بي وون كاتب نادراً ما تكون سارة لأي شخص آخر

كان عرامي في ذلك الوقت، أي فيما بين من العاشرة والعشرين، مصاباً على أعاني أم كلثوم، بل وكذا أن يكون فاصراً على أعاني رايض الساطي الحليدة في ذلك الوقت، مثل: «علب أصفالح في روجي» و«سوا هيني» و«هبح بردة» و«حدثت حبك له» و«ي طاللي» إلخ كنت أحفظها كلها، كلاماً وحناً، عن طهر قلب، وكانت كلها تحلب لي مشوة دليقة كت إلا سمعت عن قرب ظهور أعينه حديدة لأم كثرم أنرفب سمعها بدموع الصبر، وأتخذ كل ما يلزم من

استعدادات ملاصقة إليها في حملاتها الشهيرة في الخمس الأول من كل شهر، لدى أصبح بهذا السب يوماً مهماً في حياة المصريين وكانت لأغنية الحديد لأمة كلثوم معناها في ذلك الوقت، أي في أحر الأرميات وطوال الخمسينات، أغنية من تلحين لسلطاني، وكان زكريا أحمد، ذلك الملحن الآخر بعد، في حصار شديد مع أم كلثوم، وكان محمد القصبجي ذلك الملحن العبقري بدوره، قد توقف بسبب أو أحر عن التلحين لها أدى هذا وذلك إلى حرمانها من الاستمتاع بهذه طويلة بأغنية زكريا أحمد والقصبجي كانت أم كلثوم تعني أحيداً، حتى أنه حصارها مع زكريا، أغنية في لمح لها قبل الحصار، ولكن في الرصلة الأخيرة من حملاتها الشهيرة وكانت هذه الرصلة تبدأ عادة بعد ساعة اثنية صباحاً، وكان يستحيل على أن أقاوم لوم حتى ذلك الوقت، مهما حاولت ولكن ربي كانت سى بداب، على أى حال أصغر من أن تسمح لي بتسم زكريا والقصبجي لتقسم الصحيح، فكانت تؤثر في نفسي أكثر من اللازم «القفلات» (الهدايا) لندمية للسلطاني، بكن مقطع من الأغنية، وكنت أقل قدره على تقدير التذوق السديع في التحن زكريا أحمد، والقدرة المسمرة على الابتكار عند القصبجي فمررت مرتين فهدمت بمردي إلى حملة أم كلثوم شهيرة، مرة في مسرح الأركية ومرة في ميسما راديو موسط الللا، ولم تكن تجربتين ناجحتين تماماً لا أذكر من الحقلة الأولى إلا جلاسيا بصيرا واقفاً وحده في مقصورة ملاصقة خشه لمسرح انى نقف عليها أم كلثوم، لم يحسن قط طوال الحقلة، وظن سح عليها في نهاية كل مقطع بان تمديد مرة أخرى مدياً بإها د نمار فياست» وأذكر من الحقلة الثانية اصططاري المجلوم في أغنية الصالة الواسعة جداً، صالة ميسما رديو، بسبب ارتفاع أصعد التذاكر الأخرى، فإذا بي أحد نفسي بعداً جداً عن أم كلثوم ويحيط بي مجموعته من أولاد البلد من أصحاب المرح، ربما فيما يتعلق بالخشيش أكثر مما يتعلق بأم كلثوم، ومن ثم لم يكن يهمهم كثير مسار بلحن أو الأغنية، وكثيراً ما كانوا يذأون بانتهاف طالبين إعادة المقطع قبل انتهائه تماماً، فصلاً عن بانعى اشأى والقهوه الساخن يستمرأو بين الصغوف بدون على مصاعتهم ويوزعون الطندات أثناء

لعماء كانت لتنتجة نبي بمجرد انتهائه الوصلة الأولى أسرع بالخروج، ولا أزال  
أذكر كيف حيرت فأهضى سرعه في ميدان التحرير لكنني أركب الأنوييس ابدي يعود  
بي إلى البيت، حتى أصل من بداية اوصلة الثانية فأرأصل الاستماع في هدوء.

كانت هذه هي معطرة التي بدعت فيها أم كلثوم قمة شهرتها وتألقها، وأصبحت  
امصادر المسجل دائم لسرورها بما علق بذمى من هذه الفترة، وربما كان ذلك في  
واحد الأربعينات، أن مممعا عن مرض أم كلثوم مرضاً خطيراً يهدد بمتاعب إلى  
الأبد عن بعاء. وأصيب لشعب امصرى كله بالقلق الباع وهو يباع أحبار حلقها  
إلى أوروبا لاستشارة الأطباء، ثم جاء الخبر بمعرج بأن الأطباء يصعبون بأن أفصل  
شيء يمكن أن تعله هو أن تستمر في بعاء، كما كانت تفعل بالسط وأقيم بها  
عند عودتها احتفاد كبير حظ به الأبناء واشعراء، ولم تحتفظ ذاكرتي من هذا  
الاحتفال إلا برجل المطريف الذي ألقاه، الرجل الموهوب ببيع حيرى والذي يبدأ  
بقوله «بين هؤلاء كلثوم ده يا بختة. اللي أنت اسمها نقي أمه. واللي أنت مملا ولا أمه.  
ولا تشد حبه ولا عمه». و تنهى إلى أن كلثوم هذا لابد أن يكون كرواناً محتشدا في  
حجرتها. كان هناك بالطبع محمد عبد الوهاب أيضاً، ولكن عبد الوهاب لم  
يستول على قلبي قط. كانت أعانيه لئني لحفي في هذه الفترة، أي في أعقاب الحرب  
العانية الثانية، قد اتحدت معي حديدا يقوم عسى لإمعان في الانقباس من مصنف  
الألحان العربية. ورغم أن التشبيح كانت دائما جدانة وسقى عنيقة بالذهب، إلا أنها  
لم يكن تحرك القلب (أو عسى، لأقل لم تحرك قلبي أنا)



ثم حدث في أوائل الأربعينات أن حظي لأبي، في عظة بادرة، أن يسير لحياة  
الحديثة فجاء إلى البيت بجهاز صمغ. أقرب في حجمه إلى دولاب املاس، وقال  
لنا إنه جهاز راديو حديد يمكن الاستماع من حالته إلى أكثر من محطة بوضوح،  
فصلا عن احتوائه على دويو عراف، أي حمام أسطوانات، يعمل أومامانكا، فلا  
يحتاج إلى شحمة بدد بالقوة اللازمه لكنني بدور الأسطوانة. قال إن عبد اسطافه  
معداة ويظف لأنه كبعه متن حسنها امتنع هذا الجهاز برائع في وسط انصاة له

من مطر جاذب بحشه ناعم اللامع ، وبكتا نحن المراهقين من أفراد الأسرة سم  
نكن من الممكن أن نطبع لنا لاستماع إلى ما نريد الاستماع إليه مع وجود أبي أو  
أمي أو جوتنا الكئيب إلى حوارنا كنا أحياناً نحاول نل الجهار إلى الحجرة التي  
ستقبل فيها أصداقنا ، فكنا نود بحمله من طرف ثقله ، فصلاً عن الخوف من  
إعصاب أبي إذ كان يرى في ذلك دلالة أكثر من اللامع ، ولا يتفق مع الحرص  
الواجب في استعمال جهاز بهذا الثمن ، ولكن ما هذا الذي كنا نريد الاستماع إليه  
عسى أن نحل ؟

كانت قد وصلت إلي في أعقاب الحرب العالمية الثانية موسيقى راقصة ، جديدة  
ثمأت على أسماعنا ، ولكن بالغة الحاذية لشباب مراهق مثلاً ، وبحسن أسماء مثل  
التنجر والسما والروم هذا هو ما كان أصدقنا يرددون الاستماع إليه ، ونحن  
أيضاً ، كنا كنا صبياناً بالطبع ، ولكن الخيال كان يعوض عن غياب البسات بدأنا  
سمع أيضاً عن شيء آخر قيل إنه مهم ، بل وعصر أساسي في تثقيب الرء لنعمه ،  
وهو ما يسمى بالموسيقى الكلاسيكية . كان وصول كلا النوعين من الموسيقى إلينا  
جرءاً من حركة التعريب الحديدة التي طلت في حدود صيغة للعناية في العشرينات  
والثلاثينات ، ثم تسارعت بشدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية مع وصول  
لمنتجات الأمريكية الأفلام ونصحف والملابس والسيارات والأكولات  
والمشروبات من بلدانهم أمريكا ، وكذلك أجهزة الراديو والغو بوعرارات  
والأسطوانات الحديثة

في تلك الفترة قرأنا أيضاً نشء كتاب توفيق الحكيم «رهرة نمر» الذي يصف  
التصنيف طريقه حياته في فرنسا قبل الحرب ، وفيه وصفه العالم الحساس لحفلات  
الموسيقى التي كان يحرض على الذهاب إليها ، ومشاعره عندما كان يجلس في  
أعلى المسرح (قلعة مدمر من نهود) ليستمع إلى سيمفونية ينتهي في لحافه كان  
الحكم نصف هذا باعتباره شرطاً ضرورياً لأن تصبح المرء مثقفاً ، وحيث إن كنا  
مهمومين بهذا الأمر في تلك السن ، فقد اعتبرنا الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية  
مسألة حياة أو موت ، وتسحق حتى المعامرة بمعصائب أبي لقلنا الجهار الحديد من  
مكان إلى مكان

هكذا أحرروا مقدما لا بأس به في التعرف على موسيقى شتهور و شايكو فسكى و شوبان و رجمانوف و رمسكى كورساكوف . إلخ ، وكان بربا أن يعرف أن سيمفونية بيتهوفن الثالثة كانت أصلا مهداة ل نابليون ثم غير بيتهوفن إهداءه عصفاً من هجوم نابليون على أدينا و كتفى سمية السيمفونية «الطولة» ، وطلب أن من المهم أن يعرف تشبيه افتتاحية سيمفونيته الخامسة «سقات القدر على الأبواب» ، وكان هذا يشكل جزءاً مهماً ، أو أى جزء على الإطلاق ، من المعرفة بالمحاضرة

إلخ

لقد ذكرت هذه الأسماء نالذت لأنه قيل لنا حتى أن موسيقى هؤلاء الموسيقيين مألذات أسهل في فهمها وتذوقها من موسيقى غيرهم كفاخر مثلاً أو برمر ، فحرص على الحصول على أسطوانات هؤلاء واستمتع بها . وأذكر أنه في شارع قصر النيل بوسط القاهرة ، كان يقوم بجوار مقهى جروبى متحف لمن الحديث قبل أن ينقل إلى المحجورة ، وكان يحتوى على قسم للموسيقى يتاح فيه للزائر استعارة الأسطوانات بل وأن يستمع إلى بعض المؤلفات الكلاسيكية العرسة قبل أن يفرد استعارة بعضها . كانت مصر ، كما ترى ، مكرمة كلهم للخدمة شرحة صغيرة جدا من السكان هم الذين كانوا يسمعون بكل حيراتها : جامعاتها ومدارسها وبناديقها ومصاهيرها ، وكذلك متاحفها التى كانت تستطيع حينئذ ، بالنظر إلى قلة عدد زوارها من أبناء الطبقتين العليا والوسطى ، من دوى الدحل المربع والسلوك المهدب ، أن تقدم لهم هذه الخدمة المستارة الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية واستعارة أسطواناتها

أنح لنا إذن قدوم هذه الأجهزة و لأحترحات الجديدة فرصة التعرف على موسيقى العرب الكلاسيكية والراقصة . ولكن حيث إن الطبقة التى كانت لديها القدرة الشرائية اللازمة لنحصل على أجهزة الحراميون والأسطوانات الحديثة ، كانت قد فقدت الكثير من ثقافتها بالموسيقى العربية القديمة و لعاء القديم وتقديرها لها ، ثم شبع إنتاج أسطواناتها فطلت الموسيقى العربية القديمة والعاء العربى القديم محبوبين في حيز ضيق للعاب من سماع لإداعة لى قد لا ندأى إداعتها إلا بعد

أن سام الجمع . ومن ثم ظلت الأعالى العرصة القديمة (أو ما يمكن أن يسمى أيضاً بانكلاسيكية) لا تغطي سوى اهتمام بدر من حلى من المصريين بل وطلت معرفتنا بها صيغة اللعانة . كان الراديو يسع أحياناً أغانى لمحمد عثمان أو داود حسنى بصوت مغربين أكثر حدة منه كصالح عبد الحى أو عزيز عثمان ، ولكننا كنا ومثنا على بللى لاسمحانة بهذه الأغانى ، بل كانت نعتق فى بعض المثل (المقترن أحياناً بسحرية) ، إذ طأ أن من استحيل مقارنتها بأغنى بيتهوفن وتشايكوفسكى . وأما عانى أم كلثوم وعد الوهاب القديمة ، والتي تعود إلى العقود الثلاثة الأولى من القرن ، فك سر من راسنها وبطنها وقلة عثمادها على الإنفاع ، فما أسرع ما كا معن المدبوح إذا بذات إداعتها . كان الأمر يحتاج إلى مرور سوت طويلة قبل أن نكتشف أن من الممكن جداً مقارنه بين موسيقى حميلة لمحمد عثمان أو دكر بأحمد وموسيقى حميلة أيضاً لبتهوفن أو بىخ ، وأن حصل على بعض المقتر من المنعة الخالصة من الأصمغ إلى كلا النوعين من الموسيقى

## -٦-

كنت فى الثالثة عشرة من عمري وكانت هى أصغر من بنة . كانت الت الكرى لأشهر مهدهم معمارى فى مصر ، وكانت أسرتها وثيقة الصلة بأسره صديق لى كنت أقضى معه معظم أيام العطلة الصيفية ، حيث كانت العائلات الثلاث تقضى شهرس أو أكثر من شهور الصيف فى الإسكندرية ، ومن ثم كان لابد أن أراه كل صيف حيث كانت هى وأحواى لاكدور ميسرون عن صدى وأخيه . كانت هاء حميلة رفيقه ، ناصحة الحسم دلسه لسنها ، وداب أنوته طاعة ، أوهكد كنت أنصور فى تنك الأيدم ، فى يدايه من المراهقة . حقق بها قسى باحب فى هذه لسن لمكره دون أن ألاحظ أى صدى لهد الشعور بديها ، على الرغم من أنها كانت تعلم به . وبلا حظ آثاره المتكرره على مسوكى . كانت حاله الل تمام ، تلاحظ إصحاب كسا بها ، وربما سره ما كا تراه من دلائل هيمنى الشفس واضطربى المتحرر لدى ظهورها ، دون أن يظهر لهد أى أثر فى سلوكها . لم

يكن هناك شيء غريب في هذا كله ، لا في هامي بها ولا في خلوتها بها ، وإنما  
 للمدح حق كاستمرار شعوري بحوها سنة بعد أخرى حتى هويت انخرج من  
 الجامعة ، ان الصمحات اسي دوسها في ثلث السنوات فيما كتب اسميه «مذكرتي»  
 يمكن أن غلا كتاب كاملا ، ولكني اثبت في أن فيها جملة واحدة تستحق البشر ، بما  
 في ذلك قصت تدل الشعر التي ألفتها في وصف هذا الشعور ، والخطبات الحسنة التي  
 كت ألفتها به دور أن أرسلها . وامتد هذا الشعور القوي من حاس إلى عائلته  
 كلها ، فكث اضطرب أيضا عذرية أبيها أو أمها ، واعتبرهما سميدى اخذ ل مجرد  
 أبيهما بسهم ، يستفيد لهما بل واحتصاها من شاء . وكذبت كت اعتبر أحويها  
 الصعيرين شخصين مهتمين للعباة ، وسعدى الخط أيضا ، إذ كت ما كت ، أرها  
 نجيب جسمها لدى خروجهما من البحر أو تنثر ثيها في الشمس

من بلفة نقوب إن علاقتي به ودرجة اقتر بي منها لم تنجور ، مصافحتها باليد ،  
 ولكن هذه المصافحة كانت كنية لإثارة مشاعر لا أظن أن من الممكن أن تعترى  
 الإنسان في أي من أحوال ، كما لا يمكن أن يتكرر ذلك النوع من الفرح . حدث اب  
 صدمت عنها عبارة محاملة صميرة ، ولا ذلك النوع من العذاب إذا صدر منها ما  
 يوحى بالجهاد أو الإهمال .

أخذت هذه المشاعر تصنف شيئا فشيئا ، بطبيعة الحال ، حتى يجور القول بأنني  
 شغيت غدا من الحب في سن التاسعة عشرة أو العشرين ، أي أن هذا الحب الأول قد  
 سمر معنى نحو سنة أو صفة أعوام بل بي حتى بعد شعوري منه بسنين أو ثلاث ،  
 صدر مني ما يدل على أن مثل هذا الحب الأول لا يتقصى بسهولة . فبعد فكر أحي  
 حافظ في الرواج ، وكان بحث عن منه ماسة لتقدم خطتها بطريقة انقلدية ،  
 حتى وإن لم يكن له بها أي معرفه سابقة ، فخرات ودرشت له حبيتي القديمة ،  
 وأحدثت أنني عليها هي وأسرتها حتى اتسع حافظ واتصل بوابها يطلب موعد ،  
 لمفائه لم يوف حافظ في مسعد ، إذ بعد أن قام ابو ل المودود بدعوته لتناول  
 انشأى معه ومع انتته ، على أنس أن الرأى هو بالطبع رأيه ، اعتذر له بعد بضعة  
 أيام بأن عذر لا يخرج شعوره ، وانتهى الأمر عند هذا الحد



طلبت أجدادها تأتبي على فترات متباعدة عن طريق صديقي الذي عرفتها عن طريقه، فسمعت، عن رواجها من شاب وسيم شديد الحداثة، ثم طلاقها، ثم عن رواجها من جديد. ولكن كانت تمر أحيان بساعات طويلة دون أن أسمع عنها شيئاً، ودون أن يمر بحاطري، إلى أن جاء يوم كنت أدرس فيه في الجامعة الأمريكية وجاءت طالبة حاملة من تمديدات بعد انتهاء المحاضرة، وانتظرت حتى انصرف بعض الطلبة وقالت لي محجج إن والديها طلبت منها أن ألقى ملامحها وأسألها عما يكون والديها إذا بها محروسة القديمة كد سروري عطية وأحدثت ليحت في وجه لطيفة الحميمة عن وجه حبيبتى الحاصل، فوجدت نفس العجيب أنراعتين كانت هي انتبه من رواجها لأول، فلا شك أنها جمعت إلى جانب جمال أمها وسامة وإلدها سألتها عن الأم ماذا بها تحب أني أعمل في نفس الجامعة التي أدرس بها

دهت بالطلع لرويتها مدفوعاً بحب الاستطلاع أكثر من أي دافع آخر، إذ كنت أريد أن أرى ماذا فعل بر من بها، وعما يمكن أن يكون قد فعل شعوري نحوها كان قد مضى على آخر مرة رأسها فيها ما يقرب من ثلاثين عاماً، ومع ذلك هي نفس الجمال ونفس الأنوثة، أو هكذا حيل إلى، وهما هي نفس سرة بصوت التي كانت يوماً ما بقلب كيانى راس على عقب لم يكن يعيها لأن ولا شيء واحد، ولكنه مهم. فهي الآن مرأة من دم ولحم وبست. مر للأنوثة بأمرها كما كانت في بطون مدحوا أربعين عاماً فاستنى لطف بالطلع، وعبرت عن سرورها بأن أكون أستاذة لانتها، ولكن أدعش أن يتضمن كلامها بعض العبارات تنقيديه وإدبها وهي تعبر عن سرورها أو شكرها، وكأنني كنت أتوقع أن تستخدم في حدث لغة مختلفة عن لغة بقية الناس عبرت بها عن عسى فأن ادعوا هي ورواجها بريارتها هي مرسى شعري على وحتى وأتعرّف على رواجها، فحسب بذلك وتمت بريارة. كما فم يدورهم دعوتى أما وروحي وأولادى لقصاء يوم في مزرعة صغيرة يملكها بالهرم، فذهب سرور لمجرد أن أراه وأسمع صوته من جديد، ولكن سرعان ما اكتشفت أن هناك بعد من الأثبات المشتركة التي يجمعها ويهيئ الحديث فيها

(٨)

## الجامعة

عندما أتذكر السواب الأربع (٥١ - ١٩٥٥) التي قصتها طلبة كتيبة  
الحقوق، بجامعة القاهرة، يتولى على العجب من درجة الحرمان الذي تعرض له  
وحس الظلمة المصريين من أي حياة جامعية على الإطلاق. ولدهش أكثر من هذا أنه  
لم يكن بدور محطما حيث أنه يتعرض لأي حرمان مائة، بدلم يكن بدرى شيئاً  
عما كان يجب أن يكون

نعم، كانت كلية الحقوق ملى صحنها حميلاً، لا يزال طرادها المعماري يلقى  
نظري بحمالة كلما مررت به حتى اليوم. ولكن كان هذا هو كل شيء. فليس  
يتكون من مدرجين بالمى الصحاح، يشع كل مهمل لمحو ألف طالب، وهناك به  
متسع بينهم، يحيط به هو الدور الأرضى والعلوى مجموعة من حجرات الأساتذة  
وبعض الحجرات بالإدريين، وحجرة العميد، وهذا هو كل ما يراه أو يعرفه فى هذا  
المس كان كل المطلوب من نطلبة أن يدخلوا المدرج ويستمعوا إلى محاضره بعد  
أخرى يبقها أستاذ بعد آخر من خلال منكر وعود، ثم ينصرفوا إلى منازلهم حتى  
يحين موعد الامتحان لا أذكر أبى جلست فى هذه النكة على مقعد وثير، بل على  
أبى مقعد على الإطلاق، ضد امقاعد الخشبية فى المدرج، ولا سى صوت مشروب  
فيها أو طعاما، فليس هناك مكان نطعم يمكن أن نحس به لتلاميذ قبل المحاضرة  
أو بعدها. وليس هناك حجرة يمكن أن تجتمع فيها أعضاء جمعية ثقافية أو موسيقية  
أو سياسية، إذ لم تكن هناك أى جمعية على الإطلاق. بل لا أذكر أبى حتى دخلت  
حجرة من حجرات الأساتذة باستثناء مرة واحدة أو مرتين. وأنا طالب فى  
الدراسات العليا، كانت جلدهم لتأدية امتحان شعري، والأخرى لأطلب خطابا

لموصية بتقديمه لجامعة إعلانية قبل سفرى من العثة لهذا كانت رؤيتنا لوحة أحد  
الأساتذة عن قرب وهو سائر فى بهو الكلية، أمضى برؤيتنا لوحة شخص مثل رئيس  
الجامعة، أو ممثل ميماني أو مسر حتى مشهور، عن لا مراهم عادة إلا فى  
الصورة، دلم يكن يرى الأستاذ إلا من مسافة صرية، نحن فى أعلى المدرج، وهو  
جالس فى المنصة يحفظ فى الميكروفون فلا نرى ملامح وجهه بوضوح، بل ولا  
يسوسا شخصا حقيقى من لحم ودم

ولكن الأقطع من ذلك، كانت علاقتنا بالطالقات، أو بعارة أدق، عديم وجود  
أى علاقة بادرة بين وبين طالقات كما يحولنا دائرة تلصيد، فى اسنة الدراسة  
الواحدة، بينهم لا يريد على عشر طاسات ثم يكن يدر عيهم أنهم أقل مؤسسا  
منا، ولكنهم كن على الأقل يتمتعن بميزة الدراسة، أما نحن فما أكثرنا وسأ أقل  
قيمتنا لا عجب أن الطالقات كن يسرون دائما فى مجموعات، فيدر أب نحمد و حدة  
نحشى بغيردها، ولا حتى اثنتين كن يسرون فى العدة فى مجموعات من أربع أو  
خمس، وقد الصقبت كل مهن بالأحرى خوفا من أن يصيبهم ما مكروه، كان  
لهمهم النهاما، وهو لا يدر أن كان وضعنا من نوع نظرنا بهم

ومن يدر حل خائعات إى مدرج قبل دخول الأساتذة محظطات، وكأنهم يعتمدون  
على حميت، فيجلس فى الصف الأول أو الصفين الأولين، ثم يحتمن عمامة بمحرد  
انتهاء المحاضرات لم يكن فيهم، على أى حال، حمال وضع يأسر يقب بمحرد  
رؤيته، إذ لأرجح أن من كانت حميلة حفا فى تلك لس، يحجره أنواها فى  
البيت ويتمتعها من الخروح، فى الجامعة حتى يائنها العريس المناسب كدت هناك  
بعض الاستثناءات، ولكن معظم هذه الاستثناءات، بسبب لم يكن واصحا، كن  
يتحقق بكلية لأداب من كانت مقررات كلية الآداب تعتبر مثلا أكثر رفة ومن ثم  
أسبب لسات؟ من كان الآداب الإعلانية أو الآداب العرنسى مثلا يعتبر مقررا أحصل  
من القانون الهندسى أو الحاشى، ومن ثم أكثر ملاءمة للإثبات؟ هذا عن قسم الفلسفة  
أو الإثبات؟ كان هذا هو الموضع على أى حال كدت الصاليات أسعد مالا مباحنى  
بالمقايير بالأساتذة، وقد انعكس ذلك بالضح فيما كان يحجم على كلية الحقوق من  
الوحدون وتمثل الظن

عندما ذهب إلى كلية لندن للاقتصاد بعد تخرجه بسنتين تبنى إلى بوضوح ما كان فيه من يؤمن في جامعة القاهرة. لم يكن مبنى الكلية هو لندن (التي كانت تسمى مدرسة) به أي جمال أو شيء بهجة إذا نظرت إليه من الخارج، فهو مبنى حديث من ستة أدوار في شارع صيق، تحيط به من شاهدة تحجب عنه ضوء الشمس (التي كانت مدمراً ما نطعم على أي حال). ولكنك متى دخلت المبنى وجدته يهبط بالحياة ونرجس والسطر الفهيفهت تصدر عالية من أجواء الأولاد، والانتبسات الرائعة ترتسم على وجوه الطالعات الحميلات والأساتذة رجون عاديون، قد تصادفهم في المطعم أو في الكافيتيريا، ومن الممكن أن تمتح مع أحدهم موضوعاً لمناقشة إذا صادفته تناول القهوة بين المحاضرات، أو حتى وهو يدار على السلم في أعلى المبنى، في الدور السادس، صالة واقعة لا يكثر سبيلها، كانت من الاتساع بحيث يمكن أن تستوعب مئات المقاعد، ولكنها فرشت على بحر يجعلها لا تستوعب إلا خمسين ثلاثين أو أربعين، فأنتها يتكون من مقاعد مضممة وثيرة أو أرائك مريحة، وقد اضطمت على طول حوائطها لثلاثة مئة رفوف تلو الرفوف من الكتب، كانت الكتب مختارة بعناية ومن لوح الذي يلائم حرمه الحجره الرائعة كتب في الموسيقى أو الأدب أو التاريخ أو الفلسفه مما قد يطلبه الفائق المثقف في غير تخصصه في كل صباح تأتي الفئه لمشرفه على الحجره لوضع أزهار جديدة في الزهريرات المنتشرة في أركان الحجره، وفي الأيام لاردة تصيف كمية من المعجم إلى المدفأة الصخمة التي تبدو صورة ريبه كبيرة ظهر فيها سيدى وياتر من ويب، الاشتراكياك نشهزيان للذاد كانا من مؤسسى الكلية في أواخر القرن التاسع عشر وكانت الحجره نفسها تحمل اسم شخص كسر آخر من مؤسسيها هو جورج برناردشو

كان في مدرسة لندن للاقتصاد مدرج واحد يتسع لبحر ثلاثمائة تلميذ، ولا بدخله إلا للاستماع إلى أستاذ كبير من جامعة أخرى، أو إلى محاضرة عامة لسياسي شهير، عدا المحاضرات التي تلقى في بعض مقررات الأسبوعية في مساق الاقتصاد وهي كل يوم يوضع في مدخل المدرسة جدول محاضرات به بيان بكل

مستبقى خلال اليوم من محاضرات دون تغيير بين مقررات السنة الأولى ومقررات السنة الثانية. بلح فادهم هو موضوع انحصاره وشخصية مفقده، ولت الحق في الاختيار من بينها كما تشاء. وعلى الخوطة في كل دور من الأدوار الستة لوحات إختيارية لا نهاية لها تحرك عما تقوم به المجموعات المختلفة من نشاط، جميعه للمحافظين وأخرى للعمال، وثالثة للاشرافيين، وأحدة للمجموعة المسيحية وأخرى للسودية، وأحدة للمجموعة التي كونهما الطلبة، الأتوان من أمريكا اللاتينية تحرك محاصرة عن الحالة الاقتصادية في اسرائيل، وأخرى للمجموعة المسرحة تحرك بأن محرراً مسرحياً شهيراً سيأتى إلى المدرسة ليتكلم عن تشيكوف. بلح

كانت كلية الحقوق بجامعة القاهرة بيئة من كل هذا، وبكالم نكن ندرى شيئاً عما كان يقصداً. لم يكن أحد قد أحرباً عما يمكن أن تكون عليه الجامعة، ومن ثم طبا أن الجامعة على دخول أحد هذين المدرجين الكسرين ثم الخروج منه لا يحب أن لسرنا الأربع هدمت دون أن تترك من شيء ثم يسمي الذكر باستثناء ما تركه في عسى عدد حد قليل من الأساتذة كان هناك بلا شك من أساتذة الحقوق ثلاثة أو أربعة ممن تركوا في موسسات أجنبية، ولكن العدد الأكبر منهم كانوا من نوع مسجهم تماماً مع هذا المناخ الكثيف الذي وضعته. كان معظمهم يدخل المدرج ليلقى محاضرة باللعة العربية الفصحى، دون حماس وحتى إحساس بما يقول، وبصوت سمع في انفس الملل والرعة في اليوم، ولا يترك إلا حصة هامة، ولكن معظمهم كان أسوأ من هذا بكثير.

كان من هؤلاء من لا يكاد يدري حتى ما يريد أن يقوله، ويظهر بين لحظة وأخرى إلى بعض تصفحات التي انتزعها من كتابه المطبوع والمقرر علناً، فقرأ علناً حبه بعد أخرى، مع أبا اشترى الكتاب بالفعل، وبسعر باهظ، وبمك بدت الاستعداد عن محاضرات هؤلاء الأساتذة اسماء تاماً. كان يحبو لبعض اطله أن يحضروا إلى المحاضرة ومعهم الكتاب فينامعون لأسناد فقرة بعد فقرة، ويشتم بعضهم البعض مشربين بأصابعهم إلى بداية لفقرة التالية التي سوف يطق بها الأستاذ قبل أن يطق بها البعض.

كان مهم أنصاً أستاذ عريب، ذو سمعة علمية طيبة، ولكنه كان عاجزاً تماماً عن مواجعة هذا الحشد يصحهم من الضلاب كان يدخل إلى المدرج مقطب الروح فيجلس على مقعده وراء المنصة ويفتح سيف المحاصرة، ويظهر لينا باحفر بالعم وكراهية، منتظراً أن يسود الصمت للمدرج قبل أن يبدأ في الكلام وكان من الطعنى مع هذا العدد العسير من الطلبة أن سرى في المدرج صوت حصف من الهممت التي تصدر عن تلاميذ قلُ يصمتوا صت تماماً لمدة ساعة وكان كل ما يتطلبه الأمر أن يبدأ المحاصر بالحق بحملة واحدة فيسود الصمت التام ولكن هذا الأستاذ كان مصراً على أن يسود الصمت تام قبل أن يطق بحملة واحدة ولكن ههنا، فكلف طال الانتظار لحظة واحدة أكثر من اللازم رد الهمس ورفع صوت التلايح، فإذا استمر الانتصار لأطول من ذلك زاد ارتفاع الصوت واحتل بعض الصلحبات المكسومة، ثم تحول الصلحبات المكسومة إلى صلحبات عليه، ثم يسود الهرج والمرج ويشند العصب بالأستاذ، ويطلق ملعة ويصرف من المدرج دون كلمة واحدة، وسط مرور عامر ومرج فاتق من جانب التلاميذ

حصر لهدا الأساد محصرتين أو ثلاثاً من هذا النوع، ثم اصعب عن الذهاب إلى محاصرته امتناعاً تاماً، ولا أدري ماذا جرى به مع الطلبة بعد ذلك. ولم يعنى هذا بالطبع من الحصول على درجة عالية في هذا المقرر، إذ كان يكفى مع هذا الأستاذ، كما يكفى مع كثيرين غيره، قرء الكتاب قراءه جسد

كان هناك نوع آخر من الأساتذة أحب صلا بالطبع كان من هؤلاء أسد ترمس لى فى أول صة هو الكلية، وكانت محاصرته لا يحلو من تشويو، ولكن اشترت من الطلبة إنشاء ثم أسى قط مدى صحتها ودور حول عرامه بالخسارات من الضلالت (إذ حدث ووحدت حياء بهن) إلى حد استعداد لثرويدى بأسنة الامتحان مقدما، إذا لزم الأمر كان الأمر من الصعب تصديقه، خاصة في ذلك الوقت، وفي كلية الحقوق بالذات، عندما كان الأساتذة لا يزالون يشتمون مهية شديدة تفوق بدرجة عدة ما لهم بها لأن كما أسى إد إلى استعداد مثل هذه الإشاعات على أنها من خلق الخيال ولكن حدث شيء رهيب في يوم الامتحان

لهائى، فى المادة التى كان يدرسها سا هذا الأستاذ، وكان امحاما مهما ترند له  
مراىص رتعاة. فقد لاحتفا عد وصول إلى الكنية فى حواى لسابعه صاحبا،  
وكان لامعد يبدأ فى الثامنة بظبط، مرحا ومرحا غير معهودين. مو طفر، كنية  
والحبو عادون بسرعه غير عاديه، وجمهور من الطلبة متحمسون فى اهتمام  
ورحوم شديد حول واحد منهم وهب يهيم عك بحريده. وكان من الواضح انه  
يقرا لهم بها كلمة بكلمه. وانتهى حميدا نحو هؤلاء الطلبة المتحمسين لمدا  
ماطاب يقرأ لهم من حريده «المصرى»، (وهى حريده ودية كاتب من أكثر الحرائد  
انتشارا، هل أن تعلقها اشرة فى ١٩٥٤) حير مؤد، أن أستاذ بكنبه لحقوق عام  
تسليم صورة من امتحان مادته لإحدى التلميذات هل الامتحان مدة أيام، وأن  
مرعد لامتحان هو صاح ليرم، وأن حريده المصرى بشر اليوم من الامتحان،  
كلمه بكنه، وتجدى الأستاذ أن فعل شقا من شأنه أن ينهى هذا الخبر

نظر إلى الامتحان المشور هو حداه ما فعل فى المدة التى ستهل الامتحان فيها  
بعد نصف ساعه. ولأسله كنه من لوع المتوقع مثله من هذا الأستاذ، فى هذه  
المدة حرا ما نطع إلى الكاب لحاول الحقن من أنا ستطع الإحاه على  
الامتحان فى حاله ما داحه فعلا مطابق بسر المشور بالخريده

بعد لحظات وأنا الأستاذ نفسه يحرى كالمحب من حجرة إلى أخرى من  
حجرات كتله، والعاملون بالسكنار به والطابعه على آلة الكاتيه حرو و رعه  
أو أمامه. وانتهى الأمر بأن بدأ الامتحان متأخرا عن موعده نحو ثلاثة أرباع ساعة،  
وورع علب امتحان مختلف عما عن الامتحان المشور، ولكن كما قد أيم كل  
اليقين أن الإشاعه كانت صحيحه تمام



نعم مر ب خلال تلك السنوات الأربع بعض الأساتذة لعظم وبكنهم كابو، حصه  
صغيرة وسط عدد كبير من الأساتذه، كب أى لست وانقا تمام من أنا من الطليه  
الصغار مد أمدا فائدة كبيرة من علمهم الواسع

من الممكن مثلا أن يقد إن من حسن حظنا أنا درس على أيدى ثلاثه من أعظم

تأبده بشريعة الإسلامة الذين عرفتهم مصر في تاريخها الحديث، والذين من الصعب أن تتصور أن يأتي مشيهم في المستقبل الشبح على الخفيف، والشيخ محمد أبو زهره، ولشبح عبد الوهاب خلاف. ولكن من الصعب علي أن أقرر أن هذا مهم بمقدار قدرهم على العطاء. كان هناك أولاً ذلك نظام معرب في التدريس الذي وضعته والذي تكاد تقتصر به علاقة الأستاذ بالطلبة على محاضراته في مادته عليه مكر وفوق في لمحضره، ثم بصرف دون ماقلة به ومن التلاميذ لاقى هذا السرح الواسع ولا في خارج صاعف من حجم هذه الخطوة بين أسنطة الشريعة، ما كان يشعر به هؤلاء الأساتذة من عربة في كلية لا تحتل فيها الشريعة الإسلامة مكانه، متى هي حذيرة بها فالعبد ومعظم الأساتذة من «العلبيين» الذين كانوا يسطرون إلى الشريعة الإسلامية مطرة الشرى إلى أقاربهم الفقراء، أو كأهلها رائدة في الحسم، بها أصل تاريخي معروف ولكنه لم تعد تلعب دوراً مهم في حياة المجتمع، ومصيرها إلى الزوال تدريجياً. كانوا يريدون الحسم والقطب وسط أساتذة وتلاميذ يريدون حسيماً الذي الأوروبي. ولوطاف إلى يطمح فيها إسلامية تعتمد العالمية منها على تطبيق قوانين مستمدة من القوانين الغربية. بل إن النعمة نفسها التي ينطق بها هؤلاء الأساتذة العظام كانت تبدو للتلاميذ وكأنها لغة مألوفة إدهى تعتمد على أساليب الفقهاء القديس التي ساء تعرض، صراحة أو حجة، لشيء من السحرية في وسائل الإعلام. كان الانسجام السبي الذي كان سائد بين نوعي الثقافة في مصر في فترة ما بين الحربين، قد بدأ يتعرض لاهتزاز واضح في مطلع الخمسينات، عندما بدأت حياتي الحدمية. لاشك أن قيام الثورة في ١٩٥٢ قد ساعد على ذلك، إذ كان رجال الثورة ذوي ميل واضح إلى انعمانية والتعريب، وقد ظهر هذا ليس فقط في بعض الإجراءات التي اتخذوها في أوائل الثورة كإلغاء المحاكم الشرعية ولوقف الأهل، بل وفي شعاراتهم التي جلت من أي صفة دينية، بل وفي لغة وأسلوب خطهم التي ظهر فيها الإهمال لتنام والملاصاة بقواعد اللغة العربية.

طبعاً كان لدى أسنطة الشريعة الثلاثة، الثقة لكافة بأنفسهم وديهم وبشريعته، ولكن هذا الماح انعم لابد أنه أثر في طرة تلامذهم وملازمهم، سبهم، وكان لابد أن



معكس هذا في ميهمهم، في الانطواء على النفس والبخل بعلمهم على من لا يبدو عليهم أنهم يستحقونه

من بين أسانيد الشريعة كان يحظى بإحلالنا واحترامنا، بوجه خاص، «الشيخ عبد الوهاب خلافة» كان يذلل المدح وقد هذه الحزن على وفاة شته ثم انه في مقتل اشباب، فحاصرا بصوت بالغ العذوبة وأصوب رائع في فصاحته وبلاغته. كان سرور لذي يحصر فيه -بصم يوقف- قد فقد الكثير من أهميته؛ بسبب قديم الثورة بالعداء الوقف لأهلي، وكنت وقتها أصغر من أن أدرك خطأ هذا الإلقاء، وأن هذا النظام كان من الممكن، لو أحسن تطبيقه، أن يهيم بدور فعال في التسمية والتهوى بمستوى التمييز والصحة ومختلف ادق الا اجتماعية كان سحر الشيخ خلافة إد، في عصر بلا مبد صعد مشد، مستعدا فقط من شخصيته الهيمية، ورفق لعتة وفصاحته

كانت شخصية الشيخ محمد أبو رهرة محلقة تماما كان عالما مرموق ومزينا شهيرا في الفقه الإسلامي، ولكن ما كان من الممكن أن يحسن أحد منا ذلك من مجرد حضور محاضراته ولاستماع إليه كان صرح الحسم، طويلا عريضا، على الصوت، محب للدعابة، لا ينف من إثارة الضحك قليل وأثناء المحاضرة حتى حول أمور حساسة تتعلق بالعلاقة بين الحسنيين، إذ كان يدور لنا عدد أحكام ابو ريث -العواقد الشرعية في الرواح، الطلاق، مما يصعب الكلام فيه في حوار دم مع شباب مراهق مثليا. كان يصرف قبل أن يبدأ المحاضرة على السمعق من أن كل السات قد جلس في الصغين الأولين، فإذا وجد طلبة تجلس في وسط المدرج، وبين بعض الطلبة الذكور، أمرها بأن نخرج من بينهم في الحال وأن نتقدم إلى الصفوف الأولى. كان هذا وحده جذيرا يثاره بعض انهرج من الطلبة والطابت على السواء. أما إذا رأى طاب يحسن من القنات في الصفوف الأولى، فتوسع يصح أعنف والهرج أشد

على العرف الآخر من أسانيد لشريعة كان أسانيد الاقتصاد، فقد كانوا، أو بدوا لنا على الأقل، أكثر الأسانيد عصرية وتقليدا. وقد كان علم لاقتصاد مند

وحرار العربات قد بدأ يحظى باهتمام واحترام متزايدين مع رواده الاهتمام بمشكلة المفقور وتوزيع الدخل، بينما كان «المثقفون» يجمع بهذه المكانة لعباية عمدها كاتب مشكلة الاستقلال والمفاوضات مع الإقليم وهدف احترام الدستور وإرساء أسس الديمقراطية هي أكثر ما يشغل الناس ومع ميم ثورة ١٩٥٢ زادت مكانة الاقتصاد ارتفاعاً بينما كانت مرة أخرى إلى الانحطاط، إذ إن أولئك لصباط الأحرار الذين قاموا بالثورة كانوا يستهدفون في الأساس إحداث التنمية الاقتصادية وإعادة توزيع الدخل، حتى ولو تطلب ذلك حرقي القوانين مستقرة وتبدل القوانين بين يوم وأخر، كما هي ذلك الدستور نفسه.

كان مكلية لحقوقي أيام نعدتني بها، سنة من أساتذته لاقتصاد أكرمهم به عبد الحكيم الرفعي وأصغرهم رفعت المحجوب وكنت مشاعراًهم بحور ثورة ١٩٥٢ متفاوتة أشد التباين، بحسب اختلاف أمر جتهم والبيئة الاجتماعية التي تشكل كل منهم فيها، ومن ثم فقد تحدثوا مرة فرب محتملة منها، وعامتهم حكومته الثورة بدورها معاملات مختلفة.

كان الدكتور الرفاعي رجلاً رفيق الشعر، أرسنغرافي امراخ، سم بعجه ما صدر من رجال الثورة من مواقف ينسب بعضها بالموعدية والقسوة ولتغريب، فاستند بعينه عنهم دون أن يعاديههم على، فاستعاروا به لفترة قصيرة ثم استعوا عما من خدماته دون شكيبه.

أما الدكتور سعيد الحجار فكان أكثر استعداداً لإدخال الإحراءات الإصلاحية والتجديد، ولكنه كان يؤمن بما لا يداحله أي شك بالنظام المبردي والحرية الاقتصادية وكان يعتمد اعتماداً حاداً بصحة رأيهم سميت هي أن المصلحة الفردية تتفق دائماً مع مصلحة المجتمع، لا باستثناءات بسيطة للمعالي، فالأفضل إذن أن يبقى التدخل الحكومي عند الحد الأدنى ولكن عند الضرر من ناحية أخرى كان يسحر في محاسنه الخاصة من هؤلاء الأساتذة الذين لا يزالون يرددون كلمات آدم سميث وكأنها هي الحقيقة الخالدة مرعباً من تين إدن سعيد الحجار استنجدت تعاونه

مع انشوره، ومن ثم كان يشتهر أى فرصة للسفر للخارج للمعلم بصحبة زوجته، ثم يعود للتدريس في مصر حيث تظهر فرصة أخرى للسفر

كان الدكتور حسن خلاف، وظل حتى وفاته، من أحب أساتذة الحقوق إلى كثر، رحمه الله، مع الكبر والصغر على السواء، عالما محب، معلم ومحترم، ويعده على أى عشار حر، وكان سبطا صلبة ساجدة في مجلسه، تأسرك تلقائيا في حديثه وحركاته، وهو صاحب بكتة في المدرج وخارجته، ولكن بكتة دائمة ذات معنى، يعبر بها، في أكثر الأحيان، عن لباقتها الصارخة في المجتمع المصري أو عن حماقات سياسته الاقتصادية، ويلقيها بطريقة ابن البلد المعوية فتريد جاذبيتها يحكى ل مثالا عن مصلحة لسكرتير الحديدية أسي سوردب قطارات من دولة أوروبية لا تعرف الفرق بين الدرجة الأولى والثانية وإذ تنصر مصلحة لسكرتير الحديدية المصرية على تقسيم القطار إلى درجات لا تجد وسيلة لتدث أفضل من أن تشوه بعض الدوابين ونزبل منها بعض وسائل الراحة حتى تصبح أكثر ملاءمة لدوى الدخن المضمض!

أمام عيبة مظار عظيم يكاد يستحيل أن تصور مظهر أكثر منه سمكا، ولا أدري ما إذا كان صعب بصره موزو ثا أم من كثرة القراءة، ولكنه كان يجعله، مع طيبته وتواضعه، ذا سار في زدهات بكلفة ودأبها، لا يكلف عن رفع يده بابتحة لكل من يصادفه! حوفا من أن يعاقب من يعرفه فلا تشي شخصته في قرط صعب بصره

عصيته مرة في منصب المحاسبين، وكب قد تقدم بطلب التعيين في وظيفة معبد في كلية الحقوق، وكان وقتها رئيسا لقسم الاقتصاد بالكلية، وكب أسمع في تأييده لطبيب، فسلمني عن ثوبي في لتخرج فقت به إلى الرابع، فصمت برهة ثم قال كل ما أستطيع أن أعيدك به هو أني لن أسمع بأن يعين الخامس بدلا منك، ثم أرفف، هل تفهم ما أقول؟ قلت نعم قال برك الله فيك

كان إذا كتب، نادر ما يكتب كتابا مدرسة، وهي كتب كثره العائد المادي وإن كتب لا تحوى إلا برديدا لما كتبه لأحروب، يكتب لتسنى بمجرد أن يتوقف الأستاذ عن تدريسها، وإنما بطرق موضوعات جديدة لا تكاد تدور دحلا ولكنها تعش بعد

وفاء صاحبها فيكتب كتاباً من أفضل ما كتب بالعربية عن التاريخ الاقتصادي المصري . إن لم يكن أفضل على الإطلاق (بالإضافة إلى كت الدكتور الحر بلقي)، أو عن تطور الميراثية والإيرادات العامة، أو عن صيربية الشركات وانتشريات لصيرية في مصر وهو في كيبه ومعاصراته يكشف عن احرام بالغ بدعة العربية وتضعف شديد بها ، ويألف من حشر انصصحت الأحبة بين العسرات العربية ، ولا يتصور أن تكون اللغة العربية عاجزة عن بأدية المعنى الذي يريد بنفس كفاءة اللغات الأخرى

كان حسين خلافًا لأفراح مختلف عن أفراح الدكتور الرفاعي وأفراح الدكتور النحر. كان يسي في محاصرة تعاطفًا قويًا مع العقراء، يعود للظهور في محاصرة بعد أخرى، وكان محلًا تام لإحلاص في كراهته لتلك الازدواجية المفرطة في حياته الإجماعية والأفصائية. ظهر ذلك في محاصرته عن مبادئ المالية العامة، ثم ظهر بوضوح أكبر عندما نشر أنه كتبًا كمالًا عن صيربية الثورات. كان ذو على استعداد كامل للتعاون مع الثورة في تطبيق سياساتها لصالح العقراء، ولكنه كان صعبًا معتزًا بأنه لا يتصور أن يسي عليه صباط أو غيره الأوامر والأوامر. ومن ثم فإنه ظل يقدم النصيحة عن بعد، كلما طلب منه ذلك، وفي وقت عند انصرافه تقه تامة جعله وزيرًا لوزارة حديدية اسمها وزارة العلاقات اشتغالية الخارجية. ولكن هذا كان في قمة نشاط الثورة المصرية في إفريقيا في منتصف الستينات، عندما كان عبد الناصر يتصرف في إفريقيا كما لو كانت مصر دولة كبرى تعتمد التحالفات وتغني المعزوب. ولم يدم هذا طويلاً، مع تدهور حال الجيش المصري في اليمن، وتركم الضغوط الاقتصادية مع قطع المعونة الأمريكية عن مصر قبل حرب ١٩٦٧، بالعبت وداره حسين خلافًا بالسرعة التي أنشئت بها، كما لابد أن ظهر بعيد العصر أن حسين خلاف، على الرغم من تعاطفه العميق مع الثورة، ليس هو خادم الطمع في جميع الأحوال. وفي كل الظروف، فاكنتي بأن حقن له عليه أن يسير إلى حبيب ليعمل ريساً لوفد مصر في مكتب الأمم المتحدة هناك.

لم يكن الدكتور دكي شاعرياً استغرافي، ولا مؤمناً

منعصبا نظام الحرية الفردية كعبيد النجار ، ولا صعيديا عبيدا مثل حسين خلاف ، كما أنه لم يكن أقل من الصباط الآخر رتباطا مع الفقراء ورعه في إصلاح أحوالهم ، هذا على الأقل هو ما كنت يبدو من ملاحظاته العابرة عن السقاصات النفسية وتوزيع الدخل . وإن كان الذي معه من الانصراف من الثورة شيئا محددا بحد ، هو في رأيي مجرد الخوف من الخطأ عندما أسعبد الآن في ذهني موافقه السياسية أو الفكرية ، سواء ما بدا منها في كتبه أو محاضراته أو محادثاته العابرة معي في فترة الدراسة العليا ، أحد أنه كان يبدو ذئبا وكأنه يخشى الوقوع في خطأ أو أن يسيء ، التام العلي به . وكان هذا الخوف يحكم كثيرا عرفت من تصرفاته ولهد السب خطي في حياته مرصا للجميع ، فلا أذكر أني سمعت كلمة سوء تصدر عنه . كان يوصف دائما بأنه أستاذ جيد وعميد جيد ، كما يوصف أحيانا بأنه مؤسس كلية الاقتصاد (إذ كان أول عميد لها) ، كما وصفه صدقا بأنه صديق محض وتلاميذه بأنه با رحيم ، كما شهد له الجميع بالبراعة وطهارته البدنية ، وحرب عليه الجميع عند وفاته . ولكن سرعان ما كف الناس عن الكلام عنه بعد وفاته ، وما أقل ما كتبت عنه وما قل في تحليل أفكاره . كان كتبه الذي ظل يدرس ثلاثين عامًا أو أكثر (النفوس والسلوك) كتابا جيدا بدوره ، كُتبت بأمانة وبلغة عربية راقية ، ولكنه كان كتابا مريب ، ولا أذكر به كتاب آخر أو مقالا تحدث فيه موقفا حاسما به يختلف عن الآراء المستمرة أو المذهب السائدة

من الطبيعي أن رحلا بهذه الصفات لا يبذل أي جهد للتقرب من السبقة ، كما لا تبذل السبقة أي جهد لإعرائه بالانصراف منها . ومن ثم ظل بعيدا عن أي منصب كبير في الحكومة ، رغم أنه لم يكن أقل كفاءة من غيره عن تولوا هذه المناصب وأظن أن هذا الأمر قد ساء عند طر أكثر من اللازم ، وعندما أصبح شاعلو المناصب الاقتصادية الكبيرة في الحكومة ، كان في ذلك بعض الزوراء ، من الشركات أو من لا يحفظون منه وبأي تقدير . ثم حدث فجأة أن عرض عليه منصب الوزارة في منتصف السبعينات ، فرفض له ولأنه قد سره هو أيضا أن يرد اعتباره أحيانا ولكنه لم يظل وزيراً لمدة طويلة ، وهو ما كان متوقفا ، ولم يترك في الوزر ره أثر يريد عمي بركة من سبقه

أما قصة الأستاذين الأخيرين، مع الثورة، فهي قصة مثيرة حقا وإن كانت قد انتهت بهانة محزنة في حالة أحدهما، وبهانة مأساوية بمعنى الكلمة في حالة الآخر. عاد بعد بضع سنين ورفعت المحجوب، من فرنسا شهادة الدكتوراه في وقت واحد تقريبا، وكانا لا يتكلمان بفرنسان، رغم لاختلاف الهاتين بهما في أسلوب ودرجة الدكاء و لطرف. ربما كان الشيء الوحيد الذي يجمعهم هو طموح الشديد، مع تصرف حجم الفرض المتاحة لهما لتحقيق هذا «طموح» لم يكن قد مر على رجوعهما من فرنسا إلا شهرين حينما قامت الثورة، وكان من الواضح لجميع أن أي استحداث معي بحمل شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، قد أحس التصرف ولعب اللعبة كما سمي، لديه فرصة كبيرة جدا لاعتلاء كرسى الوزارة وكان هذا واضحا بلطخ لهدس الأستاذين لشاير. فيما بعد هذا لم يكن هناك، فيما بداني على الأخص، أي صفة مشتركة بهما. لب شقير مرح، طريف، ودعوى، وشيخ، ورفعت المحجوب منجهم الوجه دائم، حاصة مع تلاميذه، ثقل العقل، بطي، للحركة، يظهر بالعمق وسعة الثقافة، دون أن يكون هناك أي دليل حقيقي على هذا أو تلك.

درس لي سبب شقير مقرر في التجارة الدولية في السنة الثانية في كلية الحقوق فكان محاضرا حاديا، واسع ثقافة، يتحدث على القراءة في محارح الاقتصاد، ولكنه أيضا يحصل في علم الاقتصاد الذي يحجوب على يديه إلى علم وثيق الصلة بالحياة. ثم درس لي ورفعت المحجوب أثناء دراستي لنظم الدراسات العليا في الاقتصاد، فيما يسمى «قاعة بحث»، كان يعرفون فيها أن يكون الاعتماد على البحث والمناقشة أكثر من المحاضرة والامتحان، ولكني لا أذكر أنا اجتماعا قط ناقشه أي شيء، ولا أذكر أنني سمعت منه رأي ذا شأن في هذه لمشكلة الاقتصادية أو تلك. نعم كنت له بحث عن «المادية الحديثة والمادية التاريخية»، أقر موضوعه عندما عرفته عليه، ولكن لم يصدر عنه أي قول يدل على أنه كلف نفسه عناء قراءته بعد انتهائي منه، والعبارة الوحيدة التي سمعتها منه في التعليق على هذا البحث هو أن طاعة على الآلة الكاتبة لاند أن تكون قد كتبتني مبعلا طويلا بأنه مرة عما إذا كان النقد المرحه إلى ماركس في إحدى جوانب بطرته في العيمة

والاستغلال بقذا صحیح ، فکون کل ما فیه هو أن مارکس أخطأ فی کل شیء  
وعندما سألته عما إذا کان یصحی بقراءة کتبات کبر بعضه دون الاکتفاء بالشروح  
المکتوبة عنه ، وکانت رتبته هو للدکتوراه عن أحد حواری النظرية الکبيرة ، فقال  
شعاع ونکر مقتبین : «إن کبیر أعلی بکثیر من مستوى عقلياً» کان هد  
الأستاذان من بین من غرض علی رجاء ثورة الاستماعة بهم فی تسيير شئون البلد  
الاقتصادیة ، فکان من الطمعی أن یجدهم الأول وبقهرهم الثاني وسرعان ما  
سمعا حیر احیاء لبیب شقیر وزیر للاقتصاد ، فی أوائل السنیات ، ولعله کان  
أصغر وزیر یعونی شئون لاقتصاد أو المالبیة فی مصر

أثت لبیب شقیر عماحا کبیرا کویر و سیاسی قره أكثر فأكثر من دوائر بسطة  
الخصیفة فی د حن حکومة لثورة ، حتی عهد إله برثامة مجلس الشعب وطل من  
الرجال المقربین د سخی فیه بعد الامراکرة القوة ، یماطل الثاني یکت کما فی  
لاشتراکية ریشی لمحصرت فی سر یاما علی أمل أن تنته إلیه السلطة کما  
انتهت إلی رمله فلم یجیح ظل یستعان به فی أعمال نافعة ، لا تتطلب أكثر من  
لعدرة عینی الخطابة ، وکان یتمتع به بالفعل ، ولكنه لا یحتاج إلی ای مستوى غیر  
عادی من الذكاء أو مهارة سیاسیه أو حسن التصرف وعل الأمر کذلک حتی  
وقعت کثرة ١٩٦٧ ، وأصب نظام الحکم یصدح حطیر ، کما أصا حمیما

أذكر بوضوح تام دلث الیوم الرهیب الذی أحروراه فیه بحجم المصیبة التی حث  
مصر کان هذا یوم الجمعة ٩ یویو ، وکنت وفتها مدرسا فی کلیة الحقوق بجامعة  
عین شمس ، ردابی أنسم عن طریق البلیفون دعوة تسلّم منثلها کل مدرسی  
وأستاذة الجامعات المصریة فی القاهرة . لحضور اجتماع مهم فی قاعة الاحتفالات  
بجامعة القاهرة فی السادسة مساء ، حیث نستمع إلی بیان سیاسى مهم وده فی  
وجوم وتوحى بعد أن ک قد سمعا طوال الأدم الأربعة ساعة عن إشغالات رهبة  
عما حدث للجیش المصرى ، ولتعبیرا بوجه خاص ، وعر هرمة س عقة أصیب به  
الجیش ، وعن انسحاب سریع من ساء إلح کان الهداف الأساسى من هذه  
الدعوة ، کما تبین لى فیماعد ، هو إعطاء وحان للقطعة فرصة لا لتقاها الأتماس

حوا من أن عدلت الأمر من أيديهم، وإيهام الناس بأن لمعرفته لا أثر من مسره  
ولا بد أن هذا الاحتجاج الذي دعى إليه أساتذة الجامعات، قد دعى إلى مثله وحال  
بقامات مختلفة وسائر التكتلات الشعبية التي يمكن أن تكون بها أثر مهم على  
الرأي العام لا أدرى ما إذا كانت هذه الاحتجاجات قد آذنت بحال السلطة  
شيء، ولكنهم تصوروا على أي حال أن جمعاً بالاستماع لحدث الرئيس لموجه  
إلى الشعب عن طريق التلفزيون، والذي يشرح فيه ما حدث للجيش المصري، قد  
يريد من قدرة النظام على السيطرة على الموقف والتحكم في محرى الأمور

خلصاً لسمع إلى الرئيس عند الناصر ونحن نرى صورته على شاشة  
التلفزيون، وهو يشرح لنا كيف أنه كان يوقع أن تأتي الطائرات الإسرائيلية من  
العرب مجتهدات من الشرق، وأشياء كثيرة أخرى من هذا النوع، أي آثار عظمى  
الشديد وعصبى وحرسى، كما أن أعصاب وحرسى بقية المصريين ولم يصح في  
القيصر من هذا العصب إعلان الرئيس دعت إلى لتدعى عن السلطة وعين زكريا  
محسب الدين، بل لم أصدق قط، لا وقتها ولا فيما بعد، أنه كان يقصد التمدح  
بالعمل الذي يعين الآن هو ما حدث ونحن حائسون في تلك القمة الصليحة  
الرائعة، قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة، وهي مملئة بأساتذة الجامعات «مختلفة»  
جداً وتلبية لدعوة الحكومة، دون أن يدروا أي شيء عن سبب الدعوة وعدم، يمكن  
أن يقال لهم في هذا الاجتماع بدأ الاجتماع بظهور هذا الرجل عريب، رحمت  
المحجوب، على المنصة وهو يرتدى رب أعرب، يتكون من قميص وبنطالون من  
فخاش الكتي الذي يرتديه جود الجيش أو بصلط، وكأنه قدم لتوّه من معركة  
عسكرية كد منظره جديراً بانه الصلح والاستهراء الشديد لولا لموقف  
المساوى الذي كنا فيه وراد لموقف مأساوية وثارة للتحريه في نفس الوقت أنه لم  
يسر أكثر من جملة أو جملتين قبل أن يجلس بالمكانة بأثرنا ولكن هذا المكان لم  
يمعه من أن يصح كلامه بصح عبارات في مدح الرئيس والإشادة بعظمته وتوّه  
للشعب مصرى إلخ أكد لي هذا الموقف، من هذا الرجل الذي لم أشعر بحوه  
هذه بأي حب أو احترام، صاله حجمه الخفيف، ونوع الدور الذي يمكن أن يعهد  
إليه بأدائه، ولا يمكن أن نحويه



تلا ذلك اسماء لخطاب الرئيس ، وخرج من القاعة إلى سيارته وخرج شعره  
مصبوغ انعام ودهول ، فلما سمع عن قيام مظاهرات خلال الليل وفي صباح  
اليوم التالي ، تهافت بالسمك والرئيس وضرورة بقائه رئيسا ، مما فسرت في وقته ،  
ولا أزال ، بأنه ، هي الحجة الأكبر منه على الأقل ، إن سم يكن كله . من صنع الحكومة  
بمسماها ، حتى ولو كان قد انضم إلى بعض المظاهرات بعض الأفراد الذين شعروا  
بضرورة بقاء عبد الناصر رئيسا ، أو الذين ادهلنتهم أخبار المهرجة فهاضوا على  
وجوههم في شوارع لا يمدون ما يصعدون ، وشعروا بدرجة أكبر من الظمائية بين  
جموع الناس التي سارت تهافت في الشوارع ، فاضوا إليهم في السير واهتف

عندما قدم أنور السادات بقلابه في ١٥ مايو ١٩٧٦ بعد وفاة عبد الناصر دعاء  
وبصاف ، وهو ما سماه «ثورة التصحيح» ، وكان بداية لنحوب جوهري في  
السمة المصرية في اتجاه التصالح مع الولايات المتحدة وإسرائيل ، والكوص عن  
إحراجات الاشتراكية ، قام السادات باعتدال أهم رجال «العهد القديم» ، من  
أسماءهم «عمر كبر العوة» ، وكان من بين هؤلاء أستاذي انديم لبيب شفيق ، وكان  
التحقيقات لم تسفر عن قيامه بأي عمل يمكن أن يودع في أجله السجن ، (لم تشهد  
له مرة أخرى بالكه والفضة) فلم يطل اعتقاله وسرعان ما وجد نفسه حرا ظاهرا  
ولكن بلا عمل ، بعد أن كان في أعلى مراتب السلطة والعود أدرك أنه كثير يرب  
أن العصر سم بعد عصره ، وأنه لم يعد له دور في هذه المرحلة الجديدة من مراحل  
النظام السياسي في مصر ، الأمر الذي يدل مرة أخرى على بظته ، فانتهر الفرصة ،  
بعد أن عمل بصعقة شهود بالمخامة ، للسفر إلى الخارج وشغل وظيفة استشارية  
كإصدي في إحدى المؤسسات المالية في أبو عبي ، لا تناس ما يطعم مع حراته  
وكما أنه المتعددة ، ولكنها مريحة فرصة بعدد عن أهواء السياسة المصرية وأن يعم  
بالهدوء الذي حرم منه طوال الخمسة عشر عاما السابقه . وقد استطاع أن يؤلف  
خلال إقامته في أبو عبي كتابا جيدا عن الاقتصاد العربي ، يضاف إلى كسه أجيده  
الأخرى . وكان يأتي كل عام يقصا . حارة الضيف في مصر فيجلس على شاطئ  
البحر المشتهر ليقم بعض بقصص الروايات . ولكن الأمر لم يطل به ، ففي بداية  
إحدى إحار به الضيف ، وكان يستعد لسفر في اليوم التالي إلى مصر ، أصابته بوبة

قلبية وممت على العموم . وسم بعض الصحف المصرية في معيه ولا ذكر أن كب عنه  
أحد مثالا في حريته أو محبة ، دحاهت وفائه في وقت سطره على أحجرة  
الإعلام رحبا بسمون إلى مرحبه سببية مخلقة عاما

أما الدكتور رفعت فلم يجمع شيء من الاستمرار فيما كان فيه . هزيمة كان م  
انتعاشا ، رُسمانية كب أم اشتراكية ، فعلى الرغم من تحول نظام تحولا جذريا من  
سياسة إلى تقنيها ، في مختلف مجالات السياسة الداخلية أو الخارجية ، ظل  
الدكتور رفعت يحطب فصاحة في حدود ما سمع به الظروف السائدة . ظل يذكر  
العائد لاجتماعيه في كلامه ، ولكن دون أن يتجاوز الحدود المسموح به . وبعد  
موجت جديد ، في منتصف الثمانينات ، أتى بعد أن تحول النظام الاقتصادي  
والسماسي تحولا تاما عن سياسات عبد الناصر ، باحتسار رفعت المحجوب رئيسا  
لمجلس الشعب ، في وقت كان هذا المنصب المبني المهم حاصصا تمت لقرار من  
السلطة . كان الدكتور رفعت قد أثب خلال خمسة عشر عاما سابقة أنه لا خطر  
منه في الحقيقة على النظام ، وأن من الممكن الإفادة من مهاراته الخطابة وحلده  
وصره على العمل الياس الذي لا يحلب أي منفعة لا لشقايمه وللحائس على  
قمة السلطة . ومع ذلك فقد ظل النعص يعترضونه من رجال النظام القديم ، يصمون  
اراءه ومعتقداته على أنها عمل في الاشتراكية وإعادة توزيع الدخل والحقيقة ، كما  
أعرفها عنه مد كان مدرسا متدني في كية الحقوق ، أنه لا آراء تشدله في أي شيء  
ولا معتقدات قوية . كدبت برجنس منه بعض رجال الحكم خشية من أن يلحق بهم  
بعض الضرر من جراء آراءه التي عارضها اشتراكية ، وهو يحتل هذا المنصب المبني  
الكبير والذي اكتسب معه بعض النفوذ ، ولكن الحقيقة هي أن الخطر الذي كان  
يهددهم من ورئه ، سم يكن يتعمق بآرائه ومعتقداته بل كان مصدره ما يمكن أن  
يرتكبه من أخطاء بسبب قلة حظه من الذكاء والعطف . وهذا هو ما حدث بالفعل  
فقد صدمت منه مرة ، مدون أي دافع ، جملة ردت بها عبارة «القطط السماء» ،  
مشيرا بذلك ، إلى الأثرياء الذين جمعوا ثرواتهم في فترة قصيرة دون حذارة حقيقية  
أو من مصدر غير مشروعة . لأنه أن لعبادة قد حاهت على لسانه دون تركه من

جانبه، إذ ربما أعجبه ما فيها من فصاحة أو جمال التشبيه، دون وعي مما يمكن أن يترتب على قصوده بها من آثار سلبية - لاندأه «تلك أخطاء كثيرة مثبته أوقعته في عداوات شخصيه مع بعض رجال المهجر، ندين كان من الأحرط له ألا يبعدهم. وكتب بهبه كل ذلك أن اسيقظ في صباح أحد الأيام سمع عن رصاصات أطلقت عليه وهو في سيارة محصنة بأشد أنواع الحصانة وحماية من الشرطة، أثناء عودته من مجلس الشعب، وفي شارع من أشد شوارع العاصمة اردن. أودت الرصاصات بحياته رجة الصابط الخالص بجوار لسائق والذى كان مكلما بحماته. وثب الحادث وقتها من بعض الخبايا الإسلامية لخطرفة ولم أتابع ما ذكر في التحقيقات أو ما قيل في الصحف عن شخصيه الخاني و دوافعه، إذ إنني كنت مقتنعا بما، أنيا كان ما يشر في الصحف، بأن السب الحقيقي وراء هذه النهاية للمساوية للدكتور المحبوب، لم يكن «أراؤه ومعتقداته»، وما إذا كانت تنفق أو لا تنفق مع آراء ومعتقدات لحم، عب الإسلاميه، بل كان السب الحقيقي منه حظه من الحكمة لسياسة ومن أهمهم طبيعة المرحلة التي كان يمدم منه خدمتها. لقد سمعت إعراءات لسيطة للعبه، كاحصول مثلا على ميللا محبه في الصب لأرب من التبدلات المقامة على شاطئ مارينا، من أن يرى الأمور على حقيقتها.

وقد كنت هذه، فف أعنفق، شفته دائما منذ عرفته، ومن ثم كان رأيي أنه عومل في حياته المعامله التي يستحقها أحد من الخية ما كان يطمح فيه بالصبط، وانتهت حياته نهاية فيها بعض سمات الأمسة وبعض سمات المهرة، مما يذكرني بمظهرو وهو يحطبل فيب في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة، عندما كان يتظاهر بالسكده وهو يحاول أن يتمنوا رجال السلطة، في نفس الوقت الذي يتألم فيه الجميع من هزيمة عسكرية شبيهة.



انقطعت صتي بمجرد تخرجي في كلية الحقوق، بكل آمانيها، انعطفت تأما، فيما عدا بقاءات سريعه لا أهميه لها ببعضهم في بدوة أو اجتماع، بدسواء وحيد

هو علاقة ممتدة مع الدكتور سعيد النجار الذي لعب دوراً مهماً في حياتي، وشعر  
بفكري لفترة طويلة من الزمن، واتسمت علاقتي به بالتقرب العيف من شعور  
بني بعبء مما يستحق أن يروى. كانت بداية معرفتي بالدكتور سعيد النجار عندما  
انضمت بكلية الحقوق في سنة ١٩٥١، وكان هو مدرسي لاقْتِصاد في السنة  
الأولى، فسببه امتحاناً عظيماً بل وقعا نحن التلاميذ في حبه وظل هو أسادنا  
المخلص حتى تخرج من الكلية، بالرغم أنه لم يدرس له خلال هذه السنوات إلا  
هذا المقرر الوحيد في السنة الأولى. لم يكن هذا المقرر في ذاته مشوقاً، ولله أهية  
عميقه على الإطلاع، فقد كان يدور حول أشياء مثل: «مصلحة الخدية، وقوس  
ناقص العله، وب كست أذكر أنه أصاب بصع صمحات قليلة في آخر المقرر تتعلق  
بمصر واقتصادها، وهو ما كان نادراً ولا يربط بدار في أي مقرر عن هذا الجزء من  
النظرية لاقْتِصادية. لم يكن لمصوب المقرر على أي حال أي علاقة بشعور ببحره،  
وإنما كان مصدر هذا الشعور صفاته الشخصية. كان مدرساً ممتازاً و صبح العدارة،  
مطلقاً لتفكير إلى أبعاد مدى، ويحب علمه وموضوعه، فلا يمكن أن يشبع فيما  
المثل. وكان يتكلم على مسجته ودون اصطلاح، ومن ثم كان يطبق صحكمة عامة من  
حين لا آخر تنصل لنا من خلال الميكروموم وكان لها ديلاً عريماً يشير صححك من  
جديد. كان واثقاً تمام الثقة بنفسه وبما يقو، ومن ثم لم يكن ليدور بحله أن من  
الممكن أن يحلّ أحدنا بالنظم، أو يأتي أحد بعمل فيه أي شبهة فلة أدب، وبالتالي  
لم يكن ليدور بحله أحدنا شيء من هذا. فبدأ أصعب إلى كل ذلك أنه كان وسيم  
وأنيقاً، كان من الأنسب أن يعرف ماذا فصله على أي أساد آخر.

كما نحو ثمانمائة بلعد مجلس في مدرج واحد في السنة الأولى، لس من ب  
كما سبق أن ذكرت، إلا ثمانتي أو عشرين فيات كل يحلس دائماً في الصف الأول أو  
الثاني. كانت هذه الفتيات العشر وسط هذا الجمع خاشع من بدكور المحرومين من  
أي علاقة حسنة. كأنها كفة المحرمة، تنماها كل انقبوس ولكن لا تحرّج أحد على  
حسبها. وينسب ما كما ما يشعر به إزاء هذه الأساد، وراء هذه الغيباب، كان حياله  
يصوّر لنا أن كل فتاة مهيّنة لابد أن يكون حلمها الوحيد أن تتزوج منه، وأن بهذا

السب وحده تترين الفئات وتتجملن، وأنهن لا يجلسن في الصف الأول والثاني إلا بهدف لفت نظره. ولكن الرجل بعد شهور فليته من بدء الدراسة تزوج من فتاة، من خارج الجامعة كلها، وتصادف أنها كاتب السب الوحيدة لصديق حميم لأبي (هو الدكتور عبد الرزق السهورى) وقال لها أبى إن هذا صديق سألته عن رأيه فيما إذا كان من الصواب أن يقس هذا الأستاذ زوج لانتته، ووصفه بأنه رجل لا يعبه أى شيء على الإطلاق إلا الفارق بين سته ومن سته. كانت سها أقل من العشرين بسنتين أو ثلاث، وهو قد تجاوز الثلاثين. ولكن تم الزواج في النهاية وأصبحت فتيات الكلية بصدمة عيمة، أو هكذا مصوريا، عندما دخل يوما إلى اندرج وحول أصعبه حاتم الخطوبة

طلبت أشيد بعلمه وكماله في كل مسألة يذكر فيها اسمه طلب درسي من مقررا آخر في الدراسات العليا ثم يعير رأي فيه قيد أئمة، وظل هو أستاذي المفضل نسب مما بعد ثم زمس بالنعام الرأسمالى إيمان لا شر عرع، وبكرة لا شراكة، وكنت أنا على العكس قد أصبحت مع مرور الوقت اشتراك متحمسا، بل وفي بعض السنوات متحمسا للماركسية. ولكن هذا لم يؤثر قيد أئمة في شعوري بحبه أو رأيي فيه، حتى إني عندما ذهبت للعمل في الكويت، بعد ذلك سنوات كثيرة، وسعيت أنه سترك وطبعته في سويسرا ويعود إلى مصر، أسرعنا اقتراح اسمه على رئيسي الكويتي دون أن يطلب أحد مني ذلك، يحرص عليه العمل معنا في نفس المؤسسة، بل وفي نفس القسم بلدي أعمل فيه، فعمل هد وقيل الأستاذ لجمي، وقصى معا في الكويت سنتين قبل أن يفر منه أخرى للعمل في واشنطن

خلال هاتين السنين اللتين قضيهما في الخريب حدث ما بدأ يجعلني أعيد النظر في رأيي فيه وتقييمي له. كاتب حجرة مكتبه ملاصقة بحجرتي، وكذا كثيرا ما مشترك في عمل واحد أو تعهد إليهما المسئولية عن مهمة واحدة من هذه المسئوليات كانت مسئولة تنظم مؤتمر كسر ترعاه المؤسسة التي يعمل بها (وهي الصندوق الكويتي للشئمة)، عن موضوع كان حدث الخمس في تلك الأيام (١٩٧٦) هو ما كان يسمى «النظام الاقتصادي لعالمى الجديد» وأثره في لعالم العربى وحسنت

مع أستاذي القديم لدى أصبح الآن زميلاً، صبح قائمة بأسماء من يمكن دعوتهم للاشتراك في هذا المؤتمر بتقديم بحث أو مجرد لمناقشة واقترحت أن بعض الأسماء من أصحابها من كانت به رغبة يسارية معروفة، ولكن كان منها أيضاً أسماء بعض الأساتذة والكتّاب من غير الاشتراكيين، ولكن لا شك في جديتهم وإخلاصهم ومكانتهم العلمية. وكانت المفاجأة أن وجدت أستاذي القديم يقترح بعض أسماء لا أحمل نحو أصحابها أي تقدير ولم يعرفوا أيّ إلا بالاسم والصفة، وإن كان بعضهم يحتل ماصب مرموقة في الصحافة أو الحكومة وعبرت عن دهشتي وعوري من هذه الأسماء التي اقترحها، ولكن رجعت لرغته كارهة، فهو لا يريد أستاذي المعود القديم. مجمع المؤتمر محاجاً استثنائياً، وأثديته الجميع، ولكن حدث خلل لا أكد لي صحة رأيي، إذ رأيت جميعاً هؤلاء الذين أقرحهم الأساتذة الزميل تقتصر مساهمتهم خلال أيام المؤتمر على الهجوم على موائد الطعام، وخاصة أكثر الأضلاع بكرة في مصر، كالخضري وممثل السالمون الأخضر، ثم لا تراهم في جلسات المؤتمر، ولكنك تراهم عائدتين إلى مدعهم من اسوق وهي يد كل منهم كل ماثقل وزنه رارتفع ثمة في يد أيضاً وجوده في مصر من مأكولات.

في بعض جلسات الختام أصابتنى الدهشة من جديد من بعض مواقف الأستاذ لم يكن تأييده المستمر لمواقف اليسيرة للمحافظة مصدر هذه الدهشة، فقد كنت أعرف هذا ولم يكن عربياً على، ولم أحد فيه ما يشبه بالضرورة ولكن الدهشة جاءت عندما رأيته يعطى بأيده ويدلي بصوته، عندما جاء وقت اختيار اللوحة المستوية عن صناعة توصيات النهائية للمؤتمر، لأشخاص لا يحظون في أيضاً بأي تقدير، لمجرد أنه موقع منهم أن يملوا بالتوصيات إلى الناحية التي يميل إليها قلبه.

ثم مرت سنوات، وعادت إلى مصر من الكويت، وعاد هو من واشنطن، وتكرر اشتراكه في الكوات التي كثر عقدها، تحت شعار الإصلاح الاقتصادي في مصر، وكانت تدور في الأساس حول «مع القطاع العام» كان هذا السبع في نظري خطأ لا يعتمد. من الممكن أن تكون رأسمالى الترع ولا يكون هناك عيار

على ذلك، ولكنى كنت أعبر بين القطع الدم شيئاً محتماً عن مجرد مصير  
 قطاع الخصى، فلتشجع الراسمالين الوطنيين كد تشاء، ولتفصل قسام هؤلاء  
 بالاستثمارات على قيام الحكومه به، ولكن أن تبيع مشروعات عامه ناحجه، بل  
 ولا تحد عصاصه في بيعها لأحباب يسئل لمدهم على، يمكن تحقيقه من ورائها من  
 أرباح، مع أنه قد يكون من اسهل الأمور إصلاح ما قد يكون في هذه المشروعات  
 العامة من خلل في الإدارة أو نظم التوظيف والتشجير، هذا هو ما نأى امره لا  
 نطاق ولا يمكن السكوت عليه. حرصت لهذا السبب على أن أحصر بعض البدوات  
 اس شريك فيها لأسسدد ودافع فيها بكل فصحة وكفاءة عن بيع القطاع العام،  
 ولكنى كنت أترك البدوة دائمة وفي نفس مارة تحلطف بالدهشة والأسف أهدأ  
 إذن هو حال أستاذي القديم؟ أهو إذن مستعد إلى الذهاب إلى هذا المدى وبكل هذا  
 الخمس للدهع عن عصية ناطه إلى هذا الحد؟

وقفت أعترض عليه في كل بدوة اشترك فيها وهاجم فيها لقطاع العام، وأصبح  
 لي حصررها. ولكنى كنت دائم ألترم الأدب ولا أسمح لنفسى، وأنا أزد عنه، بما  
 أسمح به نفسى في نقاد غيره من مخربه وقسوة كما كنت مقالاً صعباً للرد  
 على بعض محرمه على القطاع العام نُشر في إحدى المجلات اليسارية، وصف  
 أيضاً أنى لم أتناور فيه حدود الأدب والتهذيب، ولكن رمية تعرفى وعرفه  
 انصلب في لتحري بمدى عصه وبأثره من هذا المقاد، فلما أبذيت لها استعبر بي من  
 هذا، ولطال بي هذه السراحة من الهدوء والأدب، قلت إن ما أعصيه بوجه خاص أنى  
 استخدم في المقاد بعد «مداطة» في وصف إحدى حججه بدلاً من ضبط الأكثر  
 حيد «غلطة أو خطأ» إذن لمط «مداطة» يوحى بأنه يعرف حقاً ويصبر عليه

ولكن الطامة الكبرى وقعت بعد هذا بقليل، وقصت على أى أم لئى فى أد  
 تعود إلى علاقتنا ابودة مدعيه بل وأحلت محل تقديرى القديم له، الذى سمّج  
 مثله لأحد، مراهرة وحرناً وحيمة أمل. فقد خرج علينا أحد الوزراء فجأة ردود  
 مقدمات تقال طويل في صحيفة لأهرام، في أوائل التسعينات، يشيد فيها بمرى ما  
 أسماه «النظام شرق أوسطى الحدى»، وكان له معنى واحد لا شك فيه وهو مرانا

العرب الاقتصادى مع إسرائيل كان شيمون بيريز رئيس الوزراء الاقتصادى حيث  
 قد نشر قبل ذلك نوبت قصير كان كبيراً يسمى العنوان وما ب أدب الحكومه أنها  
 ترحب بالرويح لهذه الفكرة حتى بدأ الكتاب لمسعود د ثف لوضع خدماتهم  
 تحت تصرف الحكومه، وللرويح ما تريد الحكومه الرويح له، يكسبون من تأييد  
 النظام الشرق الأوسطى الخديده! بدرجات متفاوتة من الخذر، على حسب درجه  
 الحره التى يسمح بها الكتب ومدى تعهده لكسب رضا بسطة . وكان هؤلاء هم  
 أنفسهم الذين كانوا يدير السدات الموجهة لقدم فى ١٩٧٧، والذين كانوا  
 يشبهونهم بعد أخرى بالإشادة برباب سلام . والأكثر اطمينة التى تترتب على  
 مشعر احب براء الآخرين ويقصدون بذلك، الإسرائيليين، ومحاوله تمهيم  
 الآخر، وعيوب الخفد والكراهية . إلخ

لم يكن أستاذى القديم من هذا النوع من الناس كلاب نطع فهو لم يمتلئ  
 اللطعة قط، ولا دافع عن فكره لا يعتقد بصحتها ولكنه فاحاشا ست مقالات  
 طويلة فى جريده الأهرام يدافع فيها عن الشرق أوسطية فكيف يكر لى أن أفسر  
 ذلك؟ لماذا لا أقل تفسر السط وهو أنه يعتقد فعلاً بما التعاون الاقتصادى مع  
 إسرائيل؟ ولكن كيف لرجل مثله ألا يرى ان لا استعداد للقول بهذا اراى . وقول  
 المشاركة فى مختلف المؤتمرات التى تاركها إسرائيل دل ونحث على عهده، وتعتقد  
 سوية للترريح لهذا التعاون، معده الشارل عن الورقة الموحدة التى بحث فى يد  
 العرب فى محاورتهم المسببة لاستعادة بعض حفرتهم الضائعة؟ كيف لا يرى هذا  
 الأستاذ هذا الأمر؟ نعم لابد أنه يعتقد بصفحه ما نكبه، ولابد أن الأمر ليس إلا حقل  
 فى التقدير، ولكن إلى أى مدى يمكن أن يصغر الخطأ لحد أن صاحبه يصوره أنه  
 صواب؟ كيف مقدلاً طويلاً فى الرد عليه ونشر فى . حتى الحرائد المعارضة كان  
 المقدس لا يجرح قط على حدود لأدب والهديب ولا يكذب بمصمى أى سحرية او  
 عباره جارحة . وكانت أفسى عبدة فيه، فى نظرى، العبارة التى وردت فى مطلع  
 الكلام . والتى أشرت فيها إلى ذهنتى لشديده من اشتراك الأستاذى فى هذا العدد  
 اللانهائى من السموات والمؤتمرات التى تعقد للترريح لفكرة السلام مع إسرائيل، فلا  
 تكاد يحبو بدوه او مؤتمراً من اسمه كأحد المتحدثين، وقتت . إن الله وحده هو



سدى يعلم سبب ذلك، أى أنى سمعت لنفسى أن أصر عن حيرتى وشكى فى أن يكون هناك أسباب أخرى لتكرار اشتراكه فى الترويج للتعبون مع إسرائيل عبر مجرد عتقاده بصحة هذا الموقف

كان هذا كافيا لطبع لقطع حائل يود سبب وسه، وهو ما استمر يعث الحرب فى نفسى كتب بذكره، وظللت أشعر بالأسف والحزن كتب بذكرت ما فعلت مع هذا الأستاذ العربر القديم، وبكى دون أن يكون لدى أى شك، مع هذا، فى أنه كان عسى خطأ وأنى على صوت وطبعت من حير لأحر استعيد الجملة لئى بدأت بها معالى صدقائه، وأنه وحده هو الذى يعلم سبب اشتراكه المتكرر فى كل ندوة تعقد لترويج فكرة السلام مع إسرائيل، و قول لفسى هل كان من الضروري أن أكتب هذه المناقشة بذلك؟ ألم يكن من الممكن أن أكتب المبدأ كنه وأصر عن كل حرجى، باستثناء هذه العبارة؟

ثم سهرت فرصة لأتصل به تليفونيا لأخبره بقدوم عام جديد، وكم كانت فرحى أن وجدته متقبلاً تماماً بهذه الخطوة مى، ورحب بمكاشفى، وتمتم معى تماماً عندما قلت أن ما حدث بينا كان كلاماً فارداً لأهمية له، ولكن فرحتى كانت مضاعفة عندما وجدت، بعد مرور بضع ساعات أخرى، سرجع عن مواعده السابق المؤبد لمشروع اشراق أوطية وشرع فى مهاجمة بعض ويلا هوادة، ولم أجد أى سبب للشك فى أن سرجل قد اكتشف خطئه وكان من البراهمة والشجاعة بحث أعلى عسى اللأ ما يعتمد الآن أنه الصواب لم أحاول فقط أن أستدرجه إلى الاعتراف بخطئه القديم، ولكن كى وأصبح بكل ما أنه هو الذى تعبى فى هذا الأمر، وأنه يئى أن الحق كان مى عندما تأكد كل ما من ذلك عادت علامتى إلى صفاتها القديم، بل وأصبحت لعدة شهر ر أقوى مما كنت فى أى يوم من الأيام، إذ أصيب إليها الآن شعور كل ما بأن الكمال مستحيل، وأن كلاماً به من أوجه ضعف ما يفرص عليه أن يكون أكثر صراً مع صاحبه عسى أن هذا سم يستمر طويلاً دمرص الررجل فجأة مرص سيصم تحول بسرعة إلى مرض خطير، وكان عمره قد قارب الخامسة والثمانين، وإذا ما عده فجأة، وكان قبل ذلك بأيام قنبية من السمع والصبر

## البحث

يعرفت خلال سنوات الخماسية، لأول مرة، على فكرة «العروبة والوحدة العربية» حدث هذا عن طريق تعرّف على مجموعة من الطلبة العرب، من الأردنيين والسوريين ولبنانيين، الذين كانوا يدرسون في كتيبة أو أخرى من كتيبة حامية لمعاهرة، وشهدت إحدى المحاضرات للقومية العربية والوحدة العربية، من الخليل إلى المحيط، كان معظمهم أعضاء في حزب بشا في سوريا، وكانوا يسمونه «حزب العرب» لبحث العربي الاشتراكي. ولكن حتى من لم يكن منهم يعنيًا، كان يؤمن بالقومية أكثر من أي مصري كنت أعرفه في ذلك الحين. وقد أثار هذا الذي يعرضه الدهشة في نهاية الأمر أن يكون حماس الناصري أو السوري والأردني لتكوين أي نوع من الوحدة مع مصر أقوى بكثير من حماس أي مصري لذلك. وقد أدى تعرّف على هؤلاء الطلبة العرب وما دار بيننا من أحاديث إلى بدء فرقة في «ريج انقومية العربية»، و«مرايا الوحدة الاقتصادية»، وكتابات مطبوع الحصري وعمره في الدفاع عنها، وإلى قبة أسمى سلامة الفكرة، وخطأ الشكك فيها. ولكن هذا الاقتناع اكتسب شكلاً حديداً تماماً بعد أن سافرت إلى لبنان وسوريا في سنتي ٥٣ و١٩٥٤. وبكونت لدى مشاعر نحو «عروبة والقومية العربية» تكاد أن يكون جديده عنّي تماماً. لم تدعمت مصر أمشاعر برياراني لمتشكلة بلاد عربية أخرى في المغرب والمشرق. يجب أن أعترف بأن إقامتي في الكويت، رغم أنها كانت أطول منها في أي بلد عربي آخر، وكذلك ربما في لأوطان، لم تزد مشاعري العربية قوة، وإن لم تضعها، إذ كان الكويتيون مكثبين بأنفسهم إلى حد كبير ولا يميلون إلى أي نوع من التآلف مع الوافدين العرب إلى بلادهم، وتبي أني طلي لم أناس من أهل البلاد من

لمسب فيه حماسا للمعروية ولكن هذين اليلدين كانا هما الاستثناء، وكانت كل زيارة لى لآى بد عربى اخر تدغم شعورى بالانتماء العربى وتقويه هذا الشعور الذى أثارته زيارتى الأولى لىبان وسوريا، لم يفرمى حى لآن، رغم كل ما مر العرب من أحداث مريرة طواب الخمسى عماً لى انقصب عى رؤى لأول بلد عربى خارج مصر .

ما الذى رأيت فى سان وسوريا فى ذلك الوقت لما عرس فى هذا الشعور بقوى بالانتماء لعربى<sup>٩</sup> لى لم يكن مجرد حماس الباس هنك للمعروية ماكثر مما لسته فى أى وقت فى مصر، ولا نظرتهم اخاصة وملتمة جداً إلى مصر والمصريين، ولا حبه و حتر مهم العميق لأدياء مصر وكثبها وزعمائها الوطنيين، ولا معرفتهم الوثيقة تاريخ مصر وولائهم العميق للغة العربة والأدب العربى لقد لست كل هد حقا، ولكنى فوق ذلك لست بوضح تام أن ما يجمع بنا أهم واقوى بكثير مما يعرفنا لغت وثقافتنا وهوسيانا وطريقة استحداثنا للأحداث، وقيمنا الأخلاقية ونمط علاقاتنا الاجتماعية إلح . هذا الذى لسته أولاً فى لبنان وسوريا عدت ولمسته المرة بعد الأخرى فى البلاد العربية الأخرى كتر فى نفسى تعلل جذور الثقافة العربة فى العراقى، وإحاده اللغة العربة لدى الأردنى، بن وحنى لدى ملكهم وأمرتهم، وحب المتعلمين المغاربة لمصر وعرفهم بحجم مصر وأدائها، وبمصر الأدهر على من جاء منهم إلى مصر ليدرس فه، وعشق تنوبسى وتذوقهم العميق للموسيقى العربية، وتعظيمهم الشديد للمعنيين والمحبين المصريين، وكذلك حب اليمين لمصر وعرفانهم خبيتها بماعدتها لهم فى ثورة ١٩٦٢ والحرب التى تلنها، وسبعه للثقفير اليمينيين لكن ما يسحه مثقفو مصر وأديباها وصحفيها، وفرب روح الشكاه عند اليمينى بها عند المصريين أوف رحل لى لا أعرفه سيازته إلى حانى وأما أسير فى أحد شرب صعد، عذب رأى من ملايح وجهى أنى مصرى، وجاء يخبى، وإذا به يشكرى عى ما فعله مصر من أجل اليمين وكان بعض لأطغال اليمينى اصغار يستوقفوسى أيبص فى الطريق ليعرسوا على ما يحملون من كرايس وهم عائدون من المدرسة مفتنحرين بما علموه، وهم يتوقعون منى، أما المصرى، أن أفرح بدورى بحقوقه وكان أغلب

المدرسين في اليمن في ذلك الوقت (أوائل الثمانينات) لا يزلون من المصريين الذين جاء بعضهم ليقضى شهوراً في الدراسة في بعض معسكرات بسمكة الدابة في أعلى الجبل، من دون أي وسيلة من وسائل الراحة والترفيه المتاحة في مصر أو في العاصمة الجيدة في الكويت ثم المنى مثل هذه المشاعر نحو مصر والمصريين إلا عند بعض كبار المنى، ولم المنى مثلها قط عند شباب الكويتيين. قال لي أحد المسئولين الكويتيين مرة معزاً عن أئمة الجبل معظم الشباب الكويتي معصل مصر على الكويت «إنه يرجع أنه لو فتح الكويتي أذراع المكنات الحكومية في الكويت يوجد في بعض أقاليم وكرايس مكتوناً عليها (هدية من المملكة المصرية)، ترجع إلى أيام الملكية في مصر عندما كانت الكويت فقيرة بدرجة اصغر رها إلى اعتماد على كرم الحكومة المصرية وسحبها في رسائل المدرسين وبعض المواد التعليمية إلى الكويت دون مقدس»

في أول زيارة لي لسيرت في ١٩٥٣ قال لي بعض الأصدقاء السياسيين إنهم دوا في كتاب المطبعة وهم تلاميذ صدر بعض انقطع النثرية من تأليف أبي أحمد أمين. وعندما سمعت إشعاراً منكرتة بي أحمد أمين هناك استقر في ذهني أن أحمد أمين معروف في لبنان أكثر منه في مصر وتكرر ذلك في ملاذ عربية أخرى خاصة لعراق والمنى، حيث مما لي أحد المثقفين اليمنيين إن يسحين من محلة الندفه التي كان أبي يرأس تحريرها، كما اتصال إلى صنعاء في كل أسبوع خلال الثلاثينات والأربعينات ثم لا تلت استحقاق أن تدور على اليمن الرئيسية حتى لا ينهي الأسبوع ويأتي العيد الجديد حتى تكون السحان قد أصبحت مهبطين لكثرة الأيدي التي تدولنهما

وهي جلسه من جلسات لقت في صنعاء، ضمت بعض من كبار المسئولين اليمنيين، أحد شاعر على كبير بحكي لها، وهو معلم في نفس الوقت كيف أتم بين الورقة المطبوعة من اللغات وغيرها، كيف قرأ مؤجراً عن شحات عيف شحاتين صبحي مصري وقمريني مصري كان وقتها يشعل مناصاً خطيراً يدعى «الملاعي الأشتر كي»، واتخذ موقف مخالف للممنون والصغير إرضاء للحكومة، وكيف أصحك بصحفي مصري كتبها على هذا العائوني، فبدأ يديمين الحاضرين كلهم

يصوتون بشغف إلى هذه منصة المعارضة في الحياة السياسية المصرية وكأنها تنس شأنا  
حظيراً من شئون المص

ما مثقفو الحرين فلا يتحدثون كثيراً عن فصل مصر عن الثقافة المصرية لأنهم،  
كأزعم وصعدوهم، يعتبرون هذا من قبيل غصصيل الخاص وقد تأملت وريز  
لتعليم الحراس، وكان أيضاً رئيساً لناد عربي في الحرين (نادى العروبة) ووجدته  
يعرف من معاصيل حياه الملحنين المصريين انكار، كالفصحن وركزي احمد،  
وبرب ظهور أعني أم كنشوم وعد الوهاب القديمة ما لم أكن أعرفه وعلما دررت  
لسان في التسعيات وعرفت على أسره سحاب العده، التي أنتجت «سبب» فتد  
المرقة القومية للموسيقى العربية بالقاهرة، و «فيكتور» المؤرخ وأستاذ السياسة  
ماجامعة اللبانية، ولكنه أيضاً مؤرخ عظيم للموسيقى العربية، و«إلياس» أكثر  
الإحرة ثلاثاً، والكاتب السياسي الشمير بدوره، ذكرت لفكتور كيف بدأت  
معرفتي به بقراءتي لمقابلة مذهش نشره في جريدة الحياة بماسة ربه المطرب المصري  
«كارم محمود» وهو، أي كارم محمود - وإن كان قد حقق درجة لا بأس به من  
الشهرة، لم يكن قطعاً في الصف الأول ولا الثاني من المطربين المصريين، فإذ بي  
أجد فيكتور سحاب وقد كتب عنه مقالاً يحصى فيه كافة أعانيه وأعلامه وتواريحها،  
ويحلل بدقة سريه صوته، ويحدد بالقسط دوره في تاريخ لأعية المصرية  
وحللت أفرح على لإخوة الثلاثة، إلياس وسليم وفيكتور، بتذكرون وينامرون  
بتذكير بعضهم البعض بأهمية الأداء الذي همت به أسجهان، المطربة اللبنانية ابي  
حققت شهرتها في مصر، لإحدى أعيناتها القديمه، وسجنه له أحد المهاوين في  
الثلاثينات دون أن يذاع قط على الملأ، وكيف يحلف هذا الأداء عن أدائها لمس  
الأعية في سه أخرى إلح

بعد ذلك يصع سوات كب أحضر مؤمراً في تونس فأحد أحد الاقتصاديين  
الروس من المشاركين في المؤتمر تحدث عن مدى تغلب الروسين بأن كنشوم حتى  
إنه عندما جاء أم كنشوم لتقديم حفلته عائيه في تونس باع أحد معاربه بعض أثاث  
ممرله لينشري شمنه بصع تذاكر بلحفة، كم أزر السودون قد للأسف، وبكى  
عرفت كثيرين من السوداين عن قرب، ولست فيهم من الداء في اشاعر الذي

لمسته لدى بقية العرب ، وسهولة التفاهم الروحي بينهم وبين المصريين ، وقدرتهم على فهم النكتة المصرية بنفس المصطفى الذى يفهمها به المصرى

لم أصدف أى شىء يشبه هذا الولاء والحب ولا اعتراف بالجميل بحور مصر والمصريين فى أى بلد من البلاد الإفريقية التى رربها ، لا فى عرب أفريقيا ولا شرقها . ربما عثر بعض الإغريق عن حترامهم لحعل عبد الناصر ولكن هذا شىء مختلف تماما . كذلك لم أشعر بذلك التصارب والاتفاق فى الشاعر والمشارب بلدين شعرت بهما فى كل البلاد العربية التى ررتها ، عندما ررت إستديوس ، أى جعلى أشعر بعلة رابطة اللغة وثقافة عى رابطة الدين بل قبلت أمثلة كثيرة جعلتى ألاحظ كم يعنى نفس الدين أشياء مختلفة جداً عند الشعوب المختلفة ، فالإسلام فى تركيا له طامحه المبر حداً وملامحه الخاصة جداً إذا قور به فى البلاد العربية . نعم إن له ملامحه الخاصة أيضاً التى تحبب بين بلد عربى وآخر ، ولكنى لم أشعر بأننى أسمع شيئاً عربياً على عندما سمعت الأذن لصلاة الفجر فى صعاء ، بل ترك فى نفسى أنرا أقوى أى كان للأذان فى مصر ، أى خعب صوت المؤذن وحسن أدائه



أهود بنى هؤلاء الأصقاء من الطلبة العرب الذين تعرفت عليهم فى سنوات دراستى بجامعة ، وكان معظمهم من الأردنين والسورين والساس ، وأكثرهم أعضاء فى حزب «بعث العربى لاشتراكى» . قالوا لنا : إن مؤسس الحزب أستاذ سورى اسمه ميشيل عفلق ، وأهم أنصاره صلاح البيطار ، الذى أسس مع الأستاذ ميشيل حزب البعث فى سنة ١٩٤٢ ، ثم انضم إلى هذا الحزب أكرم الحورانى ، وعيم الحزب الاشتراكى فى سورى أيضاً ، وتكون من الحزبين «حزب البعث العربى الاشتراكى» كانوا مجموعة من الشبان الناصحين ابودوين ، بهم درجة من الحدية والاهتمام بالسباسة والقضايا العامة تفوق بكثير ما كان شائعاً بين الطلبة المصريين ، فاجتدب إليهم . وكان من لواصع أنهم حريصون على أن ينضم إلى حزبهم ومن ثم يؤسس للحزب لأول مرة فرع فى مصر ، ونقلوا إلنا قوب مشتل عفلق فى الحزب لا مستقل له إن لم يدخله مصريون . كان أول من نتحق باخزب من المصريين على

محار، الذي كان صديقا في مد كيا في الثانية عشرة من عمرنا، وكان طالبا في كلية الطب عندما تعرفنا على بطللة بعثيين، ركب أن في السنة الثالثة في كلية الحقوق كنت العصفو التالي من لمصريين، ومن ثم تكون من على مختار وعنى أول وحلية من حلاي حرب البعث في مصر في ١٩٥٤، رسريا بالطلع أن سمع أن ميشيل عصفو غير عن در حه بهذا الخبر

لم يحص وقت طويل حتى انضم إلى الحرب مصريون آخرون، ولكن لا أظن أن العدد تجاوز المائتين في أى وقت من لأوقات وعندما انحزحت في كلية الحقوق في ١٩٥٥، حادما عصفو قديم في الحرب أكثر ما بعدة سواب وأكثر تجربة (حسب الموطائي) وأحربنا أن قيادة الحرب في دمشق قررر تميينى أنا مسئولاً عن الحرب في مصر مع أنى لست بضرورة أكثر الأعصا لمصريين حذارة بذلك (ركان يقصد دوس شك أن عنى مختار حذو وأكها)، ولكن البس في احتاوى هو نى أنهت دراستي وأصبح لدى وقت أكثر ممكن تحصيصه للحرب (إذ لم يكن مختار قد تحرر بعد في كلية الطب) وعلى الرغم من أنى فلت ذلك وأصحت مسئولاً عن فرع مصر من حزب البعث، فقد ظل على مختار هو الدينامو المحرك لشظفه والترامه اللذين لم يعارقه قط

لم يكن من الصعب عليا أن يقتنع بمبادئ حزب البعث، فهو تنحصر في شعارات ثلاثة بدت بدهيه، الحرية والوحدة والاشتراكية. يد من الذى يكره الاعتراض عنى خبريه، معنى التحرر من الاحتلال الأحيى ونظير انديقراطيه اسبسية؟ وأم الاشراكية فكان قد بدأ تدفعى معي مد سمعت عنها لأول مرة وآف الوحدة العربية هى وإن سم تكن في أى يوم من الأيام تشعل حماس لمصريين عشما تفعل بشعوب المشرق العربي، فقد اقتضت بوحايتها مد أن زوت بدروت ودمشق في ١٩٥٣، ورأيت عسى كيف شير فكره الوحدة العربية عواطف الشعب اللبناني ولسورى، وأن ما يوحّد بسا هم بكثير مما يفرقنا وقد قوى هذا الشعور ما أحدثت أثره عن مراب الوحدة الاقتصادية واسبسية وعن تاريخ الحمة لغومة العربية متأثير أصدقائى المحدد

كانت هذه هى أول تجربة لى، وأخر تجربة أيضا، في الانضمام حزب سياسى،

وهي تجربة تكاد تكون صياغة أكثر منها تجربة حادة في العمل الإنساني، إذ لم تكن قد بلغت لعشرى عدد مصيبت حرب البعث، وتركته وأنا في الثالثة ولعشرين، والرجح أن السبب لأساسي بدخولي في هذه التجربة كد سببا اجتماعيا وبمسيا أكثر من أى شيء آخر. وأقصد بالسبب «الاجتماعي والانساني» لميل «طبيعي» في مثل صبي إلى الاشتراك في عمل جماعي مع شباب في نفس السن بعمر فيها كل ما عن شخصيته انني بدأت في التكوين، وأمل كل ما في أب يحصل من خلاله من الآخرين على قدر من المودة والتقدير يدعم به ثقته بنفسه.

ولكن لابد أن أذكر «الأثر الذي تركته في نفسي شخصية ميشيل عملي كانت أحمره رأيت فيها ميشيل علق وجهها لوجه في نوفمبر أو ديسمبر ١٩٥٧ أي عندما عرفت من حمسي عام، وربما كان وقتها قد تحققت الأربعين بقليل وكنت أنا في الثانية والعشرين. وقد ظلت أحماره تنيب بين الحين والآخر، خلال هذه الفترة وحتى وفاته في مطلع الثمانينات كان من بين هذه الأحمار ما يؤكد فكري في الطبيعة عنه ولكن كان فيها أفضا، لم كان صحيحا، ما كان جذرا تعبير موقفي منه وإساءة الظن به. ولكني ظلت دائما، وحتى الآن، لا أميل إلى صوب أى مقدي يوجه إليه مما يطعن في صدقه أو إخلاصه أو برهانه، وأميل إلى الاعتقاد بأن رجلا مثله لا يمكن أن يكون له يد فيما أبركه حرب البعث، وما أبركه باسم البعث، من جرائم وأخطاء، بل أرجح أن سمعه قد استخدم في سرير هذه الجريمة والأخطاء، في سوريا نارة وهي المرونة نارة أخرى. كما أميل إلى الاعتقاد بأن إخلاصه ميشال علق في العراق خلال حكم صدام حسين كانت من قبيل الإقامة الحسرية، استخدم خلالها اسمه دون أن يسمح له هو نفسه أن يفعل أو يقول ما يريد. أما ما أعساه حزب البعث العراقي بعد موت ميشال علق من أنه اعتنق الإسلام قبل وفاته فلا أصله أيضا، وأرجح أن صدام حسين وجد في شهر هذه الإشاعة ما قد يفيد هو شخصيا لسبب أو آخر.

إنني أتذكر ميشال علق رجلا ومبها، على وجهه دائما تناسله مشرقة وصدده تعكس نغمات صوته وكبريه. كانت روحه أقرب إلى روح الشاعر منها إلى روح



رعيم السيسى مل إني كت كثيرًا ما أتعجب كيف يصدر رجل كهذه الأعاصير  
 الصبيحة ومزمراتها وهو هذا الرجل الرقيق الذي يبدو وأنه تجرحه السمعة العابرة  
 لابد أنما نحن الشباب المصريين لمصممين حديث للبيت قد جلسنا مع ميشيل علق  
 عشر مرات أو أكثر في الصف الثاني من الجامعات، في مجموعات صغيرة كثيرًا  
 ما لا يريد عدد أفرادها عن اثنين أو ثلاثة بالإضافة إليه هو كان يسبقنا في شقة  
 مفروشة في إحدى لغارات الصحبة بشارع قصر النيل، اعتاد أن يستأجرها كلمة  
 جاء إلى القاهرة، ويصحب لي مكان قريب كمشقة «الأناس» في نفس الشارع أو  
 صالته أو شرفة فندق سميراميس القديم المطل على النيل، فجلس إليه ليتكلم  
 ويكتب، ثم بعد ما يكتبه للبشر بعد عودنا إلى بيوتنا. كان يقول إنه لا يحب (بل  
 رى قال إنه لا يستطيع) أن يسلك بالقسم لشدة أفكاره على لورق، بل يفضل أن  
 يتكلم ونحن نكتب. وكما إذا أنصرفنا عنه مستغرقين أحياها في الصلح وحس نقصد  
 طريقته في الكلام، إذ كان يقولنا وكان ساعات طويلة تقضى بين كل كلمة يصدر  
 من فمه والكلمة التالية، ويستغرب أنه لا يزال تذكر لشدته الذي لا تأتي حرة إلا  
 بعد انقضاء هذا الوقت الطويل. ونحن الكلام كان يبدو في النهاية جميلًا جدًا  
 ومقنع، وطرأ أنه كان كذلك بالعمل. أحيانا لم تكن الجلسة تسمح بالكتابة فكت  
 أصغى إليه بكل حواسي ثم أعود إلى الشق فأعبر عن المعاني لثمة فهمتها منه وحدا  
 بعد الآخر، ثم تدرس هذه الأحاديث في اجتماعات الحزبية

رعا أسدكر وجهه أحيانا وهو مقطب أو مستغرق في التفكير، ولكني لا أسكره  
 قط عاصيا بل كان دائم، كلما ذكر أمامه اسم واحد من محائمه في الرأي أو نقل  
 إليه بعد، مهما كان قسما، ترسم على وجهه نفس لابسامة لصافية ويقول  
 معناه أنه يفهم تقدم البوايح التي دعت متفكره إلى قول مثل هذا الكلام. وقد كان  
 يبدو دائما فرحًا ما نحن البعثين المصريين الحدد، وكبير الأمل في يمكن أن يصعه  
 ولم يصل إليها بعد ما يدل على غضبه مما لا عندما نشرنا بعض أحداثه في ألقاها  
 في القاهرة في كتيب صغير دون أن يصح على كل حديث منها تزيح الذي قيل  
 فيه، إذ عشر تاريخ هذه لأحدث مهم للعاية. ولكني أذكر عصب أكرم لخوري

الشديد ما عندما ورعنا مشوراً حلال أرمه تأميم مائة السوس، معدوموع التأميم  
وقبل الهجوم العسكري على مصر، وذلك لأننا ذكرنا في المشور اسم الولايات  
متحدة الأمريكية كوحدة من الدول لمعدية لأهدافنا القومية (وكت أنا مستول عن  
ذلك) وقال لنا «لي إسا بعوك على أن تندخل الولايات المتحدة لمصلحتنا وتقف  
إلى جانبنا»



استمر لقائى المتكرر ميشيل عملى مدة سبعين أو ثلثا (١٩٥٧، ٥٥)، سم  
يصعب حلاله ولاؤا وحسا وحراما له، مع تحفظ بسيط يعطى بعفورا بفكرى  
كما قد بدأ بقراء، في أواخر هذه الفترة، بعض الكتابات الماركسية التي تتعارض  
مطلقاتها وروحها العامة مع مطلقات ميشيل عملى وطريقة تفكيره وكان من  
سهن، عيب أخص، أن نسب الماركسية لنا، ونحن في هذه السن الصغيرة، وأن  
مرى فيها صلالة وقوه وحسا لم تكن عمده في أفكارنا البعث كتاب ميسايريمية  
وروحية ميشيل عملى أبعد كثيرا، بالمقدرة بالماركسية، عن متناول شباب في  
العشرين من عمرهم، يريدون أفكارا كصحة الصنع وحده للتطبيق، وصارمة في  
تفسيرها من الأسس والأسود، التقدوى والرجعى، البطولى والخائى وكان التفسير  
المدى الامتصادى للأمور أقرب إلى جذب شباب في هذه السن من أهوال مشل  
عملى النى من نوع يقول «إن القومية حب» مثلا، والتي كانت كثيرا ما تذكر من  
جانب أعداء البعث على سسل السخوية من عراق ميشيل عملى في المثلية

أذكر مرة أفسى قررت، أنا وعلى مختار، أن نواجه ميشل عملى بشكوكنا  
بصراحة، وأن نحاول أن نستخرج منه تعبير واضح وكامل عن موقفه من بعض  
الأفكار الأساسية في الماركسية ذهبنا إليه، وكان اللقاء في صالة فندق سميراميس  
الحديثة والبر سعة وأذكر أننا كنا نوجه إليه هذه الأسئلة الحساسة أثناء قيام عازف  
البيانو في الصالة يعزف بعض لمقطوعات الموسيقى الكلاسيكية سأساه أولا عن  
موقف البعث من المادة اللدلكتيكية، ولا أدري ما الذى كان يردده من البسط. هل  
كان تصور أن أى حزب سياسى لابد به، لكن يستحق هذا الاسم، أن يكون له

موقف فلسفى من علاقة المادة بالعكر، ومن مبدأ اشتاقي، وبما إذا كان تشعر  
لكمى ينقلب فجأة إلى بحر كفى؟ يبدو أن هذا هو ما كان يطمح، ولهذا لم يسترح  
وقتها بالمرء لإحادة ميشيل عملاق على هذا السؤال لقد انضم الرجل لاسماة  
عريضة عذبة سمع مزال، ولأنه كان يشعر بعض الإشفاق عليها، أو لعلها كان  
تذكره بصداقته وشانه. قال إن هذه الموضوعات كانت تشغله في وقت مبكر من حياته  
أثناء دراسته في باريس، وأنه جسم رأيه فيها حينئذ (وأذكر أنه قال إن فلسفة هيرى  
برجسون كانت أشد جاذبية له بكثير من الماركسية) وأنه لم يقرأ أو يفكر في هذه  
لأمور منذ وقت طويل، وأن علي، إذ أردنا إحابة شافية على مثل هذه الأسئلة،  
أن نحمل مع ميف الزرار (أحد لأعضاء الباريس في حرب البعث) فهو كغليل  
دارد عليها.

لم يشجع هذا الرد غليلنا بل ربما شعرا بأنه رد ضعيف، أو حتى طغا أنه يهرب  
من الإجابة. وكذلك لم يحجبى رده على نقديا لتعريف القومية أسلوب إليه في  
قوله إن القومية حب<sup>٥</sup> ولا أدري أيضا سب سخطا الشديد على هذا القول  
ري كان لسب أنا سمع بعض الماركسيين يتخرون منه<sup>٦</sup> لأنه لا يفسر القومية  
تفسيرا اقتصاديا كما يفعلون هم، فيعبرونها مجرد مرحلة تاريخية لاند أن  
يحرى تحاوره بعمير الظروف. قال الأستاذ ميشيل به قال هذا في حديث مع  
تلاميذ صدر في إحدى الندرس عندما سأله أحدهم عن القومية، وراود أن يعطيه  
إجابة يستطيع التلميذ الصغير فهمها واستيعابها. إني الآن أعتبرها إجابة جيدة  
ومرعبة هذا من الحقيقة، سواء كان المثالي طمعا أو بالعارشيد، ولكننا لم نقنع  
بها في ذلك الوقت، واعتبرنا أن مستقبل الحرب على حق إذ يهيمونه بأعينية  
والعاطفية المفرطة.

ذكرت أن آخر مرة قابلت فيها الأستاذ ميشيل كانت في أواخر سنة ١٩٥٧، قبل  
سفرى في سعة إلى إنجلترا. جاءنا الأستاذ ميشيل وقتها متعبا ومتعبا، فكان قد  
عاد لثوره من معاناة جمال عبدالناصر، وقال إنه سعيد تماما لأن الرئيس عبدالناصر  
وافق أخيرا على دخول مصر في وحدة مع سوريا، إذ استطاعوا في النهاية إقناعه،  
وأنهم قبلوا بشرط أبدي وضعه عبدالناصر بحل حرب البعث، وعتروا أن تحقيق

هذه الخطوة الرائعة نحو إبحار الوحدة العربية الشاملة يستحق أن يدفع من أحله هذا الشعب، وهو من الحزب.

وقع عليّ خبر حلّ الحرب وقع الصاعقة، واعتبرناه خطأ سياسياً كبيراً ولكني الآن أعتبر أن ميشيل عفلق ورفقته انحدوا الموقف الصائب في هذا الأمر أيضاً، وإن كانت الظروف قد أظهرت بعد ذلك عكس ما كان يبدو بهم وقتها

لهم أن كن شيء في ذلك الوقت كان مدعياً بعدد من حرب البعث بدء مرحلة جديدة تماماً من حياتي سعى إلى محترقة لعدة سنوات، وشعوري بضرورة بوجه كل شيء للدراسة، واستهاري المتزايد لأفكار الماركسية وما هو الحرب على أي حان يحل نفسه فلما وصلت إلى لندن وقابلت بعض الطلبة اسعشين العراقيين، الذين كانوا يقصون معظم وقتهم في مقاهي لندن في مناقشة عقيدة أو في إصدار الأحكام على هذا الحاكم العربي أو ذاك، ويحتفلون ويتشاجرون في عصبية شديدة حول ما إذا كان وصف الحياة بنطبق على هذا أكثر من سيطر على ذلك، عندما رأيت ذلك لم أتردد في إعطاء أحدهم حطاً لتسليمه بعض المسئولين عن الحزب في العراق أو دمشق، ويتضمن استغاثتي من الحزب كان هذا بعد ظهور قلقة من وصولي إلى لندن في فبراير ١٩٥٨، وانعطفت بذلك كل علاقة لي بحزب البعث إلى الأبد، وإن كانت تلك الفترة القصيرة التي قصتها عصوا في الحزب (١٩٥٨-٥٤) قد سببت لي متاعب كبيرة لعدة سنوات كثيرة بعد ذلك، مع حكومة بعد أخرى من حكومات الثورة في مصر ولكن هذا ينتمي إلى مرحلة مختلفة من حياتي



## البعثة

-١-

بعد عرجي بعامين حصلت على بعثة حكومية لدراسة في إنجلترا بالحدود على المذكوراه في الاقتصاد، وأسفر الأمر عن قصائي ست سنوات (١٩١٤ - ٥٨) في إنجلترا كن لها، كما توقعت، دفع الأثر على من كن الواحي

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أشاهد بها بعثتي، بعد قصت في شهر أيلول ذلك سبع سنوات (١٩٥١) في رباوة لأخي عبد الحليم، الذي كان يحضر للمذكوراه في جامعة لندن، ولاحي وطمه. إذ كن روجه يعمل وقشد وكيلاً للكتب العنات هاك كن الفصل في هذه الزيارة المفكرة وأنا لا أزال في السادسة عشرة من عمري، يرجع إلى أني، بل بعله كن هو صاحب مفكرة أصلاً كن يسيطر على أبي الاعتقاد بأهميه تعلم لغة أجنبية في سن مبكره، إذ لم يستطع أن يسي معاناته في تعلم الإنجليزية عنى كسر، واضطاره إلى أن يعلم معه الإنجليزية وهو يقترب من الثلاثين، فكان يكشف عن معنى أسط الكلمات في القاموس، وعن دائماً لو كن قد سع مسوى أعلى مما بعله في إحادته. كان يقول إنه قل تعلم الإنجليزية كن كمن له عين واحدة فأصبح له بعد تعلمها عيون. ثم يرك أي إدن فرصة تناح لأى من أسانه أو سبه لإحادة لغة أجنبية. لا وانهرها في سنة ١٩٥٠، أرمس إلى أحي حسين لقضاء عطلة الصيف في لندن، ثم أرمس في بعام إلى في رحلة مديلة، وكنت قد أتممت لتوى امتحانات ثانوية العامة، فوجت بالمفكرة وركت الب حرة من بورسعيد لمدة ثمانية أيام حتى وصلنا إلى ميناء ساوت هامتون بإجلترا

كسب في ذلك الوقت صيب مراهقاً يحاول إتي درجة المرض، مهموماً باستمرار بالأفكار التي تنمو حول قصوري في هذا الأمر أو ذلك، مع خوف مستظير من أن يكون الناس انطباعاً سيئاً عني. لم تكن مثل هذه الحالة مما يجعل رحلتى إلى إنجلترا رحلة متعة على أي وجه. وكنت أحجل من يمس حتى الآن عندما أذكر الجهد والمتعب الذين سببهم لأصدقاء أحيى عند الحمد الذين صعدوا وقهقروا في إحدى من مكان لأحول لكنى أعرف على معالم لندن. هناك أصبح وقتهم في اصطحابي برؤية برج لندن حيث أعدم هذه الملكة أو ثلث، وكيسمة وستمستر حيث دهم عظماء الإنجليز، رمى اسرمان والمسح الوطنى في ميدان الطرف الأغر، لى يحتوى على أحمل رسوم الفنانين الأوروبيين عبر العصور، ومتحف نشع الشهير باسم مثنى (مدام تومسو) إلح

لأنهم اعتروا هذا الوقت ضائعاً، لأنى لم استعده كثيراً، وكنت لأن استعدتى لما رأيت، ولما كانوا يقربونه عه كتب صعبه جداً ومجه للأمان. خفقت الرحلة بامتنع أهم ما كان يهدف إليه أبى. تمس لعتى الإنجليزية وتعرفى على حور ما على العزم المتقدم. ولا شك أن بعض الأشياء المهمة قد دخلت عقلى لأول مرة واستقرت هناك إلى الأبد، ولكنى أيضاً سببت، مع مرور السنين، أن هذه الرحلة كانت مجرد مش واحد من أمثلة كثيرة صادتها في حياتى لقيام لمرء بسبب حديثه بإعداد فرصة هذه للبهجة والامتناع بلسانه، إذ شغل بأفكار ممتعة في السحابة تدور حول نفسه، وبه فقط.

لم يمتحنى أبى بعد عودتى فيما رأيت وما الذى استفدته منه. فهكذا كان أبى دائماً، تحظر به أفكار جديدة فيما يتعلق بتربيتنا ويصحى بالان للارم لتفديده دون تردد، ولكن وقته كان دائماً ثمن من أن ينفقه في بادل الحديث بعد أو في محاولة اكتشاف ما يدور برؤوسه في أفكار

هأنذا أعود الآن إلى إنجلترا بعد سبع سنوات، لا يزال بي بعض الخجل القديم ولكنى كنت أشقى تمام منه. كنت مع هذا لأأزال فتى جهاً بكل شئ إلا ما قرأت عنه في بعض الكتب، التى لم تكن على أى حال أهم الكتب أو أفضلها،

قليل الخبرة بالسام وعديم الخبرة بالساء سم يكن لدى ميره مافقارة بم في مش  
مسي من المصريين إلا اني كنت متعوق في دراستي ، وأفهم الإنجليزية إذا قرأتها  
لدرجة لا تأمن بها، وإن كنت لا أجد التعسر عي نفسي بها في الحديث ، فإني  
الآن أسمع وحدي لأعطي عدة سنوات بعيداً عن المحاماة لنى كانت تُسرتني تفرعاً  
في دائم، وكأن احداً يدرى بي في بحر متلاطم لأمواف على أن أصارعها بقوة  
المجردة إذا أردت الفاء على يد الحياة

لم أكن الآن داهب في ساحة قصيره، بل طائر متصراً في مئة حكومية إلى كلية  
بجليزية بها شهرة طفت لأفاق، وهي مدرسة لد للاقتصاد والعلوم السياسية،  
قد لي أستاذي الدكتور سعيد الجار عندما علم بأنى داهب للدراسة بها «إني  
سائر بمقدمي إلى عربي لأسد»، وحديثي الدكتور ركني شافعي من أن أعود منها  
دكتوراً في الاقتصاد ولكن تأمب «في كل شيء» حر لا أطل أنى حيث أمل هذا  
الأستاذ من أساتذة لاقتصاد أو ذلك، ولكن لأشك أن حب أمس أن في علم  
الاقتصاد برته

## ٢-٢

كان الأستاذ المشرف على دراستي مدجنت إلى إنجلترا وحتى انتهيت من  
المحستير هو لوبيل روبنر (L onel Robbins)، وروسر أستاذ مشهور من  
الاقتصاديين، وكان من أهم مساتنة كسة لد للاقتصاد ومن أكثرهم نفوذاً كان  
موضوع تخصصه الأساسي هو تاريخ الفكر الاقتصادي، وإن كان سبب الأساسي  
شهرته كتابا بشره في أوائل الثلاثين عن تعريف عدم لاقتصاد، ظل، ولا يزال،  
من المراجع الأساسية في تعريف هذا العلم وتحديد طبيعته ورسم الحدود بماملة  
بينه وبين غيره من العلوم وكان الرجل شيطاله دور مرموق في الهيئة الثقافية  
والسامية في بريطانيا، فهو عضو في مجالس إدارة بعض المؤسسات والتحف  
القيمة الكبيرة، وعُيِّن عضو في مجلس اللوردات من بين من يعملون معه  
إعبارتهم التحصية وليس عن طريق بورشة، كما عهدهت إليه رسة حة بطور



نظام الجامعة أصدرت تقريراً مشهوراً عن حالة التعليم في بريطانيا واستعمله،  
عُرف باسمه (The Robbins Report)

كنت أعتبر إذن محظوظاً إذ يكون روبر هو المشرف على دراستي، وقد كنت  
بالفعل محظوظ، إذ أحسن الرجل معاملتي، وأظهر بي عطف، وأعطاني من وقته  
أكثر مما كان يعطيه لتلاميذهم أساتذة آخرون أقل إشغالا به. وكان دائم التشجيع  
بي، فكثيراً ما يودعي، وأنا خارج من عرفت، عبارة رقيقة كنت أثير بها فرحاً  
عده أيام، ليس فقط لما تطوى عليه من رصاص عملي ولكن بصورها من  
شخص له أهمية روبر كان مشهوراً بأدبه وعدوه وحسن معاملته بطلية، وقد  
وجدته كذلك بالعص، فكان أقصى ما صدر منه مثلاً، في توبيخه بعض قمت به، إذ  
لم يعصه كثير ورقة كنته عن لاقصادي لريطاني «مالش»، قوله «بي لم  
أحول الطين إلى كرماتل» (you have not turned the mud into crystal) يهصد  
أني فشيت في «فك طلاسم مالش التي هي صفة على أي حال»، عندما انتهيت  
من الماجستير، واحتجت أن أحصل منه على تقرير يكتبه لإدارة العنات المصرية  
يميم فيه عملي، كتب تقريراً فيه الكثير من الإطراء طست أن إدارة البعث أو كليه  
البحرق صوف تستقبلني بسمة استقبالا رائعا عندما عدت في إجرة إلى مصر،  
فقرش لي اسجاحيد اخمراء ويعرف من أحلى الموسيقى ولكني لم أجد شخصاً  
احداً في مصر، لا في إدارة العنات ولا في غيرها، قد فر هذا الخطاب، وبما  
وُصع في ملف دور أب يطلع عليه أحد

كنت جامعة لرب التي التحقت بها قد قررت، فيما يتعلق بالطلبة المصريين  
لدي لم يشكل علم الاقتصاد موضوع دراستهم لأساسيه في مصر (كم هي الحال  
معي حيث كانت درستي الأساسية في القانون) أب تعقد لنا امتحان تأهيل أو معادلة  
(Qualifying Examination) بعد عشرة أشهر من التحق بالجامعة، للتحقق من أب  
بلعاً مستوي في دراسته الاقتصادية يقارب مستوى حريجي الاقتصاد من طسهم، أو  
على الأقل يسمح سائده الدراسة لشهاده عليه، كالمجستير ثم لدكتوراه كنت  
عشرة أشهر مهجة لبعانة، إذ كما هي الخمية ندأ مما نعرف من الصغر، وكان مستوي

معرفنا بعلم لاقتصاد أكثر ندنياً بكثير مما كان يدور بحذو المستويين بجامعة لندن كان كل ما دوسته في علم الاقتصاد في مصر لا يريد على حصة أو ستة كتب مسطرة لمعانة، مكتوبة باللغة العربية في مبادئ النظرية الاقتصادية، وهي النعرد واسوكة، وفي التجارة الخارجية، وفي المالية العامة والضرائب، فضلاً عن مقرر مصير بالمعربيه في تاريخ الفكر الاقتصادي درساه في رسوم الاقتصاد، وكان العرص منه التقوية في اللغة امرسية أكثر مه فهم ما حدث بعلم الاقتصاد، وراح أكثر جهديا فيه في البحث عن معاني الكلمات

يكني لثقل على صعب مشروان في الاقتصاد عدما وصلنا إلى لندن أن نظرية رحل شهير ومهم مثل جون مينارد كير، لم يكن عموديا أن يكتب عنها أكثر من فقرة قصيرة، إذ إنا، وإن كنا سمعنا اسمه أكثر من مرة أثناء هذا المقرر أو ذلك، لم يطلب منا درسته نأى عميق في آخره الخاص بنظرته الذي ورد في كتاب القود والسوك، والذي جاء في آخر عشرين صفحة من الكتاب، واضطر الأستاذ بحث إحداح الطلبة إلى حذفها من المقرر لتخفيف عبء الامتحان عليهم

هكذا كان حاسي عدما فالت الأستاذ روبرت دي عتة كله ليد للاقتصاد مشرف على، لأول مرة بعد وصولي من القاهرة كان جهلي حينئذ بمقدار جهلي، أمرا مهيدا لمعاني، إذ لو كتب أعرف قدر هذا الخجل وأعرف في نفس الوقت أهمية هذه الرجل الذي عين مشرف على، لو عرفت ذلك، استطعت أن أفتح فمي بكنمة واحدة في ذلك القليلة

مأني عفا أمراً الآن فلت قلت له اسم الكتاب، ارتسم على وجهه مريح من الدهشة وحيه الأمل كان الكتاب ك بوليدج التحليل الاقتصادي (K Boulding Economic Analysis) وهو كتاب جند فعلا، ويكنى لأن أن أصبح بقدرته أي طالت في مقبل دراسه للاقتصاد، ولكنه كان كدنا مدرسي يدرس طلبة جامعة لندن أمثاله في سنة الأولى أو الثانية من درستهم ولاند أن الأستاذ دروز كان يتوقع من قد تجاوزت هذه المرحلة مد مد طوملة أصف إني ذلك أنه كتب أمريكن لا أطي أن الأستاذة الإنجليز كانوا يرشحون مثله لطلعتهم لم ييأس الأستاذ

روبر لحسن لخط وقال لي إن هناك حزمة كتب على أن أبدأ بقراءتها وبدو أن  
 حبه اقتلعه من ما كان يصيح بمرأته في طالب يند في دراسته الاقتصاد، لا اعتقاده  
 أنها تساعد على تكوين قاعدة سليمة وصلية لفهم طريقة التفكير الاقتصادي كتب  
 هذه الكتب هو ألفرد مارشال «مبادئ الاقتصاد»، وفيكيل «مباحثات في  
 النظرية للاقتصاد»، وهنريك سانت «المخاطرة وعدم اليقين والروح» و«باتكين  
 النظرية النقدية»، بالإضافة إلى محله بشرته الجمعية الاقتصادية الأمريكية يصم  
 أهم لمقالات المتبعة بنظرية الثمن و التي قدمت مساهمات مستمرة في هذه النظرية  
 خلال العشرين أو الثلاثين عاماً الأخيرة أعطاني روبر أيضاً نسخاً من بعض  
 الاجتماعات بدمعة، وطلب مني أن أحبب عبي وأعرض عليه الإحادة. وكانت  
 الإحادة عن هذه الأسئلة تتطلب قراءات أخرى غير تلك الكتب الخمسة

كانت هذه بفترة على قصرها. من أحصت وثرات بكويي العقل لقلد  
 أدلحلي في عالم جديد تمام على، وهو عالم ساحر وحاذ ترمص فيه على  
 عذاب جديدة في التفكير والكتابة، اقتنع به. ثم اعتد على ممارستها منذ ذلك  
 الحين أقصد بديث عدت التفكير علمي، ولتعبير عن الأفكار ناقصر وأوصح  
 طريق، دون الاعتماد على المبالغة، أو اللعب باللفاظ، أو إثارة العواطف من أجل  
 الإقناع، ومحدوده منع التحيز المبني من التأثير في سر الحدول وتهديم الحجاج، وإذا  
 بالتأثير البهني بلكتاب أو المقاد العلمى لا يقن عن تأثير العمل بعنى، وإذا  
 بالمعوظف تأثير سلامة لمطلى ودفقه وكأ. المرء قد قرأ قصة متممة، أو استمع من  
 قطعة من لموسمى الجملة. لم يكن كل ما قرأه في تلك الفترة، بالطبع، من هذا  
 النوع الزاوي ولكنى مرأب جلالة ما يكفى لأن يجعلنى ودرا عنى التمييز بين النوع  
 الراقى وغيره بر في من الكتبة في علم جنماع كعلم الاقتصاد

يجب أن اعترف مع ذلك بأن ما يكاد يبدل عما كاملا من الأعوام الستة التى  
 قصتها في إعلته في فترة السبعة ذهب في القراءة عن إدراكه ذلك أنى بعد  
 محذى في امتحان المعدله. عهدت الكتبة للأستاذ روبر بأن يكون لمشرف على في  
 فترة دراسي للباحثير أيضاً فلما قابلته للمرة الأولى بعد انتهائى من امتحان

المعادلة حاول أن يتسبوع تفكيرى والحماهه، هوجدى أفتح معه على الفور موضوع لاستعمار البريطانى مصر ودوره فى تعطيل قيام بهضه صاعقيه فى مصر، كما اكتشف فى ميولا اشتراكية وماركسية، وكنت قد حلت هذه المرحله من التفكير فى لسة السانفة على سمى من مصر - قرّر الرجل بينه وبين نفسه، فيما يظهر - أن أفضل سياسة تتبعها هي أن تتركى عدة مشهور أقرأ فى أى اتجاه أحب، على أن بقرح على من حين لآخر قراءة كتاب يعتقد أنه قد يصبح من مسار تفكيرى

وهذا هو الذى حدث بالفعل أحدث أقرأ كما يحلو لى وكأنى لست مطالباً بعمل أى شىء معين أو الحصول على أى شهادة، وإذا بكتاب عن لماركسة يعودى إلى كتاب آخر عنها أيضاً، ويد نقد مشهور للماركسية يقودنى إلى رد أحد الماركسيين مدافعاً عنها أثناء ذلك كان روسر يوصى بقراءة كتاب بعد آخر، بكتاب «المجتمع المفتوح وأعداءه» لكارل بوبر، أو كتاب شوومر عن «المعاملات والاشرائية والديمقراطية»، وأما بينهما وكنت عندما أأقسه فى إحدى الصحيح التى قرأتها ضد الماركسية وأحاول ارد عليها، يرد على بلطف قائلاً «لا تظن أن باستطاعتك إنسانى عبر رأى، فقد استثمرت الكثير من وقتى وجهدى خلال حياتى الصويلة لصالح الرأى المعارض لرأيت»، ولم يدعه قط أى صق أو عصب من حرأى الرائدة أحب، وظهرى بمظهر من بطن أنه يعرف تحقيقه كمند وبكى رأى كتاب بتعبير متدرج ودون شعور واضح مى ليس بالصعب بسبب قراءتى لكتاب يعادون الماركسة، بل لتعودى خلال هذه الفترة على قراءه الرأى ومقسه، ومن ثم اكتشافى أن المسألة لا يمكن أن تكون بالسلطة التى كنت أظنها فى ببدان، وأن الأمر يحتاج لى تأمل وروية أكبر على أنى، رغم مرور خمس لندركسية شين فشين سبب هذه القراءات، لم أعتبر قط أن الوقت لى أنقته فى إعتره على القراءه فى الماركسة كان وقتاً صائفاً لقد كانت فترة نشاط دهن وحمة فى القراءه، ولم يكن وراء مرأى لى خلال هذه فترة أى هدف غير بوصول إلى الرأى الصحيح فى هذه القصة أو تلك



ثم جاءت أربع سنوات أخرى من القراءة هي الاقتصاد بهدف الحصول على شهادة الماجستير ثم الدكتوراه. وعدم استعبد في ذهني ما قرأته في هذه السنوات الخمس لا يدهشي كثرة ما قرأته من كتب ومقالات في الاقتصاد، فمحس سنوات من الانقطاع للدراسة، وفي مكان مثل جامعة لندن، ليست بالفترة القصيرة وإنما الذي يدهشي فيه ما أحرزته فيها من تقدم «عقلي» حقيقى نتيجته هذه القراءات في الاقتصاد. نعم لابد أن نضع الذى حققته في السنة الأولى قد تم تدعيمه وترسيخه في سنوات الخمس التالية، ولكن «الاكتشاف» الحقيقى كان قد تم بالفعل في تلك السنة الأولى. لأشك أيضاً أنى قد أحررت بعض مقدم بعضى في سنوات ماجستير والدكتوراه، ولكنه لم يكن نسب قراءتى في الاقتصاد بل نسب قراءات ومشاهدات أخرى. بل لى لا أعتقد أنى أتعد كثيراً عن أحقية ذلك إذ أعبت قراءتى في تلك السنوات الخمس كتابات قراءات «عقيمة»، انهم إلا من حيث بها أدت إلى الحصول على هاتين الشهادتين.

نعم قرأت بعض الكتب والمبالات البدعة في الاقتصاد، خلال هذه الفترة، ولكن أكثر من قرأته كان قليل الفائدة إلا من حيث عكس من الحصول على الشهادة المطلوبة. وبو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت، وكانت لى الحرية المطلقة فى تحديد ما أقرأ وما لا أقرأ، دون دافع الحصول على شهادة فى هذا العلم أو ذلك، بوصفت لى برنامجاً مختلف تماماً، ربما تتضمن بعض الكتب المفيدة فى الاقتصاد، ولكن الأوضح أنه كان سيكون أساماً من قراءة بعض الكتب الكلامية الأساسية فى الأدب والصنعة والتاريخ، مما لم يتح لى قراءة أكثره حتى الآن. كانت الفائدة لى يمكن أن أحصل عليها أكبر بكثير لو كتب قد مررت فى ذلك الوقت كتاب الأمير «ماكيا فيلى» مثلاً، أو كتاب جون ستيوارت ميل عن الحرية، وهما قد قرأتهما بعد ذلك، ولكن من المؤكد أيضاً، فيما يبدو لى الآن، أن كان من المفيد لى أن أقرأ حيد كتاب جيون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية مثلاً، أو بعض كتب دافيد هيوم فى الفلسفة مما لم أقرأه حتى الآن، ولا أظن أنه قد نسى من الوقت ما سمح لى بذلك، بالمرة عشرات الكتب والمبالات السجبة

فى علم الاقتصاد، مما قرأه بالفعل فى ملك ممتوه، ولم تترك فى نفسى أو عقلى  
أثرا يذكر



أعست كلية لندن للاقتصاد أنها نظمت سلسلة من عشر محاضرات، يمكن لأى  
طالب بالكلفة حضورها، ويلقبها أستاذ متحضر، لتدريب الطلبة على زيادة  
سرعتهم فى القراءة الهاممب بالأمر إذ كان يصابقنى ما لاحظت من بطئ فى  
القراءة بالمقارنة بكتيبرين غيرى، ولم يقمى قط الرأى انقائل بأن سرعة اقراءة  
تتعارض مع عمق التمكن، إذ لاحظت أن بطئى فى القراءة كثيرا ما يعود إلى قلة  
التركيز مع شروء الذهب إلى أشياء قد لا تكون لها أى صلة بالموضوع الذى أقرأه  
وهو ما أكدته لى ما قرأته فى سيرة برتراند رسل الدنية وهو يتكلم عن الاقتصادى  
الشهير كبير، إذ قال إنه كان يظن فى البداية أن كبير، وإن كان أسرع بديهية منه فإنه  
أقل منه عمقا، ثم سبب له أنه كان محطنا، وأن كبير ليس فقط أسرع بهما بل وكذلك  
أعمق فكرا، ذهبت لحضور الدروس فأكده الأستاذ لمحاضراته نفس المعنى، أى أنا  
يحب ألا يظن أنه محسب شيئا بريدة سرعتى فى القراءة، وأن البطء كثيرا ما لا  
يكون له أى مبرر أو مفع عن الإحلاق ثم بدأ يعرض لتجربيات، منها أن يعرض  
على المناشئة أماما باستخدام المايوس السحرى، صفحة بعد أخرى من كتاب ما،  
وهى كل صفحة يقع الضوء على السطر لأول سمى سقى الصفحة مظلمة، ثم  
يسحرك الضوء فيقع على السطر ثامى وحده ويصبح من المستحيل أن يقرأ غير  
وهكذا يحرك الضوء إلى أسفل، من سطر إلى سطر ويطلب من الرجل أن يحاول  
أن يستوعب من الصفحة التى يضاء سطورها ساعا على هذا النحو، أكرم فمر من  
المعلومات يمكنها استيعابه وبعد هذا بريد سرعة تحرك الضوء، فلا يقى مسلطا على  
سطو معين إلا مدة قصيرة ثم تزد دهورا، ثم يوزع علينا بعض الأسئلة ليحتر كمية  
المعلومات التى حصلناها من التمرينات الأخرى أن يعرض علينا على الشاشة  
أيضا صفحة تحتوي على نقد لكتاب أو فيلم، ولا يقى الصفحة على الشاشة إلا مدة  
قصيرة للعدة، ثم يطلب من أن يقول ما إذا كان هذا النقد فى صالح لكتاب أو

المعلم أو في غير صالحه كانت انقاذة بوجيلة التي حصلت من هذه البروس  
قتاعى برأى المحاصر وريادة اقتاعى بعائلة الإصراع في اعزاعة، ولكنى لم أستعد  
مها كثيراً في زيادة سرعتى في القراءة بالإنجليزية، الأمر الذى أحررت تقدمه فيه،  
بمسبب هذه السلسلة من المحاصر ب بيل بسبب شدة حاجتى، أثناء دراسى  
ببعضر، لتحقيق هذا التقدم، هو القدرة على تكوين رأى بسرعة فيما إذا كان  
كتاب ما، أو فصل منه، أو مقال، يستحق أن أستمر في قراءته أم لا وهو أمر قد لا  
يقل أهمية عن سرعة القراءة نفسها. أذكر أنى في إحدى مقالاتى مع أسادى  
دوسر ذكرى أن على قراءة كتاب شوميسير في تاريخ التحليل لاقصاوى وهو  
كتاب مشهور، ويتمتع بتقدير الجميع، ولكنه يحتوى على نحو ١٢٠٠ صفحة من  
الحجم الكبير واسطو الضعيف، فلما سألت بدهشة «كل الكتاب؟» أجابى برحمة  
طلت غائلة في دهى رهى: «يجب أن تتعلم كيف تقرأ»! «You have to learn how to skip» وأظن أنه كان على صواب تماماً، فقد اكتشفت، بعد أن  
علمت هذا القصر، حجم الفائدة التى يحيتها القارئ من ورائه، وكيف أبى أصعب  
وقت كثير في كتب سجيعة كان من الواجب على تركها في وقت مبكر

يذهنى الآن أيضاً حول الوقت الذى احببت إليه متى أنعم كيف أبى على أن  
أصعب تفتى لا فى الكتاب، مهما بدا جديداً سمى أو موضوعه، بل في مؤلفه. وأن  
أدرك أن هناك بعض الكتب الذين يمكن أن يشعر معهم القارئ بالأمان، يستطيع  
أن يطمئن إلى أن أى شىء يصدر عنهم سوف يكون على الأرجح خديراً بالقراءة،  
وأن عدد هذا النوع من الكتب فى أى فرع من فروع المعرفة، أقل بكثير مما يظن،  
وأن يستهم إلى مجموع قبل إلى التصاؤل مع اردباد عدد من يكتبون الكتب دون  
أن يكون لديهم فى الحفصة المؤهولة اللازمة، بل ولا حتى الأفكار التى تسرد قديمهم  
تألف الكتب أصلاً، ومع اردباد عدد الحاصلين على الشهادات أو من يقومون  
بالتدريس، وكذلك مع اردباد قوة دافع الربح فى نشر الكتب وتقديم أساليب الدعاية  
والترويج لها



عدها شرعت في حتمار موضوع رسالة المحسنين، كثر قد بدأت أهمه جماعسي للاقتصاد الماركسي، وللماركسية توجه عدم، الذي كان قد استمر معي منذ بدأت أقرأ عن المادية الجدلية و التاريخية قبل سعري من مصر. أصبحت الآن أرى الماركسية كحلقة في سلسلة طويلة من تطور الفكر الاقتصادي، قد تكون أفضل من الخلفيات الأخرى في أشياء ولكنها أسوأ في أشياء أخرى. ورائ لي أن يكون موضوع الرسالة المقارنة بين نظريات المختلفة في موضوع الربح. وذكر هذا الموضوع بلاستاد روسر على أنه الموضوع الذي أريد كتابة الرسالة فيه، فإذا به ينظر إليّ من فوق مظانه وقد روع حاجيه عاليه. كان يريد أن يتحقق من اسي بالفعل لا أفصل أن يكون الرسالة كلها عن حساب من جوانب الماركسية، إذ كان يبلى لسماركسية قد انصح له في جلسات كثيرة صانقه. فإلى بي ما معاه. اسي يجب ألا استعد موضوع من الكتابة فيه مجرد أنه لا يشاركني رأيي فيه، وإسي إذا أحست أن اكتب في الماركسية فيه لن يرفض. وبكى أكدت له أن هذا الموضوع هو ما أفصل بالمعمل لكتبه فيه، فقبل وتم الأمر على هذا النحو.

عند بدأت أقرأ أسعددا لا منحلقات المحسنين في توزيع الدخل ولكن به الرسالة عن نظرية الربح، أصبحت بشيء من حبيبه الأمر. كتب أطل اسي دراسه نظريات توزيع الدخل سوف أفهم العوامل التي تميز اقسام المجتمع إلى طبقات، ونجعل توزيع الدخل أقرب إلى المساواة في بعض الظروف منه في غيرها. ولكن وجد الحقيقة تكاد أن تكون عكس هذا بالضغط. فبدأ الاقتصاديون مناقشة موضوع توزيع الدخل بشكل عملي لأول مرة، وكان هذا على يد الاقتصاديين التقديدين في بريطانيا، طرحو الموضوع على أنه في الأساس سؤال عن العوامل التي تحدد أجر العمل في الساعة أو اليوم، ودخل مالك الأرض من المعدل الواحد، ودخل رب العمل كنسبة من رأس المال. ولم يهتموا كثيرا بشرح العوامل التي تحدد توزيع الدخل بين طبقات المجتمع ككل، ومن ثم لم ينظروا إلى مناقشة عوامل التي تحدد توزيع الملكية اثناء، سواء ملكية الأرض أو رأس المال، وإنما على اعتبار أن مفاشه مثل هذا هي مفاشه ل«المؤسسات الاجتماعية» أو «النظام المؤسسي» وهو ما اعتبروه خارج نطاق تخصصهم. وعندما جاءت نظرية التعليل الحديثة اثناء



من ١٨٧٠. استقر هذا الاتجاه ولم يعد توزيع الدخل يعنى إلا هذه القضايا الخيرية  
لأقرب إلى نظرية الشغل منها إلى قضايا الاقتصاد السياسى

هكذا وجدت نفسى مرة أخرى، من أجل صواب اختيار الامتحان، أمراً إيجابياً  
عن أسئلة لم تكن تهمنى أصلاً، ولا كاتب قط الدافع لى لدراسة علم الاقتصاد  
وقد بدأت أسس منذ ذلك الحين أن علم الاقتصاد وحده، بحدته التى وصل إليها،  
بل وربما منذ تشبهه كعلم مستقل، لم يعد يكفى لتقديم «خبر» الصحيحه لمشاكل  
مهمة، ولا حتى مهم القضايا المهمة التى يشوقنا فهمها. ولكن ضرورات الامتحان  
والسنة والوظيفة. إلخ، لا تسمح «تنصيع الوقت» فى فهم لمشاكل الحقيقة،  
والى تسمح الوقت متاح فقط للإجابة بحالات صحيحة عن أسئلة تافهة

بدأت أنبين بالتدريج أن هذا مدى ادراسه فى لندن ليس هو فى الواقع ما كنت  
أزود دراسته، ولكنى، لحسن الحظ، لم أكن حينئذ قد بلغت السن أو حققت من  
المصالح ما يجعلنى أنتس كثير لهذا الاكتشاف. كان المهم فى نظرى حينئذ هو  
«إنجاح» طفا للمدير الحارية، وقد «بحثت» بالفعل طفا لهذه المعايير

### - ٣ -

عندما حصلت على الماجستير كان المطلوب منى، طفا لنظم العثات مصرى أن  
أنتقل مباشرة إلى التحضير لندكتوراه، إذا كان لعرص من السعة أن يسم إعدادى  
للتدريس فى الجامعة، ولا يتصور مدرس فى الجامعة إلا إذا كان حاصل على  
الدكتوراه. لم يكن لأستاذ زور يعرف ذلك، ومن ثم قال لى بعد حصولى على  
الماجستير «إنهم فى إنجلترا يوصلون ألا ينقل الطفا من الماجستير إلى الدكتوراه  
مباشرة بل أن تقضى فترة بعد الماجستير يقوم فيها بعمل ما غير الدراسة، ولو كان  
هذا العمل هو التدريس، إذ إن هذا يتيح له فرصة أن يكتشف ما الذى يريد أن  
يعرفه بالضبط، فلا يختار أى موضوع للدكتوراه لمجرد «الحصول على الشهادة» بل  
يختار موضوعاً يشوقه للعمل ويهمه أن يدرسه» عندما قلت لى إن لنظم

لغات المصري لا سمح بذلك لم سمعه إلا أن يقول لي أسمع، ولكن إد ما تريد،  
وم عليك الآن إلا اختيار الموضوع»

عندما عشت، لي ووبر بعد بضعة يوم بعدة موضوعات كلها تتعلق بالمسبة  
الاقتصادية في مصر، قال إن عليّ أن يحمل تحت إشراف أستاذ حر إد إد هذه  
لموضوعات لا تدخل في اختصاصه، ثم أحد يتدح أستاذة أمريكية اسمها «إديث  
سرور» (Edith Penrose)، انضمت حديثاً لهيئة التدريس بالكلية، وأحد يعدد  
مراجعا فهي فصلا عن معرفتها الو سعة باقتصاديات الشرق الأوسط وكتاباتها  
الحيدة عن اقتصادات الشرق، تحذ اللغة العربية لم أكن قد سمعت شيئاً بعد عن  
هذه الأسادة الأمريكية، ومن ثم لم يكن لدى سبب للاعتراف، وهكذا بدأت  
العمل معها

حدثت سرور (Penrose) أن يكون موضوع رسالتي حساساً من جوانب الضرائب  
الزراعية في مصر على أساس أهميتها في نظري في غويل اسمها الاقتصادية،  
وبدأت بالعمل أكثر في الموضوع وكتبت فصلاً أو فصلين عنه فيما بين سائر ديولوجيو  
١٩٦١ ثم صدرت في مصر فوابين أساميات الشهيرة مخرج لدى ان الضرائب  
نصفه عامة سوف تفقد أهميتها في مصر كمصدر من مصادر تعته رأس المال، وأن  
الملكية العامة سوف تمل محلها، فصلا عن أنني لم أحد في موضوع الضرائب  
الزراعية ما يثير اهتمامي، ومن ثم أحييت سرور أنني سأغير الموضوع وأبحث عن  
موضوع آخر وطلبت أبحث وأفكر حتى هتذت إلى موضوع مشكلة العداء في  
مصر وعلاقته بالبنية، فوافقت هي عليه دون حساب

والحقيقة أنني أن بدوري لم أكن محمدا لهذا الموضوع الحديذ. و سى أرححه  
الآن هو أنى سم أكن لأتمس لأى موضوع على الإطلاق يصلح كموضوع برسالة  
دكتوراء في الاقتصاد فالنشر وط نى كان يجب توافرها نل هذه الرسالة كانت  
كافية نواد أى حساس لدى أول هذه الشرط بالطبع أن تكون في الاقتصاد،  
وكانت قد ذات تصح لى حالة هد لعلم رى كان عليّ أن أقرأ أتعلم أكثر ما حته  
الاقتصاديون لتقليديون عن أهمية توافر العداء ترخيص لاستمرر الممو؛ لإصفاء

مطامير النظرى على حدة على الأقل من الرسالة، حتى ولو كان قليل المساعدة من ناحية عملية. وري كان على أنصت شرح المعادلة الرياضية التى تشتمل على عوامل المؤثرة فى انطباع على العملاء، (وهى السكان والدخل ومرونة الطلب الدخلى على معدة) ، ودعم أن دور هذه العوامل فى تحديد الطلب على المعدة يبدو مديها ولا يكاد يحتاج إلى ذكر، فإن رسالة للدكتوراه بدون بعض معادلات الرياضية قد لا تكتب أى خيرا. رى كان على أنصت أب أقران بير زراعة القطر ورعاية بعض المحاصيل الغذائية كالفحم، وأحدد أيهما أجدى لمصر من الناحية الاقتصادية، وأن أستخدم فى ذلك الأسلوب الحديث نسب و المعروف باسم تحليل «المفاد والمفاد» (cost/benefit analysis). إد إن هذا سوف يصمى أيضا بعض الهمة على رسالة، وإن كنت جهلا جهلا تاما بالجوهر العلمية فى الزراعة المصنوعة، ولا أكاد أستطيع أن أميز بين حقول مروج بالقطر وآخر مروج القمح، ولا أعرف شيئا عن العوالم المتعلقة بالنسبة والرى التى يعرفها أى مهندس زراعى، وقد تكون أهم بكثير من أى عامل اقتصادى، فى تحديد قرار المزرع فيما إذا كان سيرجع هذا المحصول أو ذلك. ولكن كل هذه المسائل المهمة من الناحية العملية لا تهتم إذا كان العرض الحصول على الدكتوراه. ومن المؤكد أن الأسادة الأمريكية المشرفة لا تعرف بدورها الكثير عن هذه الأمور. سوف يكون بإمكانها اكتشاف خطأ منطقي هب أو هالك، أو خطأ فى صياغة المعادلة المتعلقة بالطلب على العملاء (وإن كانت، حتى فى هذه المسألة الأخيرة بصحتى، بلجوء إلى أحد الأسادة المحترفين بالاقتصاد لقياسى للتحقق من أى لم أكتب خطأ فى شرح أو تطبيق هذه المعادلة) أن يثبث لعمليته للربح، وبإدراكها أى قيمة حقيقىة فى رسم السياسة الاقتصادية فى مصر، رعية أو غير زراعية، فلم نعدى ولا من لأسادة المشرفة بدقة واحدة من التفكير.

خطر لى أيضا أن أكتب فصلا فى رسالة عن أثر تكوين السوق الأوروبية المشتركة على صادرات مصر من العملاء. كانت هذه السوق قد تكونت منذ سنوات قليلة (١٩٥٨) والكلام عنها لا يتوقف، والكتب الجديدة تصدر عنها فى كل يوم.

ومن ثم كنت كتابة فصل عن هذا الموضوع دليلاً على متعة آخر موجبات الكتابة الاقتصادية، شأنها في ذلك شأن كتابة فصل عن محسّنات «لحقات و لماع» ولكن كانت العمة العملية لهذا الفصل، بدوره، قليلة للغاية، فصادرت مصر من المحاصيل المعدية في ذلك الوقت كانت تامة جداً، بالمقارنة بصادراتها من القطن ولكن الموضوع كان «موضة شائعة»، كما كانت هناك بعض الحادية من الحجة التحليلية لبيان أثر اتساع السوق الأوروبي على بعض صادرات دولة من دول العالم الثالث، بالإضافة إلى أن مجرد إيراد أرقام حديثة عن اسواق الأوروبية كان من شأنه أن يصحح جدلية إضافية على الرسالة لم أجد كل الأرقام التي أحتاجها في مكتبة الكلية فذهبت إلى مكتبة حديثة أشبهها بالسوق الأوروبية في لندن، وجلست فيها بضعة أيام عمل معها بعض الأرقام فلما رأت أحد موظفيها مألوفاً عما إذا كنت أحب أن أورد مضمّن السوق في بروكسل وأقابل بعض المسئولين هناك، فترجّعت لذلك رغم أنني كنت قد حصلت على كل ما أحتاج إليه من أرقام من مكتبة لسوق في لندن، إذ بدت لي راحة إلى بروكسل، تصب إليها بضعة أيام في مارس، مع خطيبي الإنجليزية، على عقبه اسواق الأوروبية المشتركة، شيئ لا يمكن رفضه، فضلاً عن أن الأمر يبدو محمّ في عين كل من لا يعرف حقيقة «الدهاب إلى بروكسل في عجة علمية على بضعة لسوق الأوروبية المشتركة»

ذهب إذن إلى بروكسل ودرس في رحلة مبهجة، وجمعت بعض الأرقام الجديدة، وسألت بعض المسئولين هناك بعض الأسئلة التي لم يكن لها أي ضرورة وكنت لفصل الخاص بصادرات مصر إلى السوق الأوروبية، وكان هذا الفصل رغم انعدام قيمته العملية ومخالفة قيمته الفكرية، يحوى بالطبع على شيء «متكرر»، مما يتطلّب رسالة لدكتوراه. وهذا هو المهم أن يكون صاك شيء متكرر، أي شيء لم يفعله أحد من قبل، مهم كان هذا شيء لمتكر ناه القصة قرأت بعد ذلك بضع سنوات مقالاً لحرهام والاس، أساد العلوم السياسية الشهير في بريطانيا، كتبه في العقد الثاني أو الثالث من القرن العشرين عن حالة التعميم في الجامعات البريطانية، شكاه من تعاضد الموضوعات التي تكتب فيها الطلبة

رسائلهم الجامعة، وكان مما قبله إن أرسطو، بكل عظيمته، لو نعلم الآن نكتبه في عزم السياسة إلى جامعة بريطانية عبري اعتبروها أقل ابتكاراً مما يشترطونه الآن في رسائل الدكتوراه، ومن ثم فمرى نقصاً من هذه الدرجة، ومع هذا فإن نفس الجامعة ربما منحت الدكتوراه لشخص ما صوغ بحثه هو ما إذا كان أرسطو يقطن في المنزل رقم ٨، مثلاً، م رقم ٩١٠ إذ ربما كان هذا لم يحظر لأحد من قبل أن يبحث عن إجابته!



لم يكن تمام رسالة الدكتوراه أمر صعباً إذن، ما دام مثل هذا هو المطلوب، وأما على أي حال لا أحد لتعبير نكتته عما يحظر بدعي، منه صيغة مثلما كان يحده بعض رملائي في البعثة. ولكن لأشك عدي في أن هذه الدكتوراه قد استعرت ربما أطول مما تستحق نعم، كان لهذه السنوات الثلاث التي قضيتها لحصولي على هذه الدرجة بعض العائدة في العيام بلريد من التمريض العملي، وإن كانت فترة ادحتير أكثر فائدة من هذه الدرجة كما كان لحرد الوجود في لندن هذه المدة الطويلة فائدة أكثر لما أتجه إلى من قراءات في عبر لأقتصاد، ومن مشاهدة مجموعة من المسرحيات والأفلام وحصر بعض المحاضرات العامة وقراءة صحف ومجلات جيدة إلخ، مما ساهم بلا شك في تقدمي البعثة ولكن كل هذا شيء وكتابه كتاب عمل عن «مشاكل الغذاء وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية في مصر» شيء آخر تمام

ومع هذا فقد أعجبت الأستاذة سرور بالرسالة، وكذلك الممتحة الخارجية شى أتت من أكسفورد بسى هذا محسب بل لقد طلبت منى سرور أن أعود بعد انتهاء الامتحان الشفوي، اندي هاؤني في نهايته دكتوراه، ساعة أو ساعتين، لأقابل أحد الباحثين الإنجليز (فرانك كاس Frank Cass) لكي أتمم معه على المطلوب لنشر الرسالة في كتاب كان هذا في حد ذاته يعشر مائة لثبات مثلي، عجا كسراً، دكن من التدو قبل ذلك أن لنشر رسالة دكتوراه لعالق مصري في صورة كتاب، في بريطانيا أو غيرها من الدول الأوروبية وسررت سروراً عظيماً بالصبح،

وقابلت الرجل واتفقت معه على إنهاء إعداد الرسالة للبشر خلال بضعة أسابيع ،  
 وكان من طلباته القليلة تقليل عدد الجداول لارتفاع تكيف طبعها . وقد أتممت  
 هذا بسرعة ، ربما في أقل من أسبوعين . واستغرقت الأستاذة سرور بضعة عديم  
 أخطائها انتهائي من إعداد الرسالة للبشر في هذه المدة القصيرة ، وأذكر أنها قالت  
 لي « ماذا هذا الاستحجال في إعداد أول كتاب يصدر لك عن الإطلاق ؟ » ولكن  
 الحقيقة أنني كنت قد سئمت النظر في هذه الرسالة التي شغلتني كل هذا الوقت ،  
 كما أنها لم تكن تمر عما هي نفسي ، بأي شكل من الأشكال . لأن أفكار أعترها  
 أفكاراً ، ولا عن مشاعر ملتبك على نفسي فحسب أعتر عنها . نعم ، لقد صهر  
 الكتب ، وعليه بمعنى محظ واضح ، ومجلداً تجليداً جيداً ، وفيه كل المطلوب من  
 كتاب كهذا ، من الجداول ، الرسوم البيانية ، إلى الإهداء ، أسماء الأشخاص الذين  
 لولاهم صاغت كتابه هذا الكتاب ، بما فيها اسم خطيبتي من باب المودة إليها . وقد  
 أرسلت نسخة من الكتاب كهدية إلى كل من كان يهمني أن يعرف أد رسالتني  
 لندكتوراه قد نشرت في كتاب في لندن . ولكني لا أذكر أنني شعرت قط في أي  
 وقت خلال السواك الكثيرة التي مضت مد صدره ، بأي رغبة في العبر إليه أو  
 إعادة قراءه أي جزء من أجزائه . وسيظل هذا بكتاب في عبرى رمز دقيقاً لثلاث  
 سنوات من عمرى كد من الأجلدى بلا شك أن يعنى على شيء آخر

كان فترة الاستعداد لامتحان المعادله وللمحاسب أكثر فائدة بلا شك من فترة  
 الدكتوراه من مختلف النواحي ، كما كانت حلالاتها أسعد حظاً فيما يتعلق بالأستاذ  
 المشرف على . فقد كان الأستاذ روتش نتمى إلى حيل عظيم من الأستاذة البريطانية  
 الدين . وضعهم هو نفسه في إحدى محاضراته بأنهم ربما كانوا آخر حيل من  
 أسامة الاقتصاد الذين لديهم بعض المعرفة ببعض الأشياء لأخرى في خارج  
 مجال تخصصهم ، بعكس . لأنشطة يحدث سرور التي أشرفت على خلال فترة  
 الدكتوراه ، فقد كانت سواضحة القدر ، سواء فيما يتعلق بمدى اتساع اعلمهم ، أو  
 الحاذية الشحصية . وعلى أي حال خلال السنوات الست التي استغرقتها اسعة  
 كانت ثقتي بالاقتصاد كعلم تصعب شيئاً شيئاً ، على الرغم من أنني لم أعبر رأيت

قط الذي أنشئ به معنى من مصر، في أن الذو مع الاقتصاديه تكاد تكون هي أهم عامل من العوامل المحركة لسلوك الإنساني

قل أن أترك كلية لندن للاقتصاد وعموم لسياسة بهائي، بأسابيع قليلة، أعلى عن محاضرة عامة يقيها أستاذ مرموق من أساتذة الكلية، وكان حديث العهد بالترقية إلى درجة الأستاذية، وهي سن صغيره سنًا، وانتهى لثوره من تأليف كتاب في مبادئ الاقتصاد، فُهر له بعد ذلك درجة كبيرة من النجاح، وانشر اسمحاده ككتاب مدرسي في مختلف أنحاء العالم. وكان موضوع المحاضرة هو بحرته في تأليف هذا الكتاب. ذهبت للاستماع للأستاذ ريتشارد ليسبي (Richard Lipsey)، وخلال المناقشة اسى أعقب للمحاضرة، سأله أحد لطلبة سؤالًا طلب إحالة الأستاذ عليه عاقلة بدهي وطلبت أنظفها من حين لأخر لتلاميذي كان لسؤال «إذ قدر لك أن تعود إلى سن السبعة عشرة أو الثامنة عشرة عندما كنت على وشك دخول الجامعة، فهل ستحار علم لاقتصاد موضوعا لتتخصصك كما فعلت من قبل؟» وكانت الإجابة بسفي، مل وبأنهى القاطع، وقال إنه كان يختار دراسة تاريخ بدلًا من الاقتصاد. وعندما سئل عن اسباب هذا «سأروي لكم قصه حدثت لي وتوضح سبب خيبة أمني في علم الاقتصاد» قال إنه كان مدوق قصير يعد محاضرة طليتها به الجمعية الملكية لتقديم العلوم، وكان لموضوع يتطلب إعداد جدول إحصائي: ين تطور الأسعار عبر فترة زمنية ما، ولكن ١٩٣٠-١٩٦٠ مثلاً وأعد الرجل المحاضرة وأعطاه لسكرتيرته لتكتبها على الآلة الكاتبة، فأحطت السكرتيرة وكتبت الأرقام الدالة على الأسعار معلومة، فجاء الرقم الخاص سنة ١٩٦٠ مثلاً وكانه الرقم الخاص بسنة ١٩٣٠ وهكذا. وعندما مرأ لأستاذ المحفل مكتوباً على هذا السحر سم بعض لأور وهلة للخطأ الذي حدث، ووجد أن من الممكن أن يفسر الأرقام، وهي مقلوبة على هذا النحو، نفس النظرية التي استخدمها لتفسير الأرقام وهي مرتبة الترتيب الصحيح، ربما مع تعديلات طفيفه أو تحفظات بسيطة في لتفسير لا يؤثر كثير على النتيجة التي وصل إليها في نهاية المحاضرة. علم اكتشف الأستاذ خطأ الذي حدث هذه أن تكون هذه هي حادثة

عم الاقتصاد، أو حاشته الراحة على الأقل. وتعجب من هذا العلم الذي يمكن  
لنظراته أن تفسر أشياء، ويقيسه بنسب الدوحة من المهب. هذا على حد قوته هو  
ما يجعله يعتقد أنه لو عاد إلى صباه لاحتار عما احرر تخصصه به عبر الاقتصاد

#### - ٤ -

في الوقت الذي كنت أتعهد فيه لأول متحان بي في لندن (امتحان البعالة) كان  
أخي أحمد يقضي صيفه شهور للتدريب في شركة سمودس في مدينة نورسرح  
الشهيرة بحاكمه محرم في الحرب. كتب ألمانيا له قسم إلى قسمين، شيوعى  
يخص سمود السوفيس في الشرق، ورأسمالى يخص سمود الأمريكى في  
الغرب، وكانت برلين وإن كانت تقع بأكملها في داخل ألمانيا لشرقية، قد قسمت  
بذورها إلى قسمين شيوعى ورأسمالى، ولكن كان لا يزال من المسموح به في ذلك  
السنة (١٩٥٨) التنقل بين برلين الغربية والشرقية

ذهبت لزيارة أخي أحمد في نورسرح ووجدتها فرصة ذهبية لقضاء صيفه أيام في  
برلين للمقارنة بين النظامين الرأسمالى ولاشتري عن طريق المقارنة بين برلين  
الغربية والشرقية. كتب في ذلك الوقت أكثر تعاطفا بكثير مع اأدركية، مما  
أصبح عليه فيما بعد، وبمساعدة للدفع عن أشياء فيها تنبئ لي فيما بعد أنه لا  
يمكن الدفاع عنها. ومع ذلك لم يسعى، حتى في ذلك الوقت، إلا أن أعترف  
بعض أوجه العصف فيه وأيته في برلين لشرقية. وفي خطاب طويل أرسلته من  
برلين إلى العائلة في القاهرة أقدر فيه بين قسمي المدينة، كنت ما لى

برلين في ١٩ / ١٢ / ١٩٥٨

وإدنى بعبرة، عزيزي حافظ وحسين

أكتب لكم من برلين وقد قصت فيها حتى لأن حملة أيام، ولا أظن أن هناك  
مكانا هدف في برلين الشرقية أو العرسه لم أشاهده. وعلى هذا فأنا مؤمن الآن لأن  
أحدثكم عن ألمانيا وعلى الأخص عن الفرق بين شرق برلين وغربها.



عند وصلت إلى بورسرخ لم يكن يحظر سائلي أن بإمكانى رؤية برلين، وعلى  
الأخص، أن أتمكن من دخول برلين الشرقية ولكن تبي لي أن الأمر سهل، وأن  
دخول ألمانيا الشرقية - فيما عد برلين - هو المستحيل قط، و حد يعاد بورسرخ إلى  
برلين بقطع رحلتي في سبع ساعات، والرحنة كلها تقع خلال الليل، وري كان هذا  
مقصودا لعدم تاحة الفرصة لمشاهدة أى شيء من ألمانيا الشرقية، صبرين، كما لا  
يحمى عليكم، تقع في المنطقة السوفيتية

في ثناء مرور القطار بالمنطقة الشرقية سعد بعض رجال البوليس الشرقي  
وفحصو، جواز سفرى ومحتوى بأثيرة بصعة آدم في برلين وكان هذا أول شيء  
رأه من العالم الشيوعى وحوه مرهقة للعمل ولكن معدتهم طسة في انظار  
تأدلت الحديث مع امرأة أديب - هي الوحيدة التي كنت تعرف الإخجليزية في العربة  
التي كنت بها - وهي تعمل في بورسرخ ولكن أمهم نقيم في المنطقة الروسية وقد  
سألتها كيف سمحو لها وهي من العرب بالذهاب إلى أمهم في شرق ألبيا في  
بلدة عبر برلين، فعدت إليها تحاول الحصول على إدر منذ أكثر من عشرة أشهر،  
وبها كنت ترى زيارة أمهم في الصيف فلم تمكن، وأخيرا سمحوا بها بمرارتها في  
الكرسياس حيثما سألها عما إذا كانت تعمل الشرق أم العرب ابسم وقالت  
«هذا أقسم إدى في العرب» هذا هو أقصى ما تمكنى الدبلوماسية من أن أقوله  
لكن، كنت على كل حال مهيت بمسألة لتقل دورق صحمة بين الشرق والغرب،  
ولكن جاء الواقع لا يعنى في تأثيره عما تخيلته فالمعارفة فعلا شقة

برلين تنمى في نظرى رحلا ليس بظنون بدلة رديجوت وحائكة قديعة مهلهلة  
والحائكة المهلهلة تنسب بلا شك إلى شرق برلين وأنا متمسك بتشبيه شرق برلين  
بالحائكة القديعة المهلهلة أكثر من تمسكى بالخبراء الأخرى من تشبيه في شرق برلين  
دور عرمة - تمهدية بين السادسة عشرة وعشرين يبدو عليهم إرهاق لعمل،  
يرتدون ملابس رحيصة، لا يمشون بهذا أمهم، ويشربون السجائر والبيرة بكثرة، كما  
لا يتقن وعمرهم، ولكنهم مؤدبون ومحضون ونحس أنهم باصجون قبل الألوان  
(مثل لأذهم أنهم أسرعوا بالحصار كرسى في في معنى محدد إدراكهم أنى أحس،

وأوسعوا إلى مكتب في مبلاتهم) هذا الوصف يطق على مئات كما يطق على الأولاد

كذلك المحلات في برلين شرقية قريبة أشبه جدا بالمحلات لصغيرة في عدها في مكان «الطاهر» بالصاهرة اللوق في التسيق محيط حد، تتراب علو المعروضات، انما تريباب كثيرا ما يترك جزء كبير منها خويا، كما أن أصناف الصناعة من نوع رديء أو متوسط عال كدك، جزء كبير من الملابس التي يردونها هي من نوع ملابس رخيصة المعروضة عندما في العدة أو شارع عند التعير

إن جزءا كبيرا من برلين الشرقية يملك محس كان لحرب سم يتة إلا منذ أيام قليلة لا مد ثلاثة عشر عاما، فلبس المهدمة والأرضى الخاوية لا نهاية لها

شارع واحد جميل جدا ويبدلت فيه كل عبة، هو طريق ستالين، وهو شارع يبلغ طوله حوالي طوب شارع هود، صفت المباني الصحية على حافته، وكلها بابها الروس على طراز واحد جميل، والمحلات التجارية في هذا الشارع رائعة التسيق وفي منتصف الشارع عمال لستالين، وجواره مكتبة ضخمة سمها مكتبة كارل ماركس، تحوي المطبع كل كتب ماركس ونجلر ولينين والألمانية وبكها لا تحوي من الأدب الروسي غير كتب جوركي جميع المحلات بهذا الشارع تحمل على أبوابها وهاريابها الحرف HO وهما احتصار بكلمتي ألماني بمعنى مؤسسة تجارية وكلها ملك الدولة، يذوب استثناء من مطاعم إلى مرقص إلى مكتبات إلى كشاك لبيع الحرفاء هناك بعض المحلات انصهره في برلين الشرقية متروكة للأهر د مع حرص صرابط مرتفعة جدا، ولكن حتى هذا هبل

في برلين الشرقية أيضا حديقة رائعة أحصل أقدمها الروس تحليله، لذكرى الجنود اسودت الدبب ما نوا في الحرب في هذه الحديقة وأيت أشد ما رأيت من التماثيل تأثير في النفس وهو تأثير مستمد من صماعتها ومن الأفكار التي نعرعها من هذه التماثيل تماثيل للوطن لأم مكي أساءها الدين مانو في الحرب، وتماثيل لخددين روسيين راكعين تحية لذكرى الجنود، وتماثيل صحم في الوسط خدي روسي

يحمل طفلا في يده اليسرى وسيف بيده اليمنى في أرض الحديقة دون سعة آلاف جدي سوفتي على أن الأثر انطب الذي تركته الحديقة في نفسي صغف جدا عذب قال لي ثاب ألمانى عبد خروحي ب هذه الحديقة سحر الألمان في سائها اللال وبهار احلال عامين كان الألمان يقاسون صيها الخروع

من لأشياء الطريقة في برين الشرقية حلوها من الإعلانات من اسوع اندى تعرفه في الدول الرأسمالية في محطات مترو الأنفاق مثلا مساحات من الحدائق محصصة للإعلان ولكن لا إعلان فيها كل ما عده من إعلانات هو من النوع الإحارى محصوص سبرك روسى مثلا، أو مباراة كرة قدم، أو معرض، أو بيان درريات الموحوده بالسارح المحتفة، أو بعض الدعاية للشبيوعية بحامسة مرور أو غير عام على الثورة، و مطراً إلى أن ترك الحدائق ملا إعلانات أو أوراق ملونة يجعلها كتيبه المطر، فقد عمدوا أحياء إلى لصق عدة نسخ من الإعلان الواحد جملة في مكان واحد وبلا مبرر.

راعى في البداية أن أحد لبنات في المحلات لهم وحوه تخمو من أى جمال، وأكثرهم متقدمت في اسر، وذكرى مطهرين بوحوه اساء اللاتى رأيتهم مرة في حديقة الأورمان بالقاهرة يوم شم سسيم واللاتى جش إلى الحديقة بالأرواب وبوابير الحار وطبعا لا مجال لمقاربة هؤلاء بالوجوه الصحة اصبرة التى تصادفك في أى محل رأسمبى ولكن أليس هذا مما يحمى النظام لاشتر كى؟ أليس من هؤلاء ساء من تشعل بند عارة في النظام برأسمالى لعدم وحرد عمل؟ وهل الفة الجميله هي رحدما التى سحت بها أن تحصل على عمل شريف؟ لهذا تعودت بعد المصدحة الأولى أن أمر لرؤيه هذه لوحوه في المحلات الشريفة

حيما تدخل محل لا يفتلك بطيعة احال اسمق الكريه المهود في المحلات الرأسمالية ولا محاولة لخداعك، فلا يمكن إذن أن تنتهى الصفة بأن تنسرى حذاء واسعاً أو قمعاً شتين لك فيما بعد أنه ب كانت لديك فرصة التروى ما شترتبه، فالنعة تطع لا مصلحة بها في برويح الصاعه وهى تكتفى بوصفها لك ومع هذا لم أخط من التعتن اى بكاسل شترت من هالك معكرو وشحة للحائط وما

واعنى إلا أن الصنعة سلمت إلى معروفة في ورق من النوع الذي سسمه في مصر «ورق لحمة» طعناً، فما هو الداعي إلى أن يلقوها ذلك في ورق مرر كثر أو مرطوها شرط من حرير؟ الحكومة على ما مذو ليست حريصة على أن تعود إلى الشراء منها أف المعكرة، فهي مملوءة بعارات مكتوبة بالخط لاجرم في أسهل كل صفحة عن تواضع ميلاد كرب وماركس وبخجل ولين (ولكن ليس تالين) وبهذه المناسبة فإن كارل ماركس وبخجل خطيا في ألمانيا شرقيه، باعتبارهما «لادين أخصاً» شمجيد لا تظهما كما يحل من هات مثلاً مقاصدة كاملة باسم ماركس، وميدون باسم ماركس وبخجل، وكنهما مثلاً فتريمات المكتنسات ارادت الماذب العربية ان يظهر سامحها فأطلقت هي الأخرى اسم كارل ماركس على أحد شوارعها. رُظن أن هذ ما كان ليحدث بولا المافدة مع الشرق وعلى أى حال شرع كرب ماركس في العرب لا فافاز من حث الطور والأهمة بالشرع المسمى باسم الفسوف «الكاب»، وهذا كاف للذليل على سوء اليه!

لا داعى مانع لأن أتكلم عن استهيلات الاحتماعيه في ألمانيا الشرقية هي معروفة اعليم مجدي، اعطب مجدي، المسكن رحيص جداً، المطاب معسى به من كافة البواحي كذلك المسارح وقاعات الموسيقى كثيرة واسواق اليكم بعض أمثلة للأسعار بفلتها من الفتريت وتند، على العموم على أن مستوى المعيشة معقول جدا

فون بوتاجر بوفدين ٧ جيهيات، فائلة صوف ٦٠ قرشا، كرافة ٣٠ قرشا، بيجمة صوف ٣ جيهيات، شراب بايلون بمسيدات ٧٠ قرشا، قمائن بدنة صوف (المر) ٣ جيهيات، حداء وحيه جيهيات، قميص شيك ٣ جيهيات، بلوزة دسلا حميلة حيه واحد، بالطو ساتي حصل ١٥ جيهيات، آلة تسجيل ٦٠ جيهيات إبح كذلك، سأولت عدائي هباب مره. وكان يتكون من قطعة كبيرة من لكفتة مع بطاطس بالمايوير، بما يعادل ثمانية قروش

سؤال آخر هام هل الشعب سعد هاك؟ لم أوفق حتى الآن في الدحول في حدث محترم مع ألماني، والسب هو جهلى بالألمانية وجهلهم بأى لغة أجنبية

على أن الذى أسمعه دائماً من له مدة طويلة من أن الشعب غير سعيد ناحية في الشرق ، ومن ملاحظتي البسيطة أن المصيبة العمال الذين أشرت إليهم من قبل نهموا على السحابة من غربت بهم عليهم ، لأنهم من السحابة المصنوعة من غرب ، وأنى حيث امتدحت الكلمات الأدبية المكررة: لنرى أعرفها وبلا متعانة سدى للقول بأن برلين الشرقية أحسن من الغربية ، لمجرد حسن نصهم ، أندوا متعابهم من قوسى ، لكن بمجرد التعبير بالوجه دون أن تتكلموا ، ولا أدري هل هذا سبب الخوف أو عدم معرفتهم لعمى

ليس هناك أى حاجز يمنع الموردين برلين الشرقية والغربية ، فالتزام ومترو الأنفاق يجرى بثوب توقف من القسم على أن هناك عسرة اقتصادية ، فنظروا إلى أن الحكومة من ألمانيا الشرقية تدعم الكثير من السلع فقد عمدت هذه الحكومة إلى مع بيع أى شيء من برلين الشرقية ما لم يقدم لشترى ما يشتت حصوله على يد للإقامة فيها ، وهذا الإذن هو غير الإذن لا حول برلين بصفة عامة ، فهو لم يعط لى مثلاً دعم أى استطيع دخول برلين الشرقية والغربية ، وعلى هذا فأن مثلاً لا استطيع فأنوما شراء أى شيء من برلين الشرقية ، ولا حتى تداول الشئ في مطعم ولا دخول سيب ، على أن الذى يحدث أنهم يتساهلون مع الأحاس أمثالى ، دإن الإجراء موجه أساساً إلى الألمان لمقيمين في الغرب ، والذى يعملهم الطلبة العرب هنا أنهم مستبدون بالمراكز العربى أربعة مركات شرقية ويندهوب إلى برلين الشرقية فشترون حاحيب الأسرع ويعودون ، وهذا يكونون في الواقع قد دفعوا ريع المكاليف العادية

أما برلين الغربية فهي مدينة من ذهب ، الأصواء تتلألاً طول الليل ، الناس عائلة وحررة ، والمحلات رائحة التسوق الجع وواقع أن الأمريكان بصفة خاصة لم يدخروا وسعاً في محاولة تجميلها ، فبرلين ليست إلا مكاناً لسفوف الشرق والغرب ، كل ما هالك أن الغرب متهور وطاش ينفق ملاحبات ، والشرق عاقل أو قليل المورود من أثناء موروى بحولة سرلى لعربة كان المرشد يعرف لنا كل حين وأخر «هذا المبى الخمين هو عدية من الحكومة الأمريكية ، هذه المكتبة هدية من أمريكا ،

هذه الخدمة بها مورد إلح والمساعدات الأمريكية هي العبد الذي يخدمه الروس شربير بأحر مستوى المعيشة في شرق برلين عن عونها

خدمة سالكابند قالت لى ابيوم به هربت من شرق برلين مد عدم تركه عاتشها، وإنها لا تستطيع العودة الآن وإلا حسوها، ولا تستطيع ترك برلين إلا بالطائرة لأنها لا تستطيع المرور بأرضي ألمانيا الشرقية وإلا حسوها وإنها إذا استوى الروس على كن برلين ترحل إلى إنجلترا أو كندا اليوم هي قهوة حلت بحوار عمل أدنى بعيد الإنجليز به لحس حطى هو عامل محم وملائه مدرة للعانة سألته أينما مفصل الشرق أم الغرب؟ فقال الغرب، ولكنه سم تد أسانا مفهومة وفي الهبة قال هو بصحك إيهام في الشرق يس لديهم روح (have no souls) ولكنى م أحد حملته شكل حدى لأنى أشك في أنه يعرف معنى ما يقو

لا أستطيع بسهولة أن أسخلص حكما بهائى، ولكنى أعل أنى مددتك بمصير تساعد على تكوين هذا أخكم، وعلى كل ح، فالإصاف يستنرم إتقاناً للغة الأدبية وابقاء مدة أطول بكثير والتعلل في الحياة الاجتماعية. أما على أنا قد سمع بالرحلة، واستمعت منها أكثر، حصرت فرقة برلين لسيمفونية ثلاث مرات، وعرفه أوبرا برلين مرتين، وسادعت إليها عدة مرة أخرى لقضاء رأس السنة رأت هها «حكيدات هوفمان» و«عطيل» وسأرى عدداً «حلاق أشيليه» ورأت متحف برلين الضخم، ورأت فيه «رأس مورتنى» وحجرتين مملوءتين بالأثوار المصرية والسوية

كنت في رحلة لفرقة برلين السيمفونية اليوم، ولأول مرة استطعت أن أقتر دور المايسترو كاد المايسترو بيوم حلا غير عادى اسمه «هربرت فون كيرين» كان التفرح عليه متعة في حد ذاته، فحركات يديه كانت كترقص بآلية، وكأنه يصعد يعرف جميع الآلات في الأوركسرا وقد ظل الجمهور يصفق به أكثر من خمس دقائق وعد سناء العرف فترت فاة خالسة أسمى لأنها سم تستطيع تمالك نفسها من السرور وقد عرف أفراد الأوركسرا أن التقدير موجه لهمايسرو، فاستحرو بعد متصف لتصفيق وتركوه يسقى السامى وحده وقد تضمن نبرو حرام هامة بالأسطوانات التى سجلتها شركة «كولومبيا» بقيادة هدا المايسترو

محبوبة - 'خبرني أحمد أب والدني دخلت المنشئ مرة أخرى بعد مغري ، قد  
 قلبي هذا كثيرا خصوصا وأني عرفت من هذا السكم لا يكتيون إلى بكل أحباركم .  
 على العموم ، أنا راجع في الصيف لأعرف الحق من الباطل !

- 5 -

كانت فترة السبعة هي فترة وموعى في الحب الحقيقي لأول مرة ورو حى من  
 أحب فعى يوم من أيام ١٩٦٢ ، تعرفت على فاة إجميرية جميلة كانت صديقة  
 لطانة عراقية تدرس الاقتصاد في نفس كليتي ، بينما كانت هي (جدي) تدرس علم  
 الاجتماع في كلية بدورد (Bedford) ، بلدن أيضا ، وتأتى من حين لأخر إلى كليتنا  
 لثرا في مكتنا الأكثر عى ، أو لخصور إحدى المحاضرات العامة المأحة للجميع  
 عرفنى عليها صديقتنا العراقية محبوب انساهى جمالها ووداعتها وإحلاصها في  
 العير عما تصفه أو تشعر به . دعونها إلى مصاحتي لعشاء ثم للبيت فقت  
 ولكنها اعتذرت عن الخروج معى بعد ذلك لغرب الامتحانات وحاحتها إلى توجيه  
 كل وقتها للاسعد ذلك . كان هذا الاعدد سببا كافيا تماما لأن انصوّر أنى لم  
 أعجبها ، فامتعت فوراً عن ملاحظتها . وقد قالت لى فيما بعد إنها استعرت هذا  
 التصرف منى وامتنعت منه ، أما أنا فكم كان استعراي ورحى عندما تنقب مصادرة  
 في حفلة فقامتها نفس الصديقة العراقية بعد ثلاثة أو أربعة أشهر ، ووجدت (جان)  
 تعانينى بمرح حقيقي وكأنها عثرت عى حسب مقصود . وسد ذلك اليوم لم يمترق  
 يوماً واحداً لعدة شهور أو ربما بعدة سنوات . وعندما قردت في أحد أيام سنة  
 ١٩٦٣ ، أن أعرض الزواج عيها ، ولم يكن قد مر أكثر من ستة شهور عى أول لقاء  
 لنا ، احدها العرض بواج صورة طبيعية بلعية ، وكأنه يتعلق بأمر من أمور  
 الحياة اليومية . كان لسبب و صحالى تمام الوضوح ولا بدع محالاً للتردد . كان قد  
 مرّ على انتقالات الجسم اندى لم يفرى بعده ، ثلاثة أو أربعة أشهر لم أشعر قط بيلها  
 يمثل ما شعرت به خلالهما من سعادته ، وعندما سألت نفسى عما إذا كان من ممكى  
 أن انصوّر نفسى وأنا أشعر بعدة أكثر بما أشعر به لأن ، كانت الإحاة فاطعة

دعني، فلم أرسأً لئلا تردني أن أعرض عليها الروحاح حياء عرضي هذا بالروحاح بدوره بشكل بسيط وتلقائي وكأنه لا يبطري عني أي حذر أو أهميه، دسألها «هل تأتيني معي إلى مصر عندما أنتهي من الدكتوراه؟» سألتني بدعشة وسرور عما أعنيه، فلما أوضحت لها ما أعنيه كان عرضاً بالروحاح، وقته هي بلا تردد. نلت هذا فترة قصيرة من التفكير من حدي، ولكنه لم يكن تردداً ولا تكوصاً. فعند ذات أفكر فيما إذا كان لما فعله بعض لأثر السلبية التي يحذر بي أن أتروى بشأنها هل من الحكمة أن أتروح من إنجلترا؟ هل أصحى بسبب ذلك بعض المزايا فيبت يتعلق بمسئلي المهني وسعدتي؟ هل منفع هي اخياة في مصر؟ هل مسؤثر العلاقات السبسية بين مصر وإنجلترا على علاقتنا؟ ما أثر مثل هذا الروحاح المحتلط على الأولاد؟ المدهش أب كل هذه الأسئلة وأمثالها لم تحظر بيالي قط بعد أن تم رواحي بالجمع، بل ولم تستغرق في وقت طويلاً حتى قبل الروحاح ولا أظن أنها شععت بالهي، قبل الروحاح أو بعده

كانت هناك مناطق المشككة التي تواجه أي روحين وهي ما يترتب على الروحاح من مصييق شديد لدائره الحرية المتحة لكل الطرفين. كذا الروحاح من أجسية يحمل في طياته مراباً لا يستهان به في هذا الأمر، ولكنه كان نصاً محبباً أصاء إصافية فالروحة لا روية، حاصه إذا كانت متعلمه، هي في أغلب الأحوال أكثر استقلالاً واكتفاءً بنفسها من الروحة المصرية، وأكثر قدرة على لاسعراق في أشياء تجيب لها السرور معزل عن الرجن، ولكنهم من ناحية أخرى، بحكم وجودها في بلد غير بلدها، وبعبدة عن أهلها، أكثر اعتماداً على رحلها الذي تركب كل شيء من أحده فهذا أصماً إلى هدام قد يفصى من سوات قس أن تعجيد الروحة الأحية الكلام باللغة العربية وفهمها، وبدرجة تسمح لها بتصريف بالكفاءة اللازمة، أصبح العبء المتقى على الروحاح، خاصة في السوات الأولى، عبئاً مضاعفاً

لا أنسى مثلاً يوم دعنا إلى محل شركة إيدل في وسط القاهرة، في الأيام الأولى التالية لوصولنا إلى مصر بعد الروحاح، لشراء الدواليب اللازمة لتأثيث المطبخ، فاحد الموظف المسئول يعرض علي كل لاحتتمالات المشككة بالأحكام



والأشكال والألوان المختلفة لاختيار من بينها ما يناسب دوتها ومقامات أحوالهم  
 مع لم يكن لدى أي اهتمام حقيقي بالأمر ولم أكن لأدلى على الإطلاق بما إذا  
 كان بلون أبيض أو أسود، والذوايب مرتفعة أم منخفضة، ولكن المهمة يجب أن  
 تتم، ولا يجب أن تؤدي مشاعري الحقيقية بأن الأمر كله لا يهم، كما أن ربحي  
 لم تكن تستطيع، حتى لو تركت الأمر كله لها، أن تتفاهم مع زميلين بالمحل، إذ  
 لم يكن معرفتها بالذعة العرصة بالدرجة التي تمكّنها لا من شعير عما نرده ولا من  
 فهم ما يقال لها. سرعان ما وجدت نفسي في موقف لا أحسد عليه على الإطلاق،  
 ونحو ذلك خلال دقائق إني مجرد مرجم يقفز للمعنى المطلوب نقلها، من الروجة  
 إلى الموطف، ومن الموطف إلى الزوجة، وسيت خلال قيامي بهذه المهمة الصعبة،  
 وما أصابي مسهب من عاء، أب من الممكن جداً أن أدلى بأرائي في موضوع  
 ربي سأكون أحد المتصدين من مطبخ في نهاية الأمر.

كان لا بد أن أعطي في هذه المواقف درجة عالية من الضيق، كما كان يجب عليها  
 هي أن تتحلى بدرجة أكثر من الضيق، ليس في مثل هذه المواقف وحدها، بل وفي  
 الشكوى على الحجة المصرية التي تجعلها، في كل خطوة تخطوها، تواجة أرواح من  
 السموات مختلفة مما عمت اعتادته في بلادها. في كل هذه الأمور أعبر نفسي روحاً  
 سعيدة، إذ طهر أن لزوجتي درجة من الضيق والحكمة تفوق ما يمكن لأي امرئ  
 أن يتوقعه، وبعوق بكثير ما رأيته من معظم الزوجات الأحسانات اللاتي جئن مع  
 أزواجهن المصريين للعيش في مصر. فقد أحت زوجتي مصر والمصريين حملاً  
 حقيقياً، وفهم ما بهم وصبرت على عيوبهم، وتعاطفت تعاطفاً حقيقياً وعميقاً  
 مع فقره المصريين، وبعد عن تعاطفي معهم، وأظهرت كرم ما نادر المثال في الإصفاق  
 عليهم ومحاولة حل مشاكلهم. ظهر منها هذا الكرم أيضاً وطبة نقب في معدمتها  
 لأفراد أسرتي وكنت حجبهم حجباً، وفي معدمتها لأزواجها ولأولادها وأحفادها،  
 فكانت هي الالهة المفصلة لأبيها وأميها، ومصدراً مستمراً للسرور وسهجة لهم  
 وللأولاد والأحفاد كما كانت لي.

إني أكتب هذا بعد مرور أكثر من أربعين سنة على رواحت. وهو أمر لا يمكن

الاستهانة به أن يعيش رجل مع نفس المرأة مدة أربعين عام، كما أنه أمر يسحق عليه كل من الرجل والمرأة التهنئة أب يصير كل منهما على الآخر طوائف هذا الرمن لا يعمل عن هذا أهمية، فيما أظن، به لم يحظر سالى قط، خلال هذه المدة كلها، أن كان من الأفضل ألا يسمر هذا الزوج. ولا خطر لى قط أن كان من الأفضل لى أن أتزوج بغيرها أو ألا أنزوج على الإطلاق أب. وحتى فلا أستطيع بقطع أن أقطع مما إذا كان قد طاب ندهها مثل هذا الحاضر إنها كثيرا ما كسب لى بجمع كلمات على مسألة الاحتفال بهذه الذكرى أو تلك، من ذكريات رواج، فمما لبثت إليها نعر معها سعيلا الخطر جدا بهذا رواج. ولكنى أكثر نفعه بحس حطى بهذا الروح منى بحس حطى، هى



## ثورة يونسو

لم يكن من بطله محب النساء وحديثها، وكان يميل إلى الاعتماد بأن من يشتمل بالسياسة لابد أن يكون لديه، بصمة عنه، ميل طبيعي للجداع والكذب لا أتذكره قط وهو يتكلم عن سعد زعتر أو مصطفى الشاذلي، اللذين ملك قلوب كثيرين من المصريين، وشغل الحدث عنهما الكثير من الأسر المصرية لعدة أجيال ولا أتذكره قط وهو مشغول بحمين مر سينكل الوزارة الجديدة، فالجميع في عصره سواء، أو الفروق بينهم، فقه من أن شحوق يشغل به كان الاستياء لو حيد من ذلك هو محمود فهمي استقراشي الذي تولى رئاسة حزب السعديين وجاء رئيساً للوردة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقُتل على يد أحد الإخوان المسلمين كان أبي يحب النعراشي ويشي عليه حقه لا لامتته ولا أراي أذكر كم كان حربه شديداً عدم سماع بمقتله

أتذكر، ربما أنه عثر عن رجاء التميمي ثورة ١٩٥٢، مثل العاليية العطفي من المصريين الذين لم بأسف منهم عدد يذكر علي دهان المثلث هروقي ولكن صحة أبي كانت قد تدهورت، ونظرة قد صعب بدرجة أصعبت من حماسه لثورة، وجعلته يصرف الباقي من همته إلى محاولة إتمام الجزء الآخر من سلسلة كتبه عن الإسلام قبل أن يصح عاصراً تماماً عن ذلك

عنى عن البيان أن أبي لم يكن مهتماً بأمور السياسة في قليل أو كثير، فلا هي تتابع أخبارها في الراديو أو الصحف، ولا هي تسمع من روجها في شير اهتمامها بهذه الأمور. لأسر الذي قد يكون أكثر مدعاة للدهشة أنه، من بين ثمانية من

لأولاد والبنات، لم يظهر ولد واحد أو بنت واحدة اهتمام كبيراً بالسياسة مثله  
أصغرهم جميعاً وهو أب.

بدأ هذا الاهتمام بالسياسة من جدي في سن مبكرة للمعابة، كما يبدو من  
مذكرتي التي بدأت أكتبها وأنا في الثالثة عشرة من عمري، وكنت أقسم ما أكتبه  
فيها في كل يوم إلى قسمين. قسم شخصي وعائلي وآخر يحمل عنوان «أحداث  
سياسية» وسمم هذا الاهتمام بالسياسة بشكل أو بآخر حتى الآن، كما يظهر بما  
أكتبه من مقالات بين الحين والآخر في بعض صحف المعارضة وقد حاربت أن  
أفسر هذه الحالة الاستثنائية في عائلتنا (أفصل حائلي)، فحظرت لي أنه قد يكون  
التفسير هو نفس تفسير ظمروحي مدس صغيرة أبي أن أصبح كاتب كبيراً، وهو  
أبى كتب أصغر لأولاد في أسرة كبيرة العدد. وأقصد بهذا لتفسير أبي قد أكون،  
ببساطة مركزي في الأسرة، قد كرهت الأمر المرفوع الذي يجعلني دائماً في آخر  
الصف، ويعطي للآخرين إمكانيات لا أتبع بها لأبى أصغرهم جميعاً، فربما لى  
بحسب دفين الظلم ومن ثم استعداد للشهد والاحتجاج، وحده عدة مبادئ كان  
مهم مفرد المعارضة السياسية ومع هذا ربما كان في هذا بعض الظلم بقى، وأن  
المساءلة قد لا تكون بهذه الساطة، والدافع قد يكون أبلى من ذلك. فأنا أذكر كيف  
كنت في سن مبكرة أكثر اهتماماً بحار العفراء من بقية إخواني، وأكثر استعداداً  
للإتيان عليهم من مالي من بقية أفراد أسرتي باستثناء أبي. وبني كنت أدافع عن  
خادم أو حادمة عوملاً بقسوة، أو طبت أهما عوملاً بقسوة، أكثر مما كان يفعل أبى  
أخ أو أخت لي. ومن ثم قد يكون مصدر اهتمامي بالسياسة هو هذا الاستعداد  
للقه طف مع المظلوم أكثر من مجرد كراهتي تعرضي أنا شخصياً للظلم من بقية  
إخواني. ولكن من الممكن جداً أن يكون هذا تعاطف مع المظلومين بسبب  
شعوري المستمر بأبى وحدهم

عنى أى حال، فعلى أن أعلم من أبى بدأت كثرة مذكرات عن الأحداث استمارة  
وأنا في الثانية عشرة من عمري. بسى الحقيقى هو عمر ثورة يوليو ١٩٥٢. فقد  
حدث حتى سن ١٩٥٢ من الأحداث السياسية ما ترك بعض الأثر في بقى،

ولكنها كانت آثاراً عابرة قصيرة العمر بحكم صغر سنى الناشئ إلى الأمور أكثر ملاءمة من السياسة لخصى من يدبها من أفراده. لقد تعلمت كراهية إسرائيل منذ قيام حرب فلسطين في ١٩٤٨، وكنت في الثانية عشرة من عمري. واهتمت مع زملائي في المدرسة في نفس السن، مطالبين بحلّ لإعيلير ووحدة ردى الليل. ومرت مرحاً حقيقياً وأنا في الخامسة عشرة عندما فاز مصطفى الحامس وحزب البوند في ١٩٥٠ في أول انتخابات بريئة عرفها مصر عرة طويلة من الزمن، واشتركت في مظاهرة (وكنت وقتها في المدرسة سبعية لتي لم يكن حديثها يكفون عن الخروج في مظاهرات) احتجاجاً بهذا اليوم، واهتمت بحيا الشعب وصوت الشعب، لرد على من حولي، فسهي أحد المتظاهرين، لأكرس إلى أن هذا الهاتف خطر، لأنه سوف يصمى على الفور بالشيوعية كما مقر في ذلك الوقت مقالات فتحي رصون. أحمد حسين لثرية في صحف اشتركية نهالجم الملك بصراحة، وتدعو إلى تحسّن الملكية الزراعية بحمسين ددان. وقد عثقت في ذلك لوقت أن هذه الدعوة معقولة تماماً وأن عدل أن تكون الأرض لاس برزها. عثرت عن هذا الرأي مرة أمام مسأجر رص وراعيه كاد أبى يملكها في محافظته المرفية، فانسج المستأجر ساحراً، ولاند أنه عسى في داخل نفسه أن أظّل على هذا الرأي حتى بعد أن برت الأرض عن والدى. لا عجب إذن أن كاد مسرور عامراً بقم الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكنت حينئذ في لسةة عشرة من عمري، وان تادلت التهاني مع اصدمائى مصرح حقيقى، عندما شاهدنا سيارات الجيش تسير سبط شديدا على كوريش الإسكسرية، وقد وقف عليها بعض ابحود المحوريز. بأنفسهم، وهم يلوحون بأيديهم لسان المصطفين على حدى الطريق وهم يصفقون ويهتفون لهم



أصيب بأول حبة أمل في الثورة عندما سمعت في مارس ١٩٥٤ بشوب خلاف بين رجال الثورة وعزلهم محمد نجيب من رئاسة الجمهورية. كما عثقت محمد نجيب عثما، فمضت على ارتباط اسمه بالثورة منذ أول ساعة، كاد للرجل صفات شخصية شديدة اخاديه، إنداد عليه الإخلاص اننام وسراعه والتواضع الحقيقى،

مع ميل واضح للفكره دون أن يفقد احترام الناس له . ثم نكن بحرف لأى عضو اخر فى فئاده الثوره أى دور مهم فيها ، وكان اسم حماد عبد الناصر لا يزال اسما معصور لا أهميه له . كتب فيها فى اسفله الثالثه فى كتيه الحقوق ، وهاجج الجامعة هب جا شديدا عصبا على عزل محمد نجيب ، وكان قاده هذا الهياج من الإخوان المسلمين الذين كانوا يقصرون إلى جانب نجيب . ولا يزال أذكر حظه ألقاه حين دوح ، وكان من فئاده الإخوان فى الجامعة ، وحطبت موهوبا ، دعا فيها إلى رفض الرأسمالية والاشتركيه والتمسك بالاسلام . ومنع حماد الطلبة منتهاه عندما اقتطف انه قراسه وهو نصف دعوته قائلا بها «لا شرقيه ولا عريه» ، الرتوبه مباركه . وقد ظل هذا الاسطوف من القرآن الكريم عائلنا يدهى أنذكره كلما لاحطت مدى قوة تأثير الدين فى المصريين ، وكيف أن نفس لفكره التى يمكن أن نقابلها بالنسب يبرود ، يمكن أن تثير حماسهم بشده إذا عبر عنها تعبيرا ادبيا

وقد انصمحت إلى انصم قام به الطلبة فى داخل قاعة لاحتلال بجامعة القاهره مصممى على عدم ترك مكثهم حتى يعود محمد نجيب إلى مصره . وقد أرسل فئاده الثوره إلين من يحاول أن شيئا عن غربا فلم يقبل ، وفرضت حراسه قوية حول أبواب الجامعة تمنع أى شخص من الانضمام إلى المعتصمين ، ولكن مروح بحروح أى طالب إلى غير رجعة . وكنت أبوى قضاء الليله معهم لولا أن جاءنى من يقول إن سله تسأل عك على سلم قاعة لاحتفالات ، فخرجت الهب فإذا بها والدتى ، رأيتها واقعه على سلم قاعة الاحتفالات تشبهها وصرختها السوداء ، وقد راعها أن سمع باسمى للطلبة الغائرين فقررت أن تأتى على الفور لإجراحي . كانت أمى ترعج دائما بشده من أى إصرار فى الجامعة ، وتخاف حوم حقيقيا من أن تصيب أحدا مناصبه أو ضربه بالعصا على رأسه . وكان لها حينه دأبت على استجد معها منذ سنين طويله ، كلما سمعت بحدوث إصرار ، وهى أن نأخذ من حذاء كل من من أسننها فوده واحده وتضعها كلها فى دولاب وتعلقه بالمفتاح . كانت هذه طريقه سهله ولكيها فعالة جدا لمع اشتر كما هو الإصرار ، بد كيف يجرح أحدا بفرده حذاء واحده ؟ ولكن هذا لاعتصام فاجأها دون استعداد

فخرجت على عجل دون أن يعي حتى دامتدان شمسها بحده، واستقلت رل  
تاكسى تراه إلى جامعة القاهرة

عندما فهمنا الضبط الزمى على باب الجامعة رسألهما عما تريد قالت: «إنيكم  
تضربون أولادى فى الداخل»، فقال لها بأدب: إنيهم لا يضربون أحد، وإنيهم  
يرحبون بأى محاولة من جانبها لإخراجنا إن استطاع فاستمع فى سبيلها حتى  
قاعة الاحتمالات، وكان دمولى لرويتها بهذه الحاة، وحجلى من رملاتى  
المتعصر كافى لأن أترك الاعتصام وأن أعود معها صاعدا إلى لبت

لم يستمر الاعتصام طويلا، بل ربما لم يستمر أكثر من نصف ساعة أخرى، إذ  
أعلى ثمة الثورة، عودة محمد نجيب، جاء على قراو مأكرا، كما تب لنا هما بعد،  
والأبناء للعصمة حتى بهذا الأس، على أن يعرلوه فيه بعد عدم أخذوا للامر  
عدته ويحسنوا الاستعداداته كان من بين ما رتب لحلص من محمد نجيب  
بهايا، إخراج مظاهرات بهتف ضد الدكتور السهورى الفقيه الكبير، والذى كان  
وقته رئيس لمجلس الدولة ومن المناصرين لمحمد نجيب. وخرج لعسان المدفوعون  
دلتع من رجال الثورة لمنشقين على نجيب، يهتفون «يسقط السهورى، جهافل»،  
واقتحموا عليه مبنى مجلس الدولة فى أخيره واعتدوا عليه وشجروا وأسله بلوح  
الزجاج الذى كان يعطى مكتبه كباثرى، «ناورملانى فى كلية حقوق، شديدا  
ما حدث للسهورى، فصلا على أنه كان أقرب أصدقاء أبى إبنى قلبه، كان يتمتع  
بمكانة عالية لدى طلبة الحقوق، فقررنا أن نذهب لزيارته فى المستشفى ومعنا ناقة  
ورد تحمل بهنا من طلبة كلية الحقوق، وهما بدلت بالفعل بما يدل على أن الدولة  
الويليسية لم تكن قد أشد عودها بعد فى مصر، بل لم يكن مثل هذا العمل بمر  
سهوة لو كان قد حدث بعد مسوا قبيلة

كانت صحة أبى وقتها قد تدهورت شدة، فهبت عليها أمى بالأاجيره بما حدث  
للسهورى حشة المزيد من التدهور ومع ذلك فكان السر أكبر من قدرها على  
كلماته فسرعان ما أحرته نفسها بما حدث وقد مات أبى بعد هذا الحادث شهرين  
(٣٠ مايو) وبكى السهورى كان قد حرج من المستشفى، ولا أعرف بالضبط لماذا لم



سبل دموعي على أني ، إلا عندما رأيت مدى حرب السهوري عليه وهو يسر في  
حارته

شأأ لئلي هي ذلك الوقت شعور قوي بكرامية جمال عبد الباصر ولم يكن هذا  
وتنتد عرييا بالمرّة لقد قُتِرَ دم يردد اسمه بأقلام ثورة على نفسه ، ونوجيه  
انتقادات غير مقبولة وغير معهومة لرجل كنا نحبه كل هذا أحب ، وهو محمد عجب  
وقد سمعنا أن عبد الباصر كان به الدور الأكبر في ترتيب الاعتداء على السهوري ،  
وأه ذهب مع ذلك زيارته في المستشفى فرفض السهوري مقابته

كان ذلك أسيا غير المقنع وغير المعهوم ندي أذيع عليا لثرب حروح محمد  
بح من مصه مجرد بداية لسلسلة لم تنته من استمخدام جميع وشعارات ملتوية ،  
وتسيه الأشياء بحر أسبئها الحقيقية ، من تسميه النهرية العسكرية ، «الكسة» إلى  
تسمية انقلاب صاحب سلطة على صاحب سلطة آخر «ثورة تصحيح» إلخ ،  
لما لم يكن معهودا في عصر ما قبل ١٩٥٢ سم سم يقص وقت طويل على الانقلاب  
على محمد بح حتى جرى توقيع اتفاقية الحلاء هي ١٩٥٤ ، التي كرهها أيضا  
كرها عميقا ، إذ كانت نص على حق الإنخيم في المردة إلى احتلال لواء السويس  
لدى حدوث أي اعتداء أو تهديد بالاعتداء على أي دولة من الدول العربية أو على  
مركيا ، وكان مثل هذا النص هو الذي أثار المصريين ضد مشروع صدقي - ببعير  
(١٩٤٦) وأدى إلى سقوط سماعيل صدقي من الحكم بدت ساد اتفاقية الحلاء  
تكرها مشيد على الآمال القومية ، وثارت شكوك قوية في وحيية عبد الباصر ،  
ولهذا سم أشعر بأى تعاطف معه عندما حدثت محاولة الاعتداء عليه في ميدان  
المشاة بالإسكندرية في ١٩٥٤ ، وكنت أكثر ميلا إلى ببعير الحادث بأنه مدبر من  
الحكومة ببعير لثرب لبعض على بعض خصومها وشعرت بالاعتراض الشديد  
عندما سمعت ما قاله عبد الباصر لسماعيل بعد إطلاق النار عليه مباشرة ، إذ كان تعبيره  
على تحججه من أن يطلق أحد النار عليه هو «أنا الذي علمتكم الحرة والكريمة» ، وقد  
وحدث في هذه العبارة ما لا ينطق من العرور من دعة ، وإهنة للمصريين من  
ناحية أخرى كما أني استمعدت أن تنواهر لاي شخص البديهة الحاضرة لهذه

لدرجه معدٍ إطلاق النار عليه مباشرة، إلا إذا كان يعرف بإطلاق النار مقبداً في أعقاب هذا الحادث مباشرة حرحت أم كلثوم بأعباء جديدة مطلقها أيا جمالاً ي مثا لوطية، أجمل أعيادنا القومية، دى بجانبك يوم المشية، هم أصغر على معاهي، وكنت أعلق الراديو بمجرد أن تبدأ، مع ألى كنت أباهم معرماً بأعاهي وانتظر ألى أمة جديده لها عارح العصر

لم أكن وحيدى أشعر بهذا لشعور لمعدى لعبد الباصر في ١٩٥٤، من كان يشاركى في ذلك الكثيرون، خاصة بعد أن سمع بعصل كثير من أصدقاءه، والجمعية من اليساريين والأحوان المسلمين، والقصر عليهم لمجرد إبدائهم لأراء، أو الشك في ان لديهم أراء معادية للظام ولكن حدث في العام التلى مباشرة وبدأ يشيع مسح جديد، وبدأت الأخط في بعض المحلات لتعاطفة مع اليسار بعة جديدة فيها تعاطف مع عبد الباصر كان السب في ذلك مؤتمر بانسوخ، حيث بدأ ظهور شعباء الحيااد الإيجاس وعدم الاحيد، وبدأ من حكومة الثورة أنها سوف تدير في نفس الاتجاه الذي رفع شعاراته بهرو وسركارنو وتيتو ولكن التعبير يكمل في موقفا ومشاعربا عيه عند اساصر جاء في ١٩٥٦، بإعلانه المفاجئ بأميم قاة الروس لم يصدق أناسا بعض سمع الخبر، وكنت فرحتاً واعتزيراً بانها مصرنا أكرى يمكن وضعه



كانت اسسواب السب (١٩٦٤-٥٨) الى قصيها في المعنة في إبحار، سواب حادثة لأحداث حاسمة في تاريخ مصر السياسى والاقتصادى، وتشكل في الحقيقة «الحقيقة لاصرية» بمعنى الدقيق، إذ كانت السلطة التى يتمتع بها عبد الباصر والسمات الأساسية لسياسته، أضعف بكثير قبل هذه الفترة وبعدها كانت وحده مصر وسورب قد أعلنت وأنا في الساحة في طرمعى إلى المعنة (مارس ١٩٥٨)، ثم سمعا بعد ذلك بشهور فليبه قيام الثورة العربية (يوليو ١٩٥٨)، ثم تطورت مثيرة في الأردن وسبب كانت تؤذن كلها بهبة قريه ليعرب، أو هكذا كان يظن، وبذت الوحدة العربية الشاملة قات قوميين أو أدنى هذا أعلن عبد الباصر قوايين

الأمم في ١٩٦١ بلغ حماسي ذروته وصفت، مثل كثيرين عري، أن أماسا لكبرى على وشك أن تتحقق

كان لجميع يكدمون عن العرب، والصحف البريطانية لا تكف عن الكلام عما يفعله العرب، والكتب الجديدة تصدر كل يوم عن معرى الثورة المصرية أو العربية، أو عن القومية العربية ومستقبلها، وعن دريح العرب وطريقة تفكيرهم، بأهلك عن حماد عبد الصاصر ودوافعه الظاهرة والخفية، ومحتلف العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته وآرائه. إبح لم تكن المشاعر التي تحيط به في مجمر مشاعر ودية في لعالم، إذ كان لإيجليز لا يزالون يذكرون أن السب فيما تعرضوا له من إهانة وعدلة خلال الأومة التي حلقها تأميم عداء صرقاء السويس، والتي بدت وكأنها نهاية الاحدار استمر للإمبراطورية اسريطية. ولكن هذا الشعور العدائي لم يكن يظهر بصراحة إلا من حزب الطلبة اليهود، الذين كانوا يستهزون أي فرصة للانتصار لإسرائيل والإساءة بسبعة العرب. عندما حدث ركزي إنشاء دولة إسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٦١، حطر لمجموعة من لطلبة العرب في كلية لندن للاقتصاد، كتبت أن من ينهم، أن يكتب مشورا من صفحة واحدة تلخص اصحح العربية في قضية فلسطين، ويردعه على الطلبة، وقد كتب أن هذا لمشور في عشر نقاط، لا يريد كل منها على منظر أو منظرين، ووقعا أمام باب الكنيسة مند الصاح يعطى نسخة لكل طالب أو أستاذ يختار الباب. وجن جنون لطلبة اليهود، ولم تمس ساعة أو ساعتين حتى أياهم يرعون مشورا مضاد يردون فيه على كل نقطة من نقاطا عشر، ويرعون من الخواطر ما كما قد ألقاه بها من مسح مشورا

لم يستمر حماسا وعذوب طويلا، فم تمس عدة شهور على صدور القوايس الاثراكة في مصر حتى حدث اعصاب مصر وسوريا (سبتمبر ١٩٦١)، ولم يفلح عبام ثورة في اليمن بعد شهور قليلة من التحصيف من شعورنا بالإحباط لفشل الوحدة. ثم تتابعت الأحداث والانقلابات في العراق وسوريا مما جعل حلم إقامة الوحدة بعرة أبعد فأبعد عن التحقيق. ثم حدث (في ١٩٦٣) أن سلمت الحكم في سوريا والعراق في نفس الوقت، حكومتان بعثيات، تناهما من أتباع ميشيل

عقلن، وحاء وفدان من بدولتين إلى مصر للمباحث في إقامة وحدة جديدة تمحو آثار لانفصال بين مصر وسوريا وتصيف إليهما العراق . ساورنا بعض الأمن وفتحها ولكنه سرعان ما تبدد عندما سمع بشدد عبد الناصر في رفض الخصوع لإرادة حرب البعث، وتشدد الحكومتين بعثيتين في رفض أي وضع يمكن أن تنكر فيه أحطاء الر وحدة السابقة . وقد سمع أثناء هذه المباحثات خطة جمال عبد الناصر وردت فيها سحرية جارية من ميشيل عفلق، ومن تلغيمه وتردده في تكلام، وقد لشي هذه أحملة شدة، إذ فصلا عن حبي القديم لميشيل عقلن وتقديرى به، لم أجد أى مبرر لاستخدام سلاح الإهابة الشخصية لكسب معركة سياسية . لقد حسب على هذا لعصب الذى شعرت به بسب هذه الخطة، أثارا وخيمة مستمرت تلاحقنى عنه سنوات، وبعنها لم تنته إلا بعد وفاة عبد الناصر وقيام أنور السادات بإحراق المبعثات التى كانت تخوى على تقارير المحاورات والمباحث عن كل من بعوة بكلمة ضد النظام المصرى . وكنت أنا من بين الآلاف التى كتبت عنهم مثل هذه التقارير، وربما كنت معنى قد بدأ فتحه بمناسبة ما قفته تعلقا عما دار فى هذه المباحثات بين عبد ناصر وزعماء البعث

ذلك أنه فى تلك السنة (١٩٦٣) التى دارت فيها المباحثات بين عبد الناصر وقدة حرب البعث تصادف أن كنت فى مصعد كلية لندن للاقتصاد ورأيت معى فى نفس المصعد شانا طويلا عربضا له ملامح مصرىة واضحة، كنت أراه حينئذ لأول مرة . سألته عما إذا كان مصرىا فأجاب بلا يحد، وقال . إنه وصل حديثا من مصر والحق بمصر كليب كطالب ماجستير فى العلوم السياسية . تبين أيضا من الحديث أنه يجد صعوبة فى العثور على سكن ملائم، فاتفقنا على الدفء بعد انصرافنا من الكلية لمساعدته فى حل هذه المشكلة . وهو ما حدث بالفعل . لم يكن ليخطر ببس قط أن نظام المباحث والمحاورات المصرى قد وصل إلى هذه الدرجة من النشاط والاضمار، أو أن مصر قد أصبحت دولة بوسمية . فى هذه الدرجة . كنت قد تركب مصر منذ أكثر من خمس سنوات، وقد رقت خلال هذه الفترة أحداث التأميم، وانفصال سوريا عن مصر، واشتداد الخلاف بين النظام المصرى ونظم عربية أخرى، وهى أحداث جعلت النظام المصرى يشعش أكثر فأكثر بحميدة بعوه وتبع الأعداء

و لخصوم المصريين و المحتشمين بدرجة لاد أنها ردت عن «الارم» و حلفت أجهزة و هيئات يستعبد أصحابها استمادة شخصيه من بحر هذه لطيفه البوليسيه للدولة، بصرف النظر عما إذا كتب الدرة في حاجة حقيقية إليها أو لم تكن بعد عرفه فيما بعد أن هذا الرجل الطويل «عريض» الذي قابلته في مصنع كليه سد للاقتصاد لم يكن إلا معونا من أحد أجهزه المباحث المصريه للتجسس على نطله المصري في لندن، و كتابة لتمايز ع ورسالتها أولا بأول إلى القاهرة. وقد وجد الرجل معيته وكتب على تقرير سبيل العناية حفظه في ملفي، أو فتح به ملفي بالحدارات المصريه عما انتهى دفعه إلى هذا بالصعيد؟

كانت جمعة انطمة العرب فيجند. قد قررت تنظيم مؤتمر لمناقشة الأوضاع العربيه، وطلبت مني أن انفي محاصرة فيه فعملت. وكننت قد سمعت دبل إنقائي المحاصرة بصعده أيام عما دار بين عبد اساصر و«سعثين». و«حومه» بعيف على شخصيه ميشيل عقل. وقد أدى ذلك إلى تصيين محاصرتي بقدا لما دار في محادث الوحده، وثناء على بعض أفكار اسعث، بل وبعض السحره من بعض عداوب «الميثاق» الذي كان قد أصدره عبد الصبر في أعقاب الامصاص. ولم أكن أعرف مدى السجيل والاحرام الذي فرضه النظام على الناس لهذا الميثاق. لا أكاد أذكر شيئا أكثر من هذا عن محتوى كلمتي، ولكني أذكر، وربما كان هو السبب الأساسي لمحتي، أنه أثناء نقاش الذي أعقب المحاصره، قام ذلك الشاب المبعوث من المباحث المصريه فقل شيئا في الرد على، فصدت مني عبارة هاسيه تسخر منه هو شخصيا. وربما كان هذا هو ما اعتراه الرجل غير معمر ولا يمكن السكوت عليه، وليس ما وجهته من نقد للنظام المصري أو ثناء على اسعث.

لم أعلق أهمية كسرة وقتها على ما حدث، وانصرفت لإتمام رسالة الدكتوراه التي كانت قد أوشكت على الانتهاء، ولكني فور حث بعد نحو شهر بمدير البعثات المصري (محمد فتحي) يستدعيني لمقابلة في مكتبه في هذه المقابلة تفحنت لي حظورة ما صنعت، إذا كان رجلا مشغولا مشغولا عن معهودي قته وما لم أقبه في المحاصرة، واستخدم كل الوسائل الممكنة لكي يجعلني أسلم له النص المكتوب

للمحاصرة هرقت ، وقت نه إبنى أعتر من حتى أن أقول ها أشبه وأن أرض مصر ، إذا أردت ، أن أذكر نه بالوسط ما قنته عدت إلى مسكنى دون أى شعور بالخوف من ربح كت هجور بنفسى كان من بن ها قاله بنى مدير المبعثات إن بديهم طرفا لإجبارى على تسليم المحاصرة ، فسألته عن كنه هذه المنطق فهم سب وقد استعدت جدا أن يصدر قرار بإيه بعضى وإعدتى إلى مصر قبل إيهاء اندكتوراه وبمصل ، ثب أن نظام المصرى لم يكن يمثل هذه المسورة أو الممقة . بعد كت مديبر المبعثات تقرير للفاهرة (كف أحربى هو نفسه بعد مرور هذه الواهة بواب عديدة) يقول فيه نه ليس صاب مصلحه فى اتحاد بنى إجره صدى ون بنى محلترا ، وأنه شوع «أن بحرسى الثيلوا» عدما أعود إلى القاهرة فأكف عن العباد واستمد نعم ، لم يكن النظام البوليسى فى مصر من القسوة بحيث يمسد على شهور الباقية لى فى إنجلترا أو محرسى من إدم حر سى ، ولكنه كان من الشدة بحيث سب لى فيما بعد من الماعب وسخوف والألام ما لم تكن هناك أدنى حاجة إليه

من ذلك ما حدث عندما وطئت قدمى لأول مرة أرض مصر بعد انتهاء بعضى ، بل وحتى قبل أن نطأ قدمى أرض مصر . كت فى طريق عودتى النهائية إلى مصر بعد انتهاء بعضى ، ومعى روحى الإنجليزية التى تروحتها بمجرد حصولى على الدكتوراه فى إبريل ١٩٦٤ . وكاتب تأتى إلى مصر لأول مرة ، وكل سامى عاية المساعدة والامستشار بده حياه جديده فى مصر اسى كت أفقدها شده كان سفرنا إلى بحره ، وكانت باخرة مصريه اسمها «الجزائر» تسير بين ميناى البندقية والإسكندرية . قصا على الساحره ثلاثة أو أربعة أيام كت حلالها أكاد أثير فرحا وحماسا كت سمعت أحدى مصريه ، وكن مطبخ أغصه (قل حاسى ودى إحاسب السد لعلى) من أوليات بكلمات العربيه التى تعلمتها روحنى . صفت ونقحت الساحره فى ميناى الإسكندرية وظنا أن ما عينا لأن إلا لبرول إلى أرض مصر ، فوجئنا بأن المسأنة ليست بهذه الباطة ، فعد رأيا طورا من المصايط يصعدون إلى بحره على وجوههم سبات عدة فى انصرامة والتحميم ، فتعد لهم سائله طوبيه فى إحدى صالات الساحره ، ومصطف المسافرون أمهمم لكى يقدموا للمصايط أوراقهم وحواز نهم . لم يحظر سالى قط أن أكون أنا واحدا من سرقون

وصوله كنت قد حذرت روجتى بأنها قد تصادف مشكلة بسيطة عند وصولها إلى مصر - أزمة جديدة بين مصر وبريطانيا كانت قد نشأت مؤخرًا عن الدعم الذى كان يرسله عبد الناصر لثلاثين صديريطيدى فى عدن، ولكن طمأنيتها بأنه حتى لو سألوها بعض الأسئلة فإنهم لن يكونوا مشكلة كبيرة - كان الذى حدث هو العكس بالضبط، إذ ما إن جاء دور روجتى وسين الصليط بها بربطانة حتى هشوا لها، وأخذوا يحبرون معرفتهم بالإنجليز فى عبارات الريحيت بها فى مصر، ولكن ما إن اطلعوا على اسمى ونظروا فى بعض القوائم التى يحسبونها حتى أطلعت وحوهم، وظهر عليها ما يدل على أنى رجل أخطر بكثير مما كنت أظن، ولوح أحدهم لى سراعه، وأمرنى بملصة بأن أفهم حتى يصرع من سائر المسافرين ثم سوف يكون له شأن معى - عندما فرغ البعض من سائر المسافرين بصرف نكل انتباهه لى، وأمرنى بالأسئلة التى لم يوجهها لأحد غيرى، وهو يكن إجاباتى باهتمام، وعندما عرف كل شىء على أطلاق يده فى احتفال، بمعنى أنه يمكن الآن أن أنصرف

لم يكن هذا هو بالضبط الاستقبال المطلوب لى لوطى بعد بضعة سب سنوات حصلت فيها على مذكتوراه ولكن هذا الاستقبال المبهين لم يكن بأية حال أسوأ مما تعرضت له سبب تلك المحاصرة الملعونة التى ألقيتها فى لندن، وعاراه التجربة التى خرجت منى دون تفكير وأعصت بمعوث للمباحث المصرية - بعد وصولى إلى مصر بأسابيع قليلة ذهبت أنا وروجتى إلى الإسكندرية لاستلام ما سبق لنا شحبه من متاع، واتاء سرى على الكوريش إذا بى أرى شخصاً مصر من أحد الأنوبيسات ويحبرى ذرائى ما تسمى اسمى - فلم تفحصه وحدته الطبيب المصرى العيب الذى كان يرفقنا فى رحلة الناحرة من السديفة إلى الإسكندرية، وهو طبيب اساحرة التى سافر معها جثة ودهان - وكان قد رأى وهو كان فى الأنوبيس فمصر منه لأن يديه شيئاً مشبه بريد أن يقوله لى - عندما بدعى سائى وهو فى غاية الاندهاش - ما الذى فعلته بالضبط؟<sup>٩</sup> فلما استوصحته ما يقصد فل إنه فهم من الضبط إلا أن صعدوا إلى لآخره عند وصولنا إلى الإسكندرية أتنى جعلت شيئاً

خطيرا استوجب رصعي تحت المراقبة ، وحذرتني من أن أقوم بأي عمل يثير الشكوك  
لأبي بالفعل مراقب

حدث بعد هذا أن استأذ بكلمة حقوق عين شمس لثني التحقت بها مدرسا  
بلاقتصاد مجرد عودتي من بعثة (وهو ما كان مفعرا ممد الإعلان عن هذه البعثة)  
أحسرتني بأن هناك شخص مهم يريدني أن أعانده كان هذا الشخص المهم (هو  
الدكتور حسبي كمل بهاء الدين الذي صار وزيرا للتعليم بعد هذا بسنين كثيرة وهي  
مباح سياسي مختلف تماما) مستولا في ذلك الوقت عن منظمة الشباب التي كان  
الظام قد أنشأها حديثا لتكرين كواد ثورية ومؤمنة بأهداف ثورة يوليو وكان هذا  
المستول قد طلب من ومبلي بكلمة الخقوق تعريعه على من يتوسم فيه الخير من  
أسانفة الكدية الشباب ، ويمتقد أن أفكارهم متفقة مع أهداف الظام وقد لي هذا  
الرميل به ذكر اسمي للمستول احظرت فحدث لي موعدا للمقابلة

ذهب لمعات ودار يسا حدث عن الاشراكيه والراسماليه ، اعتقد أنه لابد أن  
يكون قد ترك أثرا طيبا لديه ، دليل أنه أصر على توصيلي بسيارته من مكتبه بحارون  
سيي إلى مسكني بالمعادي صحيح أنه طوال هذه لوجهة لم يسس بسب شمة لسبب  
لم أهمهم حتى الآن ، إلا أنه لم يبد لي أن هناك أي سبب لأن يرفض أن يعهد إلي  
بمسئولية ما في منظمة ثم فاجأني رسيي بكلمة بحارتي بأن المستول الكبير قد به  
إني لا أصلح للعمل معهم «الآ لي تاريخ» ، وبهم يريدون «أشخاصا لا تاريخ»!  
وقد أكد لي أن هذا هو الذي يريدونه بالفعل إن كثيرين من استعانوا بهم في تلك  
الأيام والأيام الثلاثة كانوا من نوع الذي لا يؤمن بشيء على الإطلاق ، ألفوا  
محاصرات على الشباب في الاشتراكية في ذلك الوقت ، أي في منتصف  
الستينات ، ثم ألفوا محاصرات وكتبوا مقالات في التنديد بالاشتراكية في  
الستينات ، وأصبحوا ورءاء في الثمانينات أو لتسعينات .



على أن الذي أصابني بالام بسمية مرحلة ، لم يكن هذا الحادث أو ذلك ، بل ما  
حدث في ١٩٦٦ ، أي بعد مرور سنتين على عودتي من إنجلترا ، عندما تلقت دعوة



من جامعة لندن لخصور مؤتمر بعنوان (مصر منذ ١٩٥٢)، إذ طلب مني أن أكتب بحث عن تطور الاقتصاد لمصرى منذ الثورة. كان هو حتى بهذه الدعوة عظيم لأكثر من سبب. فمن ناحية كانت هذه أول مرة أدعى فيها للاشتراك في ندوة أو مؤتمر علمي باعتباري «أستاذ» لا «تلميذ» والدعوة مجتنبى من جامعة لندن التى درست فيها، فهاد. إذ أعمل من هذه جامعة كأستاذ لا كتلميذ. ومؤتمر قد دعيت إليه أيضاً لشخصيت مهمة علمياً وسياسياً، فهالك الأستاذ السويدي هانس، وأساتذته آخرون فى الاقتصاد من أكتفورد ولد، وادى دعى إلى انكلام عن تطور لثقافة فى مصر هو الدكتور لويس عوض، وعن التطور السياسى مالكوم كير من جامعة كينيديا، وخالد محيى الدين من مصر. أصعب إلى هذا أن المؤتمر يعقد فى لندن التى عشت فيها سب سنوات ولم أرها منذ سنين، حتى سأب أشت فى أن تلك السنوات انست لم تكن حقيقية بل كانت حلماً. لقد مررت خلال هذه السنوات سب مخاوف عميقة الأثر فى نفسى، عاطفية وحسية وفكرية، وعدد بعدد شخصيات كنت أشعر أحياناً بأنه شخص مختلف تماماً عن ذلك الذى ذهب إلى لندن فى ١٩٥٨. سمع أروع أن أرى تلك الشوارع من جديد وأركب قطار لأتفق من جديد، وأشم رائحته مرة أخرى، وأطوف بحجرات كيه لندن للاقتصاد التى شعرت وأنا جالس فيها بشدائد شاعر فورة، من متهى مخرج إلى متهى المؤم.

كان هذا هو معنى أن أذهب إلى لندن لخصور ذلك المؤتمر فى ١٩٦٦، وكان من الطبعى أن تذهب معى زوجته إلى بحيرية بترور أمويها، ولكن يصحبة زوجها الأستاذ المدعو من جمعه بحيرية، وليس زوجها التلميذ الذى لا يدرى أحداً من الذى يمكن أن يكون عليه مستقبله.

كان السفر من مصر فى ذلك الوقت أمر صعباً وبستارم إجراءات لا نهائهما لها، بل أن جوار السفر نفسه لم يكن من السهل أنظفره وإذ حدث وظهر المراءنه فإن الدول التى كان يسمح لصاحب الجوار السفر بها قليلة جداً ومذكورة على سبيل الخصر، فتصاف بدولة المطلوبة عندما يثبت عدم وجود مدع سياسى من الذهب إليها، وتكد أن تكون كل لدول مدع يوجد معها «مجمع سبسى» لسبب أو آخر. لا بد أنص إذا كنت أستاذ بالحكمة أو ذا وظيفة لها أى شأن على الإطلاق، أن

تحصل على موافقة مكتب الأمن واعكبت الأمن « كتاب بالنسبة له سم محققا لكتاب عامص، مملوء بالملفات والتسجيلات التي تسجل فيها أي دعة أو همة أو فكرة قد تكون قد حظرت بانك، ونشتم بها بعض الخطورة على النظام

كسب أعرف كل هذا، وكان من الزوار امتسرة في مصر في ذلك الوقت أن مثال أبي الهول عندما غير له جمال عبد الباصر عن إعجابه الشديد به وسمح به أن يطلب أي شيء قد يرغب فيه، طلب أبو الهول «ناشره حروج» وشاع أنصا وقتها تخوير بعدة مصطفي كامل الشهيرة فأصبح «لو لم أكن مصري لوددت أن أكون مصرياً» لم أخرج! كنت أعرف كل هذا ومع ذلك، وعلى الرغم من كسب قد صادفته حتى الآن من متابعي «مفريو لندن»، لم أكن «تصور أن يصمم جهات الأمن إلى هذه الدرجة على معنى من اسمي» ظننت نحو ثلاثة أشهر أخرى و«امتسرة الأمن، يقال لي «العال بعد أسبوع» ثم بعد أسبوع آخر، ثم يقال لي «المحاث هي المعتصرة» ثم يقال لي «المحاث العامة» ربح حتى اضطرت وأنا في حزن شديد أن أرسل برقية اعتذر عن حضور المؤتمر، وسافرت روجتي بدوي وكل مما يشعير بالأسى لشدة إذتشرق، لأول مرة منذ و«احدا» سب اعتراض المحاث العامة على سمري عندما سمع خالد محيي الدين بي حديث لي، وكان رغم حروجه منذ عشر سنوات من مجلس قيادة الثورة، لا يزال عني علاقة قوية بالكثيرين من رجال الثورة والمساكن «سلطة» وكنت أنا صديقا لشقيقه عمرو محيي الدين، طُت حاطري وطمأنسي بأنه سيحل لي المشككة

ومرت أيام أخرى هوية دون أن يظهر أن خالد محيي الدين قد صادف أي نجاح، وقال لي مستعرا «إن موضوعك ك«ولادة المتعصرة» ثم أضاف إنه لا حل إلا أن يأخذني من يدي ويذهب لمساندة شعري جمعة شخصيا، وكان وقتها وزير لند حبيه ومن أهم المسئولين عن الأمن في مصر ذهبا لمقابلته في مسي محم في مصر الجديدة كان يسعى وقتها «تقفر الحكومة المركزية»، ورأيت شعراوى جمعة بمجرد أن دخل عليه خالد محيي الدين بخصصه في مودة بالعه، وامتشرت حيرا، وطئت أن مشككتي عني وشئت لاسها» ولكن مرعد من حات طمى إده إن فتح

تجدد محبى اديين موضوعى حتى بدأ شعر وى جمعة يقدم له سررات الإحراعات  
 المتخصصة صدى كان أول ما عانه هو أى يعنى، فادر حد دهنى الشديدة واضعنى  
 وقلب لشعراوى جمعة م معه «هل نما يوت سمعة شخص فى نظركم أنه عندما  
 كان فى سناسعة عشرة من عمره تمسّ للاشتراكية والوحدة العربية وخيرية؟ وهى  
 أشياء لم يكتشف النظام لمصرى محسبها إلا بعد ذلك بحسن سموات أو أكثره  
 واتخذت مع سوريا على أساسها، وكان بعضون حلفاءكم وأصدركم؟» لم يرد  
 شعر وى جمعة عى هدا، ولكنه أضاف «إن هلاك أيضاً ما يدل على أنك فى حدى  
 محاصراتك فى كلية الاقتصاد (فى سنة ١٩٦٥، عندما كنت أدرس مقرراً فى تاريخ  
 الفكر الاقتصادى) قلت شيف يسى» إبنى النظام لم رد على هدا الإلهام لأنى لم  
 أستعد أن يكون قد صدر عى فى ذلك الوقت بعد الجانب أو احر من سياسة الظلم،  
 ولكن أذهلى أن أسمع ما معناه أن هناك من يقدم تقرير للمباحث العامة حتى عما  
 يقوله أستاذ فى الجامعة لافى محاصرة عامة أو مؤقر سياسى فى مقرره عن  
 «تاريخ الفكر الاقتصادى»

اتصبت الصداقة دوى أى وعد شىء ورجعت بى يبنى حرسا، وأبرقت بى  
 روجى بأنه ليس هناك أمل فى حضورى إلى إعملر لهذا كان اسعراى شديدا  
 وهما جاء سارة بلعبية عندما تلقيت مكالمة تليفونية من حدى محبى اديين بعد هذه  
 المقاتلة سحو أسوع بحورى فيها أن مشكلتى قد حلت، وأن بإمكانى الذهاب بى  
 مكتب الأس لاسنلام لموافقته على طلبى للسفر وكان هدا هو ما حدث بالعمل،  
 وحصلت فعلا عى تأشيرة الخروج وأصبح تسعر ممكنا فجأة، وأرتقت من جديد  
 إلى منظمى المؤتمر فى لندن بى روجى بأنى سأحضر.

لم يكن من السهر أن تعود إلى الطماسة الكاملة بعد كل ما هورت به من عذاب  
 وإثارة للأمل ثم إحباطها وأذكر أنى عندما حكيت القصة لصحفى كبير وساصل  
 قديم (محمد عودة) حذرنى نظره لعهود من المياغة فى التنازل قال إنه حتى  
 تعرض أبى ركت الطائرة المتجهة إلى لندن، وصعدت الطائرة فى الهواء، فلههم  
 قادرون عى إعادتها إلى مطار القاهرة وإحرحى من الطائرة قال بى لا يمكن أن

أطش تماماً، بي حروحي من مصر إلا عدم تحوير الطائرة الأميال البحرية الأربعة عشرة التي تدخل في دائرة السيادة المصرية بعد هذه الأميال لا تستطيع سمط مصرية. رجاء الطائرة الأحية إلى أراضيها وقد حكى له كتاب لفتريت ما حدث بصلاح جاهين، الشاعر الشهير، بعد ركوبه الطائرة، ولم تكن الطائرة قد عبرت بعد هذه الأميال، فأعادت السلطات المصرية الطائرة إلى مطار القاهرة وإذا بصلاح جاهين يسمع اسمه ينادي في مكروهون الطائرة ويطلب منه النزول، وما إن نزل منها حتى طارت الطائرة من حديد. ولما ذهب بي سلطات الأمن اتى أمرت بعودته، اكتشف أنه حدث خطأ في الاسم، إذ كان الشخص المطلوب القمض عليه شخصاً آخر باسم صلاح محمود حمدي، تاجر خشب، وهو غير الشاعر صلاح جاهين. ولكنى سافرت وعبرت الأميال البحرية ولم يحدث شيء.



كانت هذه مجرد حادثه و حدة من سلسلة الأحداث التي قضت شيئاً فشيئاً على شعوري بالتعاطف مع نظام عبد الناصر. هذا التعاطف الذي بدأ مع تأميم القناة في ١٩٥٦، وبلغ أوجه مع تأسيسات ١٩٦١، ثم أصابه أول شرح في ١٩٦٣، كما سمعته عن موقف عبد الناصر من ميشيل عفلق.

كتب عبد عودتي من السعنة في ١٩٦٤ لمحمد لاشرابية عبد الناصر ومن ثم فإني عندما طلبت إلى أن أدرس مقرراً بعنوان «الاشتراكية العربية» في كلية حقوق عن شعب، كأحد واحدي في التدريس، رحبت بشدة ووجدتها فرصة نكتة كتب صغير في الاشتراكية أعرفه عن موقعي فيها ومن المازكية سمأكي محمداً لسميه ما يطلق في مصر «الاشتراكية العربية»، إذ لم يكن مقصد بأن هناك مثل هذا السوء بين الاشتراكيين يسمح بسمية جديدة بالعربية وأخرى بالإفريقية وثالثة بالهندية إلخ، خاصة أن درجة الابتكار الطري في التجربة المصرية، فيما يتعلق بالاشتراكية، بدائي، وقتها على الأقل، شبه متعذر. بعد صممت عندما عرض عليّ ومن في حقوق القاهرة أن يكتب كتاباً مشتركاً في الاشتراكية، على تسمية الكتاب بالاشتراكية وليس الاشتراكية العربية. وحدثني هذا الرميل سه

وحدة، ثم بصحة المعص عدم الاشتراك معنى في سنة الثالثة، ومنه إلى أن الجزء الذي كتبه أن في لكتاب مشترك، وإن كان قد احتوى على مدللناركية، فإنه بدو تعاطف معها أكثر من اللازم، وأن من دواعي الحيفه على أنه حال أن مصر لتحرره المصرية متميرة عن غيرها، وقد يكون استثنوي في الحكومة أكثر تعاطفا مع اعصار شراكسيهم عربية من اعتبارها ساحة من الماركسية انفصل على إذن هذا الرمي وكتب كتابا وحده في الاشتراكية العربية وكتب أنا كتابا مستقلا بعنوان «مقدمة إلى الاشتراكية» درسته لعامس بالنس حتى وقعت حرب ١٩٦٧

قبل وقوع هذه الحرب، استدعاني مدير الجامعة مرة محاولا إقناعي بحدوث آخره الذي اتعديده اعتراف اشتراكيًا منيرة عن اشتراكية غيره، هو مصد ذلك وبكى كبدي لم يعجب أيضًا للماركسيين، بسبب بقدي بشديد للمادية الخدية ونظرية القيمة الماركسية ورأوا، أن من واجهم أن يرسلوا إلى ماركس من الضبيعين في الاقتصاد ليقنعني بأن نظرية العمل في القيمة أفضل من نظرية العرص والطب في تفسير الثمن، وكنت قد قلت في كتابي إن نظرية العمل في القيمة، تتي نساها ماركس، قد تكون أفضل من غيرها من حيث إثبات الاستغلال ولاعتراف أخلاقيه وسياسيه، ولكنها ليست أفضل من نظرية العرص والطلب في شرح محددات ثمن فلم يجمع هذا للماركسي في إقناعي وظل هذا الجزء كم هو في الكتاب

على أي حال أدى قيام حرب ١٩٦٧ إلى إراحة الجميع من مثل هذه المشاكل فقد أرسى عبد كليتي (إسماعيل عامر) اعتذارا عن تدرس معر الاشتراكية، وكان قد أصبح من الواضح لي الآن أن مشكلنا الآن ليست هي الاحياز بين الاشتراكية والرأسمالية، بل هي مشكله الديكتاتورية والديقراطية، وأنا لساها في حاجة إلى المزيد من الاشتراكية بل إلى المزيد من الحرية

كنت وثق أصلة بهذا الاعتماد وشديد الإعجاب به، ومن ثم ساعى ب لاحظت عبه من استياء لاعتذارى عن تدرس الاشتراكية، وإن كنت اعتقد في تعاطفه مع موقفى ابدي سم ينع من التعبير عبه إلا ما يشعر به من حرج أمام المسئولين ابتكار في

لجامعة والحكومة أحدى بعض رسائلها في الكلية استعراهم الشديد من هذا  
 لاعتدار ، يد كان تدرس الاشتراكية وعبرها من اسفرواات المسماة بـ «القومية» ،  
 ك تعاون والمجتمع العربي ، مرصه ذهبيه تتكون ثروة لا بأس بها ، وذلك إذا  
 استطاع الأستاذ أن يدرسها في أكثر من كلية ، وعلى الأخص في الكليات ذات  
 الأعداد الغفيرة من الطلاب . وكب أعرف فعلا أسادا كتب محلدا صحفا سمته  
 «الاشتراكية العربية» بأعه ضمن مرتفع في الكليات لثلاث أو الأربع التي كان يدرسه  
 فيها مما سمح به شراء سيارة مرسل من حمراء كان تشغل بها من كلية إلى أخرى  
 وقد راه أحد التلاميذ يركب السيارة بعد أن أنهى محاضرة في الاشتراكية العربية ،  
 قاله سحرًا : «طيب . هذه هي العربية يا دكتور ، هاين الاشتراكية» ؟



عندما قامت الثورة في يوليو ١٩٥٢ كنت أصغر من أن يتور في دهمي أي تساؤل  
 عن وجود أي علاقة محتملة بين هذه الثورة والسياسة الأمريكية في المنطقة ، كما  
 كان مرجحا بدم الثورة شديدا لدرجة كان من شأنها وحدها أن تمنع من أن يصرف  
 أذهانت إلى تعمسها بأي عمل آخر غير الشعور بالواجب الوطني لدى الصبغ  
 الذين قدموا بها

كان من الممكن جدًا ، لولا هذين العاملين ، أن يتور في أذهاننا بعض لشكوك  
 في سنة ١٩٥٢ حول علاقة الثورة بالولايات المتحدة . كانت كل الدلائل تشير إلى  
 أنه لولا تأييد الولايات المتحدة حركة الجيش في ٢٣ يوليو ما كتلت هذه الحركة  
 بالنجاح ، خاصة مع وجود القوات البريطانية على طول قناة السويس . كان من  
 المعروف لنا أيضًا ، حتى في ذلك الوقت ، أن أول عمل قام به الملك فاروق عندما  
 طلب منه الصباط المصريون توقيع وثيقة المساواة عن عرشه في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ،  
 كان اتصاله التليموني بالمعير الأمريكي ليعرف موقفه ، فإذا بالمعير يصمحه  
 بالشر . ثم كان من أوائل أعمال الثورة إعدام عد من ( الخمس و لقرى ) شهمة  
 الشيوعية وفي ٩٥٤ كان من المعقول أن يتور في أذهاب بعض الشئ في أن  
 تكون الاتفاقيات التي وقعها الإنجليز مع قادة الثورة بإخلاء عن مصر قد تمت بدعم

من الولايات المتحدة مصر وصعدت أمريكى على الإنجليس. وأذكر أنى بعد هذه  
 لاتفاقية بعض عثر فى معاش مع أحد اعشش الأردنيين (حسن الطاطقى) عن  
 رأيى فى أن ثورة ١٩٥٢ هى حركة مدعومة دعماً تاماً من الأمريكيين، فرفض  
 الرجل هذه النظرة رفضاً تاماً واستصحفها. ولكن أعقد الآن أنى كتب على  
 صواب بل لى لا أسبغ أيضاً أن فكرة تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ كانت  
 دورها تأييد أمريكى بل وري أيضاً بإيعاز أمريكى. أذكر أنى قرأت فى كتاب  
 «دورة كماله» (Fu, Cisse)، وهو السيرة الذاتية لأنسوئى إيدن، رئيس وزراء  
 بريطانيا خلال أزمة السويس، ما أوحى لى بهذا المعنى. من المعيد أيضاً أن سندر أن  
 المعونات العدائية التى بدأت تتدفق على مصر ابتداء من ١٩٥٨، كانت عاملاً مهماً  
 فى تسهيل برنامج تنمية الطموح فى مصر حتى منتصف الستينات، إلى جانب  
 المساعدات لبريته، ران هذه المعونات الأمريكية لم تتوقف إلا فى ١٩٦٥

فى مذكرات أحد قادة الثورة المصرية (عبد لطيف بى دى) قرأت أيضاً أنه  
 فى اجتماع يقاده الثورة فى أواخر ١٩٥٧، عندما عرضت للمناقشة فكرة الاتحاد مع  
 سوريا، دافع عبد الناصر عن الفكرة، فلما اعترض أحد الحاضرين عليها، وكان  
 معروفاً بعلاقته الطيبة مع الأمريكيين، قال له عبد الناصر ساحراً «طيب، روح  
 اسأل أصحابك الأمريكان»<sup>١</sup>

ولكن العلاقة مع الأمريكيين لم تكن على مبرام فى ١٩٦٤. فعلى تلك السنة  
 بدأ عبد الناصر يشير إلى تهديدات الولايات المتحدة به بقطع لمعونه إن سمح كيف عن  
 استخدام مواقف معينة فى سياسه لحازية لا ترضى عنها الولايات المتحدة. وبدأ  
 يستخدم عبارات عنيفة فى مهاجمة الولايات المتحدة مثل قوله المشهور فى إحدى  
 الخطب «إذا لم يعجب الولايات المتحدة ما فعله فلتذهب تشرب من النهر، وإذا  
 لم يكفها البحر الأبيض فلتشرب من البحر الأحمر» لاندن سقوط بيكر و  
 وسوكريو رين بدلاً وغيرهم من القادة الذين كانوا يسعون سياسة مثبته لسياسة  
 عبد الناصر، قد أصاب عبد الناصر بالقلق، وخاصة عندما أحرته الولايات المتحدة  
 بالفعل فى ١٩٦٥ بأنها ستوقف معوناتها العدائية له بسبب عدم رضاها عن مواقفه

في كونيرو، وكان عبد الباصر محقاً في هذا القلق بالطبع، كما نرى من الهجوم الإسرائيلي على مصر سنة ١٩٦٧.

في هذه الفترة الحرجة (١٩٦٧-٦٨) كان من بين ما خطر بعد الباصر من أفكار شح الباصر الذي تعد له أمريكا تكوين قاعدة جديدة له من الخصم، نظمون فيم يشبه الحرب السري خارج نطاق الحرب للحاكم، أي خارج نطاق الاتحاد الاشتراكي، بحيث يسهل الانصاف بهم وتكليفهم بأعمال الحماية النظام ودعمه، بدلاً من الاعتماد على أشخاص قد يكونون أسهل قياداً، وكنهم لا يؤمنون حتى بمبادئ النظام، وإنما يخدمونه مدفوعين بمصالح شحبه، ومن ثم لا يمكن الاعتماد عليهم إذا وجه النظام أزمة حقيقية مع قوة خارجية.

اعتقد الآن أن مثل هذا الدافع كان وراء ذلك التنظيم الذي دعاني خالد محيي الدين، ذات يوم في ١٩٦٥، للانضمام إليه، والذي لا أدري حتى الآن ما إذا كان جزءاً من يسمى «التيظيم الوطني» أو كان شيئاً آخر موازياً له. كان المطلوب هو حضور اجتماعات دورية برئاسة خالد محيي الدين، بحضورها نحو ثمانية أو عشرة أشخاص، لتبادل الرأي في الأحوال السياسية، وقرءه بعض البيانات التي ترسل إليه من حين لآخر من «قيادة التنظيم»، ولكن لم يحدث قط أن كلمت بأى من آخر غير هذا. فرحت في البداية بأن أدعى للاشتراك في هذا «التظيم» الصغير، والقريب إلى هذا الحد من السلطة كما كان من الشائع الاستماع لخالد محيي الدين في نهاية كل اجتماع وهو يحكى لنا بعض الأسرار الساسية التي يسمعهما إما من عبد الباصر مباشرة أو من أشخاص قريبين جداً منه. ولكن سرعان ما مديت الأمر برمتة، فمن ناحية لم يقل لي أحد قط، على أى نحو مقص، مما العرص الحقيقي من هذه الاجتماعات الدورية؟ ومن ناحية أخرى، لم يكن أحد من الحاضرين، باستثناء خالد محيي الدين، ممن يشوقني للقاء بهم على هذا النحو لتنظيم وعلى فترات جد قصيرة. كان معظمهم من الماركسيين القدامى الذين اعتقلوا لفترة أو أخرى أيام عصب عبد الباصر على الشيوعيين، وكان حماسهم وثورتهم أقوى بكثير من قدرتهم على التحليل والإقناع. ومع مرور شهر بعد آخر بدأ البعض، وكن



أحد هم، يعبرون عن بعض الانتقادات لنظام نسب قبة ف ينسجه من حرية التعبير الرأى مما إن تكرر هذا التمد مرتين أو ثلاثاً حتى أخطرت بأن هذه الاجتماعات سوف تنوف لفترة ف وسعد بعدها الانتص بعض ، ولكن عب حيناً أن يمد بعض الأسماء والمواو لأشخاص يرى فيهم إصلاحية والكفاءة بالانضمام لمثل هذا الطيم ، فحذرت الله على إسهاء الأمر ، ولم أحد أى مبرر لأن ذكر بهم أسماء أشخاص أعقد فعلا في صلاحيتهم وكفاءتهم ، إذ خطر لى أن هذا الطلب قد يكون مجرد طريقة لجمع أسماء كل من يمكن أن يكون لديه اعتراضات أو انتقادات للنظام ممن يريد النظام تنهم أو مراقبتهم . ذكرت بهم فقط اسمين أو ثلاثة كمن أعرف أن أصحابهم ممن كانوا يحضرون للمع اجتماعات مشابهة ، ومن ثم لا يمكن أن يصيبهم من سوء أكثر مما أصابهم بعد انتقص نحو أربع عاف على هذه التجربة ، تصادف أن قائلت في إحدى الدورات ، شاكاً الله إلى وعرفى نفسه فذلاً إنه يحضر لندكوره في العلوم السياسية في إحدى الجامعات الإفليمية في مصر ، وسألنى عما إذا كان يستطيع أن يوجه في بعض الأسئلة تتعلق برسائله كائن موضوع الرسالة هو «لتظيم الطيمى» ، ولكن أكثر ما أدهشنى هو قوله إنه يعرف أى كنت «مرشحا» للمعضوية في هذا التنظيم ، ولكنه لا يعرف ما إذا كنت قد حصلت على المعصوية تمة بالفعل . سألته كيف عرف هذا ، إذ بى لا أعرف أنا شخصاً إذا كان هذا التنظيم بى كنت أحصر اهتمامه مع حاند معجى الدين هو ف يعرف باسم «التنظيم الطيمى» وقت له : رى أسمع منه الآن ، ولأول مرة ، رى كتب فقط «مرشحا» للمعضوية . قال إنه عرف ذلك من بعض لوائق التى كانت في جورة شعراوى حمدة وأتمه وأخرج معها في عصر السادات ، وإيه فام بتصوير بعض هذه اللوائق ، وإيه وحده سمى في بعض الأوراق وقد كتب بحواره عبارة (مرشح حاند معجى الدين) ويتبادل الحديث مع هذا الشاب توصلت إلى استنتاج أن حاند معجى الدين كان قد رشحن ، ولكنى لم أفر بالمعضوية ، نسب ما كان يثن على من حدث سنطوى على انتقادات للنظام ، مما جعل المسئولين ينسحبون أى نسب من أفضل «عاصر التى يمكن الاعتماد عليها لخدمة النظام» في حده تعرضه للتهديد ، من الخارج أو الداخل . كما خطر لى أن من يمكن حده

ان يكون ما كتب على من تقارير ساء على هذه الاجتماعات كانت من بين أسباب  
مضى من السفر إلى الخارج في ١٩٦٦ لخصور مؤتمر جامعة لندن



في نفس هذه الفترة الكئيبة (١٩٦٦ - ٦٤) حدثت بعض الأحداث شديدة  
المخافة لبعض الأشخاص اقبريين جدائي فقد اعتقل فجأة صديقي على مختار  
روصع في سجن انقلعة لمدة أسبوعين دون أي سب و صبح كان مختار يعاون  
شخصاً مهماً في الاتحاد الاشتراكي من المسؤولين عن الشؤون العربية (فتحى الديب)  
والأرجح أن سب اعتقله لم يكن إلا خلافاً شخصياً بين هذا الشخص المهم وبين  
شخص آخر أهم منه، فأراد الثاني أن يتكلم مع شخص من الأول وقد حاولت أن  
أسعين بحالده محبباً بدين لإطلاق سراحه وحسبى بأنه لا يملك في مثل هذه  
الأمر شيئ

وبعد هذا يشهور قليلة، كان أخى الأكبر محمد، الذى كان وقتها رئيساً للمجلس  
إدارة شركة صناعية كبرى في إيدبال، يحتسى لقهوة في لصباح قبل أن يذهب إلى  
مكتبه، فإذا به يقرأ في جريدة الأهرام حبر إحتاله على الثعالب (وكان في الساعة  
والأربعين من عمره) وعرف فيما بعد أن السب هو شكوى تصدم بها أحد العمال  
المهمين في اللجنة القومية بالاتحاد الاشتراكي، ويمثل الشركة التى يرأسها أخى،  
وقال فيها إن أخى لا يؤمن بالاشتراكية وإنما كافي ويعامل العمال بعطفة

حدث أيضاً في نفس هذه الفترة (١٩٦٤)، أن ذهب أخى عبد الحميد مرة إلى  
المركز القومي للبحوث، حيث كان يقوم بتجارب علمية مهمة فنقد فيها مجموعه  
من الطلبة لاهس، إلى جانب عمه كأستاذ في كلية الهندسة بجامعة عين شمس،  
عنه يجد أى أثر لكل الأجهزة التى كان يستخدمها في محبته، وقيل له بها نُقلت في  
اليوم السابق، دون إذن منه، إلى مركز انطامه الذرية في أنشاص لأن مسئولاً كبيراً  
سوف يفتتح هذا المركز بعد يوم أو يومين فامتنع أخى عبد الحميد منذ ذلك اليوم  
عن الذهاب إلى مركز البحوث وإلى كلية الهندسة، وهو في الثامنة والثلاثين من  
عمره، وظل في بيته بلا عمل حتى اليوم



كان العدم يصيِّق لحاق على لاس أكثر فأكثر كل يوم، وأظن لأن أن السب  
 الأسببى لذلك ربما كان اودداد شعور عبد الباصر بأن الولايات المتحدة تعمل على  
 الإيقاع به وتدبر له جد لتوقع منه، فاشند شعوره بالشك في لاس واورددت  
 إجراءات لأمن فسوة كان لمرء من يحف أن يتكلم في السياسة في حضور أى  
 شخص غريب، في سيارة تكسى أو أمام زميل حديد في الجامعة لم يتحقق بعد من  
 ميوله السياسية، أو حتى أمام هراش الكنية لنى يحصر له القهوة والشاي، خشية أن  
 يكون من متوططتهم للحزبات أو المباحث البعده أما التلغرف فكانا واقع من أنه  
 مرافق، ومن ثم كان من دراعى الخبطه عدم الشعوره في التبعوف بالتعليق على أى  
 شخصيه سياسيه مهمه أو إجراء مهم اتحدته لحكومته وأخطايات فكان بعضها  
 يثنى وقد تم فتحه وقراءته وأعيد بصغه بورقة كتب عليها «فتح بعره الرقيب»

حدث مثلاً لأحدى عبد الحميد، وكان قد بدأ يفكر في الهجرة من مصر بعد  
 حادث نقل أحسرتة دون إده بى أنف من، وأحد ير اسل بعض الجامعات  
 الأمريكية بحثا عن ودعة فيها، أن تلقى مكلمة تليفونية تسدعه لمقابله وير  
 انتعيم (كمال الدين حمين) فلما ذهب اسقبله لوزير مطف وتر حيب، ثم سأله  
 بعتاب عن السب الذى يحمله يريد أن يترك جامعته في مصر ويهاجر إلى أمريكا،  
 ومن من الحديث أنه طمع على كل مراسلانه مع الجامعات الأمريكية، ثم قال  
 لأحدى عبد الحميد ملاحظاً «هو إحتاج عدد كم واحد ريث يادكوه عن الخيل»<sup>٩</sup>

وحدث أيضاً (في ١٩٦٨ أو ١٩٦٩) أن كتب في حجرتى في كلية الحقوق عديم  
 دخل على أحد الرملاء الحديثى المهدي بالعودة من غرب، هذنا وعاصما إذ به كان  
 قد سمع لثوه بحبر اعتقال أحد أساده كلية الأدب لأنه قال شتا في محاصره به لم  
 معجب لحكومته وسبلى وهو في عده الاضطراب «ما لى يمكن لب صمه من  
 أحل الإهراج عنه»<sup>١٠</sup> وثناء حديثا دخل هراش من هراشى الكنية يحمل لنا القهوة،  
 وسمع طرقاً من الحديث وحرج كان هذا في نحو الواحدة أو اثنتايه بعد الظهر،  
 وكنت قد دعوت إلى العشاء مدير الجامعة (د إسماعيل عام) وروخته، إذ كنت  
 علاقنى قد قوت به أثناء عمدته لكلية الحقوق ووصل المدير وروخته بى بنى في

محرر الناصرة مساءً فإذا به بمجرد وصوله يقول : «ما ابدى حري بيث ليوم ربيع  
 لدكتور ؟؟». يقصد المحدثه نى حرت من يصنع ساعات فى مكتبى مع هذا  
 الرميل الجديد . وأصاف قائلاً : إن جهات الأمن اتصلت به لئلى تعرف المزيد عن  
 هذا الرميل الجديد، أم أب فوب يعرف كن شىء عى . وكان معنى هذا أنه حلال  
 ساعات قللة وصل إلى جهات الأمن مصموم محدثة لى مع (ميل لى) ، حرت فى  
 عرفة معلقه إلا لدقيقة واحدة أو دقيقتين فتح حلالهما ساب لاستلام لقهوة،  
 وقامت هذه الجهات بتحيين الموضوع واتحد قرو . بشأنه، ثم تم إبلاغ مدير الجامعة  
 به وطبوا منه اتحد اللازم .



كان أثر هزيمة ١٩٦٧ علياً أنه نعر صا لصدمه قوية ومفاجئة من سيارة مرعة  
 أثناء عبوره الطريق . وأصت بهزل نام مستمر أيدما وأصابع غير أن يستطيع التفكير  
 فى الحادث بقاءً . واستحص من أى معنى أو عبرة . كان أحد ردود فعل لصدمة  
 للصدمة ، الاستسمر فى الهسبى فى ترديد الكتب الجديدة التى اخترعت فجأة  
 للتعليق على ما حدث . ذلك أب مواجهة هذه الكثرة الكبيرة بانتقاد الحكومة سرا أو  
 علناً لم يكن كاهياً بالمرة للتعبير عما فى صدورنا، ونحن على أى حال لم يكن  
 قادرين على تخديد مدى مسئولية الحكومة عما حدث بالمقارنة بمسئولة القوى  
 الخارجة . والمعلومات التعسبلية عما حدث لم تكن متوافرة، وب كنا سمعنا منها  
 كان متصرباً ويؤدى إلى تفسيرات متضامه

كان الحزن عميقاً وبكى الدمول كان أكبر ، وحية الأمن أعظم وأخطر . هل كان  
 إذن كن هذ الكلام لدى طيلنا سمعنا خلال السنوات العشر السابقة عن بناء جيش  
 قوى . وعن كل هذه الصواريخ نى منى بعصها بالقاهر والطاور ، وعن قدرنا  
 على استعادة حقوق المسطبيين . إلخ ، هل كان هذا الكلام كله كذا ونموبها؟  
 وإذا إذن كان كل هذا التقييد بنحريات وانتحل فى حياة الناس اليوميه؟ هل كان  
 هذا فقط لصالح النظام . وبس لصالح القضايا الوطنية؟ لم نتجح بالصنع أى محاولة  
 من جانب النظام فى كسب تعاطف الناس من جديد . كان الكسر أعظم من أن

يحتمل أي رُب أو إصلاح حاولت الحكومة التطهر بأنهم ستعطي الناس حريات أكبر، وصدر بيان ٣٠ مارس في ١٩٦٨ راعياً الناس ببعض الإصلاحات، ولكن الناس فهمت المقصود من ذلك سمحت بحكومة بالفعل بهامش أوسع قليلاً من حرية نقد وتمثيل مسرحيات (مثل «أب التي قتلت الوحش» يعني سالم) تضمن نقداً مباشراً للحكومة، على أساس أن السماح ببعض التفتيش عما ينصق به، صدر أيضاً قد سمح اصحاحاً أكثر تهديداً للنظام. ولكن هذا التساهل ظل في دائره صفة لنعاية، وما أسرع ما كانت الحكومة تعود في تحذير الناس من تجاوز حدود الأدب، ذكر أن يوسف إدريس كتب مقالاً قصير في هذه الفترة في جريده الأهرام، في أعقاب خطة أنفا، جمال عبد الناصر على العمال، وعرف بها الحرية بأنها حرية الحصول على ريع الخبز، فاعترض يوسف إدريس على هذا التعريف بقاصر للحرية وعال إن الحرية أكثر من ذلك. مُنح يوسف إدريس من الكتان في الأهرام بسبب هذا المقال بعتره طوية

حاول جمال عبد الناصر، في سبيل تهدئة مشاعر الناس، أن يعين بعض الزوراء بمن يسمحون بسمعه طيبة بين الناس في استقلال الرأي و لرايه والحرية في الحق، مثل الدكتور جمعي مراد. ولكن عبد الناصر لم يحتمه مدة طويلة إذ وحده أكثر جرأه في الحق من اللارم وأخرجه من بوراره أثناء ذلك كانت مقالات محمد حسين هكل، الأسرع في لأهرام، والتي كانت تحمل عنوان «انصر حة» نشر أعصاه، إذ بدلا من التعبير عن تعظيم به صدور الناس وتقديم إجابات صريحة على ما لديهم من أسئلة، كانت تثير قضايا معتملة أو تقدم إجابات ملتوية بتعطية على ما حدث من فشل، أو تبرير إجراءات لا يتمنع بأي شعسة. كما مع ذلك بواظ على قراءة هذه المقالات، لا أملا في أن يحصل منها على تفسير ما حدث، بل لجرد أن نعرف، ولر عن طريق التحسين وفك الألغاز، ما يدور في دهر الحكومة أو ما يرى أن تصفه

بعكس ذلك بالنظر كانت شععار أحمد فؤاد نجم اتى عها شخ إمام وسمنها لأول مرة في تلك الفترة، تعبر بضغط عما كت شعير به من سحرية مريرة

من لطيف وشعراته - ومن حرب عتيق وحافظ إرهابه ما حدث للوطن كان شعاعا  
شديد إند ورصدا كملا عنى سحرمة محم ورمم المرأة بمحدث في ٥ مويو

والحمد لله حطاً تحمّ نطاط

يا ماحلى عودة صطفا من حط النار

يا أهل مصر المحمية ما خرومة

العول كثير والطعم راسر عمار»

كما كندا سكي حرنا بدى سماع أعنية محم وإمام

«نح بواج والواحة عنى بقرة حاح انبطحة

والقرة حلوب تحب قطار

لكن مسلوب من أهل الذار

• • •

والقرة سادى ونول يا ولادى

وولاد لشوم رايحي في يوم إلح

لا عجب إند أن تغفيت خير ودة جمال عبد الباصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠

مهدوء شديد، وبشاعر فيها من دهنه المفحاة أكثر مما فيها من حرر كت في  
بيروت في راحة عمل قصيرة عندما سمعت خبر، ولم يكن سماعى به عن طريق  
الراديو أو الليسريون أو الصحف، بل عن طريق أصوات البدق الى أهلقتها  
السبب ودخان الحرائق نتي أشعلوها في التوارع لتعبر عن حرمهم كذا جمال  
عبد الباصر لا يزال يثقل في اعينهم ذمرا لأهداف الوحدة العربية، ومقاومة  
الاستعمار، والدفع عن مصالح القوماء، أما بالنسبة الى عهد كت هذه نظرى لعبد  
الباصر في بسوت الخصر أو بسوت الأولى اتانية تأميم فدة السويس في ١٩٥٦،  
ولكن خلال الخمس أو الست سنوات السابقة على وفاته لم أشهد أى تقدم نحو  
تحقيق هذه الأهداف، بل رأيت انكسار مهمه في الجيوب الثلاث، فصلا عن  
التراجع سحرى في قصبة الديفقر طيه و خريات الشخصية كانت مشعرى نحو  
عبد الباصر عذ وفاته في ١٩٧٠ أقرب إلى مشعرى بحره في ١٩٥٤، عندما

عصا على طريقه مع مله لمحمد عيب، منها إلى مشاعري نحوه في ١٩٥٦ عندما تم قتل السويص، أو في ١٩٦١ عندما أصدر القوانين الاشتراكية ولم تعير مشاعري نحوه عند الناصر مرة أخرى إلا في منتصف السبعينات، عندما رأيت حجم التنازلات التي بذلها عندها أنور السادات لإسرائيل والولايات المتحدة، وبدأت إشارات عند الناصر في مجالات الاقتصاد والساسة الخارجية والعربية تدو في صوره مختلفه تمامًا، وإيجابي بلعابة، بمقارنتها بحطبي السادات في كل هذه المجالات. كما بدأ همس الحرية الذي سمح به السادات بالمقارنة بالقرود التي كان يعرضها عند الناصر، مكسما صئلا، من وفي كثير من الأحيان شكلياً وقليل الحدوي



كان أنور السادات دائما الرئيس الجمهورية عندما مات جمال عبد الناصر فجاءه ومع هذا فقد أصابته الدهشة. رأينا أنور السادات أصبح رئيس للجمهورية كان الرجل مد سمعنا اسمه لأول مرة بعد قدم الثورة في ١٩٥٢ بنير السحرية والرائه أكثر مما بنير الاحترام أو الحب. وكان كل ما يصل إلينا عما يتعلق بسيرته أو أقواله أو مواقفه يؤكد صحة هذا الموقف المبني به ويقويه. كانت صورته في أذهان الناس صوره رجل غير حاد، معمر ولكن لمصلحة نفسه لا من أجل مصلحة أكثر وأهم، كثير المراج، وقيل النصر على القراءة أو التفكير أو العمل الحدي، مع إمرط في المرحص على لمصلحةه ولظهور الكاديه. وكان هناك انطباع عام بأن هذه الصورة تبني في أذهان السادات هي نفسها التي توجد في أذهان بقية أعضاء قيادة الثورة عنه، بمن فيهم جمال عبد الناصر، الذي كانت تصلنا قصص عن نوع للعلاقة القائمة بين السادات تطوى كلها على قبيل من الاحترام وكثير من معاد النصر من جانب عبد الناصر، وعلى كثير من الرياء والاستعداد لإراقة ماء الوجه من جانب أنور السادات. بعد اسلام السادات للسلطة في البداية وكأنه شيء مؤثت من بدوم طربلا في مراحته رجال أشداء من نوع على صري وشعراوي جمعة، ولكن صلاب ١٥ مايو ١٩٧١ قصي على هذا النظم وأدى إلى امتلاك السادات للسلطة مدة عشر سنوات حتى مقتله في ١٩٨١

لم أكن أعلق أى آمال على استلام السادات للسلطة، ولكنى أنصأ لم أكن أحسن  
 مشاعره وديه على الإطلاق من هزموا في انقلاب مايو وأودعوا بسجن بعد  
 انهم انهم، إذ كانت أسماؤهم مرتبطة بـ رناتنا وثيف سلطانة السويس لسطام، من  
 ناحية، كما أرى، من ناحية أخرى، لم تكن لدى أى ثقة بأن لديهم، حلاً حقيقياً  
 للامتنع كـ كان شعورى. ذى راء انقلاب ١٥ مايو هو فى الأساس شعور  
 بالامتناع، وإن كنت أخذ تسمته «ثورة التصحيح» تسمية طريقة للعانة، إذ لم  
 يكن من لو صح لى ما هو الأكثر وما هو الأقل صحة، ما قبل ١٩٧١ أو ما بعد،  
 كما لم يكن واضحاً لى كيف يكون أنور السادات قادراً على تصحيح أى شيء على  
 الإطلاق

لم يصر عم على هذا الانقلاب حتى بدا وكأن صبر الناس قد بدأ ينفد، إذ كانت  
 شبهة لا تزال محتنة، بعد مرور خمس سنوات على هزيمة ١٩٦٧، ولم تسفر حرب  
 الاستراف ولا محجى، أو دماء المبعوثين السياسيين من الأمم المتحدة أو الولايات  
 المتحدة أو عرهم عن أى تقدم فى إحلاء الإسرائيليين وعثر بعض الكتابات  
 والنصحيين الكبار عما شعر به من تدمير، وقام السلطة عظماء عيفة للاحتجاج  
 فقبيلها السادات بشدة أفضحت لأول مرة عن كذب ادعاءاته عن قبوله ديمقراطية،  
 فمزى الصحفيين لمحتجين أو قتلهم إلى وظائف مهينة، واستخدم المطابع لانتفا  
 فى وصف بعض كبار الكتاب الذين أيدوا هؤلاء الصحفيين، كما عتقل أو فصل  
 من استطاع أن يصح يده عليهم من السلطة.

ثم حدثت معاً فى أكتوبر ١٩٧٣، إذ وصل إلى سمعنا فى ٦ أكتوبر، ودون أية  
 مقدمة، حذر عبر الجيش المصرى لقاء السويس وبجاءه ساهر فى عظم خط  
 بالرف كان شعورى لدى سمع الخبر، كيف كان شعور الكثيرين، فربما من  
 الصرح وعدم التصديق، وكذلك شيئاً من الخوف من أن يكون وراء هذا الحادث  
 المجهج حياً، أشياء أخرى حقة وأقل مدعاة للهجة ولكن كانت يهتف إلى أى تميز  
 مصرح، فى تلك الحادثة السائسة التى كان يعيش فيها، تدفعنا إلى طرد أى شك من  
 انهم ليس الامتنع مع الآخرين فى الفرح والتمناؤ



على أن هذا الصرح لم يستمر ، على الأقل فيما يتعلق بي ، لأكثر من أسبوعين .  
 دشعرت ناب أشد صحو في قل بدأت في التحقق ، عندما سمعت أمور البندات  
 لأول مرة بعد غور الجيش المصري لي مساء في ٦ أكتوبر ، يتكلم عن «السلام»  
 ومرايا شعرت وكأن قلبي يسقط في صسري عندما سمعته يحط في مجلس  
 الشعب ويؤكد أن هدفه هو السلام ، ركن قد أصدر أمرا للجيش بالسوق وعدم  
 الاستمرار في التقدم نحو الممرات في مساء ، أذكر أني بعد عطية ساعات قليلة  
 كنت في سيارة ناكسي في ميدان لتحرير ، وإذ سائق تكسي يصجر عاصا وهو  
 يقول «سلام يه وهاب إيه؟ إحنا سنة أحدا بتار أولادنا إني ماتم . ولا حتى أحدا  
 سباه؟» وكان بهذا القول يمر عما يدور في ذهني بالصسط ، وقد تحيلت وقتها  
 هري كيسجر وزير الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت ، وهو حارس إلى مكته في  
 واشنطن ويرسل إلى السادات أولاً وأول ما يرى أن على السادات أن يطلق به  
 بالصسط ، حملة حملة أذكر مدى حربي واكتسابي وأن جالس إلى مكتبي في  
 الجامعة الأمريكية وعارف عن سادل تكلام مع أي شخص ، وأفكر في طبيعة  
 الزامرة لى لم يكن لدى أي شك في أنها تحك سا

كتب قد قرأت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ الرواية الشهيرة (١٩٨٤) للكاتب  
 الإنعديري جورج أورويل ، التي يصف فيها عالما مخيف يماس فيه ساس كقطيع من  
 الأعم ، ويساقون إلى مصير مجهول ، تحقيقا لما رب مجهوله لحكم مجهولين ،  
 ويتعرضون أثناء ذلك وفي كل يوم لأحذر هزيمة عن حروب لم تشب ، ويسمعون  
 فيها عن انتصارات لم تخور ، تدعهم وراة تسمى ورة لحقيقة مع ن موطعها لا  
 عمل لهم إلا تزيين النرويج والخاص والمشتل . كن ما حدث مصر من الهموم  
 الإسرائيلية في ١٩٦٧ ، وحتى بدأ كلام لسادات عن السلام مع إسرائيل ، يبدو بي  
 عن مفهوم المارة ، ولكنه نكاد يقطع بوجود مؤامرة ضد مصر وانعرب مرسومه بكل  
 دقة من قل أن هذا تنمدها ، ولكنها لا تنكشف لنا إلا بالتدريج ويجرعت صغيرة  
 للعدنة دعني ذلك إلى أن أقرأ رواية أورويل من حذد فوجدتها ملائمة جدا  
 لحالتي النفسية ولزج ما كان يدور بذهني من حواطر

كانت حبه الأمل التي 'حدثتها في نفس تطورات اساميه المصرية بعد عبور الجيش لقناة السويس في أكتوبر ١٩٧٣ ، أحد الأسباب التي ساعدت على دهمي بالعمل في الكويت في فبراير ١٩٧٤ . وقد طردت الأحبار تأنيها ، حول الأربع السرايا التي قصبتها هناك ، بياض بعد آخر ، أو هكذا يدب هذه الأجر في عيني الأمل . فقد بدا لي أن السادات ، على نحو لا يقل لشك ، وكأنه لا يعمل أكثر من تعيد محطط أمريكي / إسرائيلي . كان من عناصر هذا المحطط تصالح تدريجي مع إسرائيل ، وهو ما انتهى بعد معاهدة للتصالح المقرد و نهاية لعانه في ١٩٧٩ ، سميت بـ «معاهدة السلام» . و حدث في أعقاب معاجاته المدمرة التي أصابني نعم شديد ، بزيارته لإسرائيل في نوفمبر ١٩٧٧ ، التي سميت بـ «المبادرة» . كان من عناصر هذا المحطط أيضا فتحه لأبواب الاقتصاد المصري أمام الورداء وروس الأموال الأجنبية بلا صبط وعلى حساب الصاعقة المصرية ، وهو ما سمي بـ «سياسة الانفتاح الاقتصادي» التي دشت في ١٩٧٤ ، فضلا عن استعده بلدا ثم لقنوا ما يملكه على صندوق النقد الدولي والملك الأردني وما يطلعه مع الإدارة الأمريكية بل وإسرائيل ، مما في ذلك استعده ده سبع أراضى هصة الأهرام مما تخونه من ثار شركة أحياء ، واستعداداته لتوصيل مياه النيل لإسرائيل ، وعمله على تمليك أوامر الوحدة العربية . والتأكد على المصالح الخاصة لمصر وكأنها تتعارض مع مصالح بقية العرب . افتقر كل هذا بسوك يومي من حزب «سادات سم أحد فيه إلا باعتا عني الاحتقار بل والاشعثار . فيما كان يأتي في كل يوم حير حديد يسيء به صوحه الدليل للزعات الأمريكية ، وتعيد ما يطلعه مع مصالح إسرائيل ، كما تده صورته وهو يعير ملائمه بحسب المكان الذي يوحه فيه أو الماسه التي تحتق بها ، فهو مرة يرتدي رد عسكريا مدويه محجور مما يربه من بياشين وأوسمه ، دون أن يعرف له تاريخا لأداء عسكري يستحق عليه مثل هذه البشير و لأوسمه ، ومرة يرتدي العمامة ويحتم السجعة إذا كان في قرته مع أبو الكوم خلال شهر رمضان ، منتظرا بانورج والتفوي ، ومرة أخرى في بلدته لأوربية الأبيمة التي تحمعه يستحق ، في نظر بعض المحللين الأمريكيه ، لقب «أليك» وحل في اعانم وهو سجرى حدثا مع مدعة تبغريوية شكلم فيه عن نفسه كلاماثير سطور الشدد لكثرة

ما يحتويه من فقر لا يمر به نفسه وتاريخه. فإذا مثل مرة عن أهم ما قرأه من كتب ذكر كتاب أنى «عص خاطر»، الذى يضم مقالات أنى فى مختلف الموضوعات ولتى سبق نشرها فى مجلات غير أكاديمية. وذكر اسم الكتاب خطأ وفيه «حوطر»، ويقول أيضاً: لكن يدل على سعة اطلاعه، إنه مر أراجع التى ذكرها أنى فى نهاية كتاب «حواطر»، والكتاب بحكم طبيعته لا يذكر اسم أى مرجع على الإطلاق.



لا عجب أن بدأت صورة جمال عبد الناصر فى ذهنى بكتيب ملامح مختلفة تماماً. عبد الناصر رجلاً محترماً للغاية بالمقارنة بحييئته، وبدلاً من الممكن جداً أن يعمر به معظم أخطائه بعد أن رأيت أعمال السادات. تفيد الحريات؟ وما هو نوع تلك الحريات التى منحها لـ أنور السادات؟ نعم، أصبح من الممكن الكلام فى التليغراف أو التاكسى وفى المحاصرات وكتابة الخطابات دون خوف من عملاء المباحث العامة أو الرقيب، كما أصبح من الممكن السفر إلى أى مكان فى العالم دون تأشيرة خروج، وهذا كله مما لا يستهان به، ولكن السادات لا يزال هو الحاكم مأسره. لدى لا يلتزم باستشارة أحد، وهو يقصف ديمقراطيته بأن لها «أبنا» ويهدد معارضييه بـ «الفرم» إلخ. وليس فى تاريخ السادات السياسى رلاً فى طبيعته الشخصية ما يدل على أنه أقرب فى مراحله إلى التسامح مع الرأى المخالف، من إن عروبه الذى لا أساس له ومستوى دكانته الذى يبدو محدوداً، إذا قورن بعد أساصره يوهانه أكثر من غيره لممارسة حكم ديكتاتورى ولينطش معارضييه لهذا كمت أميل إلى الاعتقاد بأن ما سمي بـ «ديمقراطية السادات» كان أقرب إلى أن يكون حرراً من النصور الأمريكى بهذه المرحلة من مرح حل تطور مصر، منه إلى ميوب السادات الشخصية وطبيعته مراحله. كان من المطلوب بالطبع، فى تلك الفترة، تشويه سمعه عند المصر، تمهيداً لنقص سياساته المختلفة فى الاقتصاد والعلاقات الخارجيه والعربيه وعلاقته مصر بإسرائيل. وكان هذا التشويه لسمعة عبد الناصر وعهده يتعلب تاحة درحة من حرية النقد التى يسهل الرجوع عنها فى تلك المهمة التى جاء السادات من أجلها.

«اختصار» كنت كل توجهات نور السادات، هما عذرا إتاحتها مرئياً من الحريات الشخصية، صد توجهتي ومعتقداتي من أساسها فقد كنت صد الاعتناح لانتصادي، أو على الأقل ضد هذا النوع من الاعتناح الذي أدخله السادات وسماه أحمد بهاء الدين الاعتناح مدح مدح، وكنت صد نصفه مع إسمائيل دوي، أي تاراً من جسدي لصالح فلسطينيين، وكنت صد نكوة للوحدة العربية، وصد خصومعه الدليل لأمريك وإموسات اديبة العربية. وفي كل هذه الأمور يرد مواقف عند لناصر مشرفة لعناية

مدمستصف السبعين إذن أصبحت على استعداد لسياك كل ما ارتكبه عبد ناصر من أخطاء، فإذا ذكرت أمانتي عرفت بهي على مصص لشعوري بأن القصبه لأن اصبح أخطر بكثير، وأن النصحية ببعض اخريات السياسية والشخصية أمور من كل هذه النصحيات التي يطعن بها السادات ولهذا است شعرت باستياء شديد عندما قرأت كتاب توفيق الحكيم «عودة ابرعي» الذي كان المرص من كبسه على الأرحح، التقرب من السادات عن طريق تشويه سمعه عند ناصر فلم رد عليه محمد عودة يكتب «الوعي المفقود» تعاطفت عاماً مع مسرحية عودة من توفيق الحكيم، شأني دائماً مع كل ما قرأته لمحمد عودة سواء قبل ذلك أو بعده

حدثت باره السادات للقدم أثناء إقامتي في الكويت، وقد فوجئت به وسقطت عينيها مشبه فوجي وسخط الكثيرون وقد أراد أحد السياسيين الكويتيين أن يعهد بدوة في التثقيرون الكويتي يستضيف فيها ثلاثة أشخاص أحدهم فلسطيني، وإشائي مصري معارض للريارة، والثالث مصري مؤيد لها، أو على الأقل لا معارضها معارضة تامة وعرض عني أن أكون المصري المعارض فقبل، وكان انبسطي أسدا للعلوم سياسية في جامعة الكويت، والمصري الآخر وزيراً مصري سابقاً في إحدى حكومات السادات وذهب بعد خروجه من ابورارة لتدريس في جامعة الكويت عندما تمت المناقشة والتحليل، بدا على نور الدين السابق أنه فوجي شدة محومي ومحموم برميل انبسطي على دراسة السادات لإسرائيل، كم فوجي على الأرحح، يشبه في تقديم حجج مقنعة لتأييد الريارة، أو على الأقل في العثور

على بعض مبررات لها. وهو حثتُها إذ وحذنه يدافع عن هذه البربرية طالما كب  
الميكروفون مفتوحاً واستمع لجارياً، سمعاً يقول لنا، به يؤيد موقفاً معارضاً لزيارة  
تدم امتأيد، عذب يكون في فترة امتراحة ويكون الميكروفون مغلماً. وقد أدهشني  
هذا شغب دهشة كبيرة إذ راعاً كان هذا أول مثل أصدوه لثن هذا السلوك، وب  
كتب قد رأيت شبيه له، عدة مرات، بعد ذلك. ثم رُدت دهشني عندما سمعت أن  
هذا لوزير ليس، بمجرد انتهاء التسجيل، جرى إلى وزير الإعلام «كوشني»،  
وشرح له ما حدث، وألحَّ عليه في أن يأمر مع إداعه هذه البدوة في «المصريون»  
لأنها لا بد أن تسمى، في العلاقة بين مصر والكوييت. والأوضح أنه تبين بعد انتهاء  
البدوة كم كان دفعه عن ابريارة ضعيفاً، ومر لم يردعه بدوة لا بد أن تسمى، إلى  
مركزه في عين النظام المصري، إذ مسطهره عجزاً عن التصدي لبعض الضحية  
اقتصردين من أمثالي وأمثال وعلى المسطبي. كف سمعت أن هذا الوزير سابق  
جرى أيضاً إلى السفير المصري بالكوييت ليطلب منه نفس لطلب، وكانت نتيجةه أن  
معب إداعه البدوة ولم يرها أحد من غير المشتركين فيها

أما الطامة الكبرى، وهي توقيع السادات لاتفاقية الصلح مع إسرائيل في كامب  
دايفيد في ١٩٧٩، فقد حدثت أنه وجردى دولاً بات المتحدة عذب كتب أقوم  
بالتدريس والبحث كأستاذ زائر في جامعة كاليفورنيا يوم أن أعلنوا. وقد ردت من  
حزبي وعصبي اللذين أثنيهما قراءتي لنصوص هذه الاتفاقية البائعة السوء، ما  
رأيت يعنى على شائشه اسليفيون سداً صديراً من ييجين، لذي كان يوقع  
على الاتفاقية باسم إسرائيل، وبصفته المعبودة، عدة معاهدات «يهود هم الدين  
بوا الأهرام في مصر»، إذ لم يدر من السادات أى احتجاج أو رد عليه انمعب،  
بل بنا عليه فقط احرص على أن يبقى اخو دياً، ولا يصدر منه ما يعصب بعض  
المواقف سبحانه، أو يركب الأمر بكي كارت الذي كان يرعى لاحتفال



ليس عجيباً إذن أن كان انتهاجي شديداً عندما سمعت في ٦ أكتوبر ١٩٨١ بمقتن  
أنوار السادات. ففصلاً عن لادتيح الذي بعثه في نفس اجتماع هذه المحاضرة التي

ثم تكن تثير لدى إلا مشاعر العصب والعمور، بدأ من هذا الذي حدث لمسادات  
وكأنه عقاب لأنني لما ارتكبه في حق مصر والعرب من أخطاء

ولكن حدث في العام الثاني (١٩٨٢) فإراد من سروري وتفاؤلي بدأ انبريس  
لجديد حتى مبارك حكمه بإطلاق سراح سياسيين وشمسين الذين كان قد  
اعتقهم اسادات بسبب وبلا سب في سبهم اساتين عني وفاته، واستبقهم  
حسبي مبارك في قصره في إشاوة واصحة إلى أن عهدا جديدا من الحريات سوف  
بدأ، وبالمعنى، عادت الصحف التي كان قد صدرها السادات إلى الظهور،  
وأحدث نشر مختلف الآراء بحرية لم يعهد مثلها مد قامت ثورة ١٩٥٢ و ختمت  
من لصحف والمجلات مطهر الملحق انكريه اني شاعب في عصر اسادات بما في  
ذلك تمجيد سيدة مصر الأولى التي كانت صورها وأخبارها تملأ رسائل الإعلام  
على نحو لم تعهده مصر في عهد الملكية. وسمعت أن أواخر صرامة صدرت من  
رئيسة الجمهورية منع نشر صور سيدة مصر الأولى الجديدة إلا ب إذن حصص من  
الترجمة؛ نمسا لإشاعة سحقه مماثل لما شاعب في عهد اسادات. وبذلك أصبح من  
البادر نشر هذه الصور وقُلت بشدة عبارات لمديح والصفات الموجهة لرئيس  
الجمهورية

دعني حماسي وسروري بهذا اندي يحدث إلى الكتناه بكثرة لصحف لعصره  
في مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية. وكنت قد عدت نهائيا من إقامة  
طوبله بالبحر، أربع سنوات في الكويت ثم مرة في الولايات المتحدة، وامتدثت  
حيثا امتستقن مصر. وبدا لي من الملائم أن أتأول في بعض مقالاتي فترة الثلاثين  
عاما السابقة كلها، وهي ثلاثون عاما اني، بقصت على قيام ثورة يوليو، وأقارن  
بين حكم عبد الناصر وفترة حكم السادات، كما أشير إلى معاصر اشتركة بينهما،  
والتي تأمل في عهد الخلافة، أن يرى نهاية لها. انتقدت نظام لدولة «الخفاقة» في  
عهد عبد ناصر، والدولة «الرجوة» في عهد السادات، وبيئت أن لا هذه ولا تلك  
تحقق أهداف الأمة. كما انتقدت لإهمال السبب للزراعة في عهد عبد الناصر  
والإهمال لملطق بها في عهد السادات. انتقدت أيضا مسطره من أسمنتهم «ذوي

«دم الأروق» (في مقال بهذا العنوان) الذين تربعو على أريكة الحكم في عهد عبد الناصر، ثم استمر واعتبرعين عليها في عهد السادات، دون مبرر، باحاصة بؤهلهم لذلك، ووجدتهم يشبهون أعضاء الأمر، المالكة في الدول التي نطق النظام للكنى. إذ يتوارث أفراد أسرهم معينة حكم البلاد وكان «دما أروق» يسرى في عروقهم، مختلفا عن «دم الذي يسرى في عروقنا» شرت هذه المقالات وأسألها في مجلة «الأهرام الاقتصادي» التي كان يرأس تحريرها في ذلك الوقت اقتصادي وطني شجاع هو لطفي عبد العظيم، استعمل حجة الحرية المتح وفتها فأصبح صفحات مجلته لجميع آثار هذه المقالات بنطع عصب بعض المسئولين من انتحس لسادات، واستعدين منه، ولكنها أعصت أصلاً بعض المتحمسين بعد الناصر، حتى عتسى مرة الناصري المعتد محمد عودة، على ما عشرة قسوة رائدة في مقالاتي على «الثورة يوليو» على كل حال لم تدم هذه الحجة طويلا، فقد حو عام من نفايه حكم مبارك تبين لنا أن آمالنا في حريته حقيقته لنصعاده، كان مبدعا فيها جدا، وسرعان ما عادت القيود شيئا فشيئا، بما في ذلك عز لطفي عبد العظيم من رئاسته تحرير الأهرام الاقتصادي وتعيين شاب آخر مكانه، أكثر تمهما للمطلوب، ولم أشر في هذه المحلة أي شيء من ذلك لبريح. ثم ظهر لي أيضا شيئا فشيئا بدا كما محطتين في السواحل، بسى فقط فيما يتعلق بالحرية، بل وباشياء أخرى كثيرة

بعد عشرين عاما من استسلام مبارك للسلطة تبين لنا أن نفس أسباب السخط على سياسات السادات استمرت في عهد مبارك، وأن الفرق لو حيد بين العهدين هو في أسلوب تطبيق هذه السياسات كذا لسادات يطبقها حراة قد يحسده العصى عيها، ويعبر عنها بطلاقة لسان وكثيرا ما يطبقها بصفاة، أما في عهد مبارك فكانت نفس لسياسات يطبق دون صحة ودون نهيج للناس من التعمير الطريفة التي كانت تقاب في وصف طريقة لسادات في التعامل مع تركة عد الناصر، وسعحر من تكرار السادات للقول بأنه «ماشي على خط عبد الناصر» أن السادات يمشى فعلا على خط عبد الناصر، لكن ومع «أسكفة» أو «مجدة»، أما عن طريقة مبارك في التعامل مع تركة السادات، فأظن أن من الممكن القول بأنه كان

يمشي على خط السادات بالوسط ولكن دون أن يعبر نبط ذلك، ودون أن يعترف بذلك صراحة، ولكن أيضا دون أن ينفيه كان هذا صحيح في السياسة الاقتصادية، والسياسة إزاء سريل والعرب، وفي الموقف من الولايات المتحدة، على السواء.

كثبت مرة بعد سنوات قليلة من بداية حكم مبارك مقل لا هي جريدة الأهالي المعارضة، بعنوان «ما سر كراهية حسني مبارك لسماسة الصدمات الكهربائية» وكان هذا تعليق على عبارة صدرت من الرئيس مبارك «استخدم فيها تعبير «الصدمات الكهربائية» لوصف أسلوب السادات في الحكم (و) بما أسلوب عبد الناصر (ب)» وقد إن أسبويه هو مخيف عي ذلك وقد فسرت هذا الاختلاف بان موظفيه البارحية لعصر السادس، وهي في الأساس «تصعية تركية عبد الناصر» كانت تطلب مثبت شبيهها بالصدمات الكهربائية، ولكن عندما قتل السادات في ١٩٨١ كبت هذه الوظيفة قد تم تحقيقها، هم بعد ثمة حاجة في لعهد الجديد لثل هذه الصدمات



في سنة ٢٠٠٢، كان لابد أن تكسر الدروب وانفجرات والاحتفالات بمرور ٥٠ عاما على قيام ثورة يوليو وقد دعيت للكلام في بعض هذه الندوات، وكانت فرصة جيدة للنظر إلى نصف القرن بأكمله لاستخلاص لعظات ولعبر وهذا هو ما حاولت أن أفعله عندما دعيت للكلام بهذه المناسبة مرة في محاضرة في مركز راعن (متحف طه حسين)، ومرة في اتحاد الكتاب لم يدر بحظري تمويش هذه المناسبة إلى فرصة لتحييد عبد الناصر وتقديم اللياقات الى تحدي الحكرمة الخاية، بر رأب أن القول الوحيد الملائم هو محاولة تشخيص وتقييم الحنين عاما بأكملهها. مما اضرت إلى هذه الفترة كلها لم أجد تشخيصا لها أفضل من أنها كانت حماس عام بما يمكن أن يسمى «العصر الأمريكي» عصر بدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية ولا بر بعش في طله حتى الآن نعم كبت هناك بانطع مروو مهمة بين عهد عبد الناصر وعهدى السادات ومبارك، ولكن من الخطأ في



رأى تجاهل أوجه شبه، ومن المهم أن نرى كيف انعكست هذه السيادة الأمريكية على لفتة بأسرها معهودها المختلفة. بيت هي المحاصرتين أن هذه السيادة الأمريكية انعكست على طريقه الحكم ونوع الحكم، وعلى كثير من اتجاهاته الشرة لمصر من إجراءات ومراعاة سياسة اقتصادية، وعلى معظم الحياة والعلاقات الاجتماعية في مصر، وعلى علاقات مصر العربية والخارجية، وعلى فلسفة التنمية المتخ.

كنت أعتبر من المسلم به، أثناء إحدى المحاضرتين، أن ما سأقوله من معجب لاعتناجين وصادقين، ولكنني كنت قد تعرضت على هذا منذ فترة طويلة، وعلى عدم دلائله. ولكني خطر لي أيضاً أثناء إعدادهما أنني سأقول كلاماً من يصر الناصريين كثيراً. وكان هذا مصغراً لبعض المسائل من جاني عما إذا كان من الحكمة أن أفعل هذا في ظروف ترحح فيها بشدة كفة أعداء ناصرية، وتراجع فيها سمات ناصرية كثيرة. لا أحب أن أراه يتراجع. فضلاً عن أن الناصريين يعتبرون من رجالهم وأنصارهم، وهو شخص صحيح في معطيه، وإن لم يكن صحيح صحة كاملة للأسباب التي حاولت أن أبين في الصفحات السابقة. فهل من مصلحي أن أفقد صداه هؤلاء وتقديرهم لي؟

تشجعت وقت ما يدور معي كما هو. ولكن حدث أن الأسبب والذهشة اللذين أصابا بعض أصدقائي ناصريين عما قننه في المحاضرتين أفاقا ما كنت أتوقع، بل وأصداني بالذهشة، إذ لم أكن أظن أن حماسهم بعهد عد الناصر وعاصمهم عن صبري ذلك العهد وأخطئه قد وصل إلى هذا الحد.

دهشت أن أيضاً وأسف، خاصة عندما هو جنب ذهشة وأسف بعض الشباب الناصري من الصحفيين ليسر أكل تقديرنا فائقهم، وإعجابنا شديداً بحوسهم ووطنيتهم، ومتعدادهم للتصحية. ولكن ذهشتي سرعان ما ردت، عندما تذكرت أعمارهم، وأن لم يزل أسمع هؤلاء لم يتجاوز عمرهم الأربعين، ومن ثم كانوا أطفالاً صغاراً عندما كنت أنا في الثلاثين. وكنت قد عدت لتوي من بعض في إنجلترا. وعندما رقصت إجراءات الأمن، عطائي تأشيرة الخروج لأنني كنت في

صباى منحعب لمدى الحرية والوحدة والاشتراكية، وعدمه بدأت أنا وكثيرون من  
جبلى نسمع ونعاطف مع قصة أحمد مؤدعهم والشعب إمام الحملة  
«ناح السواح والوآحة على بقرة حاحا الطاحا  
والبقرة مادي ونقور يا ولادى  
وولاد النوم رايحين فى النوم إلح»

كث قد جاورت الثلاثين من عمرى عندما تعاطفت أنا وعيرى مع هذه لأعبه  
بسبب سخطها الشديد على ما حدث فى ١٩٦٧ أم هؤلاء الصغار نسيان، من  
الناصريين المتحمسين، فكانوا حينئذ فى نحو خمسة من عمرهم

طوف بحاطرى، عندما تيت أثر حديثى على الشباب الناصري المتحمس، هذا  
الناظر اأخرين «هل هناك أى أمل حقيقى فى أن ينقل أى جيل عبرته للجيل الذى  
يليه؟ أم أن من المتحتم على كل جيل أن يمر بالتجربة نفسه، وأن يستخلص كل جيل  
نفسه ما يستطيع استخلاصه من تجربته هو، دون أى أمل فى أن يحصل على أى  
معاملة من لأحياء النفة؟»



(١٢)

## عين شمس

في شهر مايو ١٩٦٤، ركت باخرة مصرية من ميناء الذهبية في إبطا،  
وبصحتى روحى الإنجليزية، في طريق عودتى البهائية إلى مصر. كانت فرحتى  
بالعودة، ومعنى شهادة الدكتوراه وروحة أحياء، بصعب وضعها كالزادو  
الحجرة يدبغ علي اعانى مصرية باستمرار، فتصبى رغبته من الانفعال والحماس  
للأعالي العاطفية والوصية على السواء، وكانت روحى ترى انعمانى ومصر حى  
فتصيه عذوى الحماس بدورها

قصيت العشر السنوات التالية، فيم بين عودتى إلى مصر وذهابى للعمل في  
الكويت في أوتل ١٩٧٤، مدرسا ثم أستاذا مساعدا في كلية الحقوق بجامعة عين  
شمس. وكانت كلية الحقوق هي محور حياتى العامة طوال هذه الفترة

كس في هذه الفترة في عمروا شبنى (إندأبأب التدريس فيها وأنا في السبعة  
والعشرين من عمري وتركتهما قبل أن أبلغ الأربعين) مليا بالأمان لفسى وأمرى  
وسدى، ونسبى على بعض المادئ الأخلاقية، الاجتماعيه قوة أكبر منها في نى  
وقت قبل ذلك أو بعده. وكانت هذه أول وظيفة لى، باستثناء الستين اللتين  
قصتهما بعد تحرجى مباشرة في مجلس الدولة، وكنت حينئذ لا زال صغيرا  
ساذجا لا يريد عمري كثيرا على العشرين. ومن ثم فقد كان دحونى حامده عين  
شمس مدرسا دحولا للحياة العامة لأول مرة، بعد فترة طويلة من الخفية، وهي فترة  
الدراسة في إنجلترا التى لم تكن أحمل فيها أى مسؤولية إلا القليلة وبكتلة للحصول  
على الدكتوراه

مؤسست في حقوق عين شمس بعالم عربي قديم، فيه القليل مما يبهج و الكثير مما يحلب لإحباط وحبية الأمل. كان المميد رحلا لا عصاصه به على الإطلاق، فويا صارف لطيف المعشر مع من لم يرتك خطئا، ود مادي لا يجيد عهد، استمدها من تربة صعدية ملترمة، في أسرة مسورة لم تعد شطب العيش وتمتع باحترام مجتمع القرية التي نشأ فيها، وتربى أبوه عموديتها. وقد أصححت عمرد عودتي عصرا في قسم الاقتصاد. وكان انقسم تكون من أئدس بكراسي أكثر من عشر سرات. ومدرسين في مثل سى عاد مؤخرأ من يعيشهم في الحارح، أحدهم من فرسا والاخر من الولايات المتحدة.

كان رئيس القسم (دكتور حلمي مراد) رحلا هذا نكل معاني الكلمه، بدر أن مصدق البرء مثيلا له. شعرت بحوه مأنودة والاحترام منذ أول يوم عرفته فيه، وطلت هذه المودة وهذا الاحترام سموان مع الوقت، إذ لم أشهد منه أى موقف يصعب من هذه المشاعر، حتى وفاته في منتصف التسعينيات وهو يشرف على الثمانين. لم أشعر بمثل هذه العواطف نحو الأستاذ الاخر في القسم لدى كان رحلا عزيز رحمه بصفه، ولكنه كان مكتها نفسه أكثر من اللازم، لارعة لديه في أن يشئ اى علاقات قوية مع أى شخص حارح أسرته الصعسر، فظل قليل الأصدىء والمعارف، يؤدي عمله ويؤلف بعض الكتب برصد لنفسه، حتى مات وحيدا في باريس، ولم أر زناه له في أى جريدة أو مجلة مصرية أو عربية رغم كثرة تلاميذه وكثمة

أف رمبى عائد من فرنسا والذي التحق بنفس الكلية وفي نفس السنة نتي التحقت بها فيها، فكان أنما رحلا مكتها بنفسه وبكته كن ودودا، لطيف المعشر، ذا شهامة، وعلى استعداد كامل لمساعدته طالما أن هذا لا يتطلب منه جهدا زائدا أو عاء. كان يؤمن إيمانا قويا بمساعدة «عش وائرل لأحررين يعيشون» لديه من امورد الدانة العسقة والعقبيه ب يكس له حاه هائلة، ولا يحتاج إلى شئ يتوقف الحصول عليه على رايه. لأحررين، فهو شعر أنه قادر دائما على الاستعناء عنهم ولكنه لا يحمل أى حقد أو غره من لأحررين، إذ به لا تسمى لنفسه شيئا يتوافر لهم، ولا يستطيع أن يفره لنفسه دون مساعدتهم

كان من الواضح أنه وصح لنفسه هدىً محدداً وواضحاً في عينيه عدم الوضوح ،  
والمطوب هو فقط السعى إليه دون انحراف والوصول إليه سهل بعبارة ممكنة إنه إذن  
«الاقتصادي» مستر ، لا نصيح وقته هي كلام لا هائلة فيه ، أو ماله فيما لا محل له  
بمعنى كذا لا يهيمه رأى الناس هي قليل أو كثير ، إذ ما يهيمه رأيهم وهو وثيق غمما  
في يريد ومن صحه لطريق الذي يسلكه؟ وهم على أى حال لا يملكون الإصرار به  
إذ إن لديه من سدكاه ما يمكنه من كشف الضرر قبل وقوعه ، وبذيه من ايهمة  
والشط ما يمكنه من خيلولة دون وقوعه

كان يعرف قدر المال جيداً ولكنه كان قادراً أيضاً على الاستمتاع بالحياة - لاأكل  
الطيب ، والمشروب الجيد ، والبيت الجميل ، والخو المعنول ، بالإضافة إلى الوجه  
الحسن - ترويح من فناء ألامية لطيفة وودعه ، هيأت له ييب مريحاً ، وتركه سعى  
لحقيق أهدافه دون معصصات وأعجب له وعين ذكيين وقد ساعدها كبرها أدبيه ،  
فيما أظن ، على أن تقدر كفاءة روحه حتى قدره ، إذ كانت هي نفسها ، بقدر الكفاءة  
في كل شيء مثل تقديره

أف وصل إلى مدرّس لأحر الفائد حديثاً من اسولات المتحدثة فكان من نوع  
مختلف عندما رجع صغير الحجم ليس لحسه معلّم محدّدة ، وكان مثل كثيرين ممن  
عرب يعمد في حديثه على انكشيهات من أشغال «حمد الله على السلامة» أو  
«كل سنة وأنت طيب» أو «وب يحصل العوائف سليمة» وهكذا ، وإذا حدث وقُتِح  
هو صرح يبدو أنه يهيمه للكلام منه حقاً ، وعبر فيه عن مشاعره بتلقائية ، وهو أمر نادر  
الحديث ، فالأغلب أن تتعلّق الموضوع بكسب مادي بأهل في تخفيفه أو تشكو من  
صياغة منه بدون وجه حق

ثم مرب السور وحصل زميني هذا على إعرارة إلى إحدى بدول العربية وعدد  
مها سيارة من سيدس فاخرة ، كان منظره وهو يقودها إلى داخل جامعة عين شمس  
بلغت النظر سبب المفارقة من صالة حجمه - حتى تكاد لا يستطيع النظر من  
الرجح الامامي - وحجم السيرة - وحجمها - ولكن كنت لاحظت أيضاً أنه ، إذا  
تصدف أن وصل إلى باب الجامعة هي سيارته المرسيدس وقد وراه في سيارتي

ابصميرة والقدينية، هب ثواب الجامعة واقف لحيه وفتح له الباب على مصراعيه، ثم يجلس مباشرة غير عابئ بي وأن أمر من نفس البؤنة، ولا يكلف نفسه عاء ومع يده لتحتي ركب استر هذا بفارق الواضح في المعاملة بالمعاريق الواضح جداً بين

ساردين

لم يكن هذا الإهمام الرائد مكسب لادام طاهرة استثنائية، دسغان ما اكتشف أن الظاهرة عامة، وأن الاستثناءات وإن كانت موجودة فهي قليلة. وهذا لا بد أن أعترف بأن وحداً من تحيراني لغوية والثبات في ذهني مدروس طويل وبأنى أن تعارفتي، هو هذه الفكرة أن الحرمان لدى في الصغر أمر خطير للعانة، ترتب عليه في لعاب مادية مفرطة في الكبر هكذا كتب أميل دائماً، كتب رأيت شخص يسهر عليه حب لاد، إلى البحث عن مسبب ذلك في ظروف نشأته، وكلما وجدت شخصاً كروي سنخ ومشتتاً بتصحية ذلك المادي من أجل فكرة أو مدافعاً عن علي، الأمور أنه لم يعادف حرماناً في مساهمة ولحققة أي لم أصادف في حياتي أمثلة كثيرة تدهص نظريتي هذه، وصادف الكثير جداً مما يؤيدها، ولكني على استعداد بالاطع للاعتراف بأن هناك حالات غير عادية تمنح هذه الفكرة الدفعة الشيط عن تصورها

كانت العائلة لعظمى من أستاذة ومدرسي كلمتي في عين شمس دوى أصول ريفيه واضحه، لا تزال تظهر، حتى لدى كبار السن منهم، هي طريقته حديثهم وصحبتهم وإشاراتهم لأبدي واختيرهم للاسمهم (إبح كما أرى كنت أعرف عن بعضهم أنهم صعدوا إلى مراكزهم الاجتماعية الحالية من بدايات اجتماعية متواضعة. كنت عدية من كان منهم في سبي أو أصغر، بمن استمادوا من محابة المعلمين التي أدخلها طه حين في ١٩٥٠، ثم عممها حمدل عبد الباصر بعد ذلك سنوات قليلة، وما كان يفصّر أن يتموا تعليمهم، خامعي بولا هذه المعجانية إبدل فقد كانت بطرنتي بطقن على هؤلاء، ولكن استرعى تشهي أن كثيرين من كبارهم أكثر ساء مني بكثير كانت لديهم نفس الخصلة، وهي اعتبار كتب المريد من المثال مساهماتاً للتصحية بكثير من الأشياء الأخرى

كان الأمر كله صورة مصغرة لحالة المجتمع المصري تكرر مجتمع مكتظ  
 بالسكان، لا ينتج ما يكفي لتوفير حياة لائقة للجميع، فينافس الجميع على الكسب  
 المادى ويحاولون دون جدوى إحصاء هذه المنافسة والتظاهر بعكسها، رغبة هذه  
 المنافسة بصعاب شديدة من حتمال وجود أى بطف حقيقى، إذ إن الجهد المطلوب  
 لتحقيق الهدف لا يترك بقية للتعاطف لتحقيق مع الآخرين هذه الأعداد لعصره  
 من سكان هي المسئلة في النهاية عن هذا الناس الحاد، ولكن هي نفسها التي  
 تخلق فرصا لريادة الكسب المادى إذا استطاع المرء أن تتح سعة تحتاج إليها هذه  
 الأعداد العفيرة، كالكتب الجامعية مثلا

كان التكال على تدريس المقررات الدراسية في امصر دت الأعداد الكبيرة  
 من الطلاب يصل أحيانا إلى درجه صعب على العقل تصديقها كما كانت المناه  
 بين الأساتذة على التدريس في هذه المصوب تكون المحور الأساسى الذى تدور  
 حوله أحاديثهم حصرت مرة جلسة من جلسات مجلس الكلية، بعد ترقية إلى  
 درجة أستاذ مساعد، حيث طرحت مسألة الخلاف بين قسمين من أقسام بكلية  
 حول من الذى يقوم بتدريس مقرر باللغة الفرنسية أدخل حديثا فى الكلية كان  
 القسمان يسانان على الاستقلال بتدريس هذا المقرر ويقدم كل منهما الحجج لتأييد  
 أحقيه به لم يذكر من بين هذه الحجج ما يدره المقرر من كسب مالى، مع أن جميع  
 المحاضرين والمناقشين كانوا يعرفون جيدا أن هذا هو السب الوحيد بهذه سياسة  
 الحدة وبعد أن استمررت المناقشة فترة طويلة دون أن يسارل أحد القسمين عن  
 موقعه، عمراً أستاذ محوور عن لا ينسب إلى هذا القسم أو ذاك، وعمن رأوا عهد  
 ماضيا من جهود الجامعة في مصر لم يكن للكسب المادى فيه هذه الأولوية العالية،  
 بل كان الأمانة فيه يتعود في الأساس على أشياء أخرى غير الماب، عمراً هذا  
 الأستاذ المحوور وسأل سراءه عما إذا كان الأستاذان متنافسان يحددان للغة الفرنسية  
 التى سوف يدرس بها هذا المقرر فإذا ما نكتشف أن مستوى كل منهما في هذه  
 اللغة لا يسمح مطلق بقياهما بتدريس هذا المقرر سألت نفسى عنلاد كيف  
 سيكون حال هذه الكلية عندما تنوفى هذا الأستاذ المحوور وأمشاه من لا يزالون  
 تذكرون ماضيا أقبل تعاسة؟



حدث لى حادث قطع يدور أيضاً حول الكتب امدادى إذ جاءنى طلب من طلاب الدراسات العليا ليقول لى إن مدرسا فى قسم آخر غير قسم الاقتصاد ورع على طلبية بعض المذكرات فى الموضوع الذى يدرسه، واقتضى من الطلاب مقابل ذلك ثمنا ليس هبسا، وأن جره من هذه المذكرات، الذى يصل إلى نحو عشرين صفحة، و المكتوب عليه اسمه باعتباره مؤلفها، فأخود بالنص من كتابى الذى كتب أدرسه فى بطريقة اسعدت معوا ( لاقتصاد اليومى) بطة ألفه لثانية من سوات سيبس، وهو كتاب معد لطلبة مبتدئين فى دراسة الاقتصاد، ولم أكن أتصور أن يدر من لطلبة الدراسات العليا، ماهيك أن يصح شخص آخر اسمه بدلا من اسمى باعتباره مؤلفه، ولا يشير إلى انكتاب المأخوذ منه ولو فى هامش صغير

دهمت أنشكر لرئيس القسم، فهتم بما أقول وراعه ما حدث مثل ما راضى، وأحصر كبرى ومذكرات ريمى وقارر بينهما، واستقر رأيه على أن خطا جسيم قد ارتكب، وقال لى ب شكواى فى محلها وأن عى أن أطلب منه ما أريد وسقوم تنقيده مهما كانت درجة شدته عندها وصل الأمر إلى منع رئيس برتكت الحرم حرى إلى مسقطا ومعتبرا إراحيا منى المعونه، وكان أهم ما كان يذكره لى ويكرره أملا فى أن يحظى بهذا المعو هو أنه على استعداد لأن يقسم معى الربح الذى حققته من توزيع هذه المذكرات بآى نسبة أقوم ب بتحديثها وقد صرفت النظر عن الأمر بزمته، ولم أطلب ثمنا لانه ولا من رئيس القسم، ومرغاب من مست القصة كلها

كانت هذه القصة مصفة تمام مع أشياء أخرى حدثت فى لكتبة كتاب لمجلس الأعلى لجامعات يعلن بين حين وآخر عن الشروط التى يجب بوافرها فى الكتب الجامعى، أى الكتب التى يؤلفه أستاذ الجامعة لطلعت وبصطر الطبعه لشراته سواء أعجبهم لكتاب أو لم يعجبهم، بما فى ذلك سعر الكتاب باسمه إلى حجمه، وذلك معا لاستعلاء الأساتذة لطلابهم ومع ذلك كان بعض الأساتذة يتحيلون على هذه العواعد فريدوب حجم الكتاب كن منه بلا مرور إلا بادة السعر وكن الباشرون ضامون لاطلع على طبع هذه الكتب الجامعية المضمونه بتوزيع، سيما

يحاول بعض الأساتذة أن يحتفظوا لأنفسهم بالرجح لدى يعود على الأسافر ، بأن يعودوا بتوزيع الكتاب دون الحاجة إلى ماسر ، فيكتفون بموقف بالكلية سعي للكتاب حسبهم

وهكذا أصبح تأليف كتاب عامي جزءاً أساسياً من مشاغل الأساتذة بشكل ما يحصل عليه من إيرادات وراثته جزء الأكبر من دخله . ولكن لموضوع المطلوب لتأليف فيه قد يكون حديداً تمام على الأساتذة ، فإذاته لا شرع في الكتابة . لا بعد بدء التدريس ، ويضيع من كتاب مدمرة بعد أخرى تورع على اسلاميد معصنة ، أسوعاً بعد آخر ، قبل أن يعرف الأستاذ الذي يمكن أن يحتوي عليه المصور الثالث . ومن ثم شاع بين الطلاب تعبير الذهاب لشراء مدرسه أو ملازم بدلاً من شراء كتاب أو كتب

كان المخطط أيضاً أن إدارة الكلية تتوجس شر من الطلبة والأساتذة والموظفين على السواء ، فتخطط لامتحنات بعدد من الإجراءات التي يشبه الإجراءات الموكلة خوفاً من ارتكاب أي عمن من أعمال انعش المحتملة وهي تشهده . فالأستاذ يطلب منه أن يودع نسخة من الامتحان في حرايه حديدية في حجرة العميد ، ولا يسمحها العميد للطباعة . ولا حر يوم لامتحان ، فيحس الأستاذ إلى جانب الكاتب على الآلة لكتابة لطبع لامتحان قبل موعد الامتحان بساعات قليلة ، ونحاط الحجره التي تجري فيها الطاعة بحرمة مشدده ، خوفاً من سرّب الأسئلة إلى أيدي الطلاب قبل بداية الامتحان . والامتحان نفسه يجري في حيمة كبيرة تتسع للآلاف المؤلفة من اطلاب ، يراقبهم مدرسون منتدبون من بعض المدرسين الثانوية ويحصلون مقابل هدي عمن جسده أو جسدهن يضافان إلى مراسيم الزهدة . ولكن إذا ذه الكلية كم أنها لا تتيح ثباتاً في لطلبة ، لا تتيح أيضاً في هؤلاء المدرسين استدير ، إذ إن ضعف مرتباتهم هدي يعربهم بعقد اتفاق مع بعض الطلاب يعطوي على غص بصير عملاً يرتكبه الطالب من عشر ، في مقابل مكافأة يحصل عليها المدرس خارج حزمة الامتحان . ولهد فإب أساتذته ومدرسي الكلية يتولون مهمة مراقبة الرافقين ، والتحقق من عدم عقد مثل هذه لاتفاقات . والأستاذ

الحامى محمد ابهمه عسرة للعبه، فالأعداد عسره، والظروف نى بحرى لها  
لا متحان صعبه، فالخو حار، والأرض متربه، والكراسى التى يمكن لهم الخوس  
عليه عليه وحطرة، إذ لم نلق فيه السامير باخر من الكافى، فأصبح الخاس  
عليه مهتدا يحظر عريق ملاسه، والظله شديدو الخراة ومستمتتون فى محاوله  
لعشر بهدف السحاح بأقل جهد يذكر، فهم يمسون فى معاملة المراقبين، ومراقبى  
المراقبين، فلا يظفر أحد المراقبين يسارا إلا ويضرب لظلمة الخلسوب فى ناحية يمين  
فى سادل المعنويات بسرعة، وعالتهم يعتقدو، أن الامتاع عن مساعده زميل  
جاهل يتنافى مع مبادئ لشهامة والبروءة، وفى كل سنة يتكرر الطلاب طرق جديدة  
للعب لم تكن معروفة من قبل فتتبادل على مجازير كتب على ظهرها بعض  
الإحداث تحمى محله الكتابة بخط صغير لبعابة عنى ورقة لا تكاد ترى، يقوم  
الطلاب بالتلاعها بسرعة إذا حدث وراء المراقب وهو سفل المعلومات مهة إلى ورقة  
الإجابة، همد، سئل الطالب فى ذلك أنكر شدة ارتكابه أى عمن من الأعمى إلى  
رأه لمراقب يارسها، ويحلف بأعظم لأيمان مؤكدا براءته، ولا يستطيع أحد، فى  
هذه الحالة، توقيع أى عقوبة عليه، إذ إن لائحة الجامعة تشترط لذلك توفر الخمسم  
للمادى للمجريمة، أى لورقة التى تم منها النقل، وحسم الجريمة قد أصبح لأن داخل  
معده الطالب وليس هناك طريقة لاستخراجه منها إلا بقتبه والطالب قد يذهب إلى  
المراقب راعما أنه فى أمس الحاجة إلى الذهاب فوراً إلى دورة المياه وإلا حدث ما لا  
تحمد عقباه، فمحله المراقب إلى عمد الكلية، إذ ليس من بين سمطات المراقب ست  
فى مثل هذه الأمور الخطيرة، وضميد قد يقبل أو يرفض بحسب تخمينه عن  
شخصية الطالب الذى يأتى إليه، وهذا من أرسل معه ساعيا من سعاة الكلية الذى  
تهدد إليه مسئولية مصاحبه الطالب كطله، والدخول معه إلى دورة المياه ثم العودة به  
دون أن يسمح له بإخراج أى ورقة من جيبه، ولكن سعاة الكلية فى حالة برش لها  
من الفقر، وإغراء الذى يتم حصوله بالسماح للطالب بأن يعمل ما يشاء فى مقابل  
رشوه صغيرة، هو إغراء أقوى حتى مما تعرض له المدرس ابتداء من خارج  
الكلية، وعمد الكلية رجل حصف متمرس بالحالة ويعرف حداً أقوى الإغراء الذى  
يتعرض له الساعى المكين، فيصر قبل أن يسمح للطالب بالانصراف من الساعى

على أن يفرغ جيبه من كل ما فيها أو أذ بسن ليعمد أهد حالة من الأصل . ومن ثم  
كان من المناظر التي اعتدت رؤيتها في هذه الخيمة العظيمة منظر الطالب وقد أخرج  
لفاتة انداحية لطبي سر واله يؤكد بنعيم استعانة أن يكون مذه أي به للعش

أما بطالوت فكس يعتمد أهدا على حمل المراضى ولأساندة فيتمس بكس  
المعلومات على اخرء العدوى من حواريهن انطوالة أو حتى عسى الباقى نفسها ،  
الأمر الذي يدهش معه المراء من العباء الذي يبدله من أهل النجاح في الامتحان ،  
ويجعله يتساءل عما إذا كان كل هذا بعاء الذي يتحمله في تلخيص الكتاب ، ثم  
كثافة لمعص على مكان من أحسابهم بصعب على اوراق رؤيته ، هو أقل من  
عناء قراءة نكتاب وهمه في من هذه الحالة تعتمد النكية على بعض الموطعات  
العملاء بها إذ تعهد لبهم مهمة تفيش مطالبه المشكوك من أمره ، أو اصطحابه  
إلى حجرة حصة يحرق فيها التأكد عما إذا كان المكتوب في ورقة الإجابة مطابقا  
محد ايره للمدون على ساق الطالبة

حدث مرة وأن اوراق الطلة في أحد هذه الاستحداث أن لمحت من بعد طلة  
مائلة جسم يوحى منظرها بأنها تقوم بعمل تدف من اكتشافه ، إذ تطلع بين احين  
والآخر سارا ويمينا كالعصمور الخائف ، ولا ترائي وأن أرقب حر كاته من بعيد  
نالا ضرب فيلا من خصف تأكذب من أنها ثقل لإحانه من ورقة صغيرة . فما  
أحب لوجودى فجأة أسرع بأحفاء هذه الورقة الصغيرة تحب ذقها الممنلى  
وصعقت عيها إلى أسفل لكن تقى ابورقة بين دفتها وصدرها ، دون أن تقع عسى  
الأرض وأعثر على «جسم لخرقة» ، ولا يصح بمكانها ينكار واقعة العش ، وهو  
بؤدى عادة إلى فصلها من لكسة لمدة عام على الأقل وقد جعل إلى الفصل الكامل  
من الجامعة واجهتها بي رأيا تعله وألكرت ، فطلت منها أن ترتع رأسها إلى  
أعنى فكر د إنكار وأب أن تحرك رأسها مع أنها كانت في وضع مضحك لعنه  
إذ تصر على إنكار العش بينما رأسها يصعط على صدره بشكل غير طبيعى بالرة  
وأخيرا وقعت ابورقة و قنديها مع ورقنها إلى العصد .

لأن أن أسرة بطالة قد فعلت لمستحيل في ذلك بيوم لمحاولة معرفة اسم أى

شخص يمكن أن يتوسط لدى إلقاء الطاعة. حضرت بعد ساعتين على ومن قدم لى كان يدرس فى حاميته لندس فى نفس الوقت الذى كنت أدرس فيه هناك، رحانى دون حدودى أن أصفح عن النساء، التى ظهر أنها إحدى قريباته، وكان من الواضح لى أنه يشعر بدهشة حقيقية من أن أصغر هذا الإصرار على معاقبتها

بعد انتهاء معركة لامتحانات كانت تحمل معركة «الكترو» ، ولا أدري سر استقرار هذا النمط لأحسى استخدام دون غيره، حتى من جانب من لا يعرف كلمة «حبة غيرها من مرطبي الكلية، للإشارة إلى تلك الظاهرة التى يصعب أن تجد مثيلاً لها فى أى دولة أخرى، على الأقل بالشكل الذى كانت تدعى به فى مصر والكسول فى الحاسبات لمصريه يعنى جميع وترتيب الآلاف مؤلفه من أوراق الإحانة، ثم إحداء أسماء أصحابها وتدريب الأرقام السرية عليها، ثم توزيع الأوراق على المصححين فى بيوتهم فى ظل حراسة مشددة خوفاً من صياغ أو سرقة إحدى الأوراق، فليصطر لكثرة طفا للمعاون، لاعتبار صاحبها باحفاً ثم متابعة المصحح حتى تنهوا من أعمديهم فى الوقت المحدد، ثم نقل الأوراق من مصحح لآخر، إذ من المتنوع مع بات अगर د مصحح واحد تصحيح لورقة كلها. فإذا انتهى تصحيح أحضرت الأوراق وكنها، نخب حراسة مشددة أيضاً، إلى غرف تقع فى بدوم الكلية، وهى ذات أقفال ومفاتيح يستحيل تزييمها، ودب نوارد عنها قصاص حديدية وتخصص عرفة لكل سه دراسية، ويجتمع ثمانية أو عشرة أماندة ومدرسين فى كل من هذه الغرف ويحكمون إعلاى العرفة من الدحل، ثم يبدأون عملية قاسية قد تستغرق شهراً كاملاً، وتبدأ فى كل يوم من الثامنة صباحاً وقد لا تنتهى إلا فى منتصف الليل. هذه العملية تكون من الخطوات الآتية :

١ - مراجعة كل ورقة على حدة للتأكد من أن كل إجابة قد تم تصحيحها ولم يعرض المصحح تصحيح سؤال أو قراءة نصحة سطور فى صفحة من صفحات ورقة الإحانة، إذ يجب على المصحح، أثناء تصحيحه، أن يحيط بقلمه على كل صفحة من وكل مرة ما ندب على أنه اطعم عليها

٢ - إعادة جمع درجات الإحانة للتأكد من أن المصحح لم يخطئ فى الجمع

### ٣- رصد الدرجات في كسوف

٤- إذا كانت الدرجة السبائية عشرين ودرجة ساجح عشرة يحرق رفع كل سبع درجات ونصف إلى عشرة رافة بالطلاب

٥- إذا نبي أب الطالب حصل على درجة أم من ١٠ ولكنها لا تقل عن ٨، هي مادة واحدة أو مادتين فقط، ترفع الدرجة بس عشرة، رافة بالطلاب

٦- ثم يُصنف الطلاب إلى طلاب ناجحين وطلاب راسبين (عليهم ما بعدو السنة الدراسية) وطلاب متخلفين (أي عنكهم لا انتقال إلى السنة لتاليه ولكن مع إعادة الامتحان في علم أو علمين)، وطلاب تعرض حالاتهم على لجنة الرافة، التي تقر ما إذا كانت درجة أو درجتان هـ أو هـ ب، قد يؤدي بهم إلى استحقاق درجة أخرى هـ أو هـ ب، مما قد يؤدي بهم في السهنة إلى النجاح

٧- تأتي بعد كل هذا بوضع إعادة الأرقام أسريه إلى أصلها، أي تحويل الأرقام إلى أسماء، وذلك قبل عرض النتيجة على العميد لاعتمادها

حدث مرة حسنا كنت عضواً من أعضاء «كترول» السنة الثالثة، ان كان من بين الطالبات في تلك السنة روجه أسد من «ماتدة الكلية، فرب في سن متأخرة أن تواصل دراستها التي كانت قد انقطعت عنها بالروح لمبكر كـ روجهها يحشى رسوبها فطلعت سر من أحد الأساتذة المسئولين عن الكترول أن يحاول معرفة الدرجات التي حصلت عليها كـ هذا هو عامها بـ، أن يعرف أحد درجات أحد اسلايم قبل أن تعلن النتائج رسمياً ولبي الأساد طلب دمي له فاكشف هذا أن روجه حصلت على ٩ درجات في إحدى المواد، وعلى أقل من ذلك في مواد أخرى مما يؤدي حتماً إلى رسوبها لم يستك لروح، فذهب إلى أستاذ المادة التي حصلت فيها روجه على ٩ درجات وقال له «ما ضره لو رفع كل تسعة إلى تسعة ونصف شفقه سلايم استكين؟» كان هذا سيؤدي في الواقع إلى إجحاح عدد كبير من الطلاب في هذه المادة ما دامت «سبعة ونصف» يتحول بلقيط إلى عشرة فهم أستاذ المادة مقصده ولبي طله، فرفع درجات كل التلاميذ في هذه المادة لكن يستعد

الروحة وينتقل حايها من الرسوب إلى السباح ثم هذا العمل المشين في سرية تامه، ولكن مدرسه صغيرا من المشتركين في أعمال الكترول، عرف بي حدث فصعده لثوره لعميد وأجره بالأمر ثور العميد ثورة عارمه، وكان رجلا عفيفا وصار ما في نفس الوقت (الدكتور إسماعيل عام)، و مر بإعادة الأمور كما كانت وصرح الأستاذ الروح مع مرعب، واصطرت الروحة إلى إعادة البسة الدراسة من جديد

كما في هذه الفترة لعصبة، فترة الكترول، برسل بأحد لعة، إذا حل وقت بعدء، ليشتري لنا سندوتشات من لعل والطعمية من محل قريب اسمه (محب) اشتهر بحودة طعامه وبطعمه، فبسع كل ما شئ سندوتشاته، وإذا أراد المرء من الرفعة طلب من الساعي أن يشتري له قطعة أو قطع من لبوسة من محل ملاصق له اسمه «الدشش» أي البوقة، اشتهر بسوره بجوده حوياته فإذا جلب الساعي هذا كله مع كواب الشاي سادت لسعاده الحجرة لسبع دقائق ناديا حللها بعض الكنت، لفرح عن اصسا من عده الكترول، ولكن استنادا إلى الكرم (هو د حلمي مراد) كان يسرع من حين لأخر بشراء كمية من الكاف والكعبة، لجميع أعصبه الكترول من ماله الخاص فكانت سعادتنا تنصب عطف وتكرار خلال تناولنا الطعام تعبر عن شديد امتناننا له وثاؤنا على أريحته



كان الدكتور حلمي مراد، من بين كل من عرفتهم في كبة حقوق عين شمسي، أقر بهم إلى قليب، وقد تأثرت تأثرا شديدا بعدم وصلني خبر وفاته وشعرت كما لو كنت فقدت أب أو أحد، وإلى جانب حلمي مراد أتذكر بعز ر ومحة رجلين آخرين، أحدهم الدكتور إسماعيل عام الذي شغل منصب العميد لفترة قصيرة أثناء وجودي بالكنيسة، ثم صار مديرا للخدمة ثم وزيرا، ثم عرفه عن قرب من جديد عندما جاء إلى الكويت، بعد تركه الوزارة يعمل في نفس المؤسسة التي كنت أعمل فيها، وهي لصدوق الكويتي بشتية ثم اكتشف مرضه سرطان الرئة وتوفي به قبل أن يبلغ الستين من عمره ولاخر هو عم عوص فرائس قسم الاقتصاد

أما الدكتور حلمي مراد فكان رجلاً وسيمًا ذكيًا، سليم بتقدير الأشخاص والمواقف، وقد ترتب صحيح في رأيي للأولويات، فلا يدلي بتوايه لأموال ويعطي الأمور لمهمة حقها. كان أيضاً لطيف المعشر محاملاً، لديه كلمة لطيفة يقولها لكل شخص دون أن يشوبها أي نفاق. كان هكذا مع ملاميدته ورملائه وخدمته وفرش، الكلية صبي السواء. ولكن رأيت أيضاً صديقاً وحارماً مع الرؤساء والعظماء، لا يهانهم ولا تعرّضهم، ما صلبهم. كان يظن ذلك لقول المأثور «كن كلمتك وامض»، إذ كان ما يهمه، فيما لاحظت، أن يقول حتى يصرف النظر عن نتائجه. لا يتنظر الحصول على مكانه عبر قوله، ومستعد لتحمل نتائج هذا القول. ولو كانت قسمة. ولكنه كان أيضاً عدل لقول، يستريح البكته الطيبة ويصحب لها صراحة قصيره ولكنها صافية، وكثيراً ما تختلط عبارات المجاملة التي يقولها بحيط رقي من الحرية التي لا يخرج أحداً

عرفته لأول مرة عندما كان مدرساً للاقتصاد، المألوفة بحقوق الفهرسة وكنت أذكر حينئذ عندما صعدت في السنة الأولى أو الثانية، ولكني لم أكن قط سعيد له، ولم أعرفه عن قرب إلا بعد نحو عشر سنوات عندما عدت في إحارة إلى مصر أثناء بعثتي بـ «جيش» وكنت قد حصلت بنوي على درجة الدكتوراه، وكان هو رئيس قسم الاقتصاد بحقوق عين شمس التي كنت حصلت على بعثتها، ومن ثم كان من المقرر أن أعود للتدريس بها بعد انتهاء دراستي بالبحر. ذهبت إلى الكلية أثناء هذه الإحارة للتعرف عليها، ولأخبر من لم يعرف بحصولي على الماجستير من جامعة لندن، فحزوا نفسي ولا أعرف بعد مدى جهلي وبساطة شأني. عيسى حلمي مراد معاملة لطيفة للعامة وكأنه فهم شعور شاب في السادسة والعشرين ملئ بالطموح المبالغ فيه، ولا يعرف شئ بعد عن حقيقة الجامعة المصرية أو المجتمع المصري. دعاني لنعشاء في مطعم هادي في وسط البلد، كنوع من الاحتفال بحصولي على الماجستير، وصر عليّ أثناء العشاء إذ رحب أماله عما إذا كان قد قرأ هذا الكتاب أو ذلك، وأستغرب أنه لم يعرفه. وكان من بين هذه الكتب فيما أذكر، كتاب لـ «باربرا ووتن» (Barbara Wootton Laments for Economics)، تُعند فيه علم الاقتصاد. شدة لم أدرك أيضاً مدى كرمه معي. إذ أعطاني ساعتين أو ثلاث ساعات من وقته



وعلى هذه المعاملة اللطيفة، إذ اعتبرت مثل هذه الدعوة للثاء عملاً طيباً من رئيس مجلس نزيل حديد سوف يصمم للقسم بعد سواب قليلة، ولم أقدّر هذا لكرم منه إلا بعد أن رأيت كثيرين غيره، من أساتذة الجامعة أو غيرهم، وكيف يعاملون زملاءهم لصغار وغيرهم أيضاً

بعد عودتي من العنة كثرت مناسبات لقاءنا، حتى بعد أن برك هو حقوق على شمس إلى صاحب أعلى، وخاصة في الدورات والمؤتمرات الكثيرة، التي تناول مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وكذلك في المجلس الأعلى للعلوم الاجتماعية، وفي جمعية الاقتصاد والتشريع. أذكر مرة أنه قال لي تعليقاً على أحد المؤتمرات التي كانت مخصصة وقبها تحت شعار إصلاح التعليم في مصر، وسط صخب كثير ودعاية واسعة، وسأحرام كل هذا الصخب والإعجاب على مؤتمري لا يرى أي داع له، «يهمهم لو فتحوا أي درج في أي مكتب بوزارة التعليم، لأنه أهم سيحلون بغيره كل الإحراجات المطروحة عليه لإصلاح التعليم في مصر، دون أي حاجة لمؤتمري جدد»

كنت لاحظ عليه، بعكس غيره من الأساتذة، إذا رأته في كلية الحقوق أو في جمعية الاقتصاد والتشريع، أنه كثيراً ما يضع يده في جيبه ليخرج ورقة نقدية يدهسها في يده هذا القماش أو ذلك، فيلهج الغرض بالشاء عنه ويدعوه بطول العمر، فإذا جاءه تلميذ يسأله عن كتاب به أعطاه به نسخة كهديّة، وإذا هم يركوب سيارته، يجلس بجوار السائق لا في المقعد الخلفي. كيف كان كتابه المقرر على الطلبة أصغر الكتب حجمًا، وأقلهم سعرًا

ثم شهدته يسرح نبالاً لرئيس جامعة القاهرة، ثم رئيساً لها، ثم وزيراً للتعليم، في أعقاب هزيمته ١٩٦٧، عند شكل عبد الناصر حكومة تضم بعض الرجال الذين يسمعون بسمعة طيبة لدى الناس، من حيث أسرة واستقلال لراي ثم تتعمد جميعاً وهو يقوم بنشاط غير عادي كوزير ومحاول الإصلاح، فعمل، حيث رضى عنه. شارك كل شيء على ما هو عليه، ثم يستقل، أو بالأحرى يحس على الاستقالة، عندما يصبح الإصلاح مستحلاً. ولكنه لم يوجه حاساً عندما بدأ

يكتب تلك المقالات الرائعة في جريدة شعب متعمداً ساعداً آخر في مساهمة حكومات السادات المتعاقبة، وبه إلى ضرورة الإصلاح في مجال معد آخر من محاولات حياة السياسة أو الاحتياطة أو الاقتصاد

كانت تعاودني الدهشة كلما قرأت مقالاً جديداً له، من كل هذه بصلالة التي تكسرها أقصى درجات الهدوء وهذا الأدب الجم كان يبدأ المقادير هادئاً فيأثر أكثر الموصوعات سخوة مناقشة العالم الرصين فيعده الحجاج التي يؤيد رأيه، ولا يبدو عاصفاً أو ساحطاً، وإن يبدو فقط وكأنه فكر مد في الأمر وانتهى إلى هذا الرأي الذي يطرأه، فإذا مثلاً وقد انتهت من قراءة حجة فذامت تلك العصب، على الدم في عروقك، وصررت كتب بكتب مسجهاً من كل هذه الحجج الواضحة كأنهم لم تغلب نظر أولى الأمر وتعجب أيضاً من أن يؤدي هذا الهدوء السام وهذا التحسين المطلق الرصين إلى كل هذه المشاعر القبيحة لدى القارئ، وكل هذا السخط على ما آل إليه الحال

كان يبدو وكأن مجموعة من المبادئ الأخلاقية والعمالية استمرت في دمه ولا يستطيع أن يساهم في نظره من السهوليات ودهشة ألا يراها الناس كذلك من هذه السهوليات مثلاً أن بورراء حميم مسئولون مسئولية ثمانية عما يفعله بغيره البورراء ورئيس بورراء ليس هناك شخص أكثر من أن يقال به أخطأ إذا أخطأ، لا فائدة من جميع المال إذا جاء عن طريق غير شريف حاجة الإنسان إلى المال هي في الحقيقة محدودة، فحاجات الإنسان الحقيقية قليلة لا يمكن أن ترفع المصعب الكبير شخص صغيراً، ولا الخروح من المصعب يجعلك كبيراً صغيراً إذا قتت تعمل لأن هذا هو ما أعلاه عليك صمبرك من يرينك شرف بثرة الناس بعملك، ولن يقلل من شرفك أن أحد لم يشكره أو يذكركه لا فائدة من القسطه وعدو الصوب في قول الحق، لأن الحق واضح نفسه، ولا يحتاج إلى مكر لتبصر

وهكذا كان بعد حدثنا الدكتور حمدي مرده المرة بعد الأخرى، ثماني تذكره الناس بأشياء كانت في الماضي تعامل كذبهات ثم سبها الجميع، مثل أن الجماعة مكان تلقى العدم وتوصيه للناس وليس لتحقيق المرح، أو أن القراءات المهمة في

حياة البلد يجب أن تعرض على الناس للمناقشة قبل اتخاذها، أو أن الوزير لدى  
تُعطي هدية من دولة أجنبية يجب ألا يحتفظ بهذه الهدية لنفسه من عبثه أن يسلمها  
لذوله لأنه لم يحصل عليها لشخصه بل بحكم منصبه، أو أن الوزير انتظف أفضل  
من الوزير غير لطيف، أو أن الرعم بالتصديق سفيد شاقص مع تعييد حرية  
لصحافه إلى آخر هذه الديدنهات التي يراف حلمي مراد واصحة كالشمس  
ويرفض القول بأنها من محدثات الماضي وأن عليه أن يساها

عُرض عليه بوزرة في وف عصب (١٩٦٨) فقلها لأن تقلد الوزارة في رأيه  
خدمة عامة وفرصة للإصلاح لا يمكن أن ترفض، مع أن غيره من كان لهم مثل  
معدنه ومراحه وهدنه ومقصوا لوزرة إينار الهدوء والسلامة قبل لوزرة وهو  
يعرف في قردة نفسه أنه لن يعمر فيها طويلا وقبله خرج من بوزرة مفتي دسوان  
الذي به نفس معدن حلمي مراد وبواسته وصلاته، لأسباب شبيهة جدًا لأسباب  
التي أخرجت حلمي مراد من الوزارة والذي عيه وزيراً كان أقوى رجل في مصر،  
لم تشهد مصر في تاريخها حديث من كان يثير ارهية والخوف مثله فرأى حلمي  
مراد أحد الوزراء، وهو وزير العدل، يتصرف على بحر لا يرضى حلمي مراد عنه،  
إذ أخرج الكثير من القصة من مناصبههم ظلما وتلف لصاحب السلطة فاعرض  
حلمي مراد وهو وزير التعليم، مسألة عيد ناصر باستعراش شديد عما يحره إلى  
البدل فيما لا يبينه، على أساس أنه وزير التعليم وهذا أمر يتعلق بالقضاء ووزارة  
العدل سمعنا رقتهم أن جمال عبد الناصر في هذه المسألة، أو في مسألة أخرى  
يكنم فيها أيضاً حلمي مراد بما لا يعجبه. أعلن الملك ابدى أمامه وخرج من مجلس  
الوزراء عاصبا وهسر حلمي مراد هذا الذي حدث، التفسير بصحيح، وهو أنه  
دليل على أن رئيس السلطة التنفيذية الذي اختاره وزير الم يعد راضيا عنه. وأن  
عنه به على ذلك، واحتراما لنفسه أيضاً، أن يقدم استقالته ولكن لمسانة لم يكن  
بهذه الساطة فالخروج من الوزارة لم يكن سهولة الدخول فيها، ولعصر لم يكن  
عصر استقالات، بل إن من يختلف مع الرئيس لم يكن مسموح له بالاستقالة، بل  
يجب أن ينظر حتى يصدو قرار بمقالته، فلا تمتع بشرف بمؤسسه حق الاعتراض  
والاستمارة

لأكثر مدعاه للإعجاب هو مصروف حلمي مراد بعد ذلك، فإنه لم يحاول قط، طوال العشرين عاماً التي تمت هذا الحادث، أن يستعلم بصلاحته، مع أن هذه كان من سهّل الأمور بعد أن نزل كل شيء بعد وفاته عبد المنصور رأب على عصف سم يحظر سأل حلمي مراد قط أن يستعلم هذا الحادث لتتقرب من الحكام لحد، بل ولا أذكر أنه قد ألقى شيء تنصص افتتاحاً أو رهوا عواقبه وشجاعت. كل ما صعب أنه كلما حاول أحد أن يصور هذا الحادث على غير حقيقته، رد عليه حلمي مراد بهدوء كامل، وإيجاز شديد يتفق مع معززة الشديدي من أن يصاحبه بتصرف نداء به يديهها وطبيعياً تماماً

كان رجلاً مسقيماً بأجمل معنى هذه الكلمة، وكان ما رأيته من مواقفه من السلطة وحيرة للسلطة معه يذكرني بالمثل الشعبي الجميل « مش دوعري يختر عدوك منك » ولكن هذه الاستقامة كانت تدور لي أيضاً وكأنها لا تكفه أي جهد، ومن ثم كان يبدو لي دائماً بعيداً وراضياً عما في نفسه فكيف « لا يختار عدوه فيه ؟ » إذاً الذي كان يمكن فهمه لحلمي مراد كوسيلة لإعراجه؟ وما الذي كان يمكن أن يصع لإحاطته؟



أما الدكتور إسماعيل عائم فلا أستطيع أن أرفع أن علاقتي به كانت علاقة صداقة حميمة، ومع ذلك فإنه من الأشخاص الذين لا اكف من حين لآخر عن تذكرهم رغم مرور أكثر من ربع قرن على وفاته، ولا أندكره دون أن أشعر بالأسف لفقده

كانت بداية معرفتي به بسبب علاقة رسمية بحتة، فقد كان أستاذاً في حقوق عين شمس عندما تم تحقيقتي به مدرسا صغيراً كان يكبرني بسحو اثني عشر عاماً، وقد دهشت دهشة عظيمة عندما رأيته لأول مرة - كان اسمه يتردد ذكره في هوامش كتب القانون المدني وأنا تلميذ في كلية الحقوق، فاستقر في ذهني أنه أستاذ قديم محجور، كما تصور الشخص عده شخصاً مشهوراً لا يكف اسمه عن التردد في الصحف والكتب - بعد أن أحد اسمي « شاما » في مطلع الأربعينيات، وسبباً بحيف ورفقا، ثم وحدته رجلاً عصراً متروحاً من هوليديه وهو اظاً على قراءة لمحات و بصحف

الأجسة، وقد نهى لاهتمام بالحلقات لأيدولوجية من مسار المصري والنمى، مما كان لا يتفق مع بصورة التى أحملها فى ذهنى لنبينون النمى الذى كان شير فى نفسى معنى الترمت بل وثقل اسم

بم يخص أكثر من عامين أو ثلاثة على اسحاقى مدرسا باىكلية حتى عين إسماعيل عام عميدا به، هارتاح الجميع لتعبيه، إذ كان إسماعيل عام يتمتع بالاحترام المعتنط بالحلب من الجميع، وبم أسمع للمبدا من بلائمه يتكلم عنه دون أن يشيد بمصله وكفاءته كمحاضر كنت أشاهده أيضا وهو يراقب التلاخذ فى الامتحان تلك الخفة بهائلة التى تضم الآلاف المؤلفة من الطلبة، فلف نظرى بعد صبره مع من يحدون العشر، إذ يعلى دمه ويروح ويخى، فى عصبية ظاهرة فى محوله مسخمية مع العشر، بينما عيل معظم الأستاذة إلى إراحة أنفسهم برك مسئولة لرافقة بنى المدرسين المعيين من المدارس الثانوية، ويشغلون فى الحديث مع ملائهم أو فى صحیح مروعات كشم

بدلى إلى من السدانة أنه من نوع مختلف وقد تأكدنى ذلك على مر الأيام فبعد شغل منصب العمادة حاول أن يرسى بعض استقاليده الخاصة التى كان بأسف عى صبياعهم. وحاول أن يبدأ العام الدراسى بإدخال نوع من المراسم تكسب الدراسة الجامعية بعض القداسة المفقودة، بأن يدخل العميد فى صحبة الأستاذ بنى اسدح، فى أول محاضرة لكل أستاذ، وكلاهما يرتدى الزوب الجامعى، فيقدم الأستاذ للتلاميذ ويحثهم على الخلة والنشاط

كان هذا فى ١٩٦٦، وكان عام كئيبا فى تاريخ سببه المصرية دشر فترة طوييه من أكثر هراب التاريخ لمصرى كانه، ولكن لم يكن يدرك ذلك بعد كد من أكثر أعوام الناصرية شدة فى النظم البوليسى وتقييد الحريات وكاسب الاشرائية العربية قد أصبح مقرر معروضا على جميع الكليات الجامعية، حتى الطب والهندسة، وكنت أقوم بتدريسها فى كلية الحقوق بمحضر احتشادى، حيث كنت أعتبر نفسى اشتراك ولدى ما أخويه فى الأمر كان سماعيل عام بدون شك داميول شراكه حقيقيه أيضا، وداعلاوت فوييه بعض ايساريين المصريين دون أن يكون له نشاط

سببى فقال أو عَصَوْنِى أَى من الحركات اليسارية وكان لا يطبق بعض الأساتذة الذين كانوا يهدرون بأنهم ذوو ميوز دينية والذين كان إسماعيل عزم يرى فيهم ، نحن ، عاقلاً يحصرون به بوارع مجارية ومادية بحتة

ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ ، وكذا شعورنا بجماعة للهزيمة شعور يَمُرُّ العَص ، أستاذة وصلات ، ولم تحس بصعقة شعور على انهزيمة حتى اشتعلت الحامية بالإصرار ، واضطر عند الضرورة إلى إعلان الحاميات ، وأصدر أثناء هذا الإعلان بياناً شهير باسمه بيان ٣٠ مارس ، فى محاولة للتهنئة وبعث بعض الأمل فى الناس فى أن ثمة بعضاً اسعدت فى طريقة الحكم . ثم أعلن أن الحاميات سوف تفتح يوم السبت ، ودعت كل كلية اساتذتها للاجتماع فى إعدادة فتح الحاميات ، سوجيه من الحكومة ، سلق الأستاذة طريقه تعاملهم مع الطلبة وضرورة قيامهم بتهنئة التلاميذ ولحفاطة علم الضم . كان الأمر يدعو دافعا للثناء والعبس فساد ٣٠ مارس نادى مجرد حلة مكشوفة لانتصاف عصب الدم ، وأنه لا يقصده أى تعبير حدى . كما بذت لى تلك الحاميات مع الأستاذة مجرد مثل جديد دحار له الحكومة إرهاب الأستاذة وصمان سكوتهم عن الحق

كان إسماعيل عزم لا يركب عسدا للكلية عندما وصلتى دعوه إلى حضور الاجتماع ففرت بلا تردد عدم الذهاب . وكان عزمى عن الاجتماع كذا لئلا يثاره على ثورة عظيمه . دعائى لذهاب من أليت إلى مكتبه على الفور ، وإذابى أجده يمدنى معاملة المعيد الواحد من المزمين وقد سعى كل شىء ، العلاقة شخصية والظروف السياسية ، ولا يسيطر على ذهبه إلا أمر واحد مدرس بالكنية مختلف عن حضور اجتماع دى إليه لعدم كنى دورى فى ثورة على طريقة معاملة داره الجامعة للأستاذة . وبررت عيايى بأنى كنت أعرف بالصط سب الاجتماع ، وهو إصدار الأوامر بس عن طريقة لتعاض المصنوعة مع الطلبة ، ونى أرفض ذلك ، وأردت قائلا : «إنما لم نعد قادري على النظر إلى ظلمتنا وجهه لوجه» وفوجئت برده العزى الذى بين حلاصه وصده «هزه أنت تروحك دأنى الذى فشى قادر تواجه عيوب الطلبة ، ما كذا عندما نفس الشعور؟»

كان في حجرة العميد شحخص آخر يحاول التهذبة، هو الدكتور محمد حافظ عام، وكان وقتها وكلا للكلية ودق التدفون أثناء المشقة، فالتقط العميد السماعة وتحدثي الدكتور حافظ عام حاشا محاولا إقناعي بعدم الاسترسال في مناقشة العميد وإذا بصوت عميد وهو يتحدث في البليصون يبدو عليه حاجة الاهتمام الشديد، ثم يدعو الدكتور حافظ عام إلى نقاط السماعة إذ إن المكثفة به، والمكتمل من رئاسة الجمهورية

كان عند الناصر وقتها يشكل وررة جديدة يحاول أن يدخل فيها بعض الأسماء جديدة التي تتمتع شعبية وتقدير عام، ومن المعروف بالنسبة والاستقامة واستقلال الرأي، حتى ولو كان في استقلالهم بيهذا انفرادة مألوف، في محاولة منه تهذبة الرأي العام، وكانت هذه الفكرة هي التي أدت إلى دخول الدكتور حلمي مراد إلى الوزارة لأول مرة كانت هذه الفكرة أيضا انسب في هذه المكالمة التليفونية التي تمت في مكتب إسماعيل عام أثناء وجودي به وقد تناقل السمع بعد ذلك قصة طريقة اعتقد أنها صحيحة، وهي أن عهد الناصر أثناء اختياره للوراء حدد عبر عن رغبته في أن يدخل لوزارة أعظم نتائج الحقوق، دون أن يلتفت إلى أن في كلية الحقوق عامين وليس عمى واحدا، العميد والوكيل وأعلب الظن أنه كان يقصد إسماعيل عام، فهو، وليس الدكتور حافظ عام، المعروف بميله الاشتراكية وباستقلاله في الرأي ولكن لانسب به عرضت انوار على لوكيل دون العميد، وشاهدت الدكتور حافظ عام تناول سماعة مرتعش اليد ثم يرتعش صوته وهو يسأل المكتمل عن طريقة الدخول إلى القصر الجمهوري، كان هذا الخطأ، إذ صاحب الرواية، هو انسب في وجود الدكتور حافظ عام لمحو عشرة أعوام في أعلى مستويات السلطة، فقد نقل من وزارة لأخرى، ومن عهد عبد الناصر إلى عهد السادات، وانتهى به الأمر إلى أن يصبح المسئول الأول عن الاتحاد الاشتراكي، دون أن يترك في الواقع أي أثر على الحياة السياسية للبلاد، فقد عرفت عنه الطعنة الدائمة للممكنين الحقيقيين بزمام الحكم.

أما إسماعيل عام فقد ترقى في عهد عبد الناصر من عميد لكلية إلى وكيل ثم

مدير الجامعة عن شعبين، وكان شعوري وقتها أنه أكره بكثير من أن يشعل هذه لمناصب الإدارية مهما كان شأنها، في وقت كان يستحيل على شخص برعب رغبة حقيقية في الإصلاح، مثل إسماعيل عام، أن يكون له أثر يذكر في ظل سيطرة الباحث العامة والمحاضرات وقصة عبد الناصر ورجاله الحديدية. وقد قلبت مثل ذلك عندما ذهبت لتنهضت في مكتبه عند بحسه وكيلا للجامعة، فكان رده أنه كان يتوقع بالطبع أن سأقرب مثل هذا الكلام. كان الرجل يعتفد مخلصاً أنه أنا كان اعصر أص على انعام الذي تدار به السند فإن علينا ألا نعصر أية فرصة تساح لنا للإصلاح «من الداخل»، وأن عملاً وحداً إيجابياً يقوم به في موقع هام أفضل مائة مرة من الاكتفاء بنقد نظام من خارجه، ثم القول تشف فيما بعد «ألم أقل لكم؟». وري كان الرجل على صواب، ولكن من المؤكدة أنه هو نفسه اضطر، في العداون عن رأيي مع تكرار حبه الأمل، المرة بعد الأخرى.

حدثت وهو وكيل للجامعة حادثة ذات معنى، إذ سقى بعض الصوء على طيبة النظام في السنوات الأخيرة من عهد عبد ناصر، وعلى شخصية إسماعيل عام. كاتب الحكومة لاتزال مصورة على تدريس مقرر الاشتراكية العربية وفيه المبررات التي سبب به «قومية»، كالمجمع العربي والنظم العاوسي. وكنت قد قمت بتدريس الاشتراكية العربية في كلية الحقوق خلال السنوات الثلاث السابقة على حرب ١٩٦٧. ثم حدثت الهرجة ولم أعد تصور أن أدخل إلى المدرج لأحاضر التلاميذ عن مزايا الاشتراكية، في وقت كان قد اسفر شعوري مع عدد عفير من الناس على أنه لا صلاح بلبل، دا استمر نظام عبد ناصر في ديكتاتوريته. كان اسم عمل عام عصوا في المنحة التي يختار لقدمين بتدريس المقررات القومية وقررت المنحة أن أقوم بتدريس الاشتراكية في كلتين آخرين عن كلية الحقوق، ولكنني اضطررت عن تدريسه في الكليات جميعاً، في ذلك كلتي وأذكر أن إسماعيل عام سأني وقتها مونحاً عن صب اعتدائي، فقلت «لأصبأ أندولوجية». ولم تعجه الإحانة ولكنه لم يحاول إقناعي.

تحويت قصة إسماعيل عام إلى ما يشبه الكوميديا في عصر السادات بعد أيام



عبد الصمد الدارما، وقل أن انتهى حياته فحالة بهانة مأساوية في الكويت. قصص  
 سرايات السادات لأوسى، التي كان مرن حلالها ستعين بعض دوى الكفاءة  
 والإخلاص، عين إسماعيل عديم وريثاً لثقافته وقصص الرجل بصحة شهور بدرس  
 شوب الوودة حتى اكتشف أن حجم مصاديقها، ولا عيب لتمثيل والمثلات في  
 تعاملهم مع القطع اعديم، كسر بكسر من قدرته على الإصلاح، فذهب إلى  
 السادات طالب إعفاء من الوودة وإعادته إلى الجامعة فصل السادات وعيه مديراً  
 للجامعة عين شمس وظل إسماعيل عام أنه يدع يهود إلى مكان عكس فيه أن  
 يدرس بعض الاستقلال، فإذا برميل هديم نه في كفيه لحقوق، يتمتع باحتقاره  
 واحتقر غيره، عين وريثاً للتعظيم العالي ويرأس بذلك المجلس الأعلى للجامعة  
 ثم يش إسماعيل عام وغيره من مديري الجامعات ويصبح أي فرصة لإصلاح  
 الجامعة. عين عزم عين إسماعيل عديم بعد سوب قليلة أن يشعل هو مصف  
 وريث التعليم العالي لم يرد في قوله، إذ رأى، عين حد قوله بي، أن من الأهون  
 عليه أن يكون هو الوزير من أن يخصص لثلاثة وريث أهوح لا يحمل له أي احترام  
 على أن هذه أيضاً لم تدم طويلاً، إذ مر عاب ما تيير به من جديد امتحالة تعاونه مع  
 الحكومة، فاستعنت الحكومة عن خدماته وعاد من جديد أستاذ في كلية الحقوق  
 مألته مرة عن مسب غضب الحكومة عليه وتركه لوررة بهاتيا فروى ل عدد من  
 القصص من بينها القصة التالية تتي يستحيل على سياتها

كان يجلس في مكتبه، وريث للتعظيم العالي، وقد بدأ يحس بعدم ارتياح  
 الجهات، لعبه له عما في ذلك وريث الداحلة الذي كان يساوره الشك في أن  
 إسماعيل عام يحسن اتجاهات بإربة أكثر من اللازم، وبس صارم بالدرجة  
 اللازمة مع الطلبة الثائرين ضد حككم واتصل به تقيويبا وكيه العديم المتكثور  
 حفظ عام الذي كان قد أصبح مشغولا عن الاتحاد الاشتراكي بحره عن اجتماع  
 سوف يجري عقده من قرية الرئيس ومن العلماء المصريين في الخارج الذين جاءوا  
 إلى مؤتمر في مصر وحبوب إسماعيل عام الاعتذار عن حضوره لاجتماع فقال  
 حافظ عام إن هذا مستحيل وهو وريث لتعليم وذهب الوزير على مصص إلى  
 الاجتماع حيث ستمع إلى السيدة حيهد السادات تحكى للعلماء المصريين مصه

دوت يسها وبين هري كيسجر كانت تحوهم دفتحر شديد كيف أبها استطاعت  
 بمهارة الحصول من هري كيسجر على ترع بضعة ملايين من الدولارات مؤسسة  
 اوفاء والأمل، إذ قلب كيسجر إن مساعدة أمريكا لإسرائيل خلال حرب ١٩٧٣  
 قد كلفتها الكثير نسب كثرة عند الموقوفين، فودا بكيستجر يرسل لها، بمجرد عودته  
 إلى أمريكا، شيكا بضعة ملايين من الدولارات شعر إسماعيل غلام بالاشمئزاز  
 الشديد، ولكنه لم يستطع أن يمس بحرف، بل اكتفى بأن طأطأ رأسه ناظر إلى  
 لأرض ثم رفع رأسه ليصر كيف كان وقع القصة على الحاضرين هدا به يجد  
 الجمع ينسرب ابتداء عريضة، يعبرون بها عن إعجابهم بشديد بمهارة السيدة  
 جهان ووطنها. ولكنه لمع بصف وجه لسدة جهان الذي تبين منه أنها لاحظت أنه  
 لم يشعر بنفس الإعجاب بذى يشعر به الباقون بل زاد اطمين بلة أنه ما إن يعبر  
 الموضوع وبدأت ماقشة مشكلات العلماء لمصريين بالخارج حتى انسجج إسماعيل  
 عام نائرا على أحد الآراء المطروحة، مفرجا بذلك عن شعوره بالاضغاضع عما كانت  
 تقوله روحه لرئيس مند خطاط، وبان انه بفضله اتجاهها محلها نغما ساء دلت  
 أيضا قوينة الوئيس د تسست ثورته في تفكيره وصعو الاجتماع الذي كانت ترعه  
 وتضمنه معهم

سأته أيضا ضاحكًا عما إذا كان لمصب الوزارة أية مبرة كانت تكفي لأن يتمسك  
 به فإن إن لمصب لوزير ميرتير رحيدين الأولى. تنعق «بالطاط» إذ يحصص  
 لكل وزير، عدا السارة أو الساراتين حكومتين، والسائق الخاص، شخص  
 آخر يعرف «الطاط»، وهو شخص يجلس إلى جوار السائق ويتحضر مهمته في  
 القفز من سيارة قبل وفوقه لكي يفتح للوزير الباب. قال إن هذا الطاط مع ذلك  
 مسب له مشكلة فقد أسهجن، إسماعيل غلام بشدة ان تكون هذه هي كل مهمة  
 الرجل فقر أن يستعيد منه على أي نحو آخر كانت روحه الوزير دائمه الشكوى  
 من أنها لا يستطيع الحصول على رد، فحظر له أن يكتب لخطاط شرائه، فوهر  
 على روجه غناء لوقوف في طابور اجمعية طلب الوزير إن من الخطاط أن يذهب  
 يبحث له عن ريد ثم سعد إلى مكتبه فإد دتليتون يثق بعد ساعة في مكتبه وإد  
 بالتحديث مدير مكتب وزير التموين مستمرا من وزير التعليم العالي «كم كيلو من  
 الريد بلصط يريد؟»

قال إن هناك ميزة أخرى مصب الوزير لا يمكن لتهويين من أمره، ذلك إنه يجلس الوزير في قاعة اجتماعات مجلس الوزراء، وقبل أن يدخل رئيس الوزراء، كثير، ما يأتي موظف إلى الوزير فيحيى هاماً في إيماءة ليحضره بحر ما وصل إلى الجمعية «تعاونة من سلخ، للوزير الأولوية في الحصول عليها، وكان آخر ما يذكره هو شحنة من البطاطين الصينية كاتب قد أرسلت كجزة من معونة صينية لبعض المحتاجين في مصر، فإذا بالموظف سألته عما إذا كان الوزير يرغب في إرسال بعضها إلى بيته

لم نتحمل إسماعيل عام طويلاً العودة كأستاذ في كلية الحقوق، هذا المصعب الربيع اندى كنا جميعاً نعتبره أسمى من أي مصعب آخر، وهو ما فعل كذلك حتى يمر المرء سحرته مثل تجربة إسماعيل عام، لم أذكر أنا مثل هذه التجربة، ولكني أستطيع أن أتصور شعور رجل وصل إلى أعنى لمصعب وأصبح يهدده بدرجة من القرب من مركز اتخاذ القرارات ثم يشن عجزه عن القيام بأي إصلاح بعد هذا قد يبدو أنه الاستمرار في التدريس والبحث من قبيل العبث، إذ ألم يكن الهدف من التدريس والبحث هو الإصلاح في النهاية؟ هما حدوى هذا كله إذا كانت فرصة الإصلاح غير موجودة أصلاً؟ لقد فابتت وزيراً كنت سابقاً مرتباً هذه التجربة ثم أدهم الحصر، ولكن الأكثر حدوثاً هو أن يبحث الرجل المصعب بحبيبة الأمل عن وظيفه مريحة عالية الدخل وقبيلة المنحولات هكذا فعل إسماعيل عام وظيفته مستشار قومي بالكويت، وهو آخر من كنت أتصور أن يقل مثل هذه الوظيفة ولكني فوجئت يوماً بأن أعمل مستشاراً اقتصادياً بالصدوق الكويتي إسماعيل عام، يأتي ليصمم بيما في عمل لا يتطلب جهداً كبيراً ولا ألمعية رائدة، ولكنه مجر مادناً كان هذا في نظري، بدسسه لرجل مثله وهي مثل سبه، عملاً من أعمال الاستسلام وإعلان للباس

لم تمض ستة أو سبعة شهور على التحق إسماعيل عام بالصدوق الكويتي حتى اكتشف أنه مريض بسرطان الرئة، وذهب إلى نيويورك للعلاج ولكنه لم يدم هوياً. وبلغ في الكويت نأربته على عدد آلاف الأميال من وطنه الذي بد كل جهده في أن يفعل شيئاً من أجله فلم يفلح



الشخص الآخر الذي أحسنه حاضرا عن تعرفت عليهم في كلمة المحرق كان عم  
عوض الساعي الوبى في قسم الاقتصاد كان يكرسى نحو عشرة أعوام، بحما  
ردا نشره حديقة السواد وكان يش دائم برؤيتى بل كان شرسا على الدوام لا  
أذكر أنى رأيت يوم متجهما ولا أنه شكالى من شيء كان ككل التوبيخ الذين  
صادفتهم في حياتى قوعا، لا يسوف لا فى الأكل ولا فى الكلام إذا وقع حادث  
سياسى هاج له طنة الكبة ومجوا، ثم يكن عم عوض يعلو عليه بأكثر من حملة  
صعرة يعبر بها عن عجه لما يحدث وقلة فائدته ولكنى لم أشعر قط، مثلما كنت  
أشعر مع غيره، دى مشاعه عن الكلام كان منه احرف، بل كان منه مجرد إدراكه  
النام بقية حيث، وقلة حيلنا جميعا، واعتقده اجارم بأنه لا جدوى من كل ما  
نصع أو نقول اعتد سنى، كلما جاء إلى سنى لعمل من أعمال الكبة أن أعطه  
محموعة من الملاص القديمة، فكان يقبل بسرور ولكن دون أن يظيل عبارات  
الشكر مثلما كان يفعل غيره كنت كلما عت عن الكلمة لذه طويلة ثم أذهب إليها  
متشوقا إلى «متعددة تكريات الماصى، أسأل أول ما أسأل عن عم عوض فلما قبل  
فى مرة «معتش أنت»، كف كان لانه أن أتوقع أن يحدث يوم ما، شعرت بأن ما  
مهما من الأساب الفيلة لذهابى إلى الكلية قد فُقد



(١٣)

## الكويت

- ١ -

في أوائل سنة ١٩٧٣ دعت للاستضاف في مؤتمر الاقتصاديين العرب بالكويت،  
والقاء تعليق فيه عن شحطط في البلاد العربية كنه الدكتور يوسف صبح  
كانت هذه هي أول زيارة لى للكويت، وكنت الكويت في ذلك الأيام تتمتع  
بعادية شديدة نعية العرب، من بينهم لمثقفون ذهب للعمل فيها بعض من كبار  
اشغفين العرب، وجمعت محفلتها الشهيرة «العربي» سمعة طيبة تحت إدارة مثقف  
مصري كسر كن مديرا سابقا لجامعة القاهرة (الدكتور أحمد ركي)، وما كان أكثر ما  
يعقد في الكويت من مؤتمرات وندوات عن مستقبل العرب وموقفهم من إحصارة  
العربية - بح - وإلى جانب هذا كان هناك الطمع الرجاء الشديد مع انحاء في  
الإنهاء

كان المؤتمر جيد الإعداد، وكان الإحدى عليه سحيا أيضا، فحصره عدد كبير حد  
من صغرة المثقفين والعاميين العرب، وخطى تنغطية إعلامية واسعة تريد حتى عنى  
ما تخفى به أمثال هذه المؤتمرات في دولة صغره كالكويت

استقبلت تعليقاتي استقبالا طيبا للغاية، وفاق توقعاتي، ثم فرجت باندكتور زكريا  
عصر الذى كان يعمل وقتئذ في الكويت رئيسا لقسم البحوث في الصندوق  
الكويتي، يلغنى عر صا من رئيس هذا الصندوق، عبد اللطيف الحمد، ملحىء  
للصندوق

جاءنى هذا العرض في يناير أو فبراير ١٩٧٣، في أعقاب حماما وثناء شديدين

سقطت بهما كلمتي في مؤتمر الاقتصاديين، مما صاعف من تقديري لمسى وأثار في عرورا جعلني أرفض العرض بانه وشتم، رغم إجحاح حاميته على بالمول، ومحاولة قوية من جانب لترين احياة في الكويت في نظري كان هذا الرفض يعتبر مدحها حقا بكل من معه، وكان المرتب الذي يحصل عليه امرء، في مثل هذه الحافة، أصعاف ما يحصل عليه مثلي في مصر، وكان أساتذة الجامعة المصريون يكذبون على المحصور على أقل منه، إذ كانت لمرتاب الي يدفعها الصدوق الكويتي أكثر بكثير من مرتبات جامعة الكويت، والعمل فيه عيطة هائلة من التسجيل لا يحققها العمل في معظم المؤسسات الكويتية الأخرى

لم تقص أكثر من ثمانية أشهر حتى نمر موقفي من هذا العرض نعيراً أما هي أكثر من فامت الحرب الشهيرة، وعلى الرغم من شدة تهليل لدى صاحبها لما اعتبر انتصارا عسكريا، أصابني عم شديد بعد أقل من أسبوعين من قيامه، عندما أريب مرتف السادات وإعلان رغبته في اسلام، وقد س أن هناك حطة محكمة لنرفع مصر دعما إلى التصالح مع إسرائيل وهو اعتقاد أكده في نظري الانقيت لمتالية التي عقدها مصر مع إسرائيل حتى مقتل السادات في ١٩٨١

عندما أتذكر لأن كيف اشتدت رعتي في ادهاب للعمل بالكويت في شهور الأخيرة من ١٩٧٣، حتى كنت أرسل برقية تلو الأخرى استعمل لصدوق الكويتي في إرسال تفصيل العرض الذي يعرضونه عليّ، وأحثهم على ترتيب إجراءات سفرى إلى الكويت، عندما أتذكر ذلك لا أستطيع تصميه ما طرأ على موقفي من السفر للعمل في الكويت الامعالمين، وذلك الشعور المؤقت الذي مسطر عليّ خلال أيام مؤتمر الاقتصاديين في الكويت، بالمسألة في قدر مسمى، وشعورى بالإحاط الشديد لما طرأ على الموقف السياسى المصرى فيما يتعلق بعلاقة مصر وإسرائيل.

وصنى العرض المكتوب من الصدوق الكويتي بعد الحاحي في استمجاله، وما أسرع ما أنهت إجراءات السفر في مصر واعتذرت عن لتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة خلال النصف الثانى من العام، حيث كنت قد انتدت للتدريس

بها في ذلك لعام دراسي، وأنتم واجباتي على عجل في كفة حقوقي عن شمس، التي كنت أدرس فيها ممراتي التجارة الخارجية بالإنجليزية، دون حتى أن أحظر العميد أو مدير الجامعة أو أي شخص آخر يسي في السمر. كان عزمي قد انعقد على السمر، ولم أكن أتوقع بالمرّة أن توفّق جامعة عين شمس على إعارتي بلصندوق انكويتي، إذ لم تكن شروط هذه الإعارة متوفرة في حاشي في ذلك الوقت ووظفت نفسي على الاستقالة، إذ لم الأمر عرصت على الجامعة لأمر بكية زيادة مرتبي إذا قررت السفاء، فأجبت بأن من المستحيل على الجامعة أن تعطى مرتباً أساس المراتب الذي سأحصل عليه في الكويت وسافرت مرحة متصلاً بهذه السحرة الجديدة بما على، واتى كنت متلهف على تذوقها ومعرفه كهبها، ورنست مع روحتي كيف تنحق بي في الكويت هي وأطفالي الثلاثة، بعد أحمرها بترتيب مكان للإقامة لنا جميعاً في الكويت، وبعد أن أعثر على مكانين لتي وأكثر الولدين هي مدرسة ملائمة



بعد وصولي إلى الكويت بصعوبة أيام قانت مصر، كان قد أمضى أكثر من عشرين عاماً فيها وأوشك على معادرتها وعودة يهثبا إلى مصر، فألته عن رأيه في الحياة في انكوت، بعد هذه الإقامة الطويلة فقال صاحك «الدخول إلى الكويت كدخول فأر صغير في رحاحه رأى به قطعة كبيرة من الحب، أسال لعبه، وحرى إليها دون أن يفكر فيما إذا كان سيستطيع الخروج من لزجة بعد أن يلتهم قطعة الحب»

وقد شهدت هذا المظر بعيني في مصرى بعد احمر من ذهبوا إلى نكوت مدعوين بالعره في «نكوب» منهم، استخدام لتعبير الشائع في مصر ومنها، وأدى كد يقصد منه توفير الشاب ليلع من اما، لا يستطيع توفيره في مصر، فيمكنه من نزواح أو شراء شقة أو سيارة، أو يودعه في اسك ويحصل من ورائه على عائد يكمل به مرتبه السيط في مصر، ويلجأ إليه إذا طرأ طارئ هنا أكثر المصريين الذين ذهبوا إلى انكوت، دفاع «نكوب» نفس هذا، ولكنهم لم يبتطعوا



الخروج بعد أن الشهموا قطعة الخبز، إذ راد ورهم وترهلت بعوضهم وأعتحت  
شهمهم للمرء، وما كان يدو كتاب في ابدانة لم بعد كافيًا، وما كان كمالًا سهل  
لاستغناء عنه أصبح ضروريًا لا يمكن العيش بدونه

وقد استمررت إقامتي في الكويت أربع سنوات ونصفًا، ولم تعد لي بعد تركي  
بها أي رغبة في العودة إليها إلا خصور مدة أو مؤتمر ليوم أو يومين، ولم يستمر  
سروري بالإقامة بها أكثر من عام واحد بدأت بعده المعصاة. ولكن كان الخروج  
من الكويت بعد عام واحد مستحيلًا، فكنت قد أحترت بيني في مصر لمدة أربع  
سنوات، وأنا الذي كانوا يعدّون التحقوا بمدارس حيدة في الكويت، وبدأوا هم وأهمهم  
يعملون الحياة الحديثة. ولم أكن وأنا على أي حال من صواب ترك كل هذه المزايا  
لمادية الواضحة بعد عام واحد لأسباب قد أكون أنا المسؤول عنها وليس أحد غيري.  
إرداد الطين ثلة بعد سنة أخرى، وتقدمت دستقالاتي، وعرفت على العودة وبو  
صطرت لا استجداء شفه أقيم بها حتى أستعد شي من شأنه. ولكني سحت  
الاستقالة عندما أرسل رئيس الصدوق من سرّصني وحاوّل استعافتي، فقيت  
دون أن تعود إلى راحة المال أو الرضا عن حياتي بالكويت. واستمرت الحال على  
ذلك حتى تلقيت دعوة لقصاء سنة في أمريكا أستاذًا وانثرا بجامعة كاليفورنيا،  
فأمسكت هذه الفرصة بكلها اليدين وانصرفت من الكويت عبر آسف. ولم أندم  
على هذا قط، بل طبت ذكرى تلك السنوات الأربع التي قضيتها في الكويت، كلما  
عادت إلى، تشرى لاستعرااب أكثر من شيء آخر مرغّم أنها لم يحل من بعض  
الأيام السعيدة، خاصة في السنة الأولى، هباني استعرااب كيف انتفضت كل سنة  
الأيام التي قضيتها في الكويت، حلوه تمامًا وبلا أي معنى، وبدأ لي الأمر أقرب  
إلى حال من أعطى حقّة محدرة تلد سسها إحسانه، ففقت أشياء لم يكن من  
انتصروا أن يقبلها بكون في حاله الطبيعية



كان التجدر مناجح بم بحاطه المرء، محجود وصونه، من درجة عاسة جدًا من  
لراحه. ويبدو أن الإنسان لديه استعداد طبيعي للاستجابة التامة لأي شيء يحبه

لراحة ، سواء كان مصعداً أو مشاة مكيفة الهواء ، أو الحصول على أصناف الطعام التي يحبها دون تعب ، أو نوم في مكان بلا ضوضاء ، أو السير في شارع مرصوف رصفاً جيداً ، ومصفاً إضاءة قوية ، فلا يهدئك فيه حفر لا نطعم شيء غير متوقع ، أو اسقوط في حفرة غير مرئية ، أو صرف شيك دون انتظار في طابور ، أو استخدام بلعون لا ينقطع عنه الحرارة أبداً .

كان هذا المستوى لرائع من نراحه هو أول ما يصدرك في الكويت بصرفحتك حتى وصولك على عدد من المساكن الفاخرة للاختيار بينها فتحتار أحسها كلها مكيف الهواء ، ولكنها تحتوي على ثلاثة رائحة ومطبخ مسبح وأثاث مريح متورد كله من الخارج . وتعرض عليك السيارات من مختلف الماركات ، أو ردة من مختلف البلاد لتختار الماركة التي كنت تسمع عن مزاياها في مصر ولا تستطيع اقتناها ، واللون الذي يحبك بالضبط ، فإذا بها أمام بابك بعد ساعه وفواتير الكهرباء ، وتليفون واليه لا تراها أصلاً لأن الصندوق الكويتي يدفع قيمتها بانه عت ولا يحاسبك عليها . ورحصة السيارة وأي ورقة رسمية أخرى لا تحتاج من أجل تحديدها إلا أن ترسلها مع فرائض الصندوق للمستول عن الشؤون الإدارية لكي يعوم باللائم ويعيدها بيتك وانت في مكتب . والعمل المطلوب منك التقيم به بسيط للعناية ، ولا يحتاج لجهد يذكر ، فيمكن إقامته في ساعة أو أقل فتبقى لك بقية ساعات اسهار لتقرأ أو تكتب كما تشاء ، أو سادل زملا لك الحديث في أي موضوع مهم أو غير مهم .

راعى مثلاً بعد سه عملي في الصندوق أيام قليلة ، أن مرّ عليّ زميلي المصري الذي يحتل احجرة المحاوره خجزي ، وكان اقتصادياً كبيراً اذا مقام كبير في مصر . وكنت أعتز به في حكم أستاذ لي بحكم سنه وعلمه ، فعال في منتهى الحذية وهو يشير إليّ بإبهامه نحاسي كبير موهجوع على الأرض بالقرب من المصعد ، وفيه باب أحصر جمين يسقي ويظف بعناية كل صباح ، ألا تعتقد يا خلال أن هذا الإبهام يكون من الأفضل كثيراً لو تحرك عشرين أو ثلاثين سنيمتر إلى اليمين ؟ لم تصدق آدمي أن تصدر هذه العبارة من الأستاذ الكبير ، إذ لاند أن كان لديه من انمراغ

في الوقت واليد، ما يجعلهم يهتم بشيء كهذا، بل وأن يترك مكتبه ويأتي إلى لكي يقول لي ذلك. ولكن الأستاذ كان قد انغص على مجيئه إلى الكويت أربع أو خمس سنوات، فحظرت لي أنا جميعاً لأنني أصبح مثله، دون أن يشعر، بعد انقضاء بضعة شهور أخرى.

لقد تبدل الإحساس ووصل معمول المنحدر إلى أمخ، وكان لابد أن يحدث عن شيء يشعر به بدلاً من كل تلك المشاكل اليومية التي كانت تشغلنا في بلد حقيقي كمصر، أو ليس الكويت بدلاً حقيقياً؟ قد لنا مره أستاذ مصري طريف من عاشوا في الكويت مدة طويلة. إن الكويت تذكره عما كنا نسمعه أحياناً ونحن أطفال إذ يقول أحدهم لأخر: اتعال بلعب مدرسة! أو اتعال بلعب دكتور. ومرضى! هكذا الكويت، هي نظر هذا الأستاذ، مجموعة من الناس فرروا أو سموا، أو فرز لهم أحد أن يلعب، فأنشأوا دونه لها عدم و سلام وطني، و حكومه ويران، وجامعه و مستشفيات، و بوليس و محاكم. إلخ

وأتشبهه بدمع فيه بالطبع، ولكن من الممكن فهم المقصود منه عندما يرى الشوارع الرائعة بالغة الاتساع والمضاءة بضوء باهرة لا يمكن أن تجد لها مثلاً في دولة كمصر، ولكن دون أن ترى شخصاً واحداً يسير فيها، أو مطاعم ومحلات و هادق فاحرة فيها كل ما تجده في مطاعم ومحلات و هادق باريس أو لندن، ولكنك تشعر فيها برحشة شديدة لقلّة من فيها من الناس. رأيت حيثما ذهبت، على الأقل طوال الساعات التي قصيتها في الكويت، تفقد شدة مطر امرأة من أي نوع، و من أي حصة. فكل من تراهم وحال، و هو أمر مشر للاعصاب وبعث بعد فترة على الاكتئاب، سواء أدركت السبب أو لم تدركه.

كنا طبعاً مصططح ساءاً إلى أنسياب العشاء الفاحرة التي كنا نقيمها على السوي على فراش جد قصيرة، بلا ماضية ولا مبيب إلا احتلال وسيدة لحضية ساعات المساء التي لا تجد فيها ما نعمله، وتسليمة وروجات اللاتي لا يجدن ما يمكن عمله حتى في ساعات الصباح، وحقن فرضي لهن لاردها ثوب عالية ومجوهرات ثمينة ليس هنالك أية فرصة أخرى لارتدائها. ولكن احتفاء اسماء عن الشوارع

والمطاعم والمحلات على هذا النحو كان يطعم الحياة اليومية في الكويت بطابع ثقي  
حذا على النفس لا يمكن أن نعوّده الرهابة الممددة

كما تحول العويض عن حبات الخبز في الكويت بعدة أشياء كان المرتب الكبير  
يصل بالطعم في أول كل شهر، ولكنك لا تستطيع قضاء الشهر كله في التفكير في  
صحامة المرتب، وفي عادة حساب مذكرات من جديد كانت هناك أنواع طعام  
الفاخرة التي كانت تفتدها في مصر كالخميري ومختلف أنواع المكسرات المستوردة،  
كالعسل واللوز، كما كان المحلات كل ما يمكن أن تشهيه من سلع لا تستطيع  
شراءها في مصر، لا سيما صنيعة حذا من اسس، من الأثاث الاسكندرية، إلى  
الغلاس ابريسية، إلى الكرسيات التشيكية إلى الأحدث الإيطالية إلخ وكن  
من الممكن بالطبع شغل الأطفال باصطحابهم إلى محلات اللعب المدة التي  
تحتوي على أصحح الألعاب التي تسير بالكهرباء، بل لا بد أن يجعل لب أي طفل  
مهما كان عاقلاً وهناك أيضاً حمامات السباحة في الفنادق بكثرة، التي يمكن  
لأي شخص دخولها طالما دفع رسم الدخول، وهو في متناول أيدي جميعاً  
صحيح أن النحس المحيط بها ليس بحيلة خفيف بل مصروع من نسلاتك،  
وصحيح أن القنصين على حذمهم وحب يحجم على وحوهم البؤس لا يقدّمهم  
لأسرهم التي تركوها في مصر أو سوريا أو لبنان، ولم يأتوا إلى الكويت إلا لنفس  
السبب الذي أتى أيضاً إليها، وبكهم لا يتدفق مرتب يقارب بمرتك، وقد يسكن  
الثلاثة أو الخمسة منهم في حجرة واحدة صفة كل هذا صحيح فضلاً عن أنك لن  
تري امرأة واحدة في حمام المساحة، ولكنك تضمن على الأخص إذا وجدت أطفالك  
إليه، أن تسبهم وتستمع بعض السهجة من سماع صحتهم ومن اشتهاج ووجئت  
لنفس السبب، مما يصرف عن دهمك فكرة أنك قد أدست في حق أولادك وروحت  
معيّنك إلى الكويت

نشأ العرب حفاً، وهو ما قد يصعب أن يدركه من لم يعيش في مكان  
كالكويت لفترة طويلة، هو أن اقرباءه التي كانت تشعل حراً كبيراً من وقتنا في  
قاهرة، أو حتى الاستماع إلى الموسيقى، وهذا ما قد يظن أنك لا بد أن تمارسها

درجة أكثر في بلد الكويت، حيث لدينا الوقت لك في لأن تفعل أي شيء، سوف تجد نفسك أقل رغبة بكثير في مدرستهما كنت من قبل ليس من السهل تفسير ذلك، ولكني أظن أن السبب هو أنه كما أنك لا تستطيع القراءة أو الاستماع في الموسيقى بسهولة في مكان صاحب يعج بالحركة والضوضاء، أو إذا كنت معرضاً في أي لحظة للإزعاج بريدية مدحج أو رنين حرس الثييون، أو إذا سم نكن تشعر بدرجة كافية من الراحة، كما لو كنت في مكان شديد البرودة أو شديد الحرارة، أو لا تجد مقعداً مريحاً لتجلس عليه، إذا كان كل هذا قد يمنع من استماعك في القراءة أو يصعب من وعكك في الاستماع إلى الموسيقى، فرب العكس بالضغط قد يؤدي في نفس النتيجة فالراحة المبرطة وحلو حيثك من أي إثارة أو أي قلق من أي نوع، ورتابة، حبه وحلوه من أي حدث مهم تطلع إلى حدوثه أو تحشي وقوعه، أو عبارة أخرى، حلل أخيراً يومية من أي شيء يمكن أن يرد من قوة اندفاع الدم في عروقك أو سبب لك بعض الإثارة، سواء كانت إثارة محدودة أو مكروهة، يصعب طلب إلى تحد قراراً بحلول من قراءة أو الاستماع إلى موسيقى، ربما هي المشكلة التي تريد أن تجد لها حلاً في الكتب؟ ومن أي نوع من نوع لقيم أو التعب تريد أن تتخلص بالاستماع إلى موسيقى بيانو هادئة؟ رأي عصب شعريه قد ناعلك على بهلته سيمفونية من السيمفونيات<sup>٩</sup>

نعم، قد تقرأ وقد تسمع بعض الموسيقى، ولكن حتى المرة والموسيقى تفقدان في الكويت جزءاً كبيراً من متعتها نفس السبب الذي تفقد منه أمتها مصييح الكهنة، الشوارع، وتعد سبه العادق والمحللات العاجرة، بل وفي كثير من الأحيان أنواع الطعام العاجرة معه، طعمها ونكهتها التي كات لها في بلد آخر كل هذا لم أدركه بوصف طوائف إقامتي بالكويت لم تكن لدى الرغبة، على الأرجح، في الاعتراف به لنفسى أو لغيري، بل كنا جميعاً نبحث عن المرات التي نسمع العقلانية على فرار المدحج إلى الكويت واستمرار الإقامة بها كما أن الراحة المستمرة، كما قلت، تعمل في العقل مثله بعض المحذر الذي يجعل المرء يرى كثيراً من الأشياء على غير حقيقتها سم تصح لي كل هذا إلا بعد أن تركت الكويت

وعدت إليها في ريرت قصير ، بصحة أيام ، حيث سقطت أنزل لمسى «كيف وجدت من الممكن أن أعيش في هذا العدد من السرات؟» بعد أن أدركت هذا أصبح كلما حلت بها طري فكرة ، اسمر من حديد للعمل في إحدى دول الخليج ، بسبب بعض الصعوبات أو المعصبات التي أقابلها في مصر ، أو بسبب عرض جديد يقدم إلى للعمل في إحدى هذه الدول ، أصرف الفكرة عن ذهني بسرعة وسهولة واعتبر ، الأمر مستعداً تاماً ومعتزاً منه

### - ٢ -

كنت هناك معصيات من نوع آخر تتعلق بطبيعة العمل الذي كنت أقوم به في الصندوق الكويتي ، وعلى الأخص كوني أستاذاً جامعياً مصرياً يعمل في مؤسسة كويتية يرأسها شاب كويتي صغير السن ، يحيط به من كل جانب رجال من العرب والأجانب ، يطمحون إلى قضاة أي فرصة قد تتاح لهم للإفادة من لثراء الفاحش لهذا الصندوق ، ولا يمكن اقتضاها إلا بالتقرب من مديره

كان يهمل على الصندوق عدد لا يهائي من الطلبات والعروض ، من مختلف الدول الأوروبية والولايات المتحدة (وأقلها من الدول العربية) ؛ طمع في الحصول على معسم أو آخر من هذا الصندوق الثري ، وشاف أصحابه في اختراع أي وسيلة جديدة لتحويل جزء من أموال الصندوق إلى جيوبهم . كانت تهال بدعوات مثلاً على مدير الصندوق لإلغاء محاضرة في جامعة ما في أمريكا أو أوروبا ، أو أمام حشد من رجال المدن والاقتصاد المرموقين ، أو لتتفضل بلواقفه على أن يصحح عضواً في مجلس إدارة أو مجلس أمناء جامعة مرموقة ما أو هناك ، وكان عرض دائم هو المال ، فما هو أكثر عائداً من كسب موده مدير الصندوق الكويتي الذي يتجاوز رأس ماله مليار دينار كويتي ، أي أكثر من ثلاثة بلايين دولار أمريكي ، عن طريق إحاظته بمختلف أنواع التجميل والاحترام ، والادعاء بأنه ليس هناك من هو أقدر منه على إلغاء محاضرة في موضوع معين ، أو إلغاء الصوة على مشكلة

تصادية صعبة، أو أن المطلوب هو الإفادة من خبرته الواسعة (وهو اشباح المني لا يزال في مقتبل العمر) في إداة هذا المعهد أو بنك الخ؟

كان مدير الصندوق يقع أحياها في الصبح، ويصدق بعض هذه الادعاءات، إذ لا أن من أصعب الأمور على شاب في مثل سنه، وحده نفسه حذاء على رأس هذه المؤسسة الثرية، ومحاطا بأصحاب لا هم لهم إلا تلقاه والثناء عليه، أن يظل محصاً صد كل هذا «لثاق» و لا يحتفظ بآثره ولا يشتط في تقدير نفسه كن المدير كثيرا ما يقوم بحولين هذه الدعاوات والطلبات إلى، باعتباري عصوا هي كن يسمى في الصندوق «إدارة الحوث»، لإبداء الرأي فيما إذا كان من اللائق قبول هذه الدعاوات والطلبات أو رفضها. وكنت أكتب نصيحتي مرفص معظم هذه الدعاوات، متانة لا مصلحة برحى للصندوق، أو لدولة الكويت، أو للعرب من وراء مولها

كان اتحادي لرأي في مثل هذه الأمور سهلاً ولا يسب لي أي عاء، وإذ لم يحظ دائما برضا المدير ولكن حدث مرة ف وجدت من الصعب جداً الوصول إلى قرار بشأنه، وظللت حائر. أتحدث عن الموقف السليم عدة أيام بل وأسابع وتلخص قصه في أن أسناد فلسطيني مرموق في الاقتصاد، ويسمى بشهرة واسمه في العالم العربي (هو الدكتور يوسف صائغ) كان قد تمّ قد مع الصندوق الكويتي فن التحدثي بالصندوق بصنع سوات على تأليف كتاب كبير عن الاقتصاد العربي، وعندم أنه وخدمه للصندوق أحال مدير الصندوق الكتاب إليّ لإبداء الرأي فيه هل استمر في الشروط لثقت عليها؟ هل يستحق المؤلف الآن أن يتسلم بقية المبلغ المستحق له؟ (وكان مبلغا كبيرا جداً بما يميز ذلك الوقت)، وهل أصبح الصندوق مسؤول الطلب الذي تقدم به المؤلف بأن يقدم الصندوق دعماً ماليا لطباعته وشراء بعض نسخة؟ كنت أحدث المعهد بالالتحاق بالصندوق، وكان لإدارة الحوث مدير مصري كان هو الأحدر من حيث منصبه وخبرته بأن يقوم بهذه المهمة، ولكنه كان رجلاً لا يحب المشاكل، فصاح مدير الصندوق بأن أقوم أنا بمهمة تقييم الكتاب بدلا منه وقرأت الكتاب ووجدته لا بأس به ومستوفيا لشروط ولا عصابة فيه إلا شئنا

و هذا استوقفي وهو أنه كان يحتوى على نقد شديد للحالة التعليمية في الكويت  
ثم يكن ثمة خطأ في نظري فيما قاله في ذلك، ولكني شعرت وقتها، بحكم عملي  
في مؤسسة كويتية، وقد طلب من المدير الكويتي أن أقوم بتقييم الكتاب وتقديم  
الصحيح له بالسبوك الواجب إراءه، بأن من وأحيى أب ألقت نظر المدير إلى ما تضمنه  
الكتاب من نقد للكويت عندما أسعبد نفسه في دهمي الآن أعققد في كتب أطلع  
في أهمية الأمر كله، ولو ووجهت بهذا الأمر الآن لا أسعري في التفكير  
والتصرف فيه بصع دفاق

ولكني صحت وقتها من حجم مسؤوليتي، فتصورت من الممكن أن تنشر  
الصحف الكويتية، أو يشر أحد أعضاء مجلس أمنه من قد يكون عدواة لمدير  
الصدوق لأي سبب، ما تضمنه الكتاب من نقد، ويتساءل لماذا يوفق مدير  
الصدوق الكويتي على نشر مثل هذا الكلام عن الكويت؟ وتصورت أن المدير يمكن  
أن ينفذ نفسه أو يعرض لأذى سب ذلك بهجوم لحمل، وأكون أن السبب إذ  
ثم ألقت نظره إلى ما تضمنه الكتاب، مع أنه اتهمى على هذه المهمة لأنه لا يمكن أن  
يقوم بهذه المهمة نفسه لكثرة مشاغبه

لا بد إذن أن ألقت نظره للأمر، هكذا قلت لعمى ولكن كيف أسمح لنفسى  
بأن أقوم بعمل قد يؤدي إلى حذف نقد من الكتاب هو نقد في محبة سنة مائة، ولا  
عبر عليه؟ المعروض من ناحية المد أن يتحمل الصدوق مثل هذا النقد ولا يعترض  
عليه، ولكن المعروض أيضاً أب ألقت نظر المدير إليه يتحدد هو القرار بشأنه. ولعل  
نظره إليه سوف يؤدي على لأرجح إلى حذف الحقيقة وإحسانها هما الذي يمكن  
أن أفهم؟ الصمت خطأ، والكلام سوف يؤدي على الأرجح إلى خطأ انتهت بعد  
عذاب طوبى إلى الخلل الآلى أحررت المدير بالأمر وبصحة بإعطاء المؤلف معة  
المبلغ المستحق له على التأنيب، ولكن فله حيره بين أمرين إذ أراد أن يقرم  
الصدوق بالإبقاء على صفة فعلية أن يجري التعديل على بعض الفقرات المتعلقة  
بنقد الحالة التعليمية في الكويت، ولكن من حقه أن يبقى الكتاب على ما هو عليه  
دون تغيير إذ قبل أن تتحمل نفسه بمعدات الطبع أو أن بحث نفسه عن دأثر لم



أكن راضيا تماما عن هذا حل ولكنى وجدته أفضل لحلول لمشكلة. ووافق عليه اسير ، وعرضته على المؤلف فحضر أن بحري التعديل يلزم في معامل أن يعنى الصندوق على صاعته وبدعم عملية الشر عندما واجهت المؤلف بفراسي رأيت علامات الأسف على وجهه وشعرت أناسعس الخجل وأظن أنني لو وجهت تلك لمشكلة الآن لما قمت بلمت بصر اسير إلى ذلك النقد

رأيت في الصندوق الكويشي أيضاً ما أثار دهشتي لشديده، إذ لم تكن لي خبرة مثل هذا من قبل وحبب أملا غامضا كان لدى عندما بدأت بعمل منه كان الصندوق قد صاعف رأس ماله إلى ثلاثة أمثاله ما كان عنه، كما سبق قد ذكرت، قبل انصافى إليه، فأصبح يربو على ثلاثة ملايين دولار، وهو مبلغ يسمح بشمول العديد من المشروعات الكبيرة والمؤثرة في عدة بلاد عربية، كما يمرى بشهد المهمة وإطلاق عدد للحيال. ولكن المؤسسة عربية ثرية تحقيقه لتحقيق بعض الأموال العربية التي طال لتسوق لتحقيقها أتم يكن من الممكن مثالا محاولة بصورة إستراتيجية لتمويل مشروعات تزيد من ربط لعرب بعضهم بعض بدلا من زيادة تمككهم؟ أو لنهوض باحث العلمى، أو لتحقيق عمل مشر للتكنولوجيا المتقدمة على نحو يتفق مع الحاجات الحقيقية للعرب إلح؟

اسير طهرى للأسف بعد شهور قليلة من بدء عملى بالصندوق، أن انصندوق الكويشي لسبب أو آخر يسير وراء السك اندوى خطوة خطوة، يسلمهم منه الأفكار ويسير في مكانه، ولا يجوز على اتحاد خطوة من شأنه إعصانه، بل يقع الصندوق ماله حول كشرليك صعبر للسك الدولي في تمويل المشروعات التي بعثوها السك الدولي انتقاء

عندما انصح لي ذلك تبين لي بوضوح تام أن المبادرة الكبيرة التي حدثت في أسعار المعد (والتي أدت إلى زيادة موارد الصندوق الكويشي) لا تعنى بالمرأة أى زيادة حقيقية في قدرة العرب على تحقيق آمالهم، وأن لقول بأن هذه الزيادة هي أسعار القطع تمثل فرصة ذهبية للعرب لتحقيق بهصنتهم المرجوة كلام لا أساس له من الواقع، طالما استمر هذان العرب لإزادتهم وعجزهم عن اتحاد أى قرار مهم دون

مستثنى عنهم. أما هؤلاء الإرادة وبعجز عن اتخاذ قرار دون استئذان فلابد أنه يرجع إلى أسباب سياسية (بل ونفسية أيضاً) لا علاج له إلا مواجهته بأسبابه، أى أن العلاج لابد أن يكون أيضاً سياسياً ونفسياً

## -٢-

أُدخلت في وصفي في صندوق بكونتي بعض الفرض الذهبية برونه بلاد لا أظن أني كتب سأحظى برؤيته بولا عملي بالكوييت كان الصندوق يرسل البعثة بعد الأخرى إلى البلاد التي يريد تقديم المساعدة المالية لها وكنت هذه المساعدة مقصورة في البداية على البلاد العربية، ثم اتسع نطاقها وشملت كل البلاد الفقيرة في إفريقيا وآسيا، بعد أن أدى ارتفاع أسعار الثروة في ٧٣ و ١٩٧٤ إلى تصاعف إيرادات الكويت، وبصاف رأس مال صندوق الكويتي

لم يمض عام على التحدي بالبعد في الصندوق حتى عرّض على رئيسه أن أسافر معه وزميل آخر كويتي صندوق في زيارة بسعة بلاد آسيوية بسططلع فيها حاجات هذه البلاد للمعمورة، وبحتر بعض المشروعات لتمويلها قال لي إن لسفر سيكون بطائرة خاصة، لا تنبع إلا بسعة شخص، وإن المسافر الوحيد عليها هم بعض الثلاثة بالإضافة إلى طيار عربي وخادم نسبي، وأن مرحلة كلها ستسغرق أكثر من ثلاثة أسابيع كان هذا في أوائل سنة ١٩٧٥، ولم يكن من الممكن أن أرفض عرضاً كهذا، إذ لم أتصور أن نتاح لي فرصة كهذه مرة أخرى في المستقبل صحيح أن البسة المقررة لها في كل بلد لم تكن تزيد على يرمين، ولكن حتى هذه الزيارات السريعة يمكن أن تترك في أسدهن انطاعات قد تنقي مع البرة طوال بعمر وهذا ما حدث معي، هذا جرح من كل دولة بانطاع وفكرة لا تتراب معي حتى الآن

أثرت في نفسي جدية الباكستانيين وحاسهم، أو ما بدا لي كذلك، وحكمة اليهود وراعاتهم، وروح ماليري الشاة وحيوتها، وسنة الإندونيسيين ويأسهم من الإصلاح، وصراحه أمل سعادورة وانصبطهم، ويؤس بحلاديش وعبه

حيلتها، وبراءة أهل بيته وطيبتهم كما لاحظت التفاوت المدهش في توزيع الدخل و الثروة في تنزانيا و بوليفيا، والمحولة الواسعة التي تفصل بين غمط حبه لأعداء و انصاره في كل منهما ولكن حرجت من الرحلة كنهها مكررة أخت على دهي، وهي أن هناك - فيما بدا لي - أتمنى يمكن وضعها بأنها أم عمود وأخرى تنية وهذا التمييز يخلق بانواق النفس لشعب أكثر مما يخلق تاريخها أو نظامها السياسي أو الاقتصادي أو موادها. والدون التي عبرتها دولاً تبة تتقدم بسرعة، أو هي على الأقل مؤهلة للتقدم السريع، بسما الأمم العجور نائمة في مكانها لا تكاد تتحرك، وأنها في التقدم ضعف للعدية

كانت اساكستان وتنزانيا وماليزيا هي دول التي شعرت بأنها «متة»، سماء شعرت بأن الهند وسنغافورة وإندونيسيا وبوليفيا كلها دول عجور ولكن لم أستطع الوصول إلى قرار واضح فيما يتعلق بنمو أو مساهمة، الأولى ربما حسب شرط امر لها عن العالم، وكأن قصة التنمية والتحول لم تسع نالها بعد، والأخرى ربما بسبب أنها مدينة أكثر منها دولة أو أمة

كنت أهم السمات التي دفعتني إلى وصف لمجموعة الأولى بالمتة، هي أن شعوبها بدت لي وكأنها تأخذ الأمور مأخذ الجد، يحاربون عمالي إقناع، يقومون به من أعمال، أو ما يسحبونه من سلع، ويشعرون بالبحر يديقون أعمالهم أما شعوب لمجموعة الأخرى فقد بدا لي وكأنهم يشعرون بأنه «لا شيء بهم»، وكأن لا شيء يسحق منهم بذل الجهد وعمل الجاء، وكأن العمل المتقن ليس أفضل كثيراً من العمل غير المتقن كل شيء سواء. والأمر كله في نهاية الأمر عث في عث

قرب نفسي إن الأمر لا يتعلق بدرجة الدكاء أو الحكمة فمن يدرى، قد يكون من الحكمة حقا ألا يعلق المرء أهمية كبيرة على أي شيء، وقد يكون صحيحاً أنه «لا شيء بهم في نهاية الأمر»، وقد يكون من الدكاء أو اللطمة عدم المبالغة في تقدير النجاح، وألا تعلق أهمية كبيرة على ما لا يستحق كل هذا الاهتمام ولكن قست لنفسى أبصرت إن الدكاء وحكمة شيء، ونهضة والتقدم شيء آخر الأمة العجور قد تكون قد رأت في تاريخها لطويل ما شط همتها، ورسخ ديبها الاعتماد بأنه «لا شيء بهم

في نهضة الأمره . وقد تكون الأمة لغتية ، كما فعل الصغير أو الغنى اليافع ، معرطة في لغتها نفسها وحماستها ، وتفاؤها ، وستكمل الأيام ، على أية حال ، بردها إلى صوابها نعم ، قد تكون الأمة العجور أكثر حكمة حقا ، ولكن المستغل واستخدمهما من نصيب الأم الغنية . كما أن الشباب هم وحدهم أصحاب استقلال

عندما سألت بنسى عم إذا كانت مصر يمكن أن تنصف من بين الأم الغنية أم لعجور؟ لم تكن الإجابة التي ملت إبهام لأور وهلة ماعشة على السورور فالبلاد التي وصفت بأنها عجور كانت قد ذكرى بأمر كثيره في مصر فالمصريون ، إذا جاز التعميم ، يملكون همما يبدو إلى فلسفة فلا شيء يهمهم ولكن سرعان ما طمأن بنسى بعدة أمور فأولا لا يمكن تلخيص أسباب نهضة الأم في عامل واحد بنسى ، كما أن سيادة نهضة عليها في دولة ما لابد أن تكون مرتبطة إلتانطا وثيقا بالتركيب الطبقي للمجتمع وكذلك بالتركيب العمرى للسكان ، وكلا الأمرين ، التركيب الطبقي والعمرى ، يترآان في مصر شعيرات عميقة قد تدفع إلى السطح بطيئة اجتماعية جديدة أكثر حيوية وشاططا ، وأجيال جديده أصغر سنا ومن ثم أشد رعة في التفكير وأكثر تعاؤلا باستقل

كما أن هناك آحر للتناؤل ، إذا نظرنا إلى المصريين كحرة من أمه أكبر ممن بين شعوب العربية ، فيما أرى ، من هو أكثر أفسوة بكثير من المصريين إن المصريين بلا شك لا يقتصهم الذكاء ولا حكمه ولكن الذكاء والحكمة شيء ، كما قلت ، والاستعداد للهو هو شيء آخر وقد يكون مستغل الأمة العربية ككل رهبا عما صنعت له تلك الأجراء من العالم العربى التي تنسم بدرحة أكبر من الفتوة ، حتى إن لم يكن بهم مثل ما للمصريين من تاريخ موعلى في القدم

هكذا بدا لى الأمر في ١٩٧٥ ، أى منذ ثلاثين عاما ، وقد حدث خلال هذه الثلاثين عاما أشياء قد تؤكد صحة فكره ، كالقادم الاقتصادى السريع الذى حدث فى ماليزيا وتايلاند ، ونطه انموه في سجالايش والمليين ، ولكن حدثت أشياء أخرى قد بنو عبارتها مع هذه فكره كالتقدم السريع الذى أجبره بدووب والهد ولكن لا ظن أن معدلات النمو الاقتصادى تكفى لتحكم عما إذا كان هذا

استمير بين اعتقوده والشيخوحة صحيحاً ومفيداً، أو غير صحيح أو مفيد. فهناك  
عوامل أخرى عديدة، خاصة ما علق بها بالظروف الدولية، قد تتعب أثرها على  
نبر الشيخوحة ولفظة

ولكن بصرف النظر عن اختلاف البلاد التي رانته، في درجه الفتوة أو  
لشيخوحة، تركت كل من هذه البلاد في ذهن بعض الانطباعات القوية  
والمذكرات التي ليس من السهل محوها. وسأقتل هنا بعض ملاحظات  
خلال هذه الرحلة الأسبوعية

في الماكستان رأينا العاصمة الجديدة «إسلام آباد» التي أسسها أيوب خان في  
مطلع الستينيات لتحل محل كراتشي، فوجدتها مدينة رائعة اجمالاً، تقع وسط  
حدائق لا نهاية لها، ولكنها أيضاً بلا شخصية ولا تاريخ. وقال لنا نائب وزير  
التخطيط الماكستاني إن من مآزى وجود كل الموارث في إسلام آباد، أن  
الموظفين لا يحتكون بالمحضر كما كانوا يحتكون بهم في كراتشي. ولكنهم، من  
ناحية أخرى، لا يعانون من التعطلات الكثيرة التي تسببها وجود المزارات في وسط  
مدينة مكتظة بالسكان والمشاكل مثل كراتشي

وفي الهند قبل من قبل لارته هم وزير في الحكومة الهندية وهو مسئول عن  
التخطيط. وحل كراتشي وعظم الهبة أيضاً. تتكلم عن التخطيط كما لو كان  
يأخذ في اعتباره حملة أو سه قرون وليس فقط سبواب الخطة الخمس. قال إن من  
حققتهم بهد كبير إذا أخذنا في الاعتبار أن الديمقراطية مسألة لا تحمل النقاش. وفي  
كلامه عن الهند والعرب قل إن العرب يتسه الديناصور في قوته وحروته، أما الهند  
فهي تشه اخذون (snail) بطيئة الحركة ولكنك إذا قطعنها تمت من جديد

كنت قد كتبت قبل ربارسا بهند بشهور قليلة كلمة يلقيها مدير صندوق في  
وطني أمام لجنة التنمية في الاحتشام المشترك صندوق النقد والسك الدولي،  
وبدلت فيها مجهوداً كبيراً للتعبير عن وجهة نظر العالم الثالث. وقد منى المدر  
أنه رارنا للهند، بناء لكثيرين على هذه الكلمة وأدعى بهد الشاء. وفي حملة  
الفردا انكرونيته في ذهني غير ورداء كثيرين عن كانوا قد اسمعو إلى الكلمة، عن

شأنهم عليها، مشكورى المدير مره أخرى عنها ولكن يبدو أن الكلمة أتت كتشبه  
كانت من النوع الذى يعجب على العالم الثالث أكثر من تعجب على الدول العنة،  
مدير الصندوق أصاب بسرة تجمع بين الخد والراح

أمن فضلك يا حلال، عندما نكتب لى كلمة أخرى فى مائة كهده، حاول أن  
تكتب كلمة تُسمى مباشرة بعد إلقتها!

وفى كىبدو عصمة نيبان لا خطأ أن الفرق بين لتوقنت النيبانى وانهدى عشر  
دققت، وقيل لى إن سبب ذلك هو محدود رغبة النيبانيين فى تغيير أنفسهم عن الهد  
وقال فى مستشرق نابغره المصرية فى نيبال (وهى السمارة العربية الوحيدة هناك)  
إن شعور أهل نيبال نحو الهد مثل شعور السوددى نحو مصر إذا أراد السوددى أن  
يفضى لجارة النصف، قصاها فى مصر، وإذا أراد نواح تزوج من مصرية وبى بيت  
فى مصر، وبكى لا يمكن أن يطمش تماماً للمصريين!

سكن نيبان ١٢ مليوناً، وشعبها طيب جداً وسدح جنناً، وعنده روح مرح  
ودعابة رائعة تنتهى المساطة فى المعاملة ولا وجود لمبروقرة طية حجرة الوير  
معروشة كحجرة فى بيت متواضع فى مصر، ويقطعون عنة السجائر على طبق،  
وإذا صحكو صحكوا من قلوبهم ولعت عيونهم وسادهم جميلات وبكى  
العقر قطع متوسط ادخل ٩٠ دولاراً لا يميزون بين الملك والالة أكثر من ٩٠ /  
من السكان يعتمدون على الزراعة (لأنه أن هناك علاقة بين ارتفاع نسبة التصنيع  
وتقل دم شعب) وزعم أن وزير المالية كان زميل مدير الصندوق بكونتى فى  
الدراسة فى الولايات المتحدة فيه عامل على نفس المعاملة التى يبدونها للمدير عيوان  
موظفاً من وزارة الاقتصاد لمرامتها مدعوته إلى العشاء معه فى الفندق فصل بححل  
وعندما جاء الخادم ليعرف طلباتنا كررنا ثلاث مرات على لوطف هل يريد شوية  
أم عصيراً؟ فرد فى المرات الثلاث: "ألف ترون" وهو لا يعرف كيف يستعمل  
الشوكة والسكين ويستخدم السكين فى نقل الطعام إلى فمه وقد رفض من ححل  
أن يأخذ نصيحته أن يأكل بيده كيف شاء

بعد وصوله مباشرة إلى الفندق أخذوا للفرح على مرار لبيد (أذى) ولد فى

بيال)، ورأينا مجموعة من النساء يتمسحن بحجارة المحيطة به. والبلد كله رنج  
احمدل حتى خطر لي أنه يمكن قصه إجابة ممثلة مع أسرتي ثم ورنا المتحف  
وهو يدعو إلى الاستمرار في المصحك، إذ لا يكاد يحتوى على شيء ذي قيمة  
أو جمال، ومع ذلك فهم محذرون به جداً، وسألونا أكثر من مرة قبل محيبت به  
«هل رأيتم المتحف؟» فيه صورة كبيرة قبيحة للعناية للمصنعة فيكوريا، وتذيق حوت  
لم يصطادوه طبعاً في بيال التي ليس لها ممتد إلى البحر ولكن اشعب لطيف  
جداً، مما إن وأنا مع بعض الأولاد بدخل المتحف حتى دخلوا وراءنا ونشوا حول مدير  
المتحف الذي يشرح لنا محبته لكن يسقطوا به بعض المعلومات المصيدة أثناء  
تدولنا الطعام في ممدق اشترك الحادام الذي يقدم لنا الطعام معنا في الكلام، وهو  
ما لم يجرؤ عليه أي حادام في أي بلد آخر مرونا شكنا في السفير المصري في  
بيال من عدم اهتمام حكومته بمسألة بيال، وقال لنا ترسله لجامعة للإعناق  
على القصص العربية في بيال مائة حيه في السنة، وهو ملحق لا يمكن ليويسكي  
وحده. وقال إنهم أرسلوا إليه من اقهره بعض الأفلام عن مصر والبلاد العربية،  
ولكن البصرة لا تملك ثمن جهاز لعرض هذه الأفلام كما ذكر أن الجامعة بعونة  
مرونت هي بولكر المصلي تحصيل ٣٠٠٠ دولار للإعناق على الدعاية للفضية  
العربية، فالتمت السفارة بعض الالتزامات ولكن الملحق لم يصل حتى الآن

وفد لاحظت أن المدير الكويتي في حديثه مع السباليين لم يذكر قط أي قصيدة  
عربية ولا مشكلة إسرائيل، رغم أهميتها في حلة بيال بسبب إقبالهم على التعاون  
مع إسرائيل بسبب أنهم حبيروا في زراعة القطن، ولم تفكر مصر في أن تفعل  
ذلك. المدير يتكلم دائماً بكونيتي، رغم أن من يقابلهم في كثير من هذه البلاد لا  
يعرفون بين الكويتي والعربي، وكان رأي السفير المصري أن أي معونة من الكويت  
سوف يظن أنها معونة من العرب إلى سائر

في ذلك عصمة سخلاديش فايندائيس الجمهورية محبب الرحمن، وهو  
شخص بسيط ومتواضع ولكن يبدو عليه الإرهاق الشديد، وكان الأربعة عشر عاماً  
التي قصها في السجن بركت أثراً كبيراً عنه، فهو ملتفت مترعجاً إلى أقل صوت

يصدر من مساعدته ، يبدو من مقابلة نائب الرئيس بعد الظهر أن هذا النائب قد يكون هو الرجل الأقوى والأكثر اتصالاً بالأحداث والمشكلات ، دعا على رئيس جمهورية الاستثناء عندما قال له مدير الصدوق "إن عندما نحن أيضاً في العالم العربي سجلادث (our Bangladesh) كاييس ومورتايه" وفي كلامه بعد المدير أحد يبحر بلده مستخدماً كلمة "عدى" و"عدى" (I have I have) مشيراً إلى ما في بلده من أناس ومور وأرض وصناعات . . إلخ

في طريق العودة من معاندة رئيس الجمهوريه قنت للمدير "إن لدى فكرة جيدة لماذا لا نرى صدوق فكره الإنفاق في سبل نشر بلعة العربية والثقافة العربية في بلاد آسيا وإفريقيا المثلثة"؟ قال "وهل هذه فكرة جديدة؟" فقد عرضها بعد ريارتنا لإفريقيا على مجلس لوزراء فقيل لنا عرضوها على وزير الأوقاف الذي ركنها ولم يرد"

عد وصولي إلى بحوثك، عاصمه تيلاند، كان في استقبالنا نحو تسعة أو عشرة أشخاص، أحدهم تابلاندى كن وميلا مديا مدير الصدوق ويعمل لأن في منصب مهم بوراة التخطيط، وكان حتى وقت قريب مقرباً جداً من رئيس لوزراء قل أن يسقط ويأتى غيره . كما كان في استقبالنا نحو سبعة أشخاص من المسلمين يمثلون هيئة اسمها مؤثر المعلمين، يقوم بتدريس وشر الدين الإسلامى وعلومه في تابلاند . وقد دعا عليهم فرح شديد بما حيث إن قادمون من بلاد الإسلام الأصيلة ويعرف العربية، وهم محورو ن غا يسفيعيون نطقه من عدد قليل من تكلمات العربية والمسلمون في تيلاند يشكلون نحو ٥ ملايين من بين ٤١ مليوناً (في ١٩٧٤)، وقل لا بهم أقرباء وشاطهم السامى مؤثر، وبهم ١٧ من ٧٥ مقعداً في البرلمان مرة أخرى جفر لى كم يمكن للإسلام أن يكون قوة، كم يمكن مالنا من أصدقاء وحوال هي أركان الأرض لترايمه جعلت مع معصم في عمره كبر الروا متطرفين الحوايات، وقالوا لى إنهم يهمهم جداً أن نقوم بزيارة وعيمهم واستعربوا أنى سم أسمع باسمه من قبل، وقالوا إن كل من يأس من اسلاد العربى ذهب لعدائه ليحصى على بركاته سألت مدير الصدوق عن وأنه في ريارته،



فسأب صديقه نيلاندى الذى أئدى تردد فى الإجابة فقرر المدير الاعتذر «لعدم تدخل فى الأمور السببية»

فى الطريق لمت نظرى حمام ساء نيلاند، وشترهى اناعمه اللامعه، ورثعه احساسه التى يبدو حرصه على إظهارها ارتداء الخونلات القصيرة ونرنا فيه «طل أنه أجمل فدى رأته فى حياى أوريسا (Onera) ويقل عى النهار أول، ما بعى بطرى فيه كثره السات الحمىلات، المعملات فيه، وإساليه على التواتر لاسامات ساء دون ساء، وإدار أو ما تنجد إلى المصعد أسرعت واحدة به لمصط على الرر، وإداحات أخرى تأخذ ملابس المطلوب عليها، بطرت مرة أخرى إلى اوردء هل أن تحفى، لمصطك إسامة حية.

حدا الرميل النيلاندى القديم بعد هذا للحلاقة وأى خلقة صالون يتكور من د. ين ومقسم إلى حجرات صغيره لكل مبه كرسى خلقة واحد، وبها لس إلامبرة، وجدرانها لا تصل بالمصط إلى السقف أو إلى الأرض ولكن لا يرى حد من فى الحجرة المحورة، انهم إلا كعب القبة التى تقوم بالخلقة ذلك ان الخلافه فتاة على درجه هافقه من الجمال، كن أول ما مبعه عندما دخلت أن مررت عى مبه يقم أحمر الشفء ومائسى وهى تصع دراها على كفى. «هن تريد أيضا نديكا؟ قلت نعم. ومايكير؟ قلت نعم، ومايكير؟ قلت نعم رسطيف الأدين؟ قلت نعم فكبت التبيحة أن استعرتت الخلقة مبعين بالمصط، تفصيلها عى النحو التالى

بعد أن تقص الخلقة شعرك مبهرة، تقزم مبعه، ثم نعمل لأدين. وإد وجدت حبه على حدى آدمى حاولت إزائتها بالمصابون صاحكة وإد كبت إحدى يديه غير مشقولة بشىء استخدمتها فى مساعده أصبعك أو شعر رأسك ثم بأنى فتاة أخرى أجمل فتدا فى بذلك وجهك بالكريم، وبستمر فى ذلك وقت طويلا وبستخدم فى ذلك أصابعها مبهرة هافقه، وخاصة فى بين العينين وحول الأدين، ثم تصيف لمرء من الكرم وتعيد الكرة. فى نفس الوقت تقوم لمسة الأخرى بتدبيث الجسم (دون طلع اللانس)، وقد ربطت نكها جهازا كهريا

صغيراً أشبه بالكرى يتحرك بسرعة فتتحرك يدها معه وبعد هذا تستمر في التبدل، يدها المخرودة وهي تحرك جسمها باستمرار وكأنها تعجن فطيرة خلال امتداد هذه وتلك تأتي المخصصة بالميكير والميكير (أي بأصابع يديين والتقدمين) مأخذ يداً بعداً أخرى وقدماً بعداً أخرى، بعد أن تقوم هي بخلع حفاطك وجورثك وعميلين المتقدمين، ثم تقلم لأظافر وقد رصعت قدحك على رجلها لكي تسهر عمدها، بحث تستقر نصف مفاك فوق فوطة يعطى إحدى رجلها، والنصف الآخر على رجلها نصف اعجازية ثم تلتصق بالحووب وخذاء كلفتي كل هذا ١٢٠ ب، أي ما يعادل ستة دولارات، أصمت بهذا دولارين نقشياً إذن والتكاليف الإجمانية ثمانية دولارات، سب تقاضى الفتاة مهن ما يعادل مائة وخمسين دولاراً في الشهر رتاً

بعد هذا دها لتلبية أجمل دعوة للعشاء تلقينها في حياتي، وكانت من ورة المالية التايلاندية كان العشاء في مطعم يحب الصبر وكانه مصرع من ذهب الخالص طلب ما أن نطعم الأكلة قبل الدخول ثم ودعت علي المشروبات قبل الخلوس فصاحبنا وصحوا أمام كل ما طعم كبير انخبض به عشرة أطباق صغيره في أحدهم دجج، وفي الآخر سبب، وفي الثالث حمسري، وفي الرابع خم بالكاري، ربح ثم جاءت خمس واقصت رابعات الحمد ثم قصص أمام بأصابع الأيدي والأرجل والأعص، ثم قمنا بتقليل كل ما عقد كبراهن الوراء واسمعت

في مقابلة مع أحد كبار المسئولين في وزارة اديبية اسمها إبي عرص لحانة تايلاند الاقتصادية ووصف لأهم مشروعاتهم، في حجره للاحتياجات لا اعتقد أنه يوجد حجره للاحتياجات مثل فتح منها في أعين الدول هذه المدح وهذه المنفعة تتكرر أن كثيراً في مأخوكة في دولة لا يريد متوسط الدخل فيها على ٢٦٠ دولارات أمريكية سويها. ومن ثم يسهل تخمين مدى سوء توزيع الدخل فيها. وقد قالوا كلاً ما كثيراً عن سوء توزيع الدخل وأك ماخوكة ليست تايلاند، وأن هناك مذهب عامة في الفكر خارج انعاصمه، ولكن لا أظن أنهم يعملون شيئاً لعلاج ذلك، من أنا على يقين من الأمر يزداد سوءاً يوماً بعد يوم نحن في تايلاند بأن الفساد متعمق

في أعلى مستويات الحكومة، وأن لعلاقة وثيقة بين الموظفين الكبار والشركات  
الأحسنة والحلقة، ومن ثم لم يهرس كثيرا حملات المكاتب وحسن طاعة محلات  
وتدوير الحلقة

تجدر وصولنا إلى جاكارنا عاصمة إندونيسيا نذكرت مصر، وشعبها واثقة  
«الامتجار السكار» فلما تمشى كالمل في الشوارع، ومع ذلك فلا دحام في  
مصر أكثر وحالة الأتومسات أسوأ على أن أكثر ما ذكرني بمصر الاجتماع الذي  
عقدته مع وزير المالية وكرد المسئولين في هذه الوزارة ومثل المحيط وأنا على أنه  
ما حصرت في مصر من اجتماعات من هذا النوع، أكد أجزم بأن صورة من هذا  
لا اجتماع لا بد أن تتكرر كثيرا في مصر فالوزير موهب، ولا يعرف الإجابة عن  
سؤال المدير الكويتي عن الكفة التي تتجه بدوسا من التورول، ونظر إلى  
مساعديه طالبا لمعونه والأكل يقدم لنا مع مشروبات في اجتماع مع المسئولين،  
والمسؤولون يفلون على لأكل أثناء الاجتماع وكأنه هو العرس الأساسي، وهم  
دائموا الحديث، بعضهم مع بعض، خلال الاجتماع، إما طلب للمساعدة في الإجابة  
عن سؤال صعب أو لمجرد التعليق، وكثيرا ما يكتفون بالانسجام والموتون الصغر  
الحسنون يتدوين محضر الاجتماع يبدو عليهم السور بالارتباك الذي يصيب  
كثيرهم في الإجابة عن سؤال، ولديهم التي يذكرها مدير مصدوق الكويتي  
يفتخر بها أوداهم معها، وأسئلتهم يواجهونها ملء الوقت لا رعة في المعرفة  
وقل حضور ممثل وزارة التخطيط (الذي هو قطعاً أقلهم مهلا وأكثرهم ثمة) كانوا  
يسألون عنه في نفس حوز من ألا يميء، فمما جاء تنفسوا بعدده، يحيل أحدهم  
الكلام إلى آخر دون سابق اتفاق، فلماذا يندى يقدم على أنه سيقنكم عن مزار  
المدعو عت يتكلم عن أسبوت وصور رئيس الجمهورية معلقة في كل حجره  
الج ونكس في المساء فندى في اسندق نائب رئيس الك الدولى لثبون امب  
وسأله عن إندونيسيا فامتدح الحالة فيها بشدة

على أن ما لفت نظري في كلام نائب رئيس البنك الدولي أنه قال إن هناك ثلاثة  
أو أربعة ملايين من السكان في جزيرة سومطرة شمروا بحرية وديمكية عرية

حلالاً بقية السكان، وإتباعهم مسلمون أصوليون ويتمى إليهم ورير المواصلات، وهو في رأيه أكثر التوراة نشاطاً وتأثيراً، وإن هذه القصة يتمير أفرادها بالحرم واصطالة وسرعة التلاح وعلفت على ذلك بقولى إن عيب أن يدرس أستاذ وجود طائفة معينة داخل كل دولة، تتمير بمثل هذه الصفات (كأهل دياط في مصر مثلاً) فربما فهما شروط نجاح التنمية على نحو أفضل، فأيدى بشدة

لا أزال لا أدري ما الذى يجعل شعب عجورا واحر ديا، ولكى لاحظت (إن ك، لهذه الملاحظة قصة) أن قوة الشعور الدينى (أو ليس التمسك اللفظى بالناس) أكثر وضوحاً في الشعوب الفتية فالشعور الدينى قوى في بيل وديلا، سيما بين الإندونيسيين والبنجلاديشيون وكأهم لا يبالون بشيء وكلام نائب رئيس الك عن قوة الشعور الدينى عند تلك الطائفة في شمال غرب سر مطره يزيد هذه الملاحظة»

#### § § §

تفكرت المعصيات التى قاستها في وطبعى بالصدوق الكويتى، مع اشتداد قوة شعورى بأى أعيش في الكويت حياه غير طبيعية، فأصبحت أعيش خلال القصة الأخيرة من سنوات إقامتى بالكويت وكأننى في انتظار حدوث شيء يدفعى دفعاً لمعادرتها وقد حدث هذا سلمى دعوة من صديق أمريكى، هو الأستاذ مالكولم كير (Malcolm Kerr) وكان أستاذاً بالمعوم السياسية في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، ومدير المراكز الدراسات لعربية بها، بقضاء سنة في تلك الجامعة أجمع فيها بين التدريس والبحث قلت على الفور وكان الأمر لا يحمل أى تردد ولكن مدير الصدوق الكويتى كى كرىا معى كعادته مع الجمع، فجلد عقلى، الذى كنت مدته ينتهى خلال سنة إقامتى بالولايات المتحدة، دون أن أطلب منه ذلك، فأعمدى من لقل لى كى، لاند أن يتبع من التفكير فيما يمكن أن أفعه بعد انتهاء تلك السنة التى أقضيها بلوس أنجلوس، بعد أن كنت قد فقدت وظيفتى في جامعة عين شمس بسبب تركى لها بدون إذن



## لوس أنجلوس

عندما اسحت لى فرصة لرؤية الولايات المتحدة لأول مرة فى سنة ١٩٧٨ ، كنت أظن نى سارى فقط صورة مكثفه ومتطورة بعض شىء من المجتمع الأوروبى ، لى كى أرى تطوره عاما بعد عام كلما سمع بريادة أهل زوى فى إنجلترا فبدأ بى أشعر بمجرد أن وطنى قدماى أرض الولايات المتحدة وكأنى انتقلت بى كوكب محتف غاب عن كوكب الأرض ، وأدركت على الفور بأن لى أرى ه نيس مجرد «الطهرة» الأوروبية مكثفه ولكن طهرة جديدة بمعنى بكلمة ، حتى إنه كثيرا ما يحظر بى ، ضد ذلك الحين ، أن وصف «الحصارة العربية» بهذا الاسم سوف تصبح شتأ شتأ أنه محجب عن الأنظر حصقة مهمة للعامة ، هى هذا الاختلاف الشاسع بين عطين من الحياة . صحيح بالطبع أن عيط الحياة الأمريكية شتأ أوروبا بى الأساس ، ولكن قد تكون الحصارة لإساية كنها ، بهذا المعنى واحدة ، إدسهم كل من الحصارات هى شتأ حصارة أخرى وتطورها و نتجها الأمريكية تتعد شتأ فسينتأ عن الأصل الذى شتأ عنه حتى أنه عن هريب سوف يصمح من الممكن ، بعرص أن هذا ليس عكسا الآن ، الكلام عن «حصارة أمريكية» بها سماتها المهمة لى تغيرها عن كل ما عداها

وجدت المجتمع الاستهلاكى متطورا بى درجة مذهلة فى الولايات المتحدة ، ولكنى وجدت أيضا شىك آخر لعله كان بدوره نتيجة لسمو المجتمع ، الاستهلاكى وإبشاره . هذا الشىء الآخر يقع فى تطوره حد خطير ألهم بكن من الممكن بلعين أن تحفطه فى الولايات المتحدة ، حتى إذا فاب المرء الانبء إليه فى المجتمعات الأوروبية . وأقصد بهذا «الشىء الآخر» ، وبعبكس الشائع عن الولايات المتحدة :

## أصول الفردية ونبوع موع من تفكير لشمولى الذى بطع مختلف جوانب الحياة الأمريكية

كتب مدمرات رواه جورج اوردس (١٩٨٤) هل دعائى لولايات المتحدة بعدة سواب، وكب أعرف أن الرأى الشائع أن هذه الرواية وضعت أساسا بعد انتظام الشمولى فى الاتحاد السوفيتى، فالأج لأكر هو متالين، وبوليس الفكر هو جهر المتحاورات الروسى . إلج وكفى وحلت فى الرواه أكثر من هذا بكثير، وقراءتى لأعمل أخرى لأورويل جعلنى أعقد أن ما كن يققه لم يكن لنظم لشمولى السوفيتى أو الشيوعى فى حد ذاته، بل قدرة للمجتمع تكملو حتى على قهر فرد، وأن نمو قوة الدولة إنما هو نتيجة حتمية نمو قدرة المجتمع التكم بوجية، وأن أورول كان حريصا جدا على إتمام برومة قتل أن يموت لأنه كان يشعر بأن من وحده أن يحذر الناس من خطر يمكن حدها أن يحدث وعم انتصار الجمده على البادية والعاشية، وأن الدولة البريطانية معها يمكن أن تتحول إلى نظام شبه بنظام (١٩٨٤) لو لم يأخذ لباس حذرهم ويعهموا الخطر لحدث بهم فلما ذهبت إلى الولايات المتحدة التى كانت ولا تزال صررب بها المثل دائما على به تتحرره المناقصه مما لتحرره اسوفيتيه، وأن النظام الذى قرر طى فى أمريكا هو تقبض نظام لشمولى أسى بصوره أورويل، إدا بى أحد أن الحقيقة أهد ما تكون من ذلك

وحلت فى الأمريكيين أمه، وإن كتب ساهى لتشجيع الفردية والتميز، يعشق أفرادها أن يكونوا أعصب، هى فريق، يفعل كل منهم مثلب بفعل الآخرين، ويعهون بعض لهافات ويعهون بعض الأفعال أو المنحوم وهم يتقون فى رؤسائهم أكثر من اللارم ويقولون ما يقال لهم بدون شك أو تمحيص، وهو ما يسهل مهمة الدولة فى حكمهم، إذ يندو الأمريكيون وكأنهم أسهل أم العالم حكم، وأكثرها نقاده يمكن أن تميز وسائل الإعلام مسار الرأى العام من اتجاه إلى ميمصه مسموح بيط، ولا يحتاج الأمر إلى استخدام لكثير من الجمع والبراهين، كما يحتاج هذا فى أورول، بل يحتاج فقط إلى بعض الإلحاح واستخدام بعض أنواع المؤثرات التى نستلخدم فى الدعاية لسلع، وهى مؤثرات لا يحاطب لمنطق بقدر ما تعاطب

ابلا شعور قرأت في أول رحلة إلى الولايات المتحدة معاً «العلوم تشومسكي»  
 ابلى يحمل عنواناً ملخص مصبونه وهو «الحدود التفكير المسروح به» (Boundaries of Thinkable Thought)، وكب أرى موبيا في أمريكا م يؤكد بي أن هلك مثل  
 هذه الحدود التي لا يسمح بنحطها، بس فقط في الفعل والكلام، بل وفي مجرد  
 تفكير لقد فسر هذه السمة من سمات الحياة الأمريكية بما يتبجحه انتطور  
 التكنولوجي أمام الشركات وأصحاب الأعمال من نشر الفكرة الواحدة وانتعور  
 الواحد بين ملايين من الناس في نفس الوقت، وبتناسع السوق الامريكى بلى  
 سمح بأن تستخدم وسائل تكنولوجيا المعلومات في أمريكا قبل غيرها وسطحات  
 الدول، البلى يبدو صعب ولكنه في الحقيقة ففى في أمريكا مة هي الكثير من  
 الدول المسماة بالشمولية، مستمد من قوة الشركات وأصحاب الأعمال ومن ثم  
 فليس صحيحاً البلى بأن الخطر الذى يهدد الحرية الفردية واستقلال الرأى إنما يأتى  
 فقط من إرداد قوة الدولة، كما يظهر مثلاً في رواية ١٩٨٤، بل قد أتى أيضاً من  
 إرداد قوة الشركات وأرباب الأعمال البلى قد مؤدى إلى إرداد سلطان الدولة

ثم تمحس فقط بلى لما يسمى بالديمقراطية الأمريكية بل وحادث فيها الكثير من  
 الريف والادعاء، إذ عتبرت أن أقل أنواع سظم حرية وديمقراطية هي تلك التي يظن  
 فيها الناس بأنهم أحرار ويتممون باستقلال الرأى و تفكر دون أن يكونوا هي الحقيقة  
 كذلك بل عتبرت أن مصر وأمثالها، مما شاع اعتبار نظام الحكم فيها شمولياً، وهو  
 بالفعل كذلك، قد تدعم أهلها بدرجة كثر من الاستقلال وحرية التعبير عن النفس،  
 مما يسمح به الأمريكيون، لحرر أن المصريين لا يمسريهم أى شئ في أى وقت في  
 ريف م ير عمه بدمهم من ديمقراطية، ولا تنبر فبهم الدعامة دسباسبية من حلال  
 وسائل الإعلام إلا بالسحمة المعلنة أو الصامتة، سيما يلى الأمر يكون استعداد  
 ملهنا يقول ما نقوله لهم وسائل لإعلام



كب ذهبي إلى الولايات المتحدة في ١٩٧٨ كب ذكرت، تليه لدعوة من  
 الأستاذ الأمريكى «مالكوسم تير» البلى كب ومنها مديراً مركز بحوث عن الشرط



لأرمط يحمل اسم المستشرق «فون جروناوم»، في جامعة كاليفورنيا و«ديوس  
ميجوس» وكان مطبوع في قصبة عام دراسي في تلك الجامعة أقوم خلاله  
بتدريس بعض لغوات في اشعية واقتصاديات الشرق الأرمط، مع القيام في  
بعض الوقت بكتابة بحث عن الاقتصاد المصري يشر ضمن مجموعة من البحوث  
عن التصورات الحديثة في اقتصاديات البلاد العربية. وقد رحلت بالدعوة بشدة،  
ولم أتردد لحظة في قبولها، ففصلاً عن فرصة رؤية لولايات المتحدة لأول مرة (أو  
ما تكاد تكون أول مرة، إذ حدث أن ررت في بعض السنة مدينة «ماديسون» بولاية  
«ويسكونسن» للاشتراك في ندوة عن سياسة الانفتاح الاقتصادي)، كان شعوري  
قد أصبح قريباً جداً بضرورة الرجوع إلى الكويت

وقد حققت هذه برحة إلى الولايات المتحدة العرص منها كنت بحث بالبر  
أولاً بشر في صورة كتاب بعنوان (المشرق العربي والعرب)، ثم بالإنجليزية في  
كتاب مشترك بعنوان الدول نمية ولعقبة في الشرق الأوسط (Rich and Poor  
Countries in the Middle East)، والأهم من ذلك هو تعرفي على عقد الحياة  
لأمريكي ما لاند أن ترك أثراً عميقاً في نفسي استمر معي حتى الآن، وساعد على  
بلورة أفكارى عن الحضارة العربية والعرب

لم يكن انطباعى عن نمط الحياة الأمريكي إيجابياً مبدرة، وعلى الرغم من أنى مع  
الوقت أصبحت أكثر استعداداً للاعتراف بأنوجه بعبارة به، فاب موقفى السلى مه  
لا يرد هو العرب ولا يزال دافياً معى حتى الآن كنت على استعداد، ولا أزال،  
للاعترا فبصل اسجره (أو الحضارة) الأمريكية في الانتماع بمشرى معيشه  
المنحصر انباعدى أو المتوسط، ليس في أمريك وجدها بل في العالم ككل  
فالمدوح الأمريكي موجه في أساس لخدمه رجل العادى والمرأة معانده،  
متوسطى، لكاء والختال والخلق، وهذا فى رأى هو السبب الحقيقى وراء انتشار  
المنط الأمريكي في الحياة، في مختلف بقاع الارض، انتشار النار فى الهشيم،  
وهذا هو سر حادييته ولكن الروحه الآخر لهذا النجاح هو ما تنسم به الثقافه  
الأمريكة موجه عام من تراجم مختلف انواع الثقافه الرمعه أمام ذلك التيار الكاسح  
الذى يحاطب أكثر بواع الإنسان سطحية، والاستعداد للصحية وكيف لحساب

لكم، ورمال ما لا يمكن قياسه وحده بالأرقام لصالح التقدم المادى للبحث لذى  
يمكن قياسه وحده

كتر هت أبص ما لاحظته من مين متأصل فى نفس الأمريكى لتفصيل كل ما هو  
مصنوع، طالما أنه قد صنع بمهارة، عني كل ما هو طبيعي، وندلى أن للأمريكى  
عزائلا لا حد له بإثبات بقوة على الطبيعة وقدرته على الاستعلاء بها، واستمررت  
شدة كيف يمكن فى بلد سحر فيه الطبيعة هذ السحراء على الإنسان أن يبنى  
الإنسان نحوها كل هذا العناء؟ رأيت مثلاً فى ولاية كاليفورنيا، التى قصيت فيها  
معظم فترة إقامتى بالولايات المتحدة، ولا تكاد نصب فيها ولاية أمريكية أخرى فى  
جانب ساحلها وأعداله عني مدار العام، أنى أذكر ماء بعد آخر، ومفهى أو معصفا  
من الآخر، فماداً أهد؟ أجد البواقي مركبة على نحو يجعل من المستحسن فتحها، و  
مصروعة من زجاج ملون يحدب ضوء شمس عجا ورائع، وأحد أجهزة تكييف  
الهواء شائعة الاستعمال على نحو يحيل إليك سعة أنك فى أشد بلاد العالم حرارة  
وأقساها، وأحد المصابيح الكهربائية مصضاء فى وضح ليلها، ولم لا؟ فقد  
يكون ضوء الشمس أشد قليلاً أو أخف قليلاً مما تريد فى خصه معين، والحرارة أشد  
قليلاً أو أخف قليلاً مما تحب وتشتهى فى ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل؟

ثم ما هي هذه المعجزة الشهيرة فى كفه أنعماء الأرض، المعروفه «ديبرى لاند»  
أو مدينة ملاهى ديبرى، فى جوب لومس إنجلترا؟ مساحة مسيجة من الأرض تقوم  
عليها من مشاتير تقدم لك ومثل مختلفة للترفيه والتسلية، رائحة التنظيم والتثاق  
حق وبالعلة النظافة والنهاء، ولكن شيئاً واحداً يجمع فيما بينها محاولة الإنسان  
الأمريكى أن يثبت أنه قادر على سيطرة الطبيعة ولتغوى عبيها فى مكان منها  
يحاول مدرب سحيف أن يقنعك بأنه قادر على أن يجعل فر من البحر ياتر بأمره،  
يرقص أو يعب بالكرة أو يسل امرأة جميلة نصف عذرية وفى مكان آخر تنص  
مركبة تدور بك بسرعة بالغة المفروص أن تشعر معها أنك تحوم فى مركبة فى  
الفضاء وانكان كنه لا نهاية فيه لما يبدو وكأنه حيوانات وليست فى حقيقة كذلك،  
وطيور ليست بالطيور، وأشجار ليست بأشجار، هذا أعجاب هذ كله ودهت إلى

مكان لتناول الطعام، فإنت ستجلس إلى مائدة تدور كأنها مصنوعة من الخشب ولكنها ليست كذلك، وسوف يقدم إليك شيء شبيه بالطعام ولكنه ليس طعاما، إذ من بين ما يعرّم به الأمريكي أن يصنع لسا خائلا من الدسم، وسكرا لا يحصى على مادة سكرية، وحر لا يؤدي إلى السمّة، وقهوة لا تحول دون النوم

في حليقة أخرى من حدائق لوس أنجلوس رأيت شيت مذهشا، ولكنه أيضا أمريكي مائة بالمائة كان هذا هو «سرك الطور»، وهو مسرح صعر يمكنك فيه أن تشهد عرضا بالغ المهارة لا يختلف عن اليرك المألوف إلا في أن أبطاله من انطويور وليواهيل أو أسودا وفيه تتزع المروض الصغين من الحاصرين لدى رؤيتهم طائرا، مثل الحجامه أو الديك أو السعاه، رائغ لألوان، و بالغ المهارة والخيال، يقف على قدم واحدة، أو يتسلق سلما، أو يحطو فوق مكعبات دون الوقوع فيما بينها من مسافات، أو يقوم بمختلف لألعاب الهوائية ويحى للجمهور بدى تصفيقه له في نهاية العرض

وبد ذكرى هذا المنظر سلاسل العفيرة وي صمعه ما الرجل الغربى مما يشه ما صمعه المروض الأمريكي. فما هي طيور لا تقل عن مروضها في قدراتها وإسكابنها ولكنها تموقه مهابة، فهي تستطيع الصبر حيث لا يستطيعه، وهي تهتم بصغارها حيث لا يبدى اهتماما كذب بصغارها، وهي لا تكذب أو تافق في سبيل حصولها على الرزق، ولكن المروض لا يريد أن يعترف لها بمفضل إلا إذا نجحت في تقليده، واستطاعت الوقوف على قدم واحدة ولعبت كرة القدم، وأظهرت من القدرات ما ليس لديها أدنى استعداد به أو حاجة إليه

في بندله مثل ما بلولايا المتسجدة من مو رد تدور كأنها لا حدر أو نهيه لها، كيف يكون لأهها هذا الولع بالأرقام والحساب؟ أم أن وفرة المزايا كالب هي دتهها دافعا لهذا الولع؟ ذلك أنى لم أصادف شعبا يستخدم في كلامه أبعاد قدر ما تستخدمه الأمريكي من أرقام، ولا من هو أشد منه هراما بالاعتماد على أرقام فأسعار البع مخراتها العشرة، وسعة مسارته من الررس، وعدد الأمال بين مكان وآخر، والوقت الذى تستغرقه رحله أو تأديته عمل، حاضرة في دمه دئب، يحطرك بها

دون أى جهد وبنار سها دون مشقة . والرجل لا يوصف بأنه طويل أو قصير ، ولكن يقال لك إن طوله خمس أقدام وبوصتان ، والمكان لا يوصف بأنه بعيد أو قريب وإنما تحضر عما تستعرفه الرحلة إليه من الدقائق بالسيارة أو بالطائرة . والشئ الذى لا يمكن حسابه بالأرقام يعتبر صمياً أنه لا يستحق الاهتمام

وقد لا يبدو فى هذا الملل الواضح إلى التعبر الرسمى عصابة لولا أنه انعكس فى فكرة الأمريكى عن «الكفاءة» فالكفاءة لدى الأمريكى هى بوجه عام إنتاج أكبر قدر بأقل تكلفة ، أو القيام بأكثر عدد من الأعمال فى أقل وقت ممكن ، دون اهتمام كبير بالآثار التى لا يمكن تقديرها مقديراً قمياً . فما أسهل على الأمريكى أن يشعر بالرضا إذ يجد مبررته قد قطعت عدداً كبيراً من الأعمال ، و يجد نفسه قد أتم عدداً كبيراً من الأعمال ، أو ر عدداً كبيراً من البلاد ، أو شهد عدداً كبيراً من المناصب ، دون أن يعبر اهتماماً كبير لطبيعة الرحلة أو بمرص منها ، أو لعدالة الحقيقة من العمل وجدواه ، أو لك جهاه من معرفة حقيقة عمارته من بلاد أو شاهدته

فكثير ما يبدو لل الأمريكى «كأم العروس» فاضيه ومشغولة «كم يقول التعبير «مصرى الشعبى» ، لا يطيق الكف عن الحركة والعمل وكان أى عمل مهما كان باهياً أفضل من عدمه . لا يظن السقاء فى مكاد لاد فى انتظاره عملاً آخر لاند من تأديته . يتناول طعامه بسرعة ثم يقصر إلى صلاته أو يشاونه أمام التلفزيون أو فى السيارة معها . فإذا دعك إلى نغمة فهو «غذاء عمل» ، وإذا فكر فى أن يدعو معك شخصاً آخر فلا يرى أن من المميد أن يتعرف أحدكم على الآخر . وهو معرم بجمع أسماء المعارف وعديهم ، ويشعر بالفخر لكثرة معارفه واتصاله به . هناك عذارى ، بلداً من انهم الأخصى وقتنا أطول من اللامى فى مكان واحد ، وقد تعبر عليه السبعه حيثنقطه الصور . ورامح لتليغريون لأمريكى تنمير بعض الطابع الكثرة على حساب الجودة ، وبسرعة على حساب التحق . وكثيراً ما يحدث ألا عدد من بين رامح العدد اللانهاى من القرات التليفزيونية ، التى تنمر بعضها طواى ٢٤ ساعة كل يوم ، سرامحاً واحداً تشوفك رؤيته ، أو فى العدد النهائي من صفحات حريدة الأحد إلا القليل مما يستحق التقرءة . وهذا عرص

تلفزيون معاشاً، أو مدونة، فلما تجد نعمهما في التحليل أو راحة بال الظاهرة التي يدور حولها النقاش من مختلف جوانبها، والمهم في إعداد لأحد أن تحتوي النشره على أكثر عدد من الأحياء دون جهد يذكر في تحليل أسباب الخير أو أضره. صحيح أنك عُد في الحياة الثقافية الأمريكية العث والسمي. ويمكنك إذا أردت، لاستماع إلى موسيقى رقيقة وبعثو على تحليل جيد للأخبار، ولكن هذا ليس هو الصنيع لعمام للثقافة الأمريكية السائدة



ترجمت كالعادة، خلال عام الذي قصته في الولايات المتحدة، مع أحي حس، وهذا هي مقتطفات من بعض خطباتي إليه من لوس أنجلوس

١٩٧٨ / ١٠ / ٢٥

أخي العزيز حبيب، نجاتي وأشرافي ( . )

الجميع يقولون إن لوس أنجلوس ليست أمريكا، أو هي أمريكا كما سوف تكون، فهي رائدة في كل شيء، هي التكنولوجيا كما هي الخرائط ولا تتصور صعوبه لحمايه الآلاف من هذا الجو المسموم الذي يحيط بهم من كل ناحية حتى الأخبار في التليفزيون لا تستطيع أن تأمن على أولئك منها. فأمر يصح داخل والخارجية والمجترات. سبح كما ذهبي أن وجدت كل واحد في حاله، حتى الطلبة في الجامعة، ويبدو أن تجد أحداً يصحك. هل أخص لك الصورة كلها في كلمة واحدة؟ ١٩٨٤ هذه هي الخلاصه لقد كان أوروبيين يصور أن ١٩٨٤ هي أفضل روسيا، ولكن يبدو أنه أمريكا سيقبها إلى ذلك. وأعقد أن أوروبا ما كان يصحق عيه بر كان رأى لوس أنجلوس الآن، فرعاً وجدها عديت حياهه الس على وشك أن يصحوه مكيات، والعائلة لم تعد موجودة، والكل بحري من أجل الحصول على درجات، صبه كل هذا معروف من قبل؟ نعم، ولكن سم أكثر أتوقع أن أحد الخصيعة بهذه المرحه من العرب من المخوف ما يكتب هذا لا ينفي أنا مسرطوب، وأستعمل الآن سجد على كتاب جديد، أعنقد أنه سيكون جيداً، ولأنه أنتهى منه قبل عودتي. ولكن هذا البرول إلى لوس أنجلوس شيء بسرور على الصرا

كانت مشاهدتى لأمرىك والمعشة معه، بضعه أسبوع كفية لأن أقدر أنه لاند من العوده و لاسمرا في مصر العوده إلى الكويت بدوى من ها أمرا مصحكا، لا أدرى بالوسط اسب وبكى عرفت (بهاثا - شاء الله) على العوده إلى مصر في بولو، وأن أذهب إلى الكويت لده أذوع خلال الخريف، فقط لأحضر عفتى وأبع سارنى من حسن حظ أن لك حبراً بهم أولاد في من أولادى. ولهم نظرة إلى مخياة في أمرىك مثل بصرنا (ولو أنهم أمرىكن) ولا سمحون للأولاد عثمادة لىهريون على الإطلاق. ( )

أزوحو أيضاً أن تذكري ولو كلمة سريعة عن تطاع الناس عن كد دافع (لعد انتأست كثيرا لها)



١٩٧٩ / ٢ / ١٩

أحى اعير حىي، مد مدة طويلة سم أسمع مث ( )

أحبار ماكلها بحير وقد قصى و بدخان معا ثلاثة أسبوع وادنتها شهرين وسمرت مد أيام، وأن أرحب دائما بريدتهما سب الأولاد أسبا، ندين يمرحون كثيرا بهم أب أحبار شعنى فقد وحدث بعد أسبوع من وصوى أن المطلوب من ها لا يتشكل عينا كبير فالحث المطلوب يمكن أب أجره في اشهرين لأحيرين وعلم حصر بعض محاضرات اسمية الاقتصادية ها، وهو نفس المقرر المطلوب من تدرسه خلال الشهرين الجديين، وحدث أن محاصر فى القذية في الجامعة الأمريكية تكفى وريادة، فلا مستوى الأستاذة ولا العلية يتطلب أكثر من ذلك لهذا عكمت في الشهور الأولى على عدد مائة الكتيب الذى كنت ارسخت مكنابته فركز دراسات الوحدة العربية (بيروت) وأنهيت عددها مد شهر، وسأدا الكتانة هذا الأسبوع، وأمل أن أنتهى منه في منتصف مايو ولا أستطيع أن أقول الآن ما مدى وصاى عن الماده اننى جمعتها، ويتصح الأمر عندما أبدأ الكتانة، وسكون عواها سمما أتصور (المشرق العربى والعرب ١٧٨٩ - ١٩٧٥) وهو تدرب أساب أثر اتصالا بالعرب في تعصيل الهصة بعربية والوحدة بعربية ومن

«الأشياء حتى استرعت بتنهى حذا وإعجائى ثناء فر عتى، اخركة السوسيه فى بيبا  
ومدى لشه الكير سها وبيز الحركه الوهاية وحركه لمهى فى السودان، مما يقطع  
بأن البلاد العربيه لو كدت تركت وشأها لأثعرت هذه الدور (قصلا عن حركه  
محمد عنى فى مصر) بهفصه حقيقه

ومن ناحيه أخرى ندأنا، مع طوفان إغماهاها، نقدّر بعض لحواتب الإيجابيه فى  
الحياه الأمريكيه فاناس هما يصعد عاه يدكرونى فى طابعهم، يطالب مصرى  
أرسقراطى لم يصادف مشكله ماده فط، ونخرج فى مدرسه أجسيه فى مصر  
الدمنه والرقه والسدح والعاؤل والمساطه، مع عدم القدره على تكوين علامات  
اجتماعيه عميقه، وعده أنه رعه فى التحليل وتغيب الأمر على وحرفه فلعيل  
الأمريكي هم أكثر لشعوب التى أعرفها بعداً عن أن يوصفوا بال «uncle  
بل لعلهم يعرفون من أى جهد دهى يُبدل لوجه الله

واما هه انى ألقاهاها تكفى لحافه مريحه وبعض الكماليات لقليله (كالتسما  
والمنسرح) دون أى فائض. وبهذا تجدنى قد سحب من مدحرائى «الكويتيه» لأنفق  
على شراء اسياره مثلاً، وبعض الرحلات التى قضاها مع والدى جان ولكن ما  
أعتبره أهم أحياءى هو انى تعددت مع الحاممه لأمريكيه بمصر على رعيه أستاذ  
رائد لده ستين اتداء من أول ستمير القادم ومحمرد ن وقعت العقد معهم كنت  
للمصدوق الكويتى تأمى لا بوى العوده إلى الكويت لم أتردد كثيرأ فى اتحاده  
القرار، لأكثر من سبب فرباده المدحرات كف تعرف لم تكن مُداحراً من  
طموحى وبعد محشى هه حدث لى حياتنا فى الكويت لأمعى لى، حافه بعد أن  
أصحت حياه روبيه حاله من أى جديد إلى أدرك لى صعوبات الحياه فى مصر  
الآن (ولقاءه الأهرام هه نصحت من شعورى بهذه المصعب) ولكن الوجود فى  
مصر الآن بالنسبه لى يحمل من الاحتمالات ما أصحت الكويت لا تقدمه لى.  
وانى أعتبر الحاممه لأمريكيه مجرد فتره انتقال يعقبها، إما رجوع لى جامعه غير  
شخص أو لى جامعه إقليمية كالقاريق أو المصوره.

كذلك مررت ألا أكعب بعد الآن لادلعه عربيه فقد بلغ سأمى من الاحاثب  
والمتفرقن أعصه. ( )

أخي العزيز حسين، عياني وأشواقى ( )

اكتشيت بعد أن قضيت به بضعة شهور مدى عنى الحياة الثقافية في لوس  
أنجلوس، فالشروع الهائل لعروف عن أمريكا في السلع موجود أيضاً في الثقافة  
وبكن كما أن من الصعب احتدير نوع القميص الذي يشتريه بسبب وجود آلاف  
الأصناف، فمن من الصعب الاحتيار بين الأصناف العديدة الموجودة في المتفدة أيضاً  
( ) ومع هذا الناس هنا يحدون بحياة لا طعام لها (كما أن طعامهم أيضاً لا  
طعم له إطلاقاً مهما كانت محذمة الطعام الذي تذهب إليه) وهذا الأمر يحيرني  
جداً فأنت تمشي في الشارع فتحد البيوت غاية في الخفاء، وأحدية المحطة بكل  
مرور بدعية التسميق ولا ينقصها شيء ومع هذا لا يمكن إلا أن تشعر بأن كل هذا لا  
طعم له أن لا أتمحب إطلاقاً عندما أسمع أن رجلاً من بين كل ثلاثة رجال هو  
مدمن حمر alcoholic أو يعاني من اكتئاب مستديم، فأنا لو عشت هنا ستين أو  
ثلاثاً لاند أن أصبح هذا أو ذاك! كما لا أتمحب من أن تقرب كل امرأة تفلبها ما  
مطلقة إن الحمع يحاور أن يحدث بعض لطيفاته معنى، فإذا لم يجده في امرأة  
جديدة أو لم يسمح له دحه بذلك لما إلى أسكر أو المحبوت ولكن السؤال  
كيف عحر مجمع هذه الرجاء عن أن يعطى للحياة معنى؟ إلى أرفض التعبير الذي  
يقول بأن الرجاء معه هو السؤل لا اعتقد ذلك، ولعنى أصل إلى رأى قبل  
رجلى !!

\*\*\*

لاند أن أرى ما قصة مؤثرة ولكنها أيضاً ذات نهاية محزنة للعبة، وهي قصة  
الأستاذ مالكولم كير، الذي كان له فصل برب ريديس لأمريكا، والذي عرفته عن  
قرب خلال ذلك العام الذي قصيته في لوس أنجلوس، وتطور شعوري نحوه إلى  
شعور عميق بالأحرام والحب، وحرب حزناً شديداً عندما سمعت بنبأه المأساوية  
في بيروت بعد ثلاث سنوات من عودتي من لوس أنجلوس.

كانت أول مرة أقابل فيها مالكولم كير في سنة ١٩٦٦، عندما شتركت في ندوة  
نظمتها كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن بعنوان «تطور مصر منذ ١٩٥٢»



وكان هو أيضا واحدا من معدّي الأوراق لهذه الندوة. ذكره وقد جاء إلى حلال ندوة سألني عن الكتب العربية التي صدرت عن اشتركية عبد الباقير ثم وهو يكتب رعاية أسماء هذه الكتب ويوصيها بحرفها العربية. لم أراه أو اسمع عنه بعد ذلك هذه ثمانية سواب، ولكن اسمه دأب وشهر حلال هذه السواب، بين الأكاديميين المشتهرين بالشؤون العربية، سبب نشره لكتاب صغير سرعان ما أصبح يعتبر عملا كلاسيكيا في موضوعه وهم كتاب «الحرب العربية الندية» (The Arab Cold War)، الذي حلل فيه تحولا مدعا العلاقات العربية العربية منذ صعود نجم عبد الباقير في منتصف الخمسينات وحتى هزيمته في ١٩٦٧. علف أتذكر الآن مستوى الجودة التي حققها هذا الكتاب، وتغير كتابات مالكولم كير لأخرى، أدرك كم كان الرجل محلل عن غيره من مدّعي معرفه شؤون لعرب ولسلمين. كان بالإضافة إلى حله وإحلاصه في العمل، يملك عقلا مقادامع قدرة على الكتابة السليمة والبوصلة التي كثيرا ما تقرب من التعبير الأدبي.

وقد أرسلت إليه نسخة من مخطوطة كتابي (تدوين المعر) (The Modernization of Poverty) بعد مراجعته، فقرأه بعناية وكتب لي ملاحظاته المفصلة، وحاول أن يباغيني في العثور على ناشر للكتاب. ثم عرّض على بعد ذلك لصح سواب ذلك لعرض لدى بي بي إلى لوس أنجلوس لمدة عام.

وفي لوس أنجلوس تعرفت على صفات جميلة أخرى فيه. فهو مصيف كريم، وسحق بوقته وجهله إذا احتاج أصداؤه إليه. ثم بهربي كمحاضر وخطب استمعت له وهو يلقي محاضرة عن الاشتراكية العربية في جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس، فوجدته يقول لمدة ساعة كلاما عميقا ودقيقا ومظنا، وبأسلوب فصيح، دأب أن تكون أمة أي وره تذكره ي يحب عليه أن يقول ثم بهربي مرة أخرى بعرفه وهو يلقي الكلمة الرئيسية في اجتماع أقيم في نفس الجامعة لإهداء جائزة مرموقة للأستاذ البير حوراسي المؤرخ المعروف بجامعة أكسفورد.

كان مالكولم كير يجمع على نحو فريد بين مهته الحدة والإحلاص لعمله، وبين حساس قوي بالبحرية والمصادقات الكامة في الأشياء وفي تصرفات الناس.

ما كان يجمع من أن يأخذ نفسه بحماية أكثر من اللازم أو أن يبالغ في أهمية ما يصممه ولكن أكثر ما نهىني فيه شجاعته بعد وصولي إلى لوس أنجلوس بأيام قليلة تنفيت منه دعوة لبعشاء في بيت ألبان الجمعان في منطقة باسيفيك بلامبيد (Pacific Palacard)، المقام في أعلى جبل وتطل حديثه مباشرة على المحيط كان قد نشر قبل يوم الدعوة بنصعة أيام مقالاً في جريده لوس أنجلوس نايمر، مقالاً اعتبرته منظمة الدفاع اليهودية (Jew sh Defense League) معروفاً في غيره للعرب وقد قال لي مالكولم كبير إن رئيس تحرير الحريضة كان قد حدث بعض العبارات من المقال بهذا السب، دون استئذان كتبها ثم حدثت في الليلة السابقة مباشرة على حملة البعشاء أن قام أفراد من هذه المنظمة اليهودية بأشباح حريق في سدرته الرقيقة أمام باب منزله واستبيط هو من دونه على رائحة الدخان المسعث من سيارة المشتعلة، ثم تلقى مكثلة تيعويية، بعد أن حاول بقاد مسيرته دور جدوى، من شخص يقول له إن الحريق أشعلته المنظمة اليهودية على سبيل العقاب له والتأديب وعندما سمعت الخبر في الصباح طست أن مالكولم سوف يلنى حصل البعشاء المرمع عقده في نفس المنزل في الماء، ولكنه قال إن كل شيء سير كما كان محططاً وبالفعل ذهأ إلى بيته ولم يد عبه أن الحادث قد برك في نفسه أى أثر

كانت هذه الشجاعة هي دبطع ما أدب إلى مصرعته، وهو لم يحاور الخمسين من العمر وقد قرأت وسمعت الكثير من نشاء عنه بعد وفاته وعن ظروف معمله الشعة، ولكنى لم أسمع أحداً يحاور أن يسس ست شعة ضمن يمكن أن يكون قبله أو عن در فح هذا القتل كان قد عرض عليه منصب مدير جامعة الأمريكية في بيروت في أوائل الثمانينات أثناء اشغال الحرب الأهلية، وكان ما سمعته عن متاعب الحياة اليومية في بيروت وخطورتها كافي لإثاء عزم أى شخص عن الحياة فيها ولكنه قبل الوطعة، وبعد شهور ثلثة سمعنا أن الرصاص أطلق عليه أمام مكتبه في الجامعة في بيروت، ولم يتجرأ أحد على أن يقول أو حتى أن يتكهن بنحوصة قاتله أو سب القتل حتى روجته، التى كنا نهم فيها أنا ورو حتى جيداً، بذت عارفة تمام عن الخوض في الموضوع، وكنت أشعر شعوراً قوياً بأنها تحاف أن تقول ما تعرفه



## الجامعة الأمريكية

عندما اتصل بي رئيس قسم الاقتصاد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، في أحد أيام سنة ١٩٦٦ ليعرض عليّ تدريس «تاريخ الفكر الاقتصادي»، بي حسب على المتداد مجموعة عين شمس، قلت على الفور وسرور كان هذا العمل جذاباً في نظري لعدة أمور: فتاريخ الفكر الاقتصادي كان دائماً من أحب موضوعات الاقتصاد إليّ، ولم يكن تدريسه متاحاً لي في كلية الحقوق إذ لم يكن من المطلوب لدّرس لقانون أن يعرف من علم الاقتصاد أكثر من مدته الأساسية والتدريس في الجامعة الأمريكية بالإنجليزية، مما لم يشكل لي أي صعوبة بالنسبة لي بل كان يتيح لي فرصة التعبير عن أفكار الاقتصاديين بكمّار مباشرة كما عتبروا هم عنها دون ترجمة، كما يسمح لي بأن أطلب من الطلبة أن يقرأوا بي لمكتبة م لا أستطيع أن أطلبه من طلبة كلية الحقوق والجامعة الأمريكية كانت تدولي من بعيد عالماً جداً أحب أن أدخله وأكتشف م فيه، كما أن المكافأة المالية التي كانوا يعرضونها كانت عصرية جداً وصائبة يعينني على بلية حاجاتي الجديدة التي يعجز عن الوفاء بها من بيت كلية الحقوق، دهريل، وأنا لا أرا أن أحاول أن أكمل فرس بيتي وأدفع أقساط التلاجة والفرن

ولم يحب طلي في أي من هذه التوقعات دخلت ملى الجامعة الأمريكية بالفرن من ميدان باب اللوق، فإذا بي حذاها كالواحة الصبره ومط صحراء واسعة مجدية كل شيء فيها هو عكس م يجري بحار حها فمجرد أن تتجوز عنة الباب تجد من انطفاء والحمل ما لا تجد مثله خارج الدب الحديثة بقعة ومبهرة الخصرة ولأرهار، مما يعني أن ثمة شخص وأشخاصاً لا عمل لهم لا

سقيها وتسيقها و المحراب والمرب تطيعة وتحوى على كل الوسائل اللازمة  
للمرأة والمساعدة على العمل دون تعكير ودون حاجة مستمرة للشكوى والسبات  
الخميلات الدصرات التي تعرف كل مهن، حتى الأقل جملاً، موضع احتمال فيها  
تبرره، ولديها من الملب ما يسمح باستخدام كل الأساليب اللازمة لتحقيق ذلك،  
من شراء الملابس الخاصة لها بالوسط، إلى الذهاب إلى كوافر كفه يساعدها على  
تحسين مظهرها إلح الأمر إذن في محمله مبهج تماماً ولا عيب فيه وهو في كل  
هذه الأشياء وغيرها يكاد أن يكون النقيض التام من كتب آراء في حاميته عين الشمس،  
حيث يحثهم على الطليعة الحرب والمفر، وحجرب الأساتذة مقصرة لا تحصى كل منها  
لا على مكيب وكرسی، بل لم يترك أحداً أن يصنع على النافذة ستارة حميدة أو على  
المكتب بام لأرهاق والأرض ملاط لا يمهض شمس، وكاف لإصاكن سارد ديد  
قصت في الحجرة ساعة واحدة في الشتاء مما يدفعنا إلى العودة إلى مبرك بأسرع  
طريقة، دون مفسدة، لطلاب والعراشون يحجم عليهم من الأسمى وسوء أحوال ما  
يحجم على التلاميذ والأساتذة ودورة المياه سطيفة الوحيدة في الكلية كلها موجودة  
في الدور العلوى الذى تقع فيه حجرة العميد، وهي المخجرة الوحيدة التي تحوى  
على سخادة ومروحة ومقاعد وثيرة ولكن حتى دورة المياه هذه لها مفتاح يحتفظ به  
فراش العميد في حبيته، وهو فراش طويل عريض احببر بعناية ليحرس مكتب  
العميد، وللمتج للعميد نفسه وبروزة المقربين، باب دورة المياه كلب احببوا  
لذلك وساب كنية اخفوق فيهن الخميلات دصع، فهن لا يحسن في اعداد  
الدى صنع منه عن طسات الجامعة الأمريكية، ولكن طروفهن كلب لا تسمح بأن  
يظهر مهن ما قد يكون لهن من جمال لا للباس التى يرتديهن، ولا طريقة  
تسريح الشعر، ولا المشية المثقلة، ولا حوهم استطيع من أن يعترف مهن أى  
رجل بل اتاح في دخول الجامعة الأمريكية أشياء طيبة اخرى سم آكن عرفها من  
قبل علمكنه عامرة مكتب والدوريات الحيدة، وانطله يدعون إلى الملكة بالفعل  
ويسعدون منها ولا يسعروا أن يطلب منهم الامتداد أن يقرأوا فيها كتاباً أو مقالة  
والطلة يقصون اخره الأكبر من اليوم في الجامعة، ما بين حضور المحاضرات  
والقرء في المكتبة، أو حضور محاضره صمة لامتداد، من مصر أو حارجها، أو

رؤية فيلم جبلة من الأفلام التي يظلمها ناد للسمع، أو يحضرون مسرحية يمثلها الطلاب أو حفلة موسيقية يقيمونها، كما يستطيعون أن يتدبروا وحدهم حيلة من الطعام، أعدت إعدداً جيداً في مطبخ نظيف. كل هذا كان طلبة كلية الحقوق في عين شمس محرومين تماماً منه، ومن ثم فلا شيء كان يستقيم في الكلية بعد انتهاء المحاضرات، أو حتى قبل انتهائها، إذ يصبح الأمر كله ثقلاً جدياً على النفس يعبر المرء بمحاولة الهرب منه كلما أتاحت له الفرصة لذلك.

فلما عدت من لوس أنجلوس وأصبحت أستاذة متفرغة بالجامعة الأمريكية انتداه من سبتمبر ١٩٧٩، أناحت لي الجامعة الأمريكية أيضاً قراً صلاتها لمقررات لم أكن أستطيع تدريسها كنسبة الحقوق. فالتفت إلى الاقتصادية لم تكن مقرراً مستعلاً من بين مقررات هذه الكلية، ولا الاقتصاد المصري، بل كان كل منهما في أحسن الأحوال، جزءاً يضاف دون تعمق لأحد المقررات الأخرى. وقد قمت بتدريس هذين المقررين، التفت إلى الاقتصادية والاقتصاد المصري، لعدده سواثن في الجامعة الأمريكية. ولكن التجربة المثيرة جداً، والتي لم تكن من الممكن تصوّر تطبيقها في جامعة من جامعات لأعداء العنصرية في مصر، هي تدريس مقرراً يكون من محور اثني عشر كتاباً من الكتب الكلاسيكية في موضوعات مختلفة، خلال فترة أربعة أشهر، هي طول أحد لفصلين المكونين للنسبة الدراسية. كان على الطالب في هذا المقرر أن يقرأ ويناقش كتاباً كلاسيكياً من نوع محاورات أفلاطون، ومسرحية من مسرحيات سوفوكليس، واعتراعات سبت أوكتين، وكتاب الأمير لماكيافيلي، ومسرحية من مسرحيات شكسبير، إلى جانب بعض فصول من كتاب دروين، والبيان شيوعى لكارل ماركس وإيجلر، وكتاب صغير لماركس، وبعض الكتب الأدبية الشهيرة المعاصرة. إلخ.

وقد شتركت عدة سواثن في تدريس هذا المقرر، وهو ما كان يعنى أن ألقى خلال الفصل الدراسي محاضرة عامة واحدة، لجميع الطلاب الدارسين لهذا المقرر، عن أحد هذه الكتب المختارة. ثم ألقى مجموعة صغيرة منهم، يتراوح عددهم بين الثمانية والعشرة، مرتين في كل أسبوع، لسقش معاً كتاب الأسبوع،

كما ناقش لمحدرة العامة التي سمعناها عن هذا الكتاب أتاح لي تدريس هذا المقرر أن أقرأ بعض الكتب المهمة والرائعة التي لم أكن قد قرأتها من قبل ، ولإعادة قراءة كتب أخرى مهمة وقد أثرت في بوجه خاص كتب يعيها ، فهدت جهدا أكبر من المعتاد في إعداد محاضراتي عنها ، وأحيانا أيضا في القراءة في أمور متصلة بها . من ذلك كتاب الأمر لما كما فهمي الذي وصفه بعض الكتاب أنه «أول رحل عصري» ، فهدت جهدا في محادثة فهم هذه العبارة والتدليل على صحتها ، وفي الربط بين الكتاب والفكر الاقتصادي الحديث من حيث العلاقة بين السياسات والمؤسسات من هذه الكتب أيضا كتاب ابن رشد «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» فهدت جهدا في محادثة فهم الأماط الحقيقية للحلافه فيه وبين لعراي وأنعت عجانا هائقا برواه الكتب البحري المعاصر (أشي) «عند يهر كل شيء» (Things Fall Apart) وأثرب في محاضراتي عنها قصبة اصطدام ثقافات العالم لثلاث ماحصراه بعربية ، وهو ما أروبه أيضا عدها حاصرت ، أكثر من مره ، عن تلك الرواية الأثيرة لدى «موسم المهجرة إلى الشمن» لطبيب صالح كت قد مرأت مقدمه ابن حلدون قبل اثنتي كى في تدريس مدة دريح الفكر الاقتصادي ، وأثر حماسي أن أكتشف أن كانا عربيا أحرر كل هذا التقدم في صياغة بعض الأفكار الاقتصادية المهمة قن آدم سميت بأربعة قرون ، وشرحت هذا في محاضراتي في تاريخ الفكر الاقتصادي ، ولكني لم أكتشف أهمية كتاب حي بن يقظان لاین طعيل إلا بسبب اثسراكى في تدريس هذا المقرر عن الكتب بكلامسيكية ، واعتبرت هذا الكتاب من الدرر الشمية ، ولاندأن أبى كان قد شعر بعوه شعور مائلا هو الذي أدى به إلى تحقيقه ونشره ومقارنته بكتب عرسه أخرى في نفس الموضوع



كل هـ جميل وعظيم جدًا ، ولكني مع مرور الوقت وتدريس سنة بعد أخرى في الجامعة الأمريكية حتى أصبحت في مكان أعلى الأساسى منذ ١٩٧٩ وحتى الآن ، أكتشف بخط صممها ، واتصحت لي مثاب دكرتنى بمثالب كليتي القديمة في

عين شمس، وهو ما ذكرني بخوار طريف در مره بي أبي وأخي الأكبر منذ أكثر من خمس عاها كان أحي محمدا قد عاد منذ وقت قصير من أوروبا بعد أن قضى فيها عدة سنوات في الدراسة بالذكوراء ويسدونه في الأسابيع الأولى التي مضاهها في مصر بعد عودته صادف بعض المتاعب غير المتوقعة، حبيب حلالها بعض الناس أمه، أو لم يعدوا لها وعلوه به، أو استعلوا بسببه لبعض طرق التعامل في مصر سبب عينه الطويلة سألته بي عن حاله ورأيه عم رآه في مصر بعد عودته فقال أحي بحرن «الأساس هه يأكل بعضهم بعض» فمكر أبي قديلا ثم رد عليه مستمعا فوهي أوروبا أصلا، ون كانوا هلك يأكل بعضهم البعض بالشوكة والكبير!!

حدث مثلا، عندما قامت حرب ١٩٧٣، وحشيت إدارة الجامعة الأمريكية أن منحها بعض المتاعب من جراء رفوف بولايات المتحدة إلى حب إسرائيل ومنها بالأسلحة لتعريضها عما فقدته في هجوم أكتوبر، أن قرر رئيس الجامعة إعلانها لأجل غير مسمى، وشكل لجنة من بعض الأساتذة والإداريين لمساعدة الموقف يوما موم. وإثناء الصلحة يومها لرئيس الجامعة بما إذا كان الوضع أصبح يسمح أو لا يسمح بإعادة فتح الجامعة وأخبرت أن عضوا في هذه اللجنة التي كانت تجتمع كل يوم، وفي أوقات مختلفة من اليوم، وتحاط بهالة من الاهتمام، إذ يتوقف على قرارها (هكذا كنا بعض) عديد الموعد الذي نعود فيه للجامعة إلى ممارسة نشاطها كنت وفيها أكثر مداحة بكثير مما أنا اليوم، فكانت أظن فعلا أن المقصود بهذه اللجنة ألا يتقدم أحد بالرأي، وأن يكون إعلاني الجامعة أو فتحها بقرار من العاملين بها أو من يمثلهم ظلمنا مجتمع كل يوم، في ساعات مختلفة من ساعات الصباح أو المساء، ويجلس معادائنا نائب مدير الجامعة، وهو مصري وثيق الصلة بالأمريكيين وبالحكومة المصرية في نفس الوقت، وكنا نعيش أصعب أثناء ذلك أشخاص مهمين للعباية ألا يتوقف فتح الجامعة أو استمرار إغلاقها على قرارنا نحن، وعلى تقييمنا اليومي للوضع السياسي؟ كان نائب مدير الجامعة يأتي إلى الاجتماع في كل مرة، بعد أن يجلس مع مدير ويناقتش معه في حلوة وفي أحد الأيام، بعد أن مضت أسابيع على هذه الاجتماعات المهمة، دخل عديدا هذا النائب



وأخبر أن آت لثبوت من مكتب مدير الجامعة وقد استمر رأى مدير على أن تمتح أبواب الجامعة عدا، ولم تترك لنا فرصة لمناقشة صواب حد القرار أو خطئه، فبصرفه في دهول ومن تساءل عن حدودي كن احتماعات المسافة منهم إلا التطاهر بالديمقراطية وتنادى برأى

حدث بعد هذا بقليل حادث آخر يستحق أن يروى كان لأبور السادات، رئيس الجمهورية، هناك، بيت تقدم لخطبتها أحد أبناء رجل ثرى ومن المقريرين لسنطه، وكان وقته رئيسا لمجلس الشعب كان حد الان قد تخرج لبوء من الجامعة الأمريكية، ولكن سم يكن قد وجد نفسه بعد وظيفة يمكن أن تذكر إلى جانب اسمه في الصحف، عدمه يعلن بأخطئه لت السادات واستقر رأى الأسرة على أن من اللائم جدا أن تذكر لصحف أن هذا العرس سعيد بشغل وظيفة مفيد لجامعة الأمريكية بالفترة ولم يكن هناك في الحقيقة وظيفة بهذا الاسم، فأنقص ما بطمع فيه شخص حديث التخرج في الجامعة الأمريكية إذ أراد أن يعمل في الجامعة بعد تخرجه، أن يعين مساعد باحث، أى مساعدا لأحد أمانده الجامعة لصنع ساعات كل أسبوع تكافئة لسطه، ودون أن يؤدبه هذا على الإطلاق لوظيفة ثابته في هيئة التدريس بالكلية، بعكس وظيفه المعبد في الجامعة المصرية الى توهل صاحبها بعد أن يحصل على الدكتوراه لأن يصمم إلى هيئة التدريس

كان المقصود بأنطع أن يعهم قارئ الصحيفة المصرية الخير بهذا المعنى الخاطيء، فيكسب حظيت بسب السادات الاحرام الواجب تم الاتصال بمدير الجامعة الأمريكية لإحطاره بالرعة السامية، ففقه بدوره إلى رئيس قسم الاقتصاد، وكان شاب أمريكي يسارى الأفكار، وبوهميا جريث في نفس الوقت، منقل إلى الخير بالنصط، وقال له إن رعة مدير الجامعة هي الاستجابة لرعة رئاسة الجمهورية وأن الأمر بيدنا نحن أساتذة القسم، لنقرر ما نشاء فيما إذا كن نقبل تعيين هذا الشاب في وظيفه مساعد باحث بالقسم أصناف رئيس القسم إلى معلومات أيضا الخير المثير الأذى وهو أن مدير الجامعة قال له إنه فهم عن اصله من الحكومة المصرية، أن مسألة اعتراف الحكومة بشهادة الجامعة الأمريكية أو عدم الاعتراف بها، (وكنت

مطروحة في هذا الوقت ، إذ لم تكن هذه الشهادة قد حصلت على هذا الاعتراف  
(بعد) تتوقف على قرار قسم الاقتصاد نقول أو رفض تعيين هذا الشاب المحظوظ

كان تصرف رئيس القسم سريعاً مائة بالمائة ، وإن كان قد وصفا جميعاً في ورشة  
لا يحسد عليها . وكان حتماً مثيراً ومسلطاً للعبادة ، ذلك الذي عده في القسم  
سحق الأمر - كما أربعة أو خمسة بالإضافة إلى رئيس القسم أم رئيس لقسم فقد  
ترك لنا حرية اتخاذ القرار الذي يرضى صميرنا . سألت أستاذ مصري ، من بين أعضاء  
القسم ، عما يد كان هناك متقدمون للوظيفة عبر هذا الشاب ، فقل له إن هناك شاباً  
واحداً آخر يقدم لها وهو حاصل على درجت أكثر . فاقترح هذا الأستاذ المصري  
نعتي الإنسان صفاً للفرح وحر وجا من هذه الورقة ، هو اتفاق على ذلك وتم العس  
ولكن فوجنا بعد فترة قصيرة للعبادة ، لعلها لا تريد على شهرين من توزيع نشر حر  
التعيين هي الصحف . حذر استمالة هذا الشاب المحظوظ من الوظيفة . نتي عيبه  
فيها ، بعد أن وصفا كلها في هذه الورقة . رسمت بعد ذلك إبه شمل يحمل أكثر  
دحلاً بكثير يتصل سحرة التصدير ولا سيراد



كانت هناك بطبيع أشبه كثيرة مشتركة بين المجتمعات المصرية والجمهورية  
الأمريكية . كان من بينها لم يكن يحظر لي مال عندما كنت لا أزال شاباً عصياً  
عائداً لتوّه من البعثة . كانت لا تزال لديّ صندقة فكرة مثالية أكثر من اللازم وغير  
واقعة . شاباً عن أستاذ الجامعة ، أيّ جامعة ، تتعبد بالاهتمام الخففي بالعلم ،  
والانشغال المستمر بالمصائب الفكرية ، بدرجة تفوق درجة اهتمامه وانشغاله بأي  
شيء آخر . فلما رأيت أسئلة الخسمة عن قرب وجدت أنهم ، ما تشاء قلّة بدرجة  
للعبه ، على عكس هذا . فـ رحال من لحم ودم ، بهم تطلعاتهم بديهي مثل  
غيرهم ، ودور أهله ونحيرات صارحة تحكم إراءهم ومو فهم . والذي وحدته  
أعزب من كل هذا أن صبرهم على أي ماضيه فكرية حقيقية صئيل للعبه ، وميلهم  
إلى تقليد الأمور على أو جعلها متعددة صعب أو غير موجود أصلاً

لقد تبين مع مرور السنين ، أن مدلول الكلمة الإعلانية ne actual لا يتوافق

لا في عدد قليل جدا من الناس، وتوافره بين أساتذة الجامعة، مصرية كانت أو أمريكية، ليس أكثر بالضرورة منه بين غيرهم، وأن الحصول على شهادات العالمية، كالدكتوراه، من جامعات عصيمة، كهارفارد أو لندن أو أكسفورد أو باريس، لا يدل على أن شيء على الإطلاق فيما يتعلق بهذه الصفقة (intellectual) ليس لها في الحقيقة مقابل شئ في اللغة العربية، فهي بالطبع لا تعني التعلم ولا حتى التفهم، بل تشير إلى الأشعب المستمر، أو شبه المستمر، بأفكاره، أو رؤية المشكلة لعنصرية وراء أي حدث أو ظاهرة من أحداث وطوره الحياة اليومية (م عرّ عنه بعبارة أخرى أيضا كاتب إنجليزي كان يصنف جورج أروويل، فقال عنه إنه لا يمكنه أب يرحح لمبدل من جهة لسميح أنه، دون أن يحظر ناله المشاكل الاجتماعية التي تشرفها صاعه المبدل!) هذه الصفقة هي التي رعتي بدرتها من أساتذة الجامعة، مصرية كانت أو أمريكية، فبدأت أجدهم من بعد الصبر، عند ما تثار أي مشكلة ذات طابع فكري، الذي يمكن أن تحده عند أي مجموعة من الشباب صغار السن المشغولين بأي أمور صغيرة، أو عند رجال لا يعرفون نقره والكلمه



عندما جاءني خطاب من جامعة أمريكية أثناء وجودي في الولايات المتحدة في سنة ١٩٧٩ يعرض عني العمل بها، ولم تكن لدي رقتها أية بنة للعودة إلى العمل بالكويت، وكنت راعيا في العودة إلى مصر بعد انتهاء عملي كأستاذ وإثر بلوس أنجلوس، وحدث العرض ملائمة لي تماما، ورُسيت باسمقائتي إلى الكويت دون تردد عني الإطلاق. حظ لي بالطبع حاطر يتعمق بأن الجامعة أمريكية وليس مصرية، وأن العمل بها قد يكون عملا غير وطني. لم يكن من الواضح لي قط ما هو بالضبط الشيء، «غير الوطني» في قبتي بالمدرس في الجامعة الأمريكية بعد درُست فيها سنوات عديدة قبل ذلك، أساذًا لبعض الوقت أحيانا، ومتفرعا في سنوات أخرى، ولم أشعر قط بأني أقوم بعمل غير أخلاقي، أو أنني بذلك أتكر لوطني ومومي. كانت العالمية الساحقة من تلاميذ الجامعة الأمريكية مصريين مائة

باللغة، ولمس لدى كثيرين منهم شعورا وطنيا قويا، من أجل معصهم كانوا يريدون لي أكثر قدرة على التعبير عن هذا الشعور الوطني، من طلبة جامعة عين شمس مثلا، ربي لأن ما يسمعون به من رحاء يسمح لهم بالانتماس، ولو بعض الوقت، في رفاة المشاعر الوطنية. كما لي لم ألس قط من إدارة الجامعة الأمريكية ندخلا في النشاط السياسي للطلبة أكثر مما لمس من إدارة جامعة عين شمس، من كان من لم أصبح تماما لي أ الحكومة، ومعها إدارة الجامعات المصرية. أكثر حساسية بكثير لأي بادرة احتجاج أو تمرد من طلبة هذه جامعات منهم سدوك الطلبة في الجامعة الأمريكية، لسبب سيظ ويدهي وهو كثرة العدد في الأولى وقت في الثانية ثم لي لم أشارك قط في أي عمل إداري في الجامعة الأمريكية بحر صلي لاجتماع موافق قد تتعارض مع مشاغري أو موقفي السياسي. بعد لم أتوقف طولا بعد ذلك التذوق عما إذا كان في التدريس بالجامعة الأمريكية شبهة أي سدوك «غير وطني»

كان بطوف بحاطري أحياء، وإلم يكن بكثرة. تساؤلي عن اندرس الإنجليزية على الرغم من اعتمادي الأكيد بان بهمة أي أمة تتطلب درس العلوم بلغتها القومية، وتساؤلي عما لاند أن ترب على الدراسة بالإنجليزية في جامعة هي أمريكية في بهمة الأمر، من إصعاف انتميت بمختلف مصاهر إشعاعه الوطنية ولكني لم أكن أنصأ أن أوقف طويلا عند هذا تساؤلي أو ذلك، إذ كان من الواضح لي أن المرء يضادف يوم أفته لا حصر لها على اهتمام البعة القومية والتكر لشعامة الوطنية حتى في مؤسساتنا التي يعترض فيها حماية هذه بلعة وهذه الشفاعة، بحيث تدو أي حرمة قدر تكها الجامعة الأمريكية في هذا الصدد كقطرة في محيط، أو كدرة صغيرة من الملح تلقى في بحر صالح واسع، لا يمكن أن تويده ملو حة ثم شعرت بأن أرايا المحتشمة التي يوقرها لي انتميل بالجامعة الأمريكية، تحب في الحقيقة أي عيب من العيوب الي ذكرتها حالا، وأن راحة البال الي أحصل عليها من العمل في مكان كالجامعة الأمريكية تسمح لي بالقيام بأعمال، لخدمه وطني وتلاميذي، قد تمنعني منها بطوف العمل في جامعة مصرية كم ضرور إذن عندما قرأت قولنا لسك بكتب الأثير لسي (جورج أوروبس) يمتد به إرساله لاسه بالنسب إلى مدرسه من المدرس لأرستقراطية والمسماة في إنجلترا Public Schools، على

الرغم من ميله الاشتراكية وكرامته للاختيارات الصعبة ناله أوروبيين معلقا على ذلك (بمعنى أما صد نظام Public Schools، وأؤيد للعاهة، ولكن طالما هو موجود ساحل أرسل إلى مديرة من هذه المدارس) لقد فهمت هذا القول بمعنى تفصيل الواقعية الكاملة على الاستسلام للشعارات المخدرة، وبمعنى الاعتراف بأن قيمة المروءة على أن يحدث بحسب المعرف تعبيراً مهماً في نظام السائد قدرة محدودة جداً، وأنه قد تكون من عواقب أن يصحى المرء بمسسه، أو بمصالح شخص مهجة أو لأسره، في سبل التمسك بمدأ عام لا توجد أمامه فرصة جدية لتحقيق في المدى المطلوب

ومع ذلك فقد اتحدث بعض خطابات في نشهور لأولى التالية لبدء عملي في الجامعة الأمريكية كأستاذ مفرع بها في ١٩٧٩، لمحقق في ذلك هناك عمل آخر ملائم لي في مكان آخر «مصري مائة بالمائة» فقامت مدير مركز الدراسات الاجتماعية والجمعية الخاصة (الدكتور أحمد حلمة) سألت من العرض المتاحة لي للعمل في هذا المركز، فلم أحداً منه تشجع وبصحي أن أبقى حيث أنا ومألت عن حالة الجامعات والديمقراطية ومراكز من أساسيات أن أقدم بطلب عمل بها، فكان ما سمعته عن ظروف العمل بها كافي لصر في نظري عن ذلك أم فكرة العودة إلى كلية القديمة، حقوق عين شمس، فقد بدأت مستحبة من ائدية بسبب ما لا بد أن ترتب عن عم دولي إليهم من مراجعة زملاء قدامى فيما يحققونه من دخل من كتبهم الجامعة وهكذا انقضى العام بعد الآخر، وأندأ من في الجامعة الأمريكية دور انقطع إلا مرتين، مستفيداً مما تتيحه هذه الجامعة كل مستويات، من تنوع للبحث لمدة سنة كاملة دون تحييص في المرتب كتاب بيحه التصريح الأول كدسي لكتاب «قصيدة مصر الخراجية من عصر محمد علي إلى يوم» وسيرة المرفع الثاني كتاب «كشف الأئمة عن نظريات الشيعة الاقتصادية»



دانشگاه السنين اللين فصتهما بعد نحرني مباشرة في وطعة بإدارة الفتوى والشرع بمجلس الدولة، ولوت الأربع التي قصيتها في الكويت كمستشار

اقتصادى للصدوق الكويتى، كانت وطيمنى الوحيدة مد تخرجت هي التدريس في الجامعة. واعتقد الآن، كما كنت أعتقد دائما، أنى معيد الخط إذا اشتعلت بالعمل الذى يلائمى تماما. فانا أكاد أن أكون قد ولدت مدرسا، أعين موقف ادرس عشقا، ولدى القدرة على تسبب الفكرة المعقدة، وأجد متعة في توصيلها للآخرين. وبم أعطى نفسى على الأقل لىم أحل بسوس والمعادنة لتلاميذى، إذا حكمت على نفسى بما على ما أسمع من رأى تلاميذى في محاضراتى ومعاملتى لهم. أما فيما يتعمّن بدرجة نحى في توسيع مداركهم وزيادة معلوماتهم فانا أقل ثقة في نفسى، إذ كنت دائما أخرج من المحاضرة، أنا أشعر بأنها كان من الممكن أن تكون أفضل بكثير، ولكن لعل هذا هو في حد ذاته دليل على الأداء الجيد في هذا الأمر أيضا.

لقد مرّ علىّ الآن أكثر من أربعين عاما منذ ألفت أول محاضرة جامعة لى في كلية الحقوق بجامعة عين شمس (١٩٦٤)، وما أكثر دن ما ألقى من محاضرات! درست بالعربية والإنجليزية، لصحية لم يبدعوا العشرين، ورحال وساء ما صحين يحضرون للبحر جئير، في جامعات مصرية وأمريكية، في مصر وفى الولايات المتحدة، كما كنت أحيان ألقى المحاضرة في كلية حقوق عين شمس، ثم أذهب بعد انتهائهم لإلقائهم من جديد على طلبة كلية شرطة، إذ كانوا يتقدمون لى لاعتبارات ليصبحوا قانونيين وصباط شرطة في نفس الوقت. ما أكثر المحاضرات إذن التى ألفتها في جامعات مصرية، وكذلك في بعض الجامعات العربية كعدداد وصعاء، وما أكثر المحاضرات بعامه التى ألفتها في داخل مصر وخارجها، في بيروت ودمشق والكويت وأبو ظبي وعمان وتونس والجزائر، وفي خارج العالم العربى درست في لوس انجلوس، وألفت محاضرات عامة في اكسفورد وطوكيو وأستطيع بعد هذا أن أقول بكل ثقة اكم هي مهة رائعة!

أقول هذا بكل ثقة، ولكنى أعرف أيضا أنها ليست مهة. نعه في نظر الجميع لى أعرف أشخاصا من أصدقائى ومن أفراد عائلتى عن أعزهم أذكى لى بكثير، أو أوسع ثقافة، أو أكثر نشاط وأعلى همة، ولكهم لا يطبقون فكره أو يشتغلوا ول

يوما و حدا بالتدريس . بعض هؤلاء يرون في وظيفة التدريس تكرارا عملا لنفس الكلام عاما بعد عام دون إضافة تذكر . وبعضهم يفصلون بوجه عاقلهم لمحاولة اكتشاف شيء جديد أو اكتساب معرفة جديدة ، على إصاعتها في محاولة توصيل معلومات معروفة أو نظريات مستغرة إلى آخرين ، أو إلهام تلاميذ صغار ، بعضهم لا يستحق أصلا بدل أي جهد معه . والبعض يفصل استخدام معرفته وعلمه في صنع شيء له نتائج عملية مباشرة ، كإنشاء مصنع أو إدارته أو استصلاح أرض ، على تدريس شروط الإدارة لباحة لشركة صناعية أو شرح الأبراع المختلفة للترنة أو الطرق المختلفة للرى إلخ . لا بد أن مثل هذا هو الذي كان يقصده اسكاتب لايرلدى لشهر برناردشتر في عيانه السخرة من التدريس والسررس "من يعرف كيف يقوم بعمل ما ، يقوم به بالفعل ، ومن لا يعرف ، يقوم بتدريسه"

هناك بعض الصلحة ، بلا شك ، في هذا القول ، ولكنه ناس أكثر من الازار فالمدرس ليس دائما شخصا هائلا دعهه قبله إلى الاشتغال بالتدريس ، بل قد يكون دافعه إلى ذلك بعض انصعاف الطسة بلعية ، كالتعطف مع الآخرين ، وانفدرة على فهم نوارعهم واهتمامانهم ، والحسنة بالحوو سماعه ، ما يصهم بالملل والشخص المفرط في حجه من الناس أو خوفه منهم ، أو المفرط في الحساسية ، لا يمكنه فيما أظن أن يكون أستاذ باحدا . وكذلك الشخص الثرثار عطبه ، أو العاجز عن رؤية ما يصحك في موقف ما ، أو الذي يسعى بمسبر ما يرسم على وجود تلاميذه أو المستمع إلى إيج المدرس الحاج يحتاح إلى نوارع صمرت عرب من صفات امثل الحج لا بد أن يهجمه ان يحصل على إعجاب الناس وتصفيقهم ، ونسره شمة رؤية وجوه المستمعين أو المعرجين وقل عنهما اندمة أو معصرات الدهشة أو الالعب ، ناهيك بالطبع عن قوه انصوت ووصوح سراه وبعض لفصاحة لا بد أن بعض هذه الصفات تتوافر في ندرحة معقولة ، وإلا ما طبلت راضيا عن نفسي ، بل وما استمر اشتغالي بالتدريس طوال هذه سنوات . ولكن لا شك أيضا أن خردا من محاحي كمدرس يرجع إلى نوافر بعض الفاتص وأوجه ضعف فقد كان دائما يهجمي رأى الناس في ويهجمي الحصول على تقديرهم أو إعجابهم ، بل ويبدو أني كنت دائما احتاح إلى ما يؤكد

في هذا التقدير أو الإعجاب على فترات متعاقبة، والاداءات أبعاد الثقة في نفسي  
فكان كل محاضرة حديده كانت تعطى هذه الفرصة ومن ثم استعد لها تمام  
الاستعداد، وأحد بها كل وسائل الحيلة وكأني مقدم على معركة. لاشك أنني لم  
أكن قط شديد ثقة بنفسى، وهذا على الأرجح شعور ولد معى ولم تعلق ظروفي  
أسرتي وبشأنى في اقتلاعه. والذي يعانى من مثل هذا الشعور لابد أن يجد مصدراً  
مهماً لنسوى والطمأنينة في عمل كالتدريس أو التمثيل، وأظن أن التدريس أدى  
لى هذه المهمة بكفاءة عالية

كان من الطبيعي أن أشعر بسرور مصعب إذ لمست هذا الإعجاب أو التقدير  
فيما يرسم على وجهه تلميحاً نياً، خاصة الحميلات مهن لقد كان لى أيضاً  
شعور دفين مدس منكرة للناية، بأن من الصعب جداً أن تعجب بى فتاة أو امرأة  
لا أدري من أين جاء هذا لشعور اللعين الذي لم يعلق قط في القصة، عليه أى دليل  
يأتينى على عكسه. ولكن هاهى وطيفة التدريس تعطى بعض التعويض، لأن  
كان تعويضاً مناسباً للنناية، عما حرمنى منه هذا الشعور تجاه المرأة فكلم تلقى من  
تعبيرات الإعجاب والتقدير على وجه تلميذات حميلات، في كل جامعة فب  
بالدريس فيها، (بأسوء كليه الشرطة بالطبع حيث كب. لهذا سبب ملاشت.  
أقل إقبالا على التدريس فيها سوى في غيرها) وكم ظلت رؤية وجه حميل بطلانة  
معيه أو أخرى، و مسترة تعبير الإعجاب به، حافزاً إضافياً لى لندهدد بحماس  
لللقاء المحصورة. وقد اعترف لى مرة أستاذ مصرى كبير بأن شيئاً كهذا هو اثنى،  
الوحيد الذى يجعله يفتق مهمه لتدريس أصلاً. وقال لى أستاذى روس مرة، في  
محضرته بكليه لندن للاقتصاد، إن الأشغال بالدريس به شبه بالرواح من امرأة دائمة  
الشباب. ولعله كان يقصد أن الأستاذ قد يستمر عما بعد آخر في تدريس نفس  
المقرر لثلاثين من نفس العمر، فإذا به يجدد شأبه باستمرار من اتصاله المستمر  
تلاميذ لا يشيخون أبداً. قد رجحت ملاحظته صحيحة، ولكنى وجدت ملاحظة  
صحيحة بوجه خاص إذا كان بين التلاميذ بعض الفتيات الحميلات

هذه امبره المهمة التى كان يحققها لى بالدريس، وهى المحصور على إعجاب  
اساس وتقديرهم، أو بالأحرى التصويت كل فترة وحيرة على تحديد الثقة فى، ومن



ثم تجديد الشعة بنفسى ، لابد أن كثيرين من احبوا هذه المهنة يشتركون فيها معى ، ولكنها على أى حد ليست المرة الواحدة التى كنت أجدها فى وظيفة لتدريس كاد هناك بالإضافة إلى ذلك الحرية الوافدة التى يتمتع بها الأساتد أكثر من أى موصاف آخر ، إراءه مرفوسيه ، وهم الطلاب ، وإراءه رؤسائه ، وهم رؤساء الأقسام وابعدهم ومديرهم اجمعات . فمن المبادئ المستقرة وإن لم تكن مدونة ، أن الأستاذ حر فى اختيار ما يقوله لللاميذه ، واختيار الطريقة التى يريد بها للتدريس ، وفى وضع ما يشاء من امتحانات فى بوقت الذى يروق له ، وفى تجديد الكتب التى يطلب من اللاميد قراءتها . إلتح هناك بالطبع حدود لكل هذه الأمور ولكنها حدود قصده حدًا وترك للأستاذ سلطانا تصب مقاربه أى سلطان آخر هكذا جرى تسمير مبدأ «الحرية الأكاديمية» حتى أصبح الأستاذ ملكا غير مروج ، يرفض بإيه وشهم عرض أى قيد على حريته ، و صرح من اصعب الأمور على الطلاب أن يخلصوا من أساتد سيئ ، بد من بدري ، ألا يجوز أن يكون أساتدا عبقريا يطق طريقة فى التدريس سم يسمح بها أحد ، ولكنها أفضل فى الحقيقة من أى طريقة أخرى ، وقد يؤدى أساسا بحريته إلى تعطيل إيداعه وقد المجتمع لتصور علمه ؟

ولكن وظيفة التدريس نأحت لى أيضا مزايا أخرى كانت ذات أهمية كبيرة لى وقد وجدت أن أفضل طريقة لمهم لشكته المعقدة أن يصطر للمرة لى بتدريسها ، بد إلى بطنة رقة متروون على درجه فهم الأستاذ لما يعون . وقد يجبر لأمت ، عالم يكن يصاد ، على فعل استجيل حتى يصح عاردا على مواجعة أى سؤال لتوضيح ما يقوم بشرحه . والأساتذة الذين يتحرأون على أن يتكلموا عن أشياء لا يحسون فهمها صفت نادر ، والعادة أن تصبغ أمرهم تنصل بذلك مبيرة أخرى هى الانتكاز . والأشياء إلى أفكار جديدة . فالمحادثة المستمرة للشعمن فى معهم استعدادا لمواجهه التلاميذ كشراف تعود الأستاذ إلى أفكار جديدة قد يكون بعضها ذات قيمة . والحقيقة انى مذهب للتدريس بكثير من مقالانى وكنتى فإذا كان شعصه بعض اجمع فهو بلا شك نافع فى الأصل من حوفى من أن أقول كلاما غير مفهوم

لكل حد أعتبر نفسى سعيد المخط ، بد كانت الوظيفة انى أكسب منها ردى تجلب

لى كل هذا اعترف من السرور والرضا عن انفسى وللهذه الاسباب أيضاً، تكثر من  
 ائى سببى، لم أفكر قط فى أن أستبدل بمهنتى أخرى حتى المرة الوحيدة  
 لى تركت فيها التدريس للاشغال عمل آخر، كنتشار للصندوق الكويتى، كان  
 فى دهى دائماً أهدى بحرية مؤقتة لا يمكن أن تستمر طويلاً، وهذا هو ما حدث  
 بالعمل



لم أصادف أثناء عملى فى الجامعة الأمريكية الكثير من المشاكل من النوع الذى  
 يشتر قصبة «أخلاقية» حدث مثلاً بعد شهر قليل من بداية عملى بهذه جامعة  
 لعمره الثانية كأستاذ لكل الوقت فى اواخر السبعينات، أن اشحق بالجامعة، كتلمذ  
 فى السنة الأولى، ان شاء يربا كانت الثورة الإسلامية فى إيران قد أطاحت  
 بحكم الشاه وحالت أسره فى السدي للإقامة فى مصر خلال عهد السادات صديق  
 الشاه الولى. وكانت الأسره معتقد أو تأمل أن يكون الثورة الإسلامية قصيره  
 العمر، وأن يعود الأمره إلى إيران فجلس هذا الأس على عرش أبه خلال هذه  
 الفترة لم تجد للأسره مكاناً للاس أقص من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكان أحد  
 العصور التى التحق بها الفصل السدى درس فيه مبادئ الاقتصاد كان يحصر إلى  
 الفصل محاطاً بحراسة مشددة ويظل الحراس واقفين خارج الفصل طوال  
 المحاصرة، وحتى يعودوا به إلى مرله أذكر أنه حضر محاضراتى مرتين أو ثلاثاً ثم  
 انتقم عن الحضور وبعد بضعة أيام فصل سى رئيس القسم ليقول لى إن رئيس  
 الجامعة يرجو أن يكون من الممكن أن أذهب لإعطاء الشاه درس الاقتصاد فى  
 مرله، إذ إن ظروف لاس وصعوبة حرسته تجعل من غير المستحب جروحه يوماً  
 إلى الجامعة أخبرونى أيضاً بأن بقه لأستاذة بذي سبب سول له سوف يطلب منهم  
 نفس الطلب، وأن معصهم هذا وفق العمل واستعرت ان أسمع ان أستاذة أمريكيا  
 كسرا فى العلوم السياسية قد وافى على أن يذهب لإعطائه الدرس فى منزله، كما  
 لم تعارضى وميله مصره لم يطل تفكيرى فى الأمر وسرع ما رفضت طعنا  
 مرت محاضرى صورة بعض اسجاد الإيراني وهو يصل إلى بيتى كهديبه، أو شىء

ثم آخر ، و تكى اعتبرت المسألة واضحة كالشمس ، وأن الرقص هو الموت  
 الوحيد ، لا لا تقى بدت في الأمر إهانة لا شك فيها للأستاذ ، وبذكرت انقصة التي  
 حكاهما لي د . عبد العظيم أيس ، أستاذ الرياضيات اخليل ، عندما كن مكلما  
 بوضع أسئلة الثانوية العامة في الرياضيات فاقصه له مكتب رئيس الجمهورية ،  
 وكان الرئيس في ذلك الوقت أنور اسادات ، ليطلب منه أن يعطى دروسا  
 خصوصية في ارياضيات ، لاس الرئيس ، وكان العرض بالطبع محذولة إعره بال  
 يساعد الولد على اختيار الامتحان سدريه ، على نحو أو آخر ، على لإحادة على  
 من الأسئلة التي سينضمها الامتحان ، فما عمل د . عبد العظيم عن القيام بهذه  
 المهمة شارحا لهم السب ، وهو أنه هو الذي يقوم بوضع الاسمان ، ثم يروا بالطبع  
 وحاجة هذا المدرس ، إذن هذا العذر بالقبض هو ما جعلهم يطلبون منه لقيام  
 بهمه رشع لهم د . عبد العظيم أسادا آخر وامدح قدراته وكفاءته ، فاصطروا  
 لظهور ماواقفة وتكى انتهى الأمر بأن ميارة من رئاسة الجمهورية كانت تذهب  
 لإحضار لأسد إلى مرس الرئيس ، يوما بعد يوم ، ثم ترك لأساداته أو أكثر في  
 حجرة الاستقبال ، يقدم له خلالها مشروب بعد آخر ، وتنتهى بأن يثنى شخص  
 ليعتذر لأستاذ بأن التلمذ مشغول اليوم بحفلة عيد ميلاد مهمه أو ماى عدد طارئ  
 آخر . تصورت الأستاذ لسكير ، أثناء عودته دليلا إلى منزله وحجم الدم الذي  
 لابد أن يكون قد شعر به إذ قل أن يعوم بهذه المهمة ولم أستطع أن أنصروا أن اصبع  
 بعضى في مثل هذا الموقف لم يلح على أحد في الفصول ، ولا أعرف ما إذا كان قد  
 ذهب شخص آخر بدلا مني أو لم يذهب ، ولكن سم تفتش شهر فقية حتى سمعا  
 أن أميرة الشاه قد تركت مصر بأمرها تفتش في مكان آخر



من التلمذ من مصدر لا سرورى وتجدد رضى عن بعضى ما بعد عام ، ولا  
 بعضى منه السأم ولكن لاحظت أنني في محاضراتى آمن أكثر وأكثر ، مع تدمى  
 في السن ، إلى لقو . من الخوض في التفاصيل ، ومن شرح نظريات وموضوعات  
 كنت أعشرها مهمة في الماضي ، فأصبحت أعتبرها قليلة أو عديمة القيمة ، وإذا  
 أشك في قيمة تدريس كثير من نظريات المشهورة ، التي ربما امتدت فنتتها من

أدبتها ودفنت دون أن تكون لها أي قيمة علمية، هدر استهال ليست إذن أكثر من مبرر عفى يمكن أن يحصل الطالب على بعض منفعته من إنشاء أخرى قد لا تكون لها صلة بالعلم. لاحظت أيضاً زيادة اهتمامي بأن أذكر في محاضراتي، أكثر فأكثر، خواص الشخصية للاقتصاديين الكبار الذين ندرس أفكارهم، كمعنى المعلومات السدئة عن تعليم جون سبوارب ميل وشخصية آييه، أو عن علاقة كير بمصن الكتب لمشهورين من أعضاء جماعة بلومبري، وحرص مارجينيا ووف على معرفة رابع قى رواياتها، أو عن علاقة والد مالتس بحداد حلاك روسو. إلح الطلاب محمود دائماً، بالطبع، أن يتفرق المحاضر إلى مثل هذه الأمور، ولكني أصبحت أميل مع تقدمي في السن إلى إعطائها أهمية أكبر من ذي قبل، بل وبدأ أشعر أن تأثير مثل هذه المعلومات في النفس قد يكون أعمق وأكثر دواماً، وربما أيضاً أفضل وأحسن، من تأثير المعرفة بالنظريات العلمية بها.

قد يزيد هذا أشى لا أزال أتذكر حتى الآن ما قد يكون قد فاته أستاذ قديم لى، من إحدى محاضراته، عن شىء لا علاقة به بالعلم الذى كان يدرسه، ولكنه يتعلق بجات إنسانى أو أخلاقى عام. وبعد وقت قريب وقع بيدى كتاب أستاذى القديم ليوبيل روسو، الذى أشرف على دراستى للبحسبى فى إنجلترا، عن تاريخ الفكر الاقتصادى، وهو كتاب استخرجه تلاميذه مباشرة من محاضراته. نى أنفها بعد أن تجاوز من الشعبى، وتعتمد اعتماداً كلياً تقريباً على تسجيلات هذه المحاضرات، مع حرص على عدم إجراء أى تعديل مهم عليها، إلا ما كان منها ضرورياً تماماً لاستقامة لمعى أو استكمال الجملة. لفت بظرى أن هذا الكتاب (أو هذه المحاضرات) كان مليئاً بمثل هذه لقصص والأحار عن جرات شخصية نحة للاقتصاديين، ليسين يتكلم عنه، واننى تكشف عن جوانبهم الإنسانية، إصلاح منها والطالح، أكثر مما تكشف عن مساهماتهم الفكرية. فلت بنمى (وما الذى توقعه غير ذلك؟) رجن يلقى محاضراته بعد أن تجاوز الشعبى، أى بعد أن اكتشف ما هو المهم فى الحقيقة وما هو غير المهم، دعه أكثر فأكثر إلى الحديث فقط عما يقع الناس ويكتب فى الأرض»



## «ماذا حدث للمصريين؟»

في أعقاب توقيع أئور السادات الاعتراف المعروفة باسم «إماتية السلام» مع إسرائيل في مارس ١٩٧٩، أصبحت كلمة «السلام» هجاء من أكثر الكلمات تداولاً في مصر، فأصبح رئيس جمهورية الذي وقع لاتفاقية يوصف بأنه «مطل السلام»، وأحياناً «مطل الحرب والسلام»، وأعلن عن أن ترعة جديدة شق بوصول مياه النيل إلى سيناء وأطلق عليها «ترعة سلام»، وشع سحخدام «السلام» كاسم لمحلات والمطاعم والحدائق الجديدة. وكان لا بد أن تحتد الظاهرة لتدخل في مقرراته الشعبية أيضاً.

فعى صيف ١٩٨١، عادت ابنتي من امتحان الشهادة الابتدائية الذي جلس فيه أكثر من ٦٠٠ ألف تلميذ وتلميذة متوسط أعمارهم ١١ - ١٢ سنة، ودخل معهم أكثر من نصف مليون أسرة مصرية تمثل أكثر من ٥٠٪ من مجموع الشعب المصري وأساسى لدول عندما قرأت ورقة امتحان اللغة العربية.

علامتحد يكون من عشرة أسئلة (بما في ذلك أسئلة الخط والإملاء) كانت أربعة منها تتعلق بالسلام. مسؤال المحفوظات يبدأ بالعبارة الآتية «أشرفك يا يوم السلام»، ومسؤال أصبح يطلب إعراب «أشرفك راية السلام»، ولعمل مصراع منصوب اسسحر حه من القطعة هو «يشيد بعالم يحب مصر لسلام». والموضوع المختار من موضوعات القراءة المقررة تكلم عن استرداد مصر بقائتها «نشئت للعالم رعينها هي السلام». بن ولم نجد واصحو الامتحد هي الفردن الكرم ما يطلب من السلام شرحه إلا «أوجدلناكم شعور وقائل لتعدروا»، ولم يجدوا هي لسيه السوية إلا أن «مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوم السلام»

أسدي الغصب لدى قراءة ورقة الامتحان وجلس لكثافة مقال تضاءت فيه عن الدافع الذي يجعل المستحق بصور أنه ليس هناك قيمة من القيم تستحق الاهتمام والغرس في نفوس التلاميذ من تلك التي تتعلق بقيمة سياسية، وعمما إذا كان الدافع إلى اهتمام المتحدين به هو دافع "تحرير مبادئ الحكماء وأرست لمقال إلى جريدة الأهرام اليومية ولم أستغرب أنه لم يشر - قمع المقال في أحد أدرأحي حتى حاولت مرة أخرى بعد نحو سنة ونصف، إذ أرسلته بالبريد العادي مجلة "الأهرام الاقتصادية" التي كان يرأس تحريرها رجل شجاع ووطنى هو د بطى عبد العظيم، وكم كان سرورى عندما وجدت رؤية المقال مشور بالمجلة (في عدد ٢٥ يناير ١٩٨٢)، وعنوان المقال عن علاقتها ولم أستغرب نشر المقال هذه المرة، إذ كان رئيس الجمهورية قد قُتل قبل نشر المقال نحو أربعة أشهر، ولأسباب ليست ميتة الصلة بالعاقبة "السلام"

كما هي عادتي، لم أتأكد من أن المقال جيد إلا عندما قال لي بعض من قرأه إنه جيد، وكانت هذه بداية شعورى بأنى قد تكون أكثر من قبيح. كان هذا منذ ٢٤ عامًا، ولم أتوقع منذ ذلك الوقت عن الكثافة في الأمور العامة، وكأنى عثرت مجلة، عن طريق كتابة هذا المقال وبشره، على حرفتي الأصلية التي تنكرت لها منذ قررت دخول كلية الحقوق وأنا في السادسة عشرة من عمري. شجعتي بطبع على الاستمرار في كتابة هذه المقالات الامتثال لحدا الذي حظيت به مقالاتي في نشرتها بعد ذلك في مجلة الأهرام للاقتصادى ثم في جريدة الأهلالي، بعد عودة حرائد المعارضة إلى أعينها السادة إلى الطهور. كاتب أفضل هذه المقالات، في رأيي، تلك التي تجمع بين الخاص لعام، أى بين تجربة شخصه خاصه وبين مشكله عامة ذات معنى، تتعلق بأحوال مصر والمصريين. كان مقدس عن أسئلة امتحان الاسدي من هذا النوع، إذ جمع فيه بين تجربه اسى الشخصيه والعبد الذي يطوى عليه جبار السلام على التعبير عن موقف سياسى حاطي اتحدته الحكومة، كما كان من هذا نوع أيضا مقال آخر لى بعنوان "المذكرات مثقف مصرى عن وقائع تمديد رخصة سيارته"، احتوى على وصف مفصل، خطوة خطوة، لمبادئ فى تحديد رخصة سيارتي، وهى معاناة استمرت أربعة أيام كاملة انقطعت فيها تماسا عن

العمل بالتعريف لتحديد الرخصه ، ولكنه يلخص أصلاً مشكلة عامة هي ما نعناه  
لمصريون جميعاً في تعاملهم مع البيروقراطية المصريه

تبين لى بكتابة مقال بعد اخر من هذا النوع ان هذا هو أحب أنواع الكتابة لى ، لا  
الكتابة في الاقتصاد ولا في السياسة ولا في أى موضوع آخر ما لم أستطع مرحة  
تنتجرة خاصة لى . ثم تبين أيضاً أن كتابة هذا النوع من المقالات هو فى الحقيقة  
أكثر ما يجلب لى السرور على الإطلاق ، أكنه بلا عمام واستعراق نام وبذلك النوع  
من السرور الذى يجلبه التعبير الحر عن النفس . كانت عملية الكتابة نفسها مصدر  
سرور يتوق ما تجلبه لى رؤية المقال منشور ، بل ويتوق ما يجلبه نداء أسمعه أو أقرأه  
على لسان من كان هذا وذاك يسرنا لى بطبع ، ولكنه سرور قصير العمر سرعان  
ما يبرول ، أم السرور الذى يجلبه التفكير فى موضوع المقال ووضع حصته ثم كتابته ،  
فهو ، كما بيت ، لأكثر حدوثاً والأطول عمراً .

مع تكرار تجربتى فى الكتابة والنشر استقر فى ذهنى أن من الممكن بالعمل أن  
اصبح «كاتب» ، لى أن أحقق ذلك الأمل القديم الذى بدأ يراودنى منذ مطلع الصبا ،  
وبكده كان حينئذ أعرب إلى حلم من أحلام اليقظة . وبعد زادت ثقتى بذلك شيئاً  
وشياً بشرى كتاباً بعد آخر فى موضوعات غير اقتصادية ، واستقبال بعض هذه  
الكتب استقبالا حار من القراء . ولكن لى رشح هذه الثقة بنفسى ككاتب ، هو  
المجاح الذى حققه كتاب «ماذا حدث للمصريين»<sup>٤٩</sup> ، وهو مجاح ، وإن كان قد جت  
لى الكثير من التعرج ، اثار لدى أيضاً الكثير من اعبط

بدأت قصة هذا الكتاب فى سنة ١٩٩٦ بطلب من صديقى مصطفى سبل ، عدم  
كان رئيساً لتحرير محله لهلال الشهرية ، بأن أساهم بمقال فى ملف بعنوان «ماذا  
حدث للمصريين»<sup>٤٩</sup> دى فيه عدد من كتاب الهلال ، كل بدلوه ، فى الإجابة عن هذا  
السؤال ، من أى زاوية يشاء ، إذ قدرت المجلة أنما ، ومنح على أعتد انقرب الواحد  
والعشر من ، يجدر أن نتأمل ما طرأ على الحياة الاجتماعية فى مصر من تغيرات ،  
وأن نحاسب المصريون أنفسهم على ما ارتكبوه من أخطاء ، على أمل أن بدأوا  
صمحه حديثة فى القرن الحديدي يحققون فيها ما مثبوا فى تحقيقه من قبل .



وقد رحلت بالمصاهرة، واحتجرت أن أكتب بعد طراً على مركز المرأة في مصر من تمر خلال الخمسين عاماً خاصة، من خلال ما حدث من تطورات سنتها من حرق أنا والشخصية، فصار بين مركز ثلاثة أجيال من النساء في أسرتي جيل أمي، وجيل أختي، وجيل بنتي وحاولت، من جديد، أن أهتم بالخاص من خلال العام، والعام من خلال الخاص، إذ مرت بين تجربة أسري الخاصة وتجربة المجتمع المصري بصقة عامة، ووجدتهما، كما توقعت متطابقتين. وقد شععتي هذا، كما شععتي أهمية الموضوع، على أن أناول ناحية بعد أخرى من المجتمع المصري، فأنتج بطوره في الخمسين عاماً الماضية هو عمر وعيو وإدارتي لما يحدث من حولي فكانت حصيلة هذا العصور التي تكوّن منها كتاب «ماذا حدث للمصريين؟»

وقد نجح الكتاب مع القراء محدداً بآهر جعل نسخ الطبعة الأولى التي شرحتها دار الهلال في يناير ١٩٩٨، تعد في أقل من عام، مما دفع مكتبة الأسرة إلى إصدار طبعه الجديدة في العام التالي (قبل بي منها من حمير ألف نسخة) وبعدت أيضاً في نحو عام، ثم صدرت بعد ذلك طبعتان أخريان بالعربية، وترجمه فم النشر بالخمسة الأمر نكة بصدرت طبعة إلكترونية في سنة ٢٠٠٠ أعيد طبعها تسع مرات

كنت أستطيع أن أحضّر لمدّ نجح هذا الكتاب مع القراء أكثر بكثير عما نجح غيره، ومع هذا فقد كتب أشعر بالعميق عندما كان يحدث أن يقابلي شخص، بعد صدور الكتاب بعدة سنوات نشرت خلالها عدة كتب أخرى لا بأس بها، فإذا به يقول لي «أهتلك على كتابك»، وأطّل لوهده أنه يقصد كتابي الأخير فإذا به يقصد بالطبع «ماذا حدث للمصريين؟» تذكرت العيط الذي كان يشعر به يحيى حقي عندما لا يذكر أحد اسمه إلا مقترناً بقصه «قيليل أم هاشم»، على الرغم من أنه نشر عشر القصص والروايات بعده، وكان هو بعينه أن أفصلها جميعاً برواية أخرى هي «صبح اليوم» وتكررت أيضاً الكاتب الاثير لدى (ألفريد إيبر) A. J. Ayer، الذي نشر وهو لم يتجاوز الثالث والعشرين من عمره كتاباً صغراً اسمه «اللعنة والحققة والمطلق» (Language, Truth and Logic) لخص فيه بوضوح وسلاسة مذهبه فلسفة الوصية للمطلق، فظل حتى آخر أيامه لا يذكر اسمه إلا مقترناً بذلك الكتاب، وكان هذا يعطيه بدوره إذ كان يعتقد أنه نشر بعد هذا الكتاب كتاباً أفضل منه بكثير

لاحظ أن هذا الكتاب (ماذا حدث للمصريين؟) مريح أيضاً بين وصف تحارب شخصية لي وتحارب المجتمع انصري ككل، فقلت لعمري «أليست هذه اسمته هي أيضاً لي تلاحظ في كتابات أحب الكُتّاب الإعلام إلى، وهو جورج أورويل، الذي كان يكتب وكأنه يتكلم، ولا يجد أي عضاصة في مقالاته من التطرق من الحديث عن موضوع عام بالغ الأهمية، إلى حدث عن تجربة شخصية له، أو العكس؟ أو ليست هذه سمة من بين صاحب الرجل إلى؟ ثم أليست هذه أيضاً سمة لكتابات واحد من أحب الكُتّاب السياسيين المصريين إلى وهو أحمد بهاء الدين، الذي كان بدوره يكتب وكأنه يتكلم، وكان كلامه، الممتع دائماً، مليئاً بالفصص أبو قصة الصبغة التي مرت به وعاشها معه، ولكنها كانت دائماً فصفاً ذات معنى عام ولا تكون تأمليه أبدأ؟»



في سنة ١٩٩٠ حدث اعتداء فظيع على بعض الأقباط في مدينة أبو قريص بالصعيد، وأثر الحادث في نفسي تأثيراً بالغاً، فكنيت مقالاً شديداً اللهجة أعترهه عن مشاعري براهه. وقد سررت جداً برد الفعل الذي أحدثته مقالتي في الدفاع عن الأقباط وسهجن الأعداء عليهم وسكوب الدولة على ذلك، وخاصة بين الأقباط الذين رحبوا بالمقال ترحيب شديداً وصح بعضهم سحاً جديدة من لفتان وقاموا بتوزيعها وأصل بي كثيرون منهم، ومن المسلمين كذلك، للتعبير عن تقديرهم لمقال. وكان سروري شديداً على الأخص بمكافحة تمهيتها من يوسف إدريس قال لي فيها إن في مقال إشجاعة وحكمة وموهبة. وكانت هذه إحدى مرتين كلمتي بهما يوسف إدريس تليغوب، كان في المرة الأولى يشكرني على مقال كتبتة بعماد «عصر التشكيك في الديهييات» ونشره جريدة الأدهي في أوائل الثمانينات، دعت منه عن يوسف إدريس ضد الهجوم، لعائتي، الذي تعرض له، بما في ذلك هجوم على من الرئيس مسارك في إحدى خطبه، لمجرد أن يوسف إدريس تجرأ ونشر وطبع مقالات في حريمه خليجية يتقد فيها الرئيس السادات ودوره في حرب ١٩٧٣. وأذكر أنني في ذلك المقال رددت على من قال إن يوسف إدريس بذلك

يسى، إلى سمعة مصر، بقولى إن سمعة مصر هى سمعة يوسف إدريس بعينه باعتبار أنه أكثر كاتب قصة قصيرة عرفه العالم العربى. وقد سراً المقال يوسف إدريس بـ درجة جعلته يصمم مقالاً كاملاً إلى أحد كتبه (فكر الفقر وفقر الفكر) مع إشارة طيبة إلى



كنت أيضاً بحساس شديد فى الدفاع عن أحمد بهاء الدين ضد هجوم فى عاية السمعة من ثروت أبطة، عندما دفع بهاء الدين عن القطع عام قفا. ثروت أبطة إن دراسته فى كلية الحقوق تودى إلى القول بعير ذلك مرة كان الأجلر سهاء، ما دام قد درس هو أيضاً فى كلية الحقوق، أن يدرك ذلك. وقد كان شعورى نحو ثروت أبطة، منذ وقت طويل، شعور سلبى، بدأ منذ كان أبى تلميذاً معه مكلمات تليفونية، عندما كان ثروت أبطة لا يزال شاب صغيراً، ويسمى أبى جرأت عبيه، وعنى غيره من كبار الكتّاب، اعتماد على ما لأبيه، دسوقى باننا أبطة، من ثروته وجاه. كان من الو صبح قد سالى أنه رجل قلبين الموهبة، يظن مع ذلك أنه أديب موهوب، ولكنه يتسم، فضلاً عن ذلك، بجراه مدهشة وإصرار عريب على الحصول على كل ما يريعه. وقد فتحت له هاتان الصفتان، العرور مع الجراه، أنوما كنثرة ما كانت تفتح لشخص غيره له نفس هذا القدر الضئيل من الموهبة هكذا. ستمر ثروت أبطة مكتب وبنشر، ويحتل ماصب لا تتحققها، وتتبع له سلطات أعلى من كثيرين عن هم أكثراً وأكثر موهبة منه بكثير. ودعته للأسف بعض كبار الكتّاب، كنم فى الحكيم وطه حسين وعجب محفوظ، فأرضوا غروره ولم يكبحوا أجاج طموحه. إما طمعاً فى مكتب صغير من روائه، أو انقاء لشهره، أو طلباً للهدوء و سلامة لهذا أهله نفس الأول صله، مدهشة وعصب شديد، رعبه أنه قد نشر فى مجله محدودة التنوع (الأهرام الاقتصادية)، وإذ به يرد على عمال عيب فى صحيفة الأهرام اليومية، ذكر فيه أنه سولا أتى ابن أحمد أمين ليعرف كيف يذنبى

ثم عدت إلى الهجوم عليه مرين بعد ذلك أثناء حياته مرة عندما قرأت بعض

حلقات سريره الذاتية التي كانت تنشر في الأهرام اليومى، فراعته تشاقتها وسخافتها، ومرة عندما نسب في مجل صحفى شاب وموهوب (جمال همى) بتهمه سب القذف، عندما كتب مقالا يذكر فيه بعض ابرقاع عن دور انه اليسى

كنت دائم مطمئنا إلى صوب موقعى من ثروت أناطه، برغم انى لم أكر قد قرأت له حتى ذلك الوقت من الروايات أو القصص إلا رواية واحدة لم أستطع إتقانها. كنت أمتعرت دائم تقاعده ما يشهده من مقالات سياسية، ومما أحهم صحيفة يومية في مصر نشر ما يكتبه، وإشارتها المستمرة له على أنه «الكاتب الكبير»، وفخره من السلطة السياسية، وتمتعه بحق نيكلام باسمه في لقاء رئيس الجمهورية السوى بالأثناء واكتفى كان ثروت أدلة في نظرى، لهذا السب، ظاهرة في حد ذاتها يصعب العثور على مثل لها، إذ يبدو أن تجتمع هذه الصفات في شخص واحد قلة وعدام لموهبة، مع الشهرة والوجود الدائم في وسائل الإعلام باعتباره أدبا كبيرا، وتقريب بسطة اسمية له مع شدة حماقته السياسية. ولم توفى في سنة ٢٠٠٦ ذهبت مرة أخرى مصدر التجميل والاهتمام للذي أحبط به حب حر وفاته، ولحجم الثاء الذى اغدقه عليه بعض الكتّاب لكار من سهم يجب معفوظ صحيح أن الأهر لم يستمر أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، وبسبب الرحل بعدها أو كاد تنسى سنانا تاما، لكنى ظلت متدهاشا أن يصل تدهور ادج الشافى (و ليسى) في مصر إلى هذا المستوى شعرت حينئذ بشعور مماثل ما أشعر به عادة عندما أحس بأن طبع كبيرا قد وقع ويحتاج إلى كشفه وإزالته، فأطلت أشعر بانقلق ولا يهدأ لى بل حتى أعتز كتابة عمب أشعر به وأحاول تصويره وشرحه صممت على كتابة مقال طويل عن ظاهرة ثروت أناطه، ولكن الأمر كان يقتضى قراءة بعض رواياته، خاصة المشهور منها مثل «شئ من الخوف» و«هزب من الأيام»، فوجدته أحدث عهده حتى رحدث مجددا يصممهم رأعمالا أخرى له مع مقدمه طويل كتبها رجل محور عرفت فيما بعد أنه كان يتقر ببهذا المجلد إلى ثروت أناطه ويحط ب وده قرأت الروايتين والمقدمة الطويلة فلم أجد أى شئ يشبى عن عربى أو يعبر رأى في لرحل وأدبه يصحى العصم بالأناشر المطالة

إلا بعد مرور الأربعين يوماً على وفاته، فأنصبت لهذه الصبيحة، ولكنها نشرت بعد ذلك مباشرة في جريدته معارضة، فبدأ بي أنقرأ رداً عينا عليها موقفاً باسم أرملة ثروت أمانة، وتساءلت في ردها عما يمكن أن يكون «قد حدث للمصريين» حتى اكتسب مثل هذا الكلام عن روحها الرحمن، لئلا أعترف بدمه الخميني وعلى رأسهم هذه حيناً وبحسب محفوظ وتوفيق الحكيم. وقال بي رئيس تحرير الجريدة التي نشرت مقالتي اب رئيس مجلس الشورى الذي كان ثروت أمانة وكيله، قد اتصل بي باسمه ليحتج على مقالتي وحذر الجريدة من العقاب إذ لم تقم بشيء رد أرملة التقييد ولكن المدهش في الأمر أنه ما تشاء هذا الرد سم أصادف أي رد أو تعديلاً كتبه في أي صحيفة أو مجلة، وكتب الرجل بموته قد فقد صحافة كل من كان ينفذ إلى جاسه وشي على أدبه وهذا السكوت المطلق والمخاض، بعد كل ذلك الصحيح من إنشاء والمديح، يؤكد نفس التحصيل الذي كنت وصلت إليه بظاهرة ثروت أمانة، ولكنه يؤكد أيضاً مدى التدهور الذي وصلت إليه الحالة الثقافية (وإن لمسة) في مصر



نفس المشاعر التي قادني إلى كتابة دفاعي عن أحمد بهاء الدين، والهجوم على ثروت أمانة، هي التي قادني إلى كتابة نقد شديد لرحاء استقاضي رداً على مقال له يكيل فيه البناء على الرئيس حسني مبارك بسبب أفضاله على الثقافة المصرية والمتقنين، ومن بين هذه الأفضال، حصول بحسب محفوظ على جائزة نوبل، إذ لم يكن ليحصل عليها، في رأي رحاء سقارش، لا لا الرئيس مبارك ضابطاً أيضاً شدة ما حصلت عليه رواية «عصر الحماة» للكاتب المغربي محمد شكري، والصبيحة التي أثارها أسادة الجامعة الأمريكية كاتب تقوم بتدريسها لطلبة، عند رأي رئيس الجامعة بحق أن ما هي الرواية من بدعات يجعلها غير صالحة للتدريس، وكان قد أعطاها لزوجته لأمريكية لإبداء رأيها فيما يحترم تحاده من قرار منعها، فكان رأيها أنها هي أيضاً كانت مستمعاً أو لادها من قراءتها إذاً أنها بالذيم صاغى المدح عن مثل هذا باسم حرية الرأي، وعبرت عنها في مقابل طويل قدرت فيه بين هذه الرواية ورواية لطيب صالح المدفوعة وهو سم الهجرة إلى الشام التي

أراد البعض مع تدرسها، بل ومع تناولها بالفعل في سودان بزعم أنها تدور العلاقات الحسنة بصراحة عبر مسرودة. وقتت في معالي إن تناول الطيب صالح لجنس مختلف جدًّا عن تناول عبد محمد شكرى، والافتقار عبر موجود هذا الأول وبكته موجود عبد الله

كنت نصف عن سطحى على فيلمي يوسف شاهين «المهاجر» و«المصري»، وعلى كتاب المسيرة الذاتية ليحيى الخليل «قصة حياة عادية»، بل وعن سطحى على كتاب طه حسين «في اشعر الحلى»، وكن هذه أمثلة يجمع بينها، فيما اطل، شيوخ البناء على شخص أو عمل وإصرار الكتاب على محبته وتعظيمه، بينما أعتقد أنا أن العكس بالضبط هو الموقف الصحيح. وكان من الطبيعي أن يجلب هذا الموقف من جانب السخط والعصب من جانب المصادر مع، وبكن كان سرعان ما يطمئنى العدد الكبير من القراء الذين يؤكدون بى أنى عبرت بالضبط عبر يدور فى ذهنهم مد فترة طويته. حاضى هذا التأكيد من بعض من كانوا يجمعون مع يوسف شاهين فى فيلم «المهاجر»، ومن كاتب شهير قال لى عندما انتقدت كتاب طه حسين إنه كن يريد أن يقول بعض الشيء مد وقت طويل ولم يحرق على مولته وانصلب بى صحيتين شاتن فى صباح يوم ظهور معالى عن راحة الضاحى، لتعزى فى سر الكلمة عن مرحهما بأن يجداً الأخير كاحداً يستطيع ان يقول مثل هذا الكلام. وأحد آخرون يحكون لى ما لم اكس أعرفه من قصص عاشوها شخصياً مع بعض من انتقدت وتؤكد نفس النتيجة التى وصلت إليها عنهم. أما نروت أمانة للإجماع على السخط والندسة بما خضعه من نجاح وشهرة دون استحقاق، كان معروف من قبل أن أكتب عنه بكثير، وبى جاءت مقالتي عنه لتسجيل ما كن شعر به كل المشعين المصريين باستثناء واحد، ربما، هو محب محفوظ، الذى أصر على أن يستمر على ولاته لصديقه ولكن كشراً من مواقف محب محفوظ لاجتماعه والياسة، طلت دائماً لعرا محراً للجميع



## «التراثيون الجدد»

في كتب «حبي» وصف أبي الميت ابدي شأ فيه بقوله إنك إذا فتحت ماله  
«شعمت» منه رائحة «لابي» ماطعة رائحة» أما أنا فلا أستطيع بالمره أن أقول إن هذا  
الوصف ينطبق على است الذي شئت فيه فأبى على الرعم من شأته هذه، وشدة  
تدين أبيه وأمه، وبوخ التعليم الذي تلقاه في صباه وشبابه، ورغم أن أهم كتاباته  
كاتب تدور حول الإسلام، لم تكن سديا بمعظم المعاني الشائعة اليوم. بل لا أتذكر  
مثلا أبي رأيت أبي وهو يصلي، ولا أذكر أبي رأيت وهو يقرأ في المصحف أبي  
أتذكر اعتداده عن الصوم بسبب مرض أو آخر كان يمرض عليه نظاما معينا في  
الأكل، أو حسب التشخيص، ولكني لا أتذكره وهو يتطر حلول الله رب ليتناول  
إطاره في رمضان لأشك أن للأمر علاقة بأبي أصغر أولاده، وربما كان يحوتى  
الدين عاصروه في فترات أخرى من عمره،ذكروا أشياء أخرى ولكني أقول  
فقط ما رأيته سمى وما لم أراه إن هذا لا يسمى ما كان ينبغي به أبي من صفات  
قريبة من المصوف، كما لا يعارض مع ما أتذكره من أقواله الكثيرة التي تنم عن  
إيمان عميق بالله من الذكريات الملتصقة بفترة في ذهني ركبها معه في فارب  
شراعى في السل في حدى لالى الصف في رأس السر، وكانت هي سلة القدر،  
وإذا به يطلب ما أن مردد وراه دعاء طويلا إلى الله، يقول منه حملة، ويقول  
بعده، ثم ينتقل إلى ما بعده كان هذا في أوائل الأربعينات، هلاية أبي كت في  
الساعة أو الدمنة وأن أتذكر هذا لأن مرتبطا بشعور من السعادة لاند أن كان من  
أسبه ما يشعر به صبي في مثل هذه السن عندما يرى العائلة كلها تقوم بعمل  
مشترك، ويسطر عليها أثناء شعور بانحة والوفاء وعلى أى حال فإبى لا



معدومي ئى شت فى اب ائى كان يعلق على أخلاق المسلم أهميه أذكر مما يحفظه على شعائر الدين بدى ألف دليل على هذا من أهوله وتصرفاته وكتابات

اما نى هم نكن أكثر ندسا من ائى كانت نكره مثل ائى أن تسمع أى قول سم عن أى شبهة كفر بالله، ولا يمكن أن تلذع مثل هذ يردون أن تعترض ولكنى لا «تذكر أداءه للصلاه أو صوم، ولا هى أدت فريضة الحج أو عثرت عن دعة شديدة فى أدائها وما أكثر ما كانت تستخدم عبارة «إني الأعداء بالبيات» بشرط تقصيرها فى أداء شعائر الدين .

كيف يمكن، واحال كذلك، أن يروح راحة لئدى من ست كما كان لحال فى البيت الذى نشأ فيه أبى<sup>9</sup> بل اراجع أن هذ الموقف من جانب أبى وأمى قد ترك بما كنت، نحن الإخوة، الذكور والإناث، ارا دائما لم تحبه لأبىم فلا أذكر أن أحدا ما نحن لإخوة قد اطلب على أداء شعائر الدس لفترة طويلة من حياته كان هاتك المثل المعروف بسى نذيين فى فترة من فترات الصبا وبداية الشباب، وهو ما أذكر أنه مسطر على مسمة او مثنى، كما أذكر نفس الشىء هما يتعلق بأحوالى الدس وعت هذ الفترة من حياتهم، أما نفسة الإخوة فلا يعترض أى منهم فى دهى بأى مشاعر دينة قوية أو حرص على أداء شعائر الدين بانتظام

لم يتحد أى ما فقد أى موقف عدائى من الدين، لا جهرا ولا سرا، ولكن كان هناك ملا شك نوع من قلة الاهتمام بما إذا كانت شعائر الدين يؤدى كاملة أو ناقصة، ولا أذكر أن أبى أو أمى اتحد أى موقف يحارب به إعادتنا بسى حظرة الدين

من القصص المشهورة فى أسرتنا ان أختى نعيمة ذهبت مرة بسى أحد رجال الدين الفخين، وكانت تدعى من صانقة مالية لقلة ما كان يحققه روحها من دخل لا سب إلا فرط قناعتة وقلة طموحه، وسألته «لماذا يقتصر الله على وعنى روجى فى الرزق، بسبب بومع عنى بقية إحدوتى فيه، رغم أنى أنا وروجى أكثر تدبنا مهم جميعا؟» . روت لنا أختى نعيمة نفسها هذ القصة، كما أخبرنا أن الشيخ أجابها «بأن الله يمتحن»

موت أعوام كثيرة إذن قبل أن يشير الدين أية مشكله لئدى، وبم بيد الدين فى

ثارة بعض المشاكل هي ذهني إلا وقد قدرت الأربعين من عمري قبل ذلك لم يثر هتافى هتافى حرب البعث وأنا في نحو العشرين من عمري أي مشاكل تتعلق بالدين، ولا حتى حوك ولاني من البعث بي الماركسية بعد ذلك ثلاث أو أربع سنوات، ولا نحوي عن الماركسية وأنا في نحو الساعة والعشرين إلى الإعجاب وحماس الأفكار الوضعية المطقية اتى متحد من الدين موقف سلبياً جداً، ولا رواجي بالعنصرية مسحة وقد قدرت اثلاثين كان المصوص أن ثور بعض التساؤلات المتعلقة بالدين بسا كل من هذه التطورات، بل إن كثير من الدين معيهم هم وقدق ثلثين بسب تعارض موقفهم من الدين مع مثل هذه التطورات ولكن لأمر بالنسبة لي كان هادئاً جداً وبسبب للعامة لم تكن أفكار حرب البعث تهم الدين مناً صائراً، ولم يكن أعضاء الحزب وأصدقائه يعلمون أنه أهميه على أن صاحب فكرة البعث ورئيس الحزب (ميشيل عفلق) مسيحي. ويجب أن ذكر أني لم أعمر بعد كون ميشيل عفلق مسيحياً أمراً أهميه على الإطلاق، بل لم يثر انسابي أصلاً ولا آثار أي تساؤل ديني. ولم يكن حرب البعث يطلب من يقسم بيه إلا أن يكون مقسم بالقومية العربية والوحدة، ومصادفياً مع الاشتراكية، مهم كانت درجة تدينه. وكان ميشيل عفلق محاصرة بدعية، ألفها في الأربعين في يوم الاحتفال بالمولد للسوى، وطبعت مراراً تحت عنوان «في ذكرى الرسول العربي» كاتب كريمة لإقناعاً بسهولة بأنه ليس ثمة تعارض بين الولاء للعربية والولاء للإسلام

أما حماسي للمار كسة وقولي لأفكار المادية الجدلية، فقد مر أيضاً سلام دون أن يعكر، على صفو احبه. فقد بدا لي ونها أن أولوية المادة على الفكر أمر يكاد أن يكون بديهياً. أما إقناعي على الروح من بعبودية مسيحية فلم يسقه أي تردد يذكر، وإذا كانت قد ثارت في ذهني بعض التساؤلات لأيم قليلة قبل أن أتحد القرار بالرواج، فإن هذه التساؤلات لم تكن تتعلق باختلاف الدين، وإنما كان بعضها يتعلق باختلاف الحسية، وبعضها باختلاف الطبوع. بل يجب أن أذكر أيضاً أن اختلاف دمه عن دس لم يطف سحاطرى قط طوال فترة رواجها، ولا سب لأي من أي مشكله في أي وقت من الأوقات

رى كن شخص الرحيد اندى طاف بدعه بعض الشك فيما يد، كان من املائم  
 ان يتم هذا الزواج بين مسلم ومسيحية، هو أم روحى التى رأت من لاسب، و  
 سم تكن هى نفسها مدينية، أن تذكر الأمر للقسيس فى الكنيسة التى تذهب إليها مرة  
 أو مرتين فى السنة، وبعلها كانت قد سمعت أن المسلم له حق الزواج من أربع  
 نساء، وحنها البعض من احتمال أن يكون لدى بالفعل روحاً أو أكثر تركهن فى  
 مصر قل قدرى إلى إنجلترا، وإلى الآن أصيب بهن ثلاثة أو أربعة فذهبت أم  
 روحى إلى هذا القسيس تستوصه بعض الأمور، فقال لها إنه قد يكون من المييد  
 أن يتناسى قبل أن يتم الزواج ولم أراسا من أن أذهب لمقابلة مع حطيتى  
 الإنجليزية، بل كما ترى الأمر كله سلبا للعامة، ولا يطوى على أى شىء جدى، أو  
 على أى خطر يهدد مستقبل، وهو ما لأد أن يتوقع من شدين وقعا فى الحب حيث  
 وباعهما على بروح وقد وجدنا القسيس رجلا ودودا ولطيفا، وإ. كانت قد  
 أصابته صدقة هائلة لم يكن يرقعها عدم تلقى جدي عن سؤال وجهه إلى يتعق  
 معتقداتى اللسة إذ جاءت إحدى تعبر عن حماسى لعلقة الوصعة المنطقية،  
 وهى تعتبر فى نظر رجل مثله قطع وأبعد عن معتقداته من الإسلام ومن ثم أنهى  
 الرجل المقابلة بسرعة ولم يرفى أى أمل برحى

إلى حدث التحول فى مرقى من اندس لأصاب غير مألوفة أو متوقعة، وذلك  
 فى أو ثل السبعينات عندما كنت أقترب من سن الأربعين كنت فى ذلك الوقت  
 أروور إنجلترا على فترات متعارة، بل كن يلمر أن يحل صيف دون أن أقضى شهرا  
 أو أكثر فى بيت والدى روحى فى فينكسو Felxstowe وهى بلدة صغيرة على  
 البحر فى الشمال شرقي من لندن وقد نأج بى هد أن رى بعير الذى لحق سبط  
 الحياة فى إنجلترا، وهى العرب عموما، عندما بعد عام، منذ أن أنجب دواسى هناك  
 فى منتصف الستينات كن العرب فى تلك السنوات يدوف طعم حياة الرفه على  
 بحولم يعرفه فى أى وقت فى الماضى وكان ما أسميه الاقتصادى الأمريكى حو  
 جاليريت «مجتمع ارجاء» (The Affluent Society) يتصح عام بعد آخر على نحو  
 لا يمكن أن تحطته العين كانت حياة اليومية التى عرفتها فى العرب فى أواخر  
 الخمسينيات وأول ثل الستات لا يزال يحمل كثيرا من بقايا مجتمع انقشع اندى

اتسمت به سنوات إعادته ماء ما دمره الحرب أم الآن فقد سمح بتحقيق العمالة الكاملة، وهبم الدولة، في ظل ما عرف بـ «نظام دولة الرفاهية» (Welfare State)، يتاحه الخدمات لضروريه للناس بلا مقابل أو بأسعار زهيدة للغاية، مع ما تحقق من تقدم تكنولوجي سريع ومعدل غير مسبق في النمو الاقتصادي، سمح كل ذلك بظهور وعمر ما أطلق عليه «المجتمع الاستهلاكي»، حيث شاعت فيه تدور حول الانهماك في إشباع الهم إلى الاستهلاك، وغول الكمال إلى صوري، وتسابق الناس وتنافسوا في اقتناء المزيد والحديد من سلع واخدمات، مع الانتشار المتدريعي للإباحية في العلاقات بين الحسنيين، أو حتى بين أفراد الجنس الواحد، وأصبح كل هذا مقبولا، بل أصبح غير المقبول هو الاحتجاج على أي من هذا، وكان المرء الذي يحجج عليه بدخل في حريات يفرد بشخصية التي أصبحت تعام معاملة المقدسات

لم يعجى ما رأيت وبدا يعتري الشك، الذي أصبح يرد بقوة يوماً بعد يوم، بل وبحول شينا فشيئا إلى يقين، في أن ما سميته «الحضارة الغربية» هذا يكون «غربياً» أكثر من كونه «حضارة» لم أفقد بطبع احترامى لما أدته هذه الحضارة من خدمات جليلة للبشرية كلها، في العرب والشرق، وفي الشعب والجنوب على السواء، ولكن الذي بذأب فقد الثقة فيه هو الاعتقاد بأن كل ما يفعله العرب يمثل بالضرورة «تقدماً» للبشرية بعبارة أخرى، بدأت تظهر في مخط الحياة العربي مثلما ينظر عدم الأثروبولوجيا للمسائل غير المتحصرة في إرميبي أو آسيا أو أمريكا اللاتينية، فأخذت ألاحظ في الحياة اليومية في الغرب ديبلا حديثاً في كل يوم على «حصرية» مخط الحياة العربية، مما لم أجد أي مرور لإبرام المجتمعات الأخرى به، أي إلزامهم بالاعتقاد بأن الطريق الذي يقطعه العرب في هذا الاتجاه أو ذلك، هو نفس الطريق الذي «يجب» على المجتمعات الأخرى أن تسير فيه

لم يكن الأمر بالنسبة لي، (ولا هو الآن) مسألة «نقد» للعرب، أو شعوراً من حاسي بأنا «أفضل» منهم، فقد بد لي أن هذا الموقف الذي يعتبر ثقافتنا ومعت حاننا أفضل من ثقافتهم ومعت حياتهم، ليس أقرب إلى الحقيقة من الموقف الذي تحللت

عه، وهو اعتبار ما يفعله العرب المثل الأعلى لواجب احتدّزه المسألة ليست هي من هو الأكثر أو الأقل رقياً، بل هي مسألة اختلاف ثقافات وأدراك وميول وعدادات وتقديرها حذور بعينه في لتاريخ والاعرف والعدة إلخ، مما يتعكس فيما يمكن تسميته بنوع نظرة إلى الحياة

هذا التحول في تفكرى جعلنى أفتش مما يصدر من كتب عما يتفق مع وجهة نظري الجديدة في أحوال العرب ولم يحب على بالطبع، بل وجدت كثير مما بشر في العرب هي أواخر لسياسات وأوائل لسياسات، بتقد شدة ما ال إليه حال لعرب ويسمع مع ملاحظاتي، ويؤيده من مختلف الروايات، ويدلني بحجج وملاحظات جديدة. وهكذا قرأت في تلك السور عدداً من الكتب الحيدة وانى تركت أثرًا كبيراً في معنى، (مما أكدنى أن من الممكن أن يعرف الكتاب «الحيدة» تعريفنا لأن له، بأنه الكتاب الذى يقول لك ما كنت تعرفه بالفعل، أو الذى يذكرك بالحجج التى نحتاج إليها لتأييد وجهة نظرك).



كان لاند لهذا كله أن يؤثر، ولو عن طريق غير مباشر، في نظرى في الدين فقد أوال إدراكى لحياة الحديثة في العرب، وللعربوب وسائنس لمحة مما كان يعتبر من الأفكار والماضى المسلّم بها، أو فما كان يحاط بهمة كسرة من التحول من النظريات والكتابات الاقتصادية والاجتماعية، أرى كل هذا كثيراً مما كان على عيسى من عشاق، ومفكرة القدم نفسها أصبحت عدى محل شت كبير، أسهى بي إلى رفضها رفض تاماً. وانظر إلى العرب بعيناه المثل الأعلى لواجب احداؤه والاهداء به، لم يعد أيضاً صحيحاً في نظرى وهذا أصاب كل مما يقدر بالغ، في نظرى، فلسفى كانت كل مهمما، في مرحلة من مراحل حيتى الماهية، سائلة نقلة تعاطى مع الدين والتدين الماركسية والوصفية المنطقية

أما اذار كسبة فكان الشى الفلسفى مهة قد تمقى، في نظرى، صرية فصمة من الوصفة لمنطقة نفسها إذ بعد أن كنت موقف الوصفة المنطقة من المتفرقا، واعتباره إياها «العو من العول»، لم بعد هناك فارق في نظرى بين العول بأن المادة

سابقة على تفكير» والقول بأن «الفكر ساسو على المادة»، كلاهما كلام فى الميتافيزيقا ومن ثم فكلاهما، هكذا عتقدت وقتها، نمو من اقوال وكن حتى النظرية الماركسية فى التاريخ، التى تعرف باسم المادية التاريخية، نمت لأن، فيما يتعلق بى على الأقل، سهاما، إذ لم تكن قد أصابها فى مقتل فقد جرحت جرحا جديدا وأغنى بهذا، على الأخص، ما اعترانى من شت عميق فى فكرة التقدم، وأن كل مرحلة تاريخية هى «أعلى» و«أرقى» من سابقتها، وهى فكرة يعتمدها معظم الماركسيين من المسلمين. فهنا نحن نرى الحصار العرس العظيمة يصيبها الاستكس، وبدلا من أن تتحول الرأسمالية، مع مريد من التقدم التكنولوجى، إلى نظام أرقى هو الاشتراكية، إذ ما يتحول إلى نظام يقوم على الهم الاستهلاكى المربيد بل وحتى بدول التى أعست أنها بطق لاشتراكية يبدو عليها وكأنه قد بدأ يصيبه أيضا هذا الهم الاستهلاكى لدى عهد الدولة الاشتراكية صمومة نابعة من صله. ولكن رى كد الأهم من هذا وذلك سى كما قوى إدراكى لفتاى شط الحده العربية، كان يقوى لدى الشعور بى من الصعب وحتى من المستحيل أن ترتب الثقافات المتعلقة بعضها فوق بعض، وأن نعر بعضها «أرقى» من غيرها. ذلك أنه يبدو أن هناك أنشاء أخرى، إلى جند التقدم الاقتصادى أو التكنولوجى، بها تأثير بالغ القوة فى تشكيل نظره لأمة إلى الحشاء. ومن ثم لم يعد من الممكن لى أن أرد كل شىء بأسهولة لى كت أرد بها كل شىء فى الماضى، إلى العو من الاقتصادية والتكنولوجية، مثلما يميل الماركسيون فى أغلب الأحوال. والاختلاف الكبير بين ثقافة أمة وثقافة أمة أخرى، لم يعد من الممكن فى نظرى أن ترد إلى عوامل اقتصادية فقط، بل هناك أنشاء أخرى أكثر عمقا ورعا أكثر ثباتا من العوامل الاقتصادية، ومن بى هذه العو من الناس.

ولكن بدالى من نحة أخرى، أن هذه الاختلافات الشديدة بين ثقافات وأنماط حياة الأمم ليستمة كثيرا ما تكون مجرد أساليب محتمة للتعبير عن بواع عميقة وثابة لدى الإنسان، يحكم كونه إسما، وإنما يتحد التعبير عن هذه البواع المشتركة والنشأ أساليب محتمة سب الاختلاف فى التاريخ أو الجعر فبا أو الظروف الاقتصادية أو مسرى المقدم التكنولوجى. إلج من بى هذه البواع العميقة

واشبهه لدى الإنسان، يصرف النظر عن اختلاف الثقافات، الرعة الدينية، التي  
 تدلى أنها شديدة الارتباط بالكونسيو سيولوجي للإنسان، وهو رأى بحثت عن  
 حجج تزيده فوجدتها لدى بعض علماء البيولوجيا الاجتماعية وعلى الأخص عبد  
 إدوارد ويلسون E.O. Wilson في كتابه «عن لطبيعة الإنسانية» (On Human Nature)  
 أدى بي هذا كله إلى إعادة النظر في ذلك المرض الذي كتب أميل إليه فيما  
 يتعنى بأى شيء يمكن أن يدرج تحت لفظ «المتافيزيقا» فإذ كان المتافيزيقا تسمى  
 كل ما لا يمكن إثبات صحته أو حقيقته بالبحرنة أو الملاحظة، فما أكثر لأراء  
 المتافيزيقية الشديدة الحادية ومع ذلك ليس هناك من طريق لحسم صحته أو حقيقتها  
 باستجرية والملاحظة وإذا كانت المتافيزيقا هو كل ما كان غير محسوس، فما أكثر  
 الانشياء التي لا تظهر أماما في شكل حسي ولكن هناك ما يرجح أنها مائة الأثر في  
 مصرفنا ومعقدنا فما أصعب مثلاً أن نحسم اختلاف نظره أمة عن أخرى إلى  
 الحدا، واختلاف معتقد تهما بلدية ومبادئهما الأخلاقية نعم إن لكل شيء  
 أصله، ولكن ما هي درجة الأمل الحقيقى في أن يصل إلى تعبير كاف وشاف  
 لهذه «اختلافات» ما هي درجة الأمل الحقيقى مثلاً في أن يفهم لماذا نجد شخص  
 حصصاً لطرف واحد، عائلياً وقنصادة واجتماعية، وتعلماً نفس التعليم، ومع  
 ذلك مجتمعان مختلفان اجتماعياً في قوة الجنس الاجتماعي له تهما ونوع نظرتهما إلى  
 الحياة؟

كل هذه العوامل والأسباب التي لا تظهر في أى شيء محسوس، والتي يمكن  
 وصفها بـ «المتافيزيقية»، إذ كان من الصعب كشفها وتبين كنهها، قد تكون في  
 الحقيقة أعمق ما لدينا بها هي التي غير أشياء الخلق عن الميت، وهي التي تترك  
 الحيوية في الحسد الخامل، سواء كان حسد شخص أو حسد أمة إن الذي يحرف  
 الأعم ويدفعهم إلى اليأس والابتكار ليس إلا هذه العوامل «المتافيزيقية» العسيرة  
 حق على الفهم، ولكنها مع ذلك هي المسئولة عن بهضة الأمة أو تحللها. فإذا كان  
 هذا صحيحاً، وهو لا يزال يبدو لي صحيحاً، وإذا كانت العقيدة الدينية مختصرة  
 من العناصر المكونة لهذه المتافيزيقا، فإن لم تكن العصر الوحيد فيها، فكيف  
 ستتهرب بها أو ستحرق بل وكيف تسمح لأفكارها بإضعافها أو هدمها؟ أليس في

لشكر المتأثرين «الأمة بكر لحق هذه الأمة في الوجود أصلاً، وفي لتدمير والمهضة  
وفي ساء حصاره أو المساهمة في نتائجها؟



هكذا حدث أنه بينما ضعيف انهزمي يوضع لمناطق من اسهاري بالمركبة،  
شاهدت من تطورات الحياة في دعوت ما ساعد على مزيد من ضعفه الانتيق  
لقد بدأ هذا التحول بطيئاً وتدرجياً كانت بداية تعبيرى عن هذا الموقف بداية  
متواضعة في كتابى الذى كتبه بالإنجليزية في أوائل السبعينات ونشر بالإنجليزية تحت  
عنوان (The Modernization of Poverty) أى تحديث الفقر، وهو عنوان استعربه  
من تاجر استخدمه إيفان ليتش (Ivan Ilich) في أحد كتبه لوصف تجربة كثير من  
بلاد العالم الثالث في التنمية، واستخدمته عنواناً لكتابه الذى عرضت فيه تجربته  
تسع دول عربية في تنمية في ربيع القرن التالى لمحروب العالمية الثانية، ورأيت فيها  
أيضاً شيئاً أقرب إلى إنسان المعمر وذاك حديث دون جراح كبير في تعميق المعمر  
نفسه وكتبت هذاهذا الكتاب على النحو التالى

إلى أولادى الذين أتمنى أن يكون مستقبلهم أكثر رخاء (more affluent) ولكن  
أقل حداثة (less modern) وكنت أقصد بذلك أن المعروف فيه هو تقدم اقتصادى  
يحفف من فقر ولكن دون تقيد بالجمع الحديث فيما لا يقع فيه على أن هذا  
الموقف لدى عمره عنوان «كتاب وإهداء». لا يظهر خلال فصول الكتاب على  
الإطلاق فيما عدا الحقيقة، فقد بدأت البحث وأن لا أزال تحت سيطرته الأفكار  
السائدة في تنمية، وكان الهدف الأسمى هو زيادة متوسط الدخل، ورفع معدلات  
الادخار والاستثمار، وتعديل الهيكل الإنتاجى لصالح المصانع، إلى آخره كانت  
تردده كسب السبيل ولكن مع تقدم فترتى عن حدث للأقتصاد والمجتمع العربى  
من ناحية، وعمما ولده النمو السريع في الغرب من مشكلات، بدأت ألاحظ ما  
يحدث من صحة نمط الحياة العرسة من أجل التنمية ونامها، وبدأ يحاربى  
الشيء من أن الشمس الذى يدفعه قد يكون أعلى مما حصل عليه في مقاييسه فأذكر أنى  
عزأت أثناء اجتماعى على هذا الكتاب فقد لا لكتاب أمريكى، ترك فى أثر كبير،



وكان يشروح ما م في أوائل الستينات في مصر من إجراءات من أجل «تطوير» الأهر، فإذا بالذي يحدث هو أن يتحول الأهر إلى نسخة مكررة من الجامعات المصرية التي لم يكن فيها الكثير مما يبعث على الإعجاب، بينما صمغت بشدة شخصية الأهر المصرية. عندما قرأت هذا المقال شعرت بأن أفكارى حول التنمية وثقافة الأصالة والمعاصرة، تترايط وتتعمق في شكل مرتب وواضح، فقد انتصح بى فجاء ما بدى يجب أن يكون هذا الحلقى وما بدى لا يجوز النصيحة به

بعد ستين من نشر كتابي «تعديت لعقر» اشركت في ندوة هي انكوبت تحت عنوان «نظام الاقتصادى العالمى الجديد و معالم العربى»، فإذا بالورقة التي كتبتها لهذه الندوة تحتوى على كلام فى ثقافة العلمى الأنثروبولوجى الواسع وليس العلمى، نصيقي الذى يشير إلى الإلتحاح اعكزى و لغنى أكثر مما تحتوى على كلام فى الاقتصاد. وإذا بى أشكو فيها من التنمية ثقافية أكثر مما أشكو من التنمية الاقتصادية، التي كانت مدرسة أمريكا اللاتينية فى التبعية تؤكد عليها، وكان هذا ندوة لتزايد حجم المعرفة الثقافية فى كتابى على حساب المعرفة الاقتصادية، ولكن هذا سم بشر لطفى، إذ مدت المحافظة على الاستقلال الثقافى تكاد أن تكون مرادفة للمحافظة على التنمية، وبتى إلى التنبية فى هذه الفترة، أى فى منتصف الستينيات، ومن بينها تلك الورقة التي قدمتها فى ١٩٧٦ لندوة لنظام الاقتصادى العالمى الجديد، ونشرها بعد ذلك تحت عنوان «تنمية أم تعبئة اقتصادية وثقافية؟»، وهو عنوان يعبر تغييرا جيد عن اتجاه هذه المآلات. ثم اردت اقتشاعى بهذه الفكرة، سطره الأجانب أمر يمكن تحقيقه بى يوم وليلة

لقد جمعت ما كتبتة من مقالات فى التنبيه فى هذه الفترة، أى فى منتصف الستينيات، ومن بينها تلك الورقة التي قدمتها فى ١٩٧٦ لندوة لنظام الاقتصادى العالمى الجديد، ونشرها بعد ذلك تحت عنوان «تنمية أم تعبئة اقتصادية وثقافية؟»، وهو عنوان يعبر تغييرا جيد عن اتجاه هذه المآلات. ثم اردت اقتشاعى بهذه الفكرة،

وعُثِرَتْ عليها بقراءة أكثر في كتاب كتبه و تأليفه و اثره في جامعة لوس أنجلوس ،  
ونشرته في ١٩٧٩ تحت عنوان «المشرق العربي والعرب» وهو يدور على فكرتين  
أولاهما أن السبب الأساسي في محبة العرب هو العلاقة بينهم وبين العرب ،  
والثانية هي أن الاستقلال الثقافي لا يقل أهمية ، إذ لم يرد ، عز الاستقلال  
الاقتصادي

في أثناء عملي في هذا الكتاب (٧٨ - ١٩٧٩) كان من بين أكثر الكتب تأثيراً في  
كتاب صغير لكانت سم أكثر قد قرأت له من قبل شيئاً ، ولا أعرف شيئاً عن أهميته  
ومواضعه . قراءت الكتاب تفتتني لعنة العربية البديعة وأسلوبه بقوة العبارة  
ووحدة موقعه من الدين شيئاً حاداً وموقفي ، إذ يعطى عليه التأكد على دور الدين  
في إحداث النهضة القومية بدلاً من اعتباره مجرد طريق للحلاص الروحي للعرب  
كان هذا الكتاب بعد تأخر لمسموع ولماذا تقدم غيرهم ؟ لشكيب أرسلان وقد  
جعلني هذا الكتاب قرأ أي شيء أجده لهذا الرجل العظيم ، راح يحب حتى أنك  
ولا يزال كتابه «حاضر العالم الإسلامي» ، الذي فيه من التأليف أكثر مما فيه من  
الترجمة ، من الكتب الأثرية بدي ، كتب أنوار مقدمته البديعة لكتاب محمد  
العمراوي في نقد كتاب الشعر ، جاهلي لغة حسين ، حماسي مشتم ، انظر كتاب  
العمراوي نفسه . وقد وجدت في كتاب العمراوي مثلاً لا حديد يؤيد فكرتي عن  
العلاقة بين الدين والعلم . فما هو عالم مير في الكهنة ، لا شك في علو مقامه  
كعالم ، ولكنه شديد التمسك بدينه ، فلم تزد صلاة إيمانه إلى إصعاف برعنه  
العلمية ، ولا حدث انعكس . إذن فإن مر الممكن ، بعكس ما كنت أقصّر من قبل ،  
أن يكون الإنسان صدقاً في علمه ودينه على السواء ، وكان كلاهما يحاط به جزء  
من الإنسان لا علاقة له بالآخر . واعتقد أن موقف بي كان قريباً جداً من هذا

هذا المحي من التفكير لدى قواه ولم يضعه اكتشاف شيئاً فشيئاً كم كالمع في  
موضوعية العلم ، وفي إمكانية الوصول إلى حقائق مجردة لا تؤثر فيها تحيزات  
العالم وتصبيلاته ، أو مصاحبه الشخصية أو مصالح الطبقة أو الدولة التي ينتمي  
إليها . أحد هـ يظهر لي برصوح فيما يتعلق بالعلوم لاجتماعية ، ولكن حتى في

علوم طبيعية بدأت اكتشاف شت ماثلان لم يكن نفس القوة بالطبع، وذلك بتأثير قراءتي لكتاب (T. Kuhn, The Structure of Scientific Revolution) وكتاب أساذ الفلسفة السوي الأصل فاير أبند Feyerabend ومقاله الذي اعتبرته سديعا، عن ضرورة تحرير الدولة من العلم، مثلما تحررت من الكنيسة

ذلك أرى من ناحية تبنت شيئا فشيئا، كيف أن العلم هو أكثر «شخصية» أو «دينية» مما كنت أظن، وليس دقيقا بالدرجة التي كنت أظنها، ومن ثم من الممكن جدًا أن يكون صارًا ومدمرًا. وفي نفس الوقت تبنت أن ليس رعم أنه لا يقوم على التجربة أو «اللاحظة»، قد يكون مرة دافعه لأعمال عظيمة. هما كل هذا لعمرو إبن لدى يسم به تكتيرون من العلمانيين؟، ولماذا كل هذه المعاملة السيئة والاحتمار «للمدنيين» يديانها إزاء المتدينيين؟ المسألة إذن ليست مسألة اختيار بين العلم والدين، وإنما هناك علم وسد وعلم يقع الناس، كما أن هناك تدب وسدا وتديبا يقع الناس



يبدو أن كتابي «لشرق العربي والعرب» قد لفت نظر بعض من كانوا أقرب مني إلى الدين، مثل عادل حسين وطارق الشري، اللذان كان قد سارا شوطا أبعد مني بكثير في التعبير عن تعاطفهما مع النهج للإسلام السياسي، ووجدتهما بدعوى في حضور ندوة دوريه يحضرها حورته إلى ثمانية أشخاص، من عبروا بشكل أو آخر عن اهتمامهم «بالراث» أو «الأصدية» أو «لأستقلال التقدي أو الحضاري» لباقتوا في كل أسوع أو أسوعين كتاب من الكتب التي تثير اهتمامهم وقد حضرت هذه الندوة التي استمرت عدة شهور، ثم توقفت الندوة عندما شعر أعضاءها بتمه حدودها. كان لهذه الندوة م لأثنها من فائدة «اجتماعية» سحتة، بمعنى إتاحة فرصة اللقاء وتبادل الحديث بين أشخاص متقاربين في الذكاء والقدرة وبوع القضايا المثيرة لاهتمامهم، ولكن سرعان ما تبين بعد عدة قليل من الاجتماعات أن المنفعة العسكرية منها محدودة. كان من الحاضرين من يستمرسل في الكلام بلا توقف دون أن يشعر بما يعترب من ملل، ومنهم الدافع الخشن الذي يتعثر أكثر من اللازم في التعبير عن نفسه، ومنهم من يسر لذين تعبيراً حرّاً مثل قوله

إن الله هو الثورة، ومهم الحب للسيطرة لدى لا يقل اختلاف في الرأي، ومهم انصامت معظم الوقت، يحلم لم أشعر بالأسف إن لتوقف هذه الاجتماعات، وإن سمعت وقرأت إشارات إلى بعض أعضاء هذه الدوة، ذكر فيها اسمي أحياناً، مقترنة بوصف «ثلاثين الحدد» وهو وصف لا بأس به من حيث الدقة، فقد كنا جميعاً «ثلاثين» بمعنى من المعاني، وإن اختلفت نظراتنا إلى تراث اختلاف كبير، وكنا أيضاً «حدود» بعض المعاني، ولكن بعد فترة أصبحت أفضل ألا يدرج اسمي بين أسماء هؤلاء الثلاثين الحدد، إذ سرعان ما تبين لي مدى الاختلاف بين نظرتي للتراث ونظراتهم، لم يكتوبوا هم أيضاً على واقع نام فيما بينهم، ولكني أدركت على أي حال أن حرصي على التراث كان سبباً لرجح أكثر منها مبيد يريه، وتعاطفي مع الدين واحترامي له وحرصي على حمايته يسع من تعاطفي مع أمي واحترامي لها وحرصي على حمايتها وليس بعكس، وليس هذا السبب حدث خلال الثمانينات ما خلق حموة وبرود في علاقتي بأحد أعضاء هذه المجموعة، بما سببه تكرار أحداث اعتداء بعض المسلمين على بعض الأقطاب في بدوة عقدها صحيحة من صحف المعارضة لما يشهه واحد من أشد هذه الاعتداءات مسورة وهمجية، تكلمت بعدة مساقداً أحد الشيوخ الإعلاميين في وسائل الإعلام والذي كان يجمع وقتها شعبية وصعة، واعتبرته أحد أمثولي عن تهيج الناس ودفعهم إلى القيام بمثل هذه الاعتداءات، فإذا بهذا الرميل والصديق، الذي كان حتى وقت قريب مشاركاً لما في سافشات «الثلاثين الحدد»، يقول عبارة مديح في الدفاع عن هذا الشيخ الذي لم أكن أكن له أي نوع من التسجيل

ومع هذا، فقد صادفت خلال الثمانينات والتسعينات ما جعلني أشعر في تعاطفي مع الدين والمتدينين، وأن ادافع عنهم عنائي في كتاباتي المنشورة عندما أشعر أن بعضهم قد تعرض للظلم من جانب العلمانيين، فقد قرأت مقالات كثيرة حذرة للعامة لكتاب يصنفون على أنهم من «الكتائب الإسلاميين» فوجدتهم أقرب إلى في

كثير من موقفيهم السياسية والاجتماعية هي كتب أجدهم في كتابات كثير من لاد كرس  
والعلمانيين بوجه عام كان بعض هؤلاء الكتاب الإسلاميين من المثاليين الذي كتب  
أقرا لهم في ذلك الوقت لأول مرة، فإذا بي أجدهم منهم للدين معتبرا بالصدق  
والموهبة، والإحساس المرهف بمشاكل المجتمع، وبرب صحيح للأولويات. قلت  
لنفسى: «ها هم متديوبون لم يجمعهم موقعهم» لمتأففى على «من رؤية الأمور على  
حقيقتها، ولم يجمعهم حماسهم للدين من اتحاد الموقف العلنى من قضايا المجتمع  
فإذا كانت هذه المرات تقترب ثقته عليه بالنفس مستمدة من الإيمان بأن الله يقف إلى  
حسبهم، وهذه الثقة تجعلهم على استعداد لتصحبه والصبر والصابر أكثر مما يظهر  
من كثير من غيرهم، فما لدى برده سهم أكثر من هذا؟»

وحدث من بين طيلى بالحكمة الأمريكية عدد من الشبان والشابات، ممن تنوهر  
بهم هذه المرات يا كنها، بالإضافة إلى الشجاعة التي جعلهم يعلنون تديهم في  
مجتمع (وهو طلبة الجامعة الأمريكية) كان يعتبر مثل هذا الموقف مدعاة للسخرية  
والاستهزاء، فشعرت بحوهم بالإعجاب والتقدير، خاصة وأن أذاهم الأكاديمي  
وذلك هم كثير ما كانوا أعلى بكثير مما وجدت في زملائهم. أما الكتاب المعروفون،  
الذين وجدت فيهم هذه الصفات، فكان أبرزهم فهمى هويدى، الذى وجدت في  
معظم مقالاته المتعلقة في جريدة الأهرام يعبر عما أعثره الموقف، بصريح، سواء  
في مشاكل السياسة أو المجتمع، ويتحد من قضية فلسطين وإسرائيل مواقف أكثر  
شجاعة من مواقف معظم العلمانيين، فأكثرته واحترمته ثم حدث أن قرأت له  
هؤلاء في الأهرام في أوائل التسعينات ينتقد فيه شدة قام ورامة الثقافة بشر رواية  
كتبها مؤلف مصرى غير معروف وتتضمن أخطاء كثيرة لا تراعى أسطر قواعد الأدب  
واللغة وتسخر من الدين وتستخدم في ذلك أساليب جارحة. فما لب هاجم فهمى  
هويدى الرواية حتى اسرت له أقلام كثير من الكتاب من العلمانيين ولاد كرس  
ممن يعتبرون حرية افان والأدب مقلعة، ولكنهم لا يعتبرون الدين كذلك، ومن  
لا يميرو في أمر هذه الحرية بين المؤدب والبدى، بين من يراعى مشاعر الناس وبين  
من يسعى إليهم، كتب لا يعيهم ما إذا كان العمل المشهور هو بالفعل عمل فى  
يستحق الهدية أو عملاً من أعمال السب والقذف

حاولت أن أعثر على نسخة من هذه الرواية فلم أجدها، فطلبتها من فهمي هودي فأرسلها إليّ، وقرأت منها بعض الأجزاء ولم أجد أي داع للاستمرار في القراءة. يُست من الجزء الذي قرأته صحة نفسه فهمي هودي للرواية وشاركته رأيه، وشعرت بالعصب الشديد مما تعرض له من ظلم، ورايت أن موقعه، في هذه الواقعة بالذات على الأقل، يستوجب الدعم والتأييد، وكنت مصاباً أعز منه عن تأييدي له، وكان المقال بعنوان «دفاع عن فهمي هودي»، شرته لي حرية جديدة كانت تمنح بحرية غير معهودة حتى بعد صر الدولة عليها وأغشها، وهي حرية الدستور. كنت أعرف أن المقال سيغضب الكثيرين، إذ كان أعداء فهمي هودي الذي يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، كثيرين. كما كنت اتوقع أنها ستصيب بحية أمل كثيرين من الذين يصنفون في معسكر آخر، سواء كان معسكر «اليساريين» أو «المركسيين» أو «العلمانيين» إلخ. ولكني لم أر مبرراً لأن أكس رأيي في هذه القضية التي اعتبرها مهمة (قضية الحرية) من يجب أن تناج للناس أو الكاتب، وهل هي حقاً بلا حدود؟، وقتت نفسي إن من الواجب في تقييم الأشخاص التعبير عن مواقفهم في القضايا المختلفة، وليس من حق الناس أن تصنف الكتاب تصنيفاً نهائياً فتصبح كلاً منهم في معسكر ثابت وجامد على الرغم من المرونة الدقيقة وغير الدقيقة التي تميز بين شخص وآخر. كما قلت نفسي إن الحق مصيره أن يتضح في النهاية، وإن الذي يسعى إلى العلم الكامل للحقيقة المعلقة سوف يصل إليه، ومن لا يسعى إلى هذا العلم لا يجب أن يبالي به.

وعم ذلك فقد ألقى نزع الكثيرين من معارفي وأصدقائي في تصفي عن هذا الحق، حتى وصل الأمر بعضهم أن يعنى «الاصولي»، وتساءل لبعض الآخر «ماذا حدث لي؟» وكأنني قد مسى صرب من الحون. ولكن الذي ألقى بوجه حاصر عجز بعض أصدقائي ومعارفي من الانقاط عن هذا تمبير، وتسرعهم مثل عرهم في عتري وكأنني قد هجرت موقعي، وانصممت إلى المعسكر المعدي لهم. وعلى الرغم من أني عتنت هذا الموقف منهم خطأ محصاً، فقد اعتبرته أيضاً من قبل الخطأ لمعروض عليهم فرصاً ويكاد يسجل عليهم الحنص منه، بس وصعهم لحص في المجتمع المصري، وفي هذه الفترة بالذات من تاريخ مصر قد

نقصي للأسف ذلك لعصر الذي كان يمكن أن يقول فيه مكرم عبد، ذلك لتطو  
المد، فإني قضي دد ومسلم وطبا، فأى تعبر أحمل من هذا عن المعنى الذي يدور  
بذهني؟ نعم، الإسلام دين، ولكنه أيضا وطن وثقافة ولكن التفكير على هذا  
النحو يتطلب ظروفًا سياسية وإحصائية كانت متوافرة في العشرينات والثلاثينيات  
والأربعينيات ولكنه لم تعد متوافرة الآن

الذي مدو لي أنه مني رالت تلك الظروف التي توحد المسلمين والأقباط في  
مشروع واحد للهضة، والتي يكون فيها الولاء للذين علاقة بين الفرد وربه دور  
يهدد العلاقات الاجتماعية بين الأغلبية والأقلية، متى رالت هذه الظروف السعيدة  
يعود الأقطاب إلى الشعور شعورًا قريبًا بأنهم أقلية، ويعتبرهم خوف دائم من أن تنكسر  
الأغلبية لهم ويتصرفون عليهم، ويصبحون في تلك دائم من أنهم ممتنعون  
للاعتداء أو إخماد إن لم يكن أيوم هي العند، مما جلب إلى ذهني صورة الروح  
التي لديها سم قوی يجعلها تعتقد أن زوجها قد يفصل غيرها عنها، ومن ثم فهي  
فائمة الشك في زوجها، حيث يرى في أي تصرف منه، وفي أي كلمة تصدر عنه،  
دليلاً على أنه خسر شرًا، وأن قلبه يتطوى على الخيانة تطل أن زوجها يرمع  
تطليقها وهجرانها في أول فرصة تسمح به، وتصر كل نظرة منه إلى امرأة أخرى بأنه  
سوف يستغل هذه المرأة بها خطر لي وجوده بين مشاعر هذه المرأة ومشاعر  
الأقطاب في مصر في ظروف سياسية كالتى يعيشها اليوم فأى كلام في الدين يثبت  
حساسيتهم، وإن لم تكن له أى علامة بهم أو موقف الشخص المتدين منهم، بل  
وأى كلام عن العروة والوحدة العربية يؤخذ على أنه يتطوى على تهديد، ورو في  
المستقبل، لمكرهم في مصر وللعلاقة لمسلمين مصريين بهم. إذا كان الأمر كذلك،  
فما حيلة مثقف مصري يجد في حماية الإسلام من المتهجمين عليه، وفي احترام  
الشعور الديني، شرطًا من شروط تحقق للهضة قوسا لمسلمين والأقباط على  
السوء ٥٩

إني إذا استعرض في ذهني الآن موقف أبي من الدين، ربما باستثناء فترة صباه  
وشبهه المكر، أجد أن موقفه لأن قرب حلا من موقفه فعندما كتب أبي كتب

في عماء الإصلاح في العصر الحديث، أو حتى كتبه لأساسه في تاريخ لجنة  
 العملية في الإسلام، أي سلسلة صحر الإسلام وصحاه وطهره، كان الذي سيطر  
 عليه هو دور الدين في النهضة وفي إحياء أمته، أكثر من أي شيء آخر، نعم، لقد  
 مرت ناسي فتره كان موقفه من الدين سطوي على بعض لفتور و انشك، ولكن لا  
 أظن أنه فقد في أي من الأوقات ثقته في دور الشعور الديني في استعاده الأمة  
 لفتوبها وشاها





## المرض والشيخوخة

كانت أمي ، مثل العائلة الساحقة من سوء جلها ، لا تجعل أى شعور ودى إزاء الأبناء ، ونحاول أن نجسهم بقدر طاقتنا ، ومن ثم فوبى : أكاد أذكر أمي قط وهي في عياد طبيب ، أو وهي تستدعى طبيباً أو يستدعى لها طبيب في المنزل ، ناهيك عن شعورها نحو المستشفى ، الذى كان في نظر ساء هذا الخلل (وكنز من رجال أيا) مجرد خطوة بحر الموت ، بدر هي نظروهم إذا دخله شخص أن يعود إلى منزله

لقد أصيب أمي طبعاً بعدة أمراض ، منها مرض السكر ، ولكنها كانت تسيهين بأمراضها كلها ، ولا تشج من يحذر من تناول هذا الطعام أو ذلك ، كان العمر في نظرها (وإحدى) ، أى مفرداً سلباً ولا يمكن إطلته أو تفصيله . ولكن لعن ما كانت تعبى حقيقته هو أنها بعد أن بدعت سمعينة ، وموت أبى ، وتروح معظم أولادها أو سافروا إلى الخارج ، ولم يبق لديها ما تشعر بأنها تعيش من أجله . لم بعد رى في الموت شيئاً مخيفاً . وعندما جاءها الموت وهي في نحو الثانية والثلاثين (ولم تكن تعرف سنة ميلادها إلا بالتقريب) لم تكن بحاجة لم أكن بجوارها عندما ماتت ، فقد كنت في بعضى العداسية بمخدرات ، ونكس كنت معها قبل ذلك سنة ، وما يرويه لى أسمى حسرتى الذى كان بجوارها حيث يدعى أنها لم تكن تجد في الموت ما يخيف . ومعنى أى حال ، فقد كنت بإمكانها لم قدر لها أن تعلق على ما بها أن تموت . "أسم أقل لكم؟ هأنذا يأتى الموت في المستشفى في المرة الوحيدة متى دخله فيها ، ولم أعود منه إلى بيى"

إذ كان هذا هو موقفها من الأطباء والمستشفيات فلا يمكن أن نتوقع أن يكون

لموقعها من المرض بصعوبة عامة أى سمة من سمات «لروح العنمة» كان كلامها عفا تشعبه من أوجع أقرب إلى الشعر منه إلى نغم، فهي ماهرة في استخدام التشبيهات البليغة في وصف ما يشعر به، كأن تقول إنها شعر بجسمها وكأنه شوا من دم مل، أو برجلها «تسح عليها»، وكأن مشارا لا يكف عن شرها جيفة زهدا، أو بقدمها وكأن مسامير قد دقت فيها . إلخ . فإذا مرض أحدا فارتفعت حرارته عرفت عن ذلك بأنه «ساح كالار»، وإذا طلب أحد منها أن تأتى بترموتر لقياس حراره قالت «أنا إيدى بترموتر» وكانت صائفة في ذلك إلى حد كسر وقد سررت عندهم قال لى انى لأصغر من سموات قليلة، عندهم سألته عما إذا كانت صديقتها الأمريكية تعرف بعض الكلمات العربية، «إنها تعرف عشرين فقط بالعربية إحداهما (أنا إيدى بترموتر)»

لم يكن الترمومتر يعتبر حسنا من لوبرم الحياه التى يجب وجودها في كل بيت، كما أن كمية الأدوية التى تجدها في بيتنا في ذلك العصر كانت صئبة لعانة، إذا فترت ما يحتويه فى بيت الأنا، فكانت تكاد تقتصر على ماء صغبر من «العكس» الذى يستخدم عند البرد والركام، وعلى «ملح الفواكه» عوار الذى يستخدم عند اضطراب المعدة، وعلقة «لأسبرين» لتخفيف الحرارة . ومن ثم كان من بادر ان يسمع عن استعمال ادوية فى الخطأ فى اختيار الدواء، إذا كان النحوء إلى الأدوية محدودا جدا فى الأصل، وكان الاعتقاد شائعا بأن معظم الأمراض يكفى لعلاجها بخوء المريض إلى الراحة فى السرير، ويجب التعرض للبرد، مع تناول طعام صحي، بالإضافة إلى بعض المشروبات التقليدية المعتمدة على بعض التوابل التى تبيعها محلات لعطارة، وتنى يوجد معها لكل داء دواء . أما الجوى إلى الطبلى لدى ظهور أى عرض من أعراض المرض أو لدى أى ارتفاع فى الحرارة، أو شعور بصداخ أو فقدان للشهية . إلخ، كالدلى أصبح شائعا لأن، فلم يكن يحظر على دالى (بل ولا حتى على دالى أبى أو أحد من إخواني) فى ذلك العصر . وقد قرأت مؤخرا فى السرة الثانية لأستاذ الفلسفة الشهير والنسوى (الأصل (بول فاير أبند (P Feyerabend) وصفا لموقف أبيه وأمه من المرض يشبه جدا موقف أمى، إذا ما بعدنا مثلها أن المرض فى معظم الأحوال، سوف يبرول دون سبب

واصبح، كما جاء دون سب واصلح. وقد فيبراند تعيقاً على ذلك إن موقفيهما هذا كان أكثر عقلانية من الجرى إلى الطيب لدى ظهور أى عارض للمرض مهما كان عرضاً ناهب

كنت أسمى، مع ذلك، تؤس محدودى بعض طرق لعلاج التقليديه، أو «البلديه» كما أصبح سبها مع زيادة احكامنا بالعرب، مثل علاج تورم البدن «التلجيس»، وهو علاج لم أسمع أحدا يتبعه باسمه منذ طفولتى، وكانت تقوم به امرأة لا علاقة لها بالطب أو الأطباء، تصحبنا أسمى إليها كلما أصابنا احقان فى اللوز، وسط صباحا وعروب، لا سب ما نحن فيه من مرض، ولكن كحزناء من قبل من هذه المرأة، كانت تدخل صعبا فى حلقها بعد أن نغصه بكمية كبيرة من اللبن، وتقوم بطلاء اللوز الممرض بوضعها بهذا السن مع الضغط بأصبعي شدة على خلق

كان لأسمى أيضا موقف صارم وواضح جداً من لبرد. كانت نظريتها فى الصحة والمرضى تتلخص فى أن الشرطيين الأساسيين للاختفاظ بالصحة وتجنب المرض هما تناول الصعیم الكافى والجيد، وتجنب البرد. ولكن حرصها على تجنب البرد كان تحذرا بعدا متطرفة للعامة، فهي فى سبيل تجنب البرد لا تنهى أى سب لدرجة ساء الهواء أو فساد، ولو استطعت أن تسلك سب هاهد الهواء أثناء نومها، ففى ذلك اللرع فى أسفل الأبواب، بعلت. وهى تجبرنا ونحن نستعد للذهاب إلى المدرسة فى الشتاء على سب ملابس داخلية لا يمكن لأى أمره عصرية الآن أن تتصورها. ولا أرب أذكر مرة على عندما كانت تصر على ارتداء سب القانية للصوفة العربية وأنا ذاهب إلى المدرسة، فاشتد البرد لم تكن فائلة عادة مصوعة من الصوف بل كان لها وبر طويل لا يكف عن وحر الجسم، ولا أشك أن لها شمساً كما كان المتصورون يريدونه، وربما اكتسوا اسمهم منها، إيمانا فى عديد أنفسهم. ولكن بالإضافة إلى ما كانت بسبه لى هذه المانلات العربية من ألم ماضى محض، كنت تصبى أيضاً بالألم نفسى، إذ كان زملائى فى المدرسة يريدون ما ارتديه نغف القميص كلما ذهبا لتغير ملابسنا استعدادا للقيام بعض الألعاب الرياضية. كانت هذه القائلة تثير استعجاب بعضهم وأحيانا بعض التعديفات الساحرة. وربما كان لهذا علاقة بما طالت أشعر به من كراهية لأى نوع من الألعاب الرياضية بقية العمر

كتب لنا أحيى الأكرم مرة، علمه كان يقضى بضعة شهور في السويد في زيارة بعض مصانئهم، وكان بطعمه معروفاً بالمألفة الشديدة، فقل إن البرد في السويد من شدة بحيث يحدث أحياناً أن يتجمد أحد برجل أو المرأة أو أذنهما وهما سائران في الطريق. وقد أحدث هذا الخطب رعباً لدى أمي طفل ملاماً لها لسوات حويولة حتى عاد كل أبنائها من أوروبا، إذ كانت تتصور أن أحداً منهم قد يقذف به أو أنه سيب البرد وعلب تخدعهم من ذلك في كل خطب ترسله إليهم



كان أبى بالطبع، معلمه لو مع وعقلانيته، محصناً ضد هذه المعتقدات ولحارو، كما كان أكثر ثقة من أمي بالطب و لأطباء وساناً بحسن الأولاد والنساء أقرب بالطبع إلى مرقف أبى ما إلى موقف أمي ومع هذا فلا بد أن أعترف بأبى إذا مضرت الآن إلى خلاصة خبرتي مع الأطباء، خلال حياتي المدنية بأكميها، أجد أنها أقرب إلى حيلة الأسس منها إلى الإعجاب. بل أبى عندما أستعيد ذكرياتي مع الأطباء، خطوة بخطوة، منذ أرن عهدى بهم حتى الآن، تدهشى كثرة عدد من ارتكوا أخطاء حسيه في حقى

بداهداى من مكررة للعناية به لم تكن تجاورت من السبعة أو الثمانية عندها أحدث أبى، بحس الإخوة الثلاثة، أحمد وحسين وأبى، إلى عذب الألف والأدن والاحجرة لاستنصت بلور في يوم واحد، وكان فيما أذكر أشهر طبيب مصرى في هذا التخصص ونعت العملية وعدنا إلى بيت، دون أن ندرك وقتها أن الطبيب في حافى أبى، لم يستأصل من اللوز كل ما كان عليه استنصاه، وأنه من ناحية أخرى استأصل أكثر مما يجب فقد لاحظ أبى في السوات التالية شئ غير طبيعى يجرى في حلقى ويسمى كل صباح للإسراع بالتحلص مما تجمع في حلقى حول اللبى، وأبى أتمر من أكثر من إحرقى سوباب من السعال والإنفلونزا خاصة في الشتاء. اسمر أخال على هذه الحولمة سواب حتى حدثنى أبى وأن في ثلاثة عشرة من عمرى أبى طبيب كبير آخر، بدأ عليه لدهول عندما قام بمحض حلقى وحرر بأن الطبيب السابق، فصلاً عن استئصاله لمحة دون موجب، أثناء عملية اللوز، ترك حرماً من اللوز دون استئصال فعاد نموها من جديد

في عن الس أحدي أنى يطب العيون له لاحظته من ضعف في بصرى فأخبرني  
الطبيب بحسنى إلى بظارة ولا أزل أذكر كيف بهال أنى على طوال طريق عودتنا  
إلى البيت، في الشارع وفي الأتوبيس، باليوم، بتفريع، وكأنى أنا المستوف عن  
حالة عيسى. وذكر أثناء ذلك كل ما يمكن ذكره عن عادات القراءة السليمة التي لا  
أنصحها، وأصبر للقراءة في ضوء ضعيف أو تقرب بكتب أكثر من اللام من  
العين. إلخ. كان عاص وحرب، ولم أذكر إلا فيما بعد أن سب عصبه وجرحه لم  
يكن اعتقاده سحياً ارتكبه أنا، كما كان يرغم، بل اعتقاده بأنه هو المستوف، عن  
ضعف بصرى بتوريني بياه. عني العكس من ذلك، لم أكن أنا أشعر بأى حزن أو  
عصب، بل أظن أنى كنت أقرب إلى الانهيار لما كان يسعه لس بظارة من أهمية،  
أو هكذا تصورت في تلك الس

صلت علاقتى بأبناء العيون، في علاقة أمانوفة بقصر انظر حتى أصبت بمرض  
السكر، أو على الأقل اكتشفت أنى مصابه، فى سن الثامنة والستين، وبصحت  
أن أواط على الكشف على عيسى مرة كل عام على الأقل للتأكد من أن السكر لم  
يصب النظر بالدهور. وإذ يصحى أخى أحمد، الذى كان يتق فى الأطباء أكثر  
بكثير منى، بأن أواط أيضاً على الكشف عن ضغط العين لمخطورة ارتفاعه،  
اعتدت أن أذهب فى كل عام لطبيب عيون للكشف عن هذا وذلك، وبكى فى  
إحدى مرات لاحظت أن الطبيب دخل عبده مهرولاً على غير عادته، وكان قد  
وصل متأخراً عن مواعده أكثر بكثير من المعتاد حتى من سائر الأطباء، وذهب من  
حديثه مع مساعديه أنه يستعد للسفر فى العدا إلى مؤتمر خارج مصر

كشف على الطبيب وهو فى هذه الحالة فوجد ضغط العين عندى أعلى من  
اللام، فأعاد الكشف ووصل الى نفس النتيجة، ثم كتب لى الدواء. وعندما سأته  
عن المرة التى يجب أن أسمر خلالها فى استخدام هذا الدواء، قال لى الأبد. ثم  
أضاف سرعة أن على التأكد من سلامة لعد أو الكلى (لا أذكر) لتجنب الضرر  
الذى يحدثه الدواء. لم يكن هذا سبباً اندهشت دهشة عظيمة من أن شيئاً بهذه  
الأهمية يحرق بهذه السهولة. دواء يؤخذ طول العمر، ويمكن أن يكون له آثار

حاسة حنجرته، يجري الصبح تناول هذه السرعة وهذه المساحة قررت أن أعمل لصحبة تماماً وانتظر حتى أعود للكشف عند طبيب آخر وقد حدث، وتبين أن ضغط العين طبيعي جداً، سنة بعد أخرى وعده عدت للطبيب الأول ونظر إلى أوزانه وقال لي سأطعم أتناول الدواء الخاص بضغط العين، قلت له إن حقيقة أنني لا أتناوله، لأنني أفصل أن أظل استخدام لأدوية إلى حد الأدنى، فأعد الكشف المرة بعد المرة، ثم أعود استعرايه الشديد أن يحد ضغط العين عددي طبيعي تماماً فأتلا «كأنت شخص حر تماماً»

أذكر أيضاً أنني في سن الثامنة والثلاثين، وفي أعقاب هزيمة ١٩٦٧ مباشرة، اضطرت للهجرة إلى طبيب أسنان، تصدق أن كان أشهر طبيب للأسنان في مصر في ذلك الوقت، ولكنه لهذا السبب كان مثقلاً بالعمل، وليس أمامه منعه من التوجه فأتيت إلى به، طبيب الأسنان المتخرج حديثاً، والذي كان يتدرب في نفس عيادة أبيه. فإذا بهذا الابن يستعمل حلع ثلاث أو أربع من أسناني، عرفت فيما بعد أن كان من الممكن إنقاذها من الخلع، ولكن الابن كان فيم يبدو أكثر قدره على حلع الأسنان مع على حشوها

بعد سنوات كثيرة سمعت شياً كبيراً على طبيب أسنان آخر، «شهر عيادته انقطعة واتباعه أحدث أساليب العلاج التي أحضر لها أحدث الآلات والمعدات عند عودته من أمريكا، ذهبت إليه وكنت أظن أنني لا احتاج إلا إلى علاج بسيط ومريح للقضاء على ألم عارض في إحدى الأسنان، فإذا بي أحذنه قد حول عيادته إلى سوبر ماركت فاخر، ستعكف فيه محرمات حميلات عند التوجه من الكوافير، وموسيقى باعثة قلاً المكان، فضلاً عن عدد كبير من أجهزة الكمبيوتر التي تحترب كل المعلومات المتعلقة بكل من أسناتك

عندما مدّ يده إلى تحمل صورة الأشعة الملونة التي المنقطة لعمى من الداخل، اتسمت على وجهه سمات الغزع والألم الشديد إذ وصلت حال عمى وأنا تنأى إلى هذا المستوى من تشهور، وأخذ يشير بإصبعه إلى هذا الجزء من الصورة ثم إلى ذلك فأتلا

«الأتري نفسك ما حدث؟»، وأن أحاول أن أرى ما يراه دون جدوى، إذ لم أر  
 أى شيء سوى معرى و صبح لقد بدت من الصورة شمعاً حمراً، ولكنى تصورت أن  
 صورة أنى هم من بداخل لأنى تكون يشعة، حتى ولو كان هم صوفياً ثوريس، إذ  
 ما الذى يمكن أن يتوقع المرء أن يره فى صورة مكسرة لكشف والأوعب الدموية وقد  
 كساف كلها اللعاب؟

تركى هذا الطبيب المشهور بعد ذلك بصبح دقائق فى حجره مكنته ريثما يرى  
 مريضاً آخر. وفى تلك الدقائق كانت لدى فرصة كافية لتأمل بعض الصور التى  
 وضعها على مكتبه فى مكان واضح لا يمكن أن يفعل برائر عن رؤيتها، ومها صور  
 له وهو واقف فى عظمة مهرة معظفه لأبيض وإنى حاتبه من يمين مطرب شهير،  
 ومن ايسار سيسى كبير هو أيضاً من أشهر بصحفيين المصريين فى نصف الثانى  
 من القرن هذا، إذن هو نوع اساس الذين يقصدونه لعلاج أسامهم فلا بد أنه طبيب  
 عظيم. وعندما عاد إلى الطبيب شرح لى ياهتمم بانع أن حائلى ستلزم علاجه لابد  
 أن يطول، ويتعم إلى مرحلتين، الأولى ستتكلف نحو عشرين ألفاً من احبهاات  
 والثانية تصعب تعذر تكاليفها حادياً وإن كاد، لسبب لم تذكره بوصوح،  
 ستطلب دفع بالمولار

ترك العيادة مهموماً، ولكنى سرعان ما اسعبد رباطة جأشى وصحبك من  
 الأمر برمته. وذهب إلى طبيب آخر، عالج سنى المولدة ثلثين حبيبها ولا تزال  
 تعمل بكفاءة حتى لآز وقد انقصى على هذا العلاج أكثر من عشر سوت

مع تكرار مرورى لتجارب من هذا النوع مع الأطباء، لم يعد نهشى أن  
 أصادف طبيباً جديداً أو مستشفى حديثاً، فى مصر أو خارجها، يدرس درجه أو  
 أخرى من لاحتين لتحقيق مكسب مادى أكبر عنى حساب المريض المستكين  
 واتضح بى شئت فسمنا أو جه شبه مهمة بين ممارس مهنة الطب وممارسة مهنة رجل  
 الدين عتد تكون درجه لرهة والاستقامة لحلقه فى أى منهما أقل مما يجب  
 كلاهما يحارب أن يستغل نهشى ضعف حظيرتين هممن يلحاً إليهما طاب مهما  
 المعون شدة الحاجة مع شدة جهل محن لا يلحاً إلى الصب أو رجل الدين إلا



عندما يشتدب اخوف عني مصيرى، إما حلال هذه الحياة أو الحياة التالية، والعالمية العظمى ما لا يعرف نكت يذكر عن أسرار الجسم الإنسانى أو سرار الألوهة و لحياة بعد الموت. وفي حياتى، يجد الطبيب ورجل الدين من يلقى الكثر من مصطلحات الصعبة وغير المثبوتة، والمراسم والطقوس التى لا يعرف بالسط مدى ضرورتها فتصل المألعة فى أهميتها

على ساعد الأطباء على الاحتياط بما يتمتعون به من هبة واحترام، بس أن سمة يحا حهم أكبر بكثير من سمة فشدهم، بل، هناك قوة خسارة نعمل باستمرار لصالحهم ولإيقادهم من لأخطاء الكثيرة التى يرتكبونها هذه القوة الخسارة هى طبعاً لقدره الطبيعى الذى يحورها جسم الإنسان على مقاومة ما يمكن أن يصبه من أمراض، وعلى نصصح معظم أوجه الخلل التى لابد أن تصبه من وقت لآخر، دون أن يكون من الواضح، فى معظم الأحيان، إلى من يعود الفصل فى الشفاء الطبيب أم تلك القوة الطبيعى خسارة هكذا شفت من مرض عصب، أصبت به فى بيروت وأنا فى سن الأربعين، وقصبت بسمة أسوعى فى مستشفى جامعة الأمريكية، وأنا بين الحياة والموت، ومررت خلالهما بكن أقسام لمستشفى، بما كان الأطباء يحولون اكتشاف ما أصابى دون حدى، وجمعت لديهم عشر ث من صور الأشعة وعشرات تحليلات والقياسات، واتهى الأمر كله شفى بوه الجسم بطةسة وقد به على المقاومة وكان تشخص المرض بأنه امبر من عمر معروف الهوىة، إذ كن من لحائر عباار هذا تشخيص على الإطلاق



روى عن الكاتب الأمريكى دى لأصل الأرمى (وليام سارويان) قول طريف يقال إنه صدر منه وهو على فراش الموت «قد كنت أعرف دائماً أن كل إنسان لابد أن يموت، ولكنى كنت آمل دائماً أن يحدث استثناء فى حياتى» وأص أن هذه الشعور ليس مقصوراً على وسام سارويان، بل يطن على جمع حسن الخط، إذ بذوه لا أنطى أن الحياة يمكن أن تكون محتملة كما أعتقد أن هذا هو موقف أيضاً من الشيخوخة فكلاً يعرف ومستعد للاعتراف بأنه لابد أن تصبه الشيخوخة يوماً

ما، ولكنه يتصرف في حياته اليومية ويرسم خطته، وكأنه سيظل سليماً معافى إلى الأبد. أعرف أن هذا صحيح على الأقل في حالتي أنا. إبي الآن في السبعين وقد دنت أحسن بأعراض الشجوحة من أربع أو خمس سنوات، من ورعما قبل ذلك. بالتدريج، ولكني لم أعترف بذلك لنفسى إلا منذ شهرين عليه، كنت قلها أثير في فريدة. نفسى بدت الشعور غير العفلائي بالمرّة، هو أن شجوحه لن تصيبى بل حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذا الكلام، لا أرا أن أقول نفسى كيف شعرت بأعراض الشجوحة، بأنها أعراض مؤقتة لا نلت أن برول، مع أن أى عاقل لا بد أن يعترف بأن هذه الأعراض جاءت تنفى أولتتحول إلى ما هو أسوأ منها.

ليس هذا هو الطي اللاعلائي الوحيد الذي حصل إليه المرء في شجوحته. فهناك أيضاً الطي السلب الحماض بدوره بأن هذه الأعراض التي أحس بها لا تراها غيرى ومن ثم فإني لا أرا أن أظهر أمام الآخرين كما كنت أظهر دائماً أمامهم. لقد أصبحت أحياناً بين حين وآخر كلما رأيت صديق أو زميلاً قدي من زملاء المدرسة أو الجامعة، لم أكن قد رأيتهم منذ مدة طويلة، فإذا بي أجدته وقد أثقلت الشجوحة حركتهم، ورعما وجدت معه عصا يتوكأ عليها، ونشرت التجاعيد في وجهه، دهك عن شجار الشعر الأبيض وسقوط أكثره. من أكثر ف رات هذه الشعور في زملاء الطموحة والنساء، ومع ذلك فإن لا أريد أن أتعلّم وأغير رأيى في نفسى. قد أتناظر ولا أعرف بأن ما حدث تغيرى قد حدث لى أيضاً، ولكنى لا أعتقد هذا حقيقة في فريدة نفسى، وما أسرع ما أضط ما يقول لى مجامل أو مناس من لى لم تغير قيد ألفة من رأى من سنوات كثيرة. من ما أكثر ما تشد هذه الحماض تمتد إلى نظرة الرجل إلى النساء، حتى بعد أن بلغ الشجوحة. فطى لمجرد أنه لا يزال يشهى المرأة الجميلة وشماتها، أنها يمكن أن تغلب إليه وترعبه.

فأحيان الشعور ناشجوحة في وقت ما بعد بلوغى الخامسة والستين، ولا أستطيع أن أقول متى حدث هذا، بالطبع، وإن كنت الآن، بعد أن بلغت السبعين، أستطيع بسهولة عقد مقابلة بين حالى بعد حدوثه وقبله.

لم يكن جسمى موضوعاً للتفكير، أو حتى لوعى على أى نحو كان.

فأصبحت وغيابه في فترات كثيرة من كل يوم، يعود إلى تذكيري بوجوده وجمع بسط في هذا الفصل أو ذاك، أو رؤيتي لتسلم حال، على ارتقاء درجاته، أو أي شيء ثمين على أن أحمله. تباطأت الحركة، وأخذت أرحب بأي فرصة للجلوس، وأصبحت الضوضاء تزعجني أكثر من كتاب من قبل، بينما أصبح الهدوء العام مصدرًا للممتعة في حد ذاته ولو لم يصحبه أي شيء آخر ممتع. كنت قد لاحظت من قبل إلى أي حد يتأثر سلوكنا في مختلف المجالات، بالرغبة في الحصول على إعجاب الجنس الآخر، ولكنني بعد بلوعي الشبحوة أدركت هذا موضح أكثر، ودهشة أشد، إذ وجدت أن حماسي لكثير من الأمور قد أصبح بعض العصور مع ضعف رعشي في الحصول على هذا الإعجاب والرضا لا أزال أحد رفاق كثير، أثناء إلمائي لمحاصراتي، بين دوحة سروري بما قد يتركه حديثي من أثر طيب في المستمعين من المذكور، وبين سروري بما تعبير عن الرضا أو التقدير أراه على وجه امرأة جملة من الخاصيين، ولكنني لا شك فيه أن الضعف الذي أصاب الرغبة في الحصول على إعجاب الجنس الآخر قد ترك أثره على درجة الحماسة لأشياء كثيرة في الحياة، من احتياو انسي، إلى تنف، أحدث، إلى تعين المرء في إظهار قدرته في أحسن صورة

ذكرني هذا الضعف في الحماسة لأمر كثيرة، الذي نتج عن الضعف الذي أصاب الرغبة في الظفر بإعجاب الجنس الآخر، مما كنا نشعر به في الكويت، في منتصف سبعينات، حيث كان من الممكن بأن يقطع المرء شوارع طويذة ويدخل محلا أو مطعمًا أو فندقًا بعد آخر، فلا يصادف امرأة من أي نوع، شابة أو عجوزًا، مثقة أو محجبة أو غير محجبة ولا مثقة، فيشبع شعورنا بحد التام قد لا يدري إدراكه منه الحقيقى، ولكنه بلا شك له علاقة ما بهذا غياب الكامل للمرأة

مع الشبحوة لا تضعف فقط رعبائك فيما يمكن أن يحققه الداس وتحمعه الحياة لث، ولكن تضعف أيضًا، وبلاأسف، رعب الداس فيما يمكن أن تحققه أنت لهم. ذلك أن الحقيقة أن قدرتك على تحقيق رغبات الداس، لا بد أن تضعف مع تقدمك في السن. فالوظيفة المهمة التي كنت تشبعها، تعتمد على سلوك من المعاش،

وقد ترك المعهودة على تلبية طلبات الناس بذكاة أو إلقاء محاصرة أو الاشتراك في برنامج تليفزيوني لم تعد كم كانت، لا كت ولا موعاً، من وحتى الاشتراك في الماسكات الاحتفالية المختلفة، كحضور حفل دواح أو تلبية دعوة عشاء، قد يصعب الأمل فيه بتكرار عتدائك من هذه الدعوة أو تلك، أو بصعب وعنتك في اشتراكه في الكلام أو الصلحك لا بد إد أن تجد عدد المرات التي يرب فيها جرس لتليقون في بيتك قد أصبح أقل بكثير مما كان، وكذلك عدد الخطابات التي تأتيك في البريد إلى لم أقطع بعد شوطاً بعيداً في هذا المحدث، ولكني أراه أمامي بكل وضوح، خاصة وأني لا أراي ذكر بعض الآخرين، من كان يظهر على وجه أبي في شبحه، من حبه لأمل عندما كان يدق جرس التليقون فجأة وهو حالي درو انشدن حقيقي بأي عمل محدد، فيعثره لأمل في أن يكون المتكلم صديق له أو حتى شخصاً لا يعرفه يحاوي أن يحصل على وساطة للحصول على وطيه أو بعته أو ترقية، ثم تصيبه خيبة الأمل عندما يكشف أن المكالمة لاس من أخته

ولكني أذكر أيضاً مقالة كتبها العيلسوف البريطاني برنارد رسل في صحيفه بريطانية لدى سوعه الخامسة والثمانين، وصف فيها الممرات المختلفة التي يتمتع بها المرء في هذه المسالك الكبيرة أذكر أنه ذكر أنه تخصص في الأيد في أي شعور بالعبيرة وروح الماسة والرغبة في التمتع على الآخرين، ومن يصاحب هذا الشعور أحبا من آلام وضييق إلى ذلك الميرة الأكثر وضوحاً والمتشعبة في أحفاد درجة الاحتياج إلى المال مع انحصار حدة مختلف الرغبات، وانحصار درجة الخوف من انهيار أنماذ سعة المتاح من الوقت الذي يمكن للمرء فيه إيفاق ما سأل له ادخاره بل بعد لاحظت أن حوفي من الموت نفسه قد أصبح أقل بكثير في الشجوة مما كان قبل عشر سنوات أو عشرين ربما كان السبب أن الشجوة، مما تنطوي عليه من ضعف مادي، تنطوي هي نفسها على شيء من الموت، ولكن مع الشجوة يرداد تعرض المرء للموت بصور أخرى، إذ يريد شك عشياً عدد أقرانه ومعارفه الذين سموه في الرحيل، فتصبح المكورة أقرب إلى التصور وأقل ثقلاً على النفس، أو ربما كان السبب أن ضعف جسمه بتحقيق مختلف الرغبات يجعل الخمران التم من تيبه هذه برعبت أحف على النفس ويريد من قدرة المرء على احتماله. بل

هناك أيضاً مجرد الملل فالحبة الممتدة لابد أن تتكرر فيها التجارب مرة تلو الأخرى، والسرور أو الإثارة التي كانت تجلبها لثجربة عذبة كانت تجربة جديدة، تعتقد قوتهم وحاديثتها بالتكرار والعود، فإذا المرء يضعف أيضاً تطلعه إلى المزيد من تكرار نفس التجارب

عندما أنظر الآن إلى أولادي وحفيديّ، وقد اعتبرتهم أحفاداً لشيء دم بعد بشرى لدى أي حمامة من فرط تكرار حدوثه هو نفسه أو حدوث مثيل له، يعتري أولاً تعب ودهشة لا تدوم أكثر من لحظة قصيرة. ثم سرعان ما أتذكر حماستي لهذا الشيء عندما كنت أصادعه لأول مرة. فينرف عجي ودهشتي، وقد ألتصاها مشاركتهم حماستهم، أو أكتفي بالتساعة صغره، ولكني بالطبع لا أسمع لمشي قط أبداً أذكر لهم السب الحقيقي لهذا عارق الكبير بين موقفي وموقفهم

## البدائيات والنهايات

-١-

هأنذا اليوم، وقد تجاوزت السبعين من عمري، أسعرت حياتي فأحدها ملبثة بالأمشة على حبة الأمل، وهكذا أيضاً أجد حياة كل من عرفتهم عن قرب، حتى من كان أكثرهم حاجاً

كأنسى بعض حياتي دحجته، كما يظهر بوضوح من الفقرة التي أنهى بها كتابه «حياتي»، حيث يقول إن الله من عليه بالتوفيق (في أكثر ما راوت من أعمال فيما أتت من كتب، في عملي بنحو التأليف، في اجتماعه الشعبية، في اجتماعه المصري، في اجتماعه لعربي، في عمادة كلية الآداب، كحدث الشأن في حياتي العلمية والأدبية والدينية والعائلية معاً من أنه لا أستطيع أن أقوم بالشكر عليها).

ولكنه يمرر أيضاً عن دهشته من هذا الحاح فيتور إليه يحد من الصعب تفسيره بالتحليل العقلي أو تفسيره بالتحليل الاجتماعي والنفسى، «فكم رأيت من أماس كانوا أدكى منى وأمت حنق وأقوى عريضة، وكانت كل الدلائل تدل على أنهم سيحسون في أعينهم إذا مارسوها، ثم بدوا بالخيبة وهو بالإحراق، ولا تحليل بها إلا أن ذلك فصل الله يؤتبه من يشاء وله ذو الفصل لعظيم»

«السر إذن في هذا الحزن الشديد لدى كان يحتم على أبي في سوانه الأخير؟» وكأنه لم يعد هناك شيء قادر على إبهائه، لا الشاء على كتاب حديد له أو مقال شره. ولا حصوله على أكبر جائزة أدبية من الملك، ولا منحه الدكتوراه انحرية في حفل مهيب في ذقة الاحتمالات بالحامه إلح

أما أمي فربما كانت أكثر ميلا من أبي للشكوى، ولكن معظم من عرفوها يعتبرون حصة أمي ناجحة أيضاً، معديس جلها وعصره، رغم أنها في سنواتها الأخيرة أصبحت قليلة الكلام، وفقدت الرغبة في المشاركة في أي مناسبة للمرح أو المرح، وقد وجدت أنا في هذا ديلا على حزن أقوى مما عهدهت فيها في أي وقت مضى

لاحظت نفسها تطلق أيضاً على «حوتي»، وعلى كثير من أبنائهم وبنايتهم، رغم أن معظم هؤلاء الأبناء والبنات لم يلمحوا الخصميين بل لقد لاحظت حتى على بلاسدي الذين مرّ على منهم عشرات ورعا عشت في كل عام، لفترة «بريد» على ثلاثين عاماً، أنهم يذكرون حياتهم الجميلة مشربين متعاقدين، ثم أراهم وهم على وشك التخرج فإذ بهم قد حُيِمَ عليهم شيء كالخوف من المستقبل، ناهيك عما يبدو على معظمهم من حيرة أمل إذا حدث وفلنتهم بعد بضع سنوات من التخرج

أنا أما فلي أعتر حياتي بدورها ناجحة، ولكن ما أكثر ما شعرت به خلالها من خيبة أمل، ليس فقط فيما يتعلق بي شخصياً، بل وأيضاً بأصدقائي ومعاري ولدي، وكم صادفت من أشخاص كنت شديد الإعجاب بهم فظهرت لي أوجه ضعف كثيرة فهم مع مرور الزمن، وكم علف من آمال على تغير سياسي في مصر ثم ظهر أن الأحوال لم تحسن به بل وأصبحت أسوأ مما كانت عليه من قبل. كب أظن أن عظمى من أعماط الحياة مودج بخدي فوجدت أنه ليس أفضل من غيره، وكنت أص أن تعلم عندما بمعرفة يقينية «عالم» ثم طهر بي مدى حصر العناء، خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانيات، شأنهم في ذلك شأن غيرهم، لتجذيرت والأهواء «أى أو من بضعة المثل الإنجليزية بأن» «الفهم معناه الصريح» (To understand is to forgive)، «بكنى أظن الآن أن من الصحيح أيضاً أن المرشد من المعرفة معناه المزيد من حبيبه الأمل، وأن المثل العربي القديم «أن تسمع عن المعبد خير من أن تراه» صحيح أيضاً

من الممكن أن تعتبر هذه الطريقة في النظر إلى الأمور معرطة في تشاؤمها، ولكني أظن أن لها بعضاً كبيراً من الحقيقة، إذ ما الذي تنوقعه غير حصة الأمل من توالى أحوال المرض والموت، نصيباً أشعاصاً عربيين علياً، مستيق أو في زمان

الشباب؟ وكيف لا يتوقع حبة الأمن مادامنا نرغب في أشياء مستحبة التحقيق،  
 فهذا أن نعش إلى الأبد، وهي صفة جيدة، وكذلك كل من حبة، وعندما نرغب  
 في أشياء تعوق قدراتنا؟ بل إننا نطمح إلى تحقيق رغبات متعاضدة، لا يمكن أن يتحقق  
 بعضها إلا إذا فسلنا في تحقيق رغبات أخرى. نحن نريد كبر قدر من ادن وأكبر قدر  
 من راحة البال في نفس الوقت. نريد احترام الناس وحبيبهم ونريد السيطرة عليهم أو  
 سيطرتهم في نفس الوقت. نريد صحة الناس ونريد أيضاً الأبرار بأنفس  
 وحسب لو لم نطمح إلى شيء مسحوق التحقيق، ولا إلى أشياء يتعارض بعضها مع بعضها مع  
 بعض، فإننا لابد أن نرغب في أشياء تتعارض مع رغبات الآخرين. فأننا نرغب في  
 وطاعة يريدها أيضاً غيري، ولا يمكن أن نحصل عليها نحن الاثنين معا. وأنا أحب  
 امرأة أحبها أنت أيضاً، ولا يمكن أن يحصل كلانا على حبها. فها الذي يمكن أن  
 نترفعه عبر حبة الأمن؟

ولكن حبة الأمل لها أيضاً معنى آخر، غير مجرد المثل في تحقيق ما نريد وهو،  
 وبالعامة، أن نحقق نصف ما نريد! ما أكثر ما كنت عسى السعي الحثيث، في جمع  
 المال الذي ينتهي مصاحبه إلى اكتشاف أن كثرة المال لم تجلب له من السرور ما كان  
 يظنه ويأمل فيه. ولكن من ملاحظة تطبق على أشياء كثيرة غير المال لكم عبت  
 في مختلف مراحل عمري أن أرى اسمي مشهوراً ومفتوحاً يقرأ أو كتاب من دأبي،  
 وقد حققت هذا المرة بعد المرة، حتى أصبحت رؤية اسمي مشهوراً، تكاد تعادل رؤية  
 اسم شخص آخر لا أعرفه. وعندما تصدمت في نفس عمدة الثقة في أشياء كثيرة  
 كنت أعين عليها الأمل كمصدر من مصادر السرور، ثم تبين أنني بدعيت في  
 قدرتها على تحقيق ما كنت أتوقعه.

اندهشت جداً عندما أدركت أنني استعراضي لكل هذه البدايات والنهايات، في  
 اكتشافي لهذا العدد الكبير من الأمثلة على نوع أو آخر من خيبة الأمل. متراضية  
 كنه أبي على ظهور صورة النقط به يوم رواجه، وما عثر فيه من آمال عظيمة لنفسه  
 وأمنه، بما رأيته محبب عليه من كتابات في سوانه الأخيرة. حبة أمن هذا الأخ أو  
 هذه الأخت من إحتوى السعة، وهذا الأبن أو هذه البنت من أسألهم وينالهم، بل لم



يكن سبب رواج غير موفق، أو صحة تدهورت في من مكررة، حسب وفاة اس في من شباب، أو اضطراب بالهجرة والعد من الوطن ولأهل لصعوبة للحصول على وطقة ماسة إلح وما أشد حبه امالاً جمعاً في الثورة المصرية، إذ يبدو كل م عضاء ههنا من امال مند حبيب عاماً وكأنه قد تحرر، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة من هندا أنظر إلى الدولة الأوروبية التي عرفتها من حرب أكثر من أي دولة أخرى غير مصر، وتروحت جندى نتائجها، إذ أروى عدماً بعد عام، فأحد قد فقدت دورها كثيراً من سمات التقدم، أو ما كما يعتبره كذلك، واقتربت ليها ربة ارف هبة المادية، في نظري على الأقل، سدهور سياسى واحصاعى ونقدى ولكن كل هذا يحتاج إلى الكثير من التفصيل، ولأبدأ بأبى وأسى

## -٧-

لارلت أتذكر أسي، بوصوح تام، وهو جالس، مد م يقرب من سبي عاماً، في حله الأبيض في مكانه المعتد على الكسة الكبيرة وسط الصالة، وعلى يمينه مائدة وضع عليها عدد كبير من رجاحات الأدونه لمختلف الأشكال والأحجام، حيث كان يعبد في تمييز بين دواء وآخر على اختلاف أحجام الرجاحات، بعد أن أصبح من الصعب جداً عليه، من شرط صعب بصره، أن يقرأ اسم الدواء المكتوب على الرجاجة. كان يحاول أن يكتب شيكاً لمساخر، لأد من الرراجة التي يملكها، بيد مرتعشة، فعدم فرع بصعوبة من كتابة الاسم والمبلغ، وجاء وقت التوقيع، وجد صعوبة بالغة في أن يكتب اسمه هو بالطريقة التي تعودت والتي يكن أن يقلبها انبك، مما اضطر إلى قرين الشيك وكتابة غيره، وواجه نفس الصعوبة فوجئنا بمحاربه بالسكاء، إذ وجد أنه لم يعد قادراً على القيام بهذا العمل البسيط جداً، وامهم جداً مع ذلك، والذي طالما قام به دون عاء

كان تدهور صحته ونظره هو بلا شك السبب فيما أصابه من حرب ولاند أن هذا التدهور هو م جعله بمقد اهتمامه بأشياء كثيرة مما نهتم بها سائر الناس، ولم تكن تنهية لهذا الحد في نظره في الماضي كان في سرته الأخيرة يذهب إلى بعض

المجلات المهمة، في مسابقات رسمية، فلا يرى داعياً لرابطة العبق، بل وقد يستمرى عن حلاقة دقه، من فرط لاسالاته بما يمكن أن يكون عليه مظهره، أو ما يمكن أن يكون رأى الناس في ذلك. الأعرب من ذلك لاسالته برأى لاس في مقالاته إلى درجة قبوله لأمر لارلب حتى الآن أتعبت أشد التعب من قبوله به. لاند أن هذا كان في أراض الخصميات، وكانت محلة الثقافة لاربت تصدر ولكنها لم تستمر طويلاً بعد هذا، إذ واجهها من المصاعب المالية ما اضطرها إلى التوقف. وكان أبى يكتب فيها، في كل أسرع، مقالاً قصيراً جداً لا يريد على مائتى كلمة أو ثلاثمائة تحت عنوان «حطرة». وكان يعثر عن صفة أحباء ناله لا يجد فكرة جديدة يكتب عنها مقالة، وقد حل موعد تسليم المقال. كت وقتها في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرى، ومعم ما يكتبها بعض المقالات القصيرة، كت أعتبرها «مقالات فلسفة» دون أن تستحق هذا الوصف على الإطلاق. تعرضت على أبى مرة أن أكتب أنا مقال في ذلك الأسرع بدلاً منه، وهو جئت بقسوله وبإرساله مقالاً للطبعة، إذ كان هو رئيس التحرير، ويظهر مقالى حاملاً اسمه هو. كان كل هذا سمعت سرور هائق بى. إذ لاند أبى طست وقتها أبى أو شكت أن أسع مكانة أبى كاديب. عذم أقرأ هذا المقال الآن لا أحده مما يسىء بشره كثيراً إلى أبى، ولكنى أجد فيه شيئاً من الصبانية يبق شباب صغير يفتر بحسه بأكبر من قدرها. عفى إلى هذا الحد نلت قة إكثراث أبى برأى الناس فيما يكتبه، أو لعله وجد فرجى بأن بشرى مقالاً على هذا النحو بمحنة الثقافة. أكره أهميه من أن يقر الناس له مقالاً جيداً.

لاربت أشعر ببعض الألم ووحز يصمر حتى الآن، كلما تدكرت مظهر أبى وهو وحسب في الصالة وحده ليلاً، في صوء حامت، دون أن يبدو مشغولاً بشيء عنى الإحلاق، لا قامة ولا كنية، ولا الاستماع إلى راديو، وقدر جعت أن لتوى من مشاهدة فيلم سينمائى مع بعض الأصدقاء. أحتى أبى فيرد التحية، وأن متجه بسرعة إلى باب حجرته وفى نسى أن أسرع فوراً في النوم، بينما هو يحاول استفتائى بأى عذر هو وبأى حصة، وشوقاً إلى الحديث فى أى موضوع يسالى

أين كنت فأخسبه، وعمن كان معنى فأخبره، وعن اسم المصمم فأذكره، كل هذا باحانات مختصرة أشد الاحتصار وهو يأمل في عكس هذا البصير فإذا طلب مني أن أحكي به موضوع مصمم شعرت بنقص، وكأنه يطلب مني العام بعمل ثمل، أو كان وقتي ثمين جداً لا يسمح بأن أعطي أي بصع دقائق

لا أستطيع حتى الآن أن أفهم هذا التبرم الذي كثيراً ما يشعر به شاب صغير راء، نيه أو أمه، مهذب بلعب حريتهما إليه، يما يبدى منتهى السماح وسمه الصبر مع زميل أو صديق له في مثل سنه مهمم كاتب سحافه وقلة شأنه هل هو خوف المستطير من فقدان الحرية والاستقلال، وتصور أي تعليق أو طلب يصدر من أبيه أو أمه وكأنه محاولة للمدخل في شتوبه الخاصة أو تقييد حريه؟ فقد لاحظت أحيانا مثل هذا التبرم من أولادى أنا عندما أكون في موقف مثل موقف أبى لدى وصمته حالا، وإن كنت أحاول أن أنجب هذا الموقف بقدر الإمكان لما أتذكره من مشغوري بالتبرم والتأفف من مطالب أبى، ولكنى كنت أقول لنفسى إذا صغرت إلى ذلك أبى لا أرغب في أكثر من الاطمئنان على أبى هذا، أو في أن أصر له عن اهتمامى بأحواله ومشغوره، فلماذا يعتبر هذا السلوك الذى لا باعث له إلا الحب، وكأنه اعتداء على حريته واستقلاله؟



كانت أبى بوجه عدم أكثر استعدادا للفرح وأكثر تعذلاً باخية من أبى، ومع هذا فقد أعصابها أبى أيضاً في سوانها الأحياء مشمأ أصاب أبى من فلة أكثرات عى يحدث

كانت أبى تقوى إنها قبل رواجها من أبى، عندما كانت تقيم في بيت قريبها الثرى، بعد أن هربت من بيت خالها، لم تكن تكف عن نصيحك والمرح مع بات الأميرة اللاتى يقاربها في السن، ثم كفت عن ذلك فجأة، تنقها إلى بيت الزوجية حيث وجدت ذروح دكتانوراً متسلطاً، قليل الكلام ولا يكاد يعرف المراجع وقد طلت سوات طويلة تحاول أن تحقق لنفسها الاستقلال لمادى عنه، حتى تستطيع أن تواجه أى احتمال لشكره لها أو لهجرها وتروجه بعيرها وقد استطاعت في

الهيئة، مما كَوَّنَتْه من مذخرات، أن تطعم مقدار كبير من الحرمة وكن هذا في السوات الأخيرة من حياة أبي مع تدهور صحت، واضطربه في التزل عن الكثير من سلطاته أذكر أنها، بعد أن تحقق بها هذا التقدر الكبير من المذخرات، وهذه المذخرة من الحرمة في اتحاد الممرات، رأت مرة في أحد المحلات المتحارة لوحة معدنة صغيرة كتبت عليها الآية القرآنية «إن نصركم الله فلا غالب لكم»، فمرحت بها واشترتها وعلقتها فوق سريرها وكنت كثيرًا ما تردد هذه العبارة كلما يحل بها أن تقارن بين حالها في مقلب حياتها مع أبي وحالها بعد أن أصبح لديها ممتلكاتها الخاصة وكتبت حريتها في تصريف أمرها هل تطرد هذا الخادم أم تستقيه؟ هل تؤخر أخذ أدوار بيت الذي ملكه أم لا تؤخره؟ وكان تكرر هذا لهذه العبارة «إن نصركم الله فلا غالب لكم»، يطوى د ث على إشارة حمية إلى أبي، فكان لله سم يصورها إلا على أبي، أو كان علاقة بينهما كان لابد أن تسهى بعالم ومغلوب، مما يمكن أن ينير السافون عما إذا كانت العلاقة الروحية هي دائما علاقة بين شخصين متحابين، أم كثيرا ما تكون أشبه بالعلاقة بين متصارعين؟

ولكن أسي مدب عيها هي أيضاً بوادر الحزن وبعض الاكتشافات في سنواتها الأخيرة لم أكن بجوارها خلال مسها الأخيرة، ولكني أذكر جيداً كيف أصبحت أقف مرحاً بكثير في لسين السائقين على سمرى في اسنة إلى بحسرا، وأثن ميلاً لتبادل الحديث كان وراء ذلك بلا شك، كما كن الأمر مع أبي، تدهور الصحة مع معاقم مضاعفت مرض السكر في حالتها، وإهمالها الشديد في مرادها ما يجب أن تتدوره أو التناول من طعام ولكن ربما كان وراء هذا الإهمال الو صحتا لصحتها شعورها بأنها لم بعد لها مهمة واضحة في الحياة كان أبي قد مات قبل بضع سنوات، فلم يعد هناك من يسهر على العناية به وخدمته وكان الأولاد والبنات قد تزوج معظمهم أو سافروا للدراسة أو العمل خارج مصر فف هي بالوسط الوظيفية الضرورية التي يؤديها؟ وإذا لم يوجد هذه الوظيفة الضرورية فما هو بالوسط الداعي للتصاع لأوامر بطب وما يتعلق بحب تناول أو عدم تناوله من طعام؟

لم يكن أسره روحنى الإعلانية أسره متدنية بأى شكل من الأشكال، ولم يكن للدس رقومته أثر على حياه الأسره سومة دى استثناء بعود والده وجنى الذهاب مرة واحدة فى لعام إلى كنيسة للانشراك فى عاء بعض الأنشيد الدينية بمناسبة بدء عام حديد، بالإضافة إلى الاحتفال كل عام بعيد الميلاد، أى الكريسماس، شراء شجرة وتزيينها، وتبادل الهدايا وقائمة عداء وعشاء أفر من المعتاد. وقد برزت روحنى وبر عرت على فكره أن تزيين شجرة الكريسماس، كبيرة أو صغيرة، طوعية أو صاعية، من الطغوس التى لا يجوز إهمالها، على أن يحتفظ بهذه الزينات من كور ملونة إلى تماثيل رخاحيه، إى شرائط مذهبه أو معصمة، من عدم الآخر، ويضاف إليها الحديد فى كل عام. وكذب حوارب لأطفال ثملأ فى يومهم فى الليلة السابقة على الكريسماس، وهى ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر، مختلف أنواع الخلوى ولهدايا، ثم تدس الخوارب تحت الأعطة بعد أن يام الأطفال، حتى يحسوها بأقدامهم عند استيقظهم هذاون يومهم سرور عامر وهم يحضون ما جاءهم به «لأب كريسماس» أثناء يومهم، ليتحققوا أى ذا كن هذا الأب لعطوف قد نذكر تمصيلهم لنوع معين من الخلوى على غيره، ردت قبل أن يجتمعوا حول الشجرة مع بقية العائلة، بعد أو قل وليمة فاحرة، تفتح الهدايا الأمسية، وقد وضعت كلها حول الشجرة الحسلة وغلفت كلها بأوراق مشرقة بألوانها ورسومها، وقد وضعت على كل هذه بطاقة صغيرة، حميلة دورها، تحمل اسم المهدي والمهدي إليه، مع عبارة قصيرة تشوق المهدي إليها إلى معرفه ما لدى تمنويه هذه اللقطة الثمينة وأحياناً تُعَلَف الهدية بمذقة قوى أخرى حتى يستغرق استمرايح المهدي أطول وقت ممكن، فإذا حملية فتح الهدايا تستغرق عدة ساعات تحتفلها صيحات العرح وتقبيل الأطفال لدوهم، اعتراف منهم بكرمهم وذكائهم فى اختيار الهدايا المزعونة

لم يكن من الممكن لى أن أرفض استمرار هذا السليد الحصيل بعد الزواج، ولم

مد لى أى سب مقبول لحرمان روجتى من استمرار هذه البعادة ،لهيجه .فلم حانما أطفال، وعرف أطفالنا ما الذى يجرى فى الكريسماس، لم يكن هناك أى احتمال للكوص عن هذا لا احتمال، من اقتناء الشجرة وتزيينها، لى تبادل الهدايا وملء الحواري، وإقامة عشاء أو عشاء شهي، إلى ادعاء وجود شخصية حقيقية فى «الأب كريسماس» ، الذى سول إلى الت من المدحة متصلة بالمدحة، إذ كانت هاك مدحة ومدحة، أو من اساب أو سافدة مهم كان إعلاقهما محكما، بعد أن يستمرق الأطفال فى سوم فلا يحسرون مجيئه.

بدأنا هنا بتقليد بدعوه أشقائى جميعا وأرواحهم إلى العشاء فى بيتنا بالمعدى مد أكثر من أربعين عاماً، وطوال هذه العترة لم ترقب عن إقامة هذا الاحتفال بالكريسماس فى بعض سيت، وعن دعوة بعض الأشخاص، باستثناء السنوات الأربع التى قضيناها فى الكويت والسنتين اللتين قضياهما فى أمريكا، ومنه العيا فيها الحفلة بسب وفاة أحي حافظ، وأجرى سب مرم من شديد أصاب طارقي اس أئحي عد الحمد نعم طلت الحفلة هى الحفلة، تتكرر لمدة أربعين عاماً، وتقام فى نفس البيت، ويدعى بهن بعض المدعوين، وأصاف الطعام المقدمه لا تعبر كثيراً، فمعظمها هى لأطاف التى كانت تقدم فى حفلة لكريسماس فى بيت والدى روجتى فى إنجلترا، ويعبر المدعوون عند انصرافهم، فى كل مرة، عن شكرهم العمق لروجتى لما تعشخته من معب، وللى لأسي الوحيد من بن الإخوه العثانة، رغم أنى أصغرهم جميعا، الذى يواصل هه اخهد لجمع شمل عائلته كلها، عام بعد عام.

مع كل ذلك، لم يكن من الصعب على حد ما أن يدرك أن هذا الاستمرار فى إقامة حفلة لكريسماس على هذا النحو، كل هذه المدة الطويلة، لم يكن إلا ما مد على السطح، وأن ما يجرى تحب السطح أصابه تعبرات كبيرة وعميقة، بل حتى ما بدا على السطح أصابه بذوره تعبرات كبيرة .فقد اختفى البعض احتفاء تاماً، إما بالموت أو الطلاق، وهاجر البعض إلى بلاد بعيدة، وشاح آخرون فأصبح الحديث معهم مستحيلاً أو غير مجد، إذ لصعب الاستحاة للحدث أو عهد بعيدة على

سبعة أصلاً وكثر الأولاد والبنات وتزوجوا ، وسرعان ما حلّ بكثير منهم  
الحرمان ، إما بسبب روح غير سعيد أو بسبب طلاق غير سعيد أيضاً ، وراثة الأبناء  
على الجميع ، إن لم تكن أعيان مالية فهي أعيان مجردة لتقدم هي لس ، وتسمع  
الأحداث للحياة للأمان ، سواء كانت آمال الشخص نفسه أو لأولاده أو لبلده

عندما لاحظت أنا وروحتى أن المرح الذي كان يسود الاحتفال في السنوات  
الأولى ضعف بشدة في السنوات الأخيرة ، فكّرنا في أن ندعو ، إلى جانب الأصدقاء  
وأولادهم ، أولاد الأولاد أيضاً ، ومن ثم ظهر في الحفلة أولاد وبنات لم يلدوا  
العشرين وبعضهم لم يبلغ العاشرة ، ولكننا لاحظنا أن الأمر لم نحسن كثيراً ، لقد  
بددنا هؤلاء لصيبه فد أصبهم هم أيضاً شيء ، شيء بذلك الشعور بحسرة الأمل  
الذي أصاب آباءهم وأمهاتهم ، وإن احلف الآباء

#### - ٤ -

كان أكبر إخواني (محمد) عندما بدأ دعوة العائلة لحفلة التكريس ما من في سنة  
١٩٦٥ قد تزوج للمرة الثانية بعد أن طلق زوجته الأولى التي أحبها كثيراً  
كأن بهال أصغر ابنين ، وقد بد لي عندما رأيتهما آخر مرة ، وكان في نحو  
الخامسة والعشرين ، فساءرته أحما ، وكانت قد أنجبت بثلاثة بنين جديين  
لم أكن أرى بهال كثيراً ، بل رأى كان كل عدد مرات معانتي لها في حياتي كلها لا  
يريد عني أربع أو خمس مرات ، كان أخي محمد ، أثناء رواجه الأول يعيش في  
الإسكندرية ، إذ كان مبرسا بجامعتها ، وبعد طلاقه ورواحه الثاني ظلت أنتن  
نعيشان مع أمهمها ولا تزوران أحدهما إلا عبر مكالمة طويلة ، كما يحدث كثيراً بعد  
الطلاق ورواح الأب من جسده

كانت البنات من الزواج الأول تشهدان ما يعيش فيه أبوهما وزوجته ، الحديدة من  
بحوحة ، وما يحيط به الأب استين الآخرين من تدليل واهتمام رائد عن أخد ،  
ويريد بذلك عما تحيطان هما به من اهتمام الأب وتدينيه ، خاصة وقد اعتلى

الأب أعلى المناصب بعد طلاقه ، ويدفع من يديه المال الذي أعتق أكثره بالطبع على روجته لخدمته ونسبها

ثم يبدل الأب جهداً في ترويض البنتين الأوليين كالذي يفعله مع الآخرين ، ولكنه قام ببعض الواجب عليه إزاء النسيب ، فعشر لكل منهما على شقة متواضعة وساعدهما في دفع قيمة الخبز المطلوب ، وكان من نصيبه بهاء شقة لا بأس بها في عمارة حديثة تأسس في شارع الهرم

كان هذا في أواخر السبعينات ، عندما كثرت أحداث سقوط العمارات ، بسبب ميل بعض المقاولين إلى استخدام أسمنت معشوش ، أو الوفي في أسبغ الحديد المستخدم في البناء . فسمعا عن عمال محارة يسطوا تحولوا إلى مليونيرات خلال سنوات قليلة عن طريق بناء مثل هذه العمارات ، مع إهمال شجع من جانب السلطات المدنية لتراخيص بناء ، وشيخ تقديم الرشاوى للحصول على هذه التراخيص لسبب من اتباع القواعد التي يفرضها القانون هكذا فوجئنا في ظهر أحد أيام الجمعة بسماع خبر سقوط العمارة التي تسكنها نهال في شارع الهرم وهرع أخي ومطلقة إلى مكان العمارة ، وهرعت أما بدوري لأكون بجانبه خلال هذه الساعات المظلمة وجده حالما في مدخل فندق صعر قائم امام مكان العمارة ، وعلى بعد خطوات قليلة حلت مطلقة التي لم أكن قد رأيتها منذ ما يقرب من ثلاثين عاما كانت مثل أخي ، قد تجاوزت الستين ، وبدت سيدة محطمة تماماً وقد وصفت رأسها بين كفيها دون أن تبدل أحداً الحديث كانت العمارة داب الأطناق بعشرة قد تحولت إلى أنقاض لا يريد ارباعها على ارباع طابق واحد أو أكثر قليلا ، ومن ثم كان الأمر في عشر المئتين من الأقداس على أي شخص حتى ، صعب بل في حكم المستحيل . وسمعا بعض التفاصيل عما حدث . كانت بهال وروجها وطفلهما الصغير نادا لسانا كان أكبرهما في خمسة والأخرى في النش من عمرهما ، إحدى أسرتي اثنتين سكنت هذه العمارة الحديثة ولما متفقوا في الصباح لاحظ الزوج شروحا في عمارة مع سقوط بعض اشراب من السقف ، فاستدعى السواب بدى اتصل بصاحب عمارة فطمأنه على أن كل شيء على ما



يوام وذهب بروح لأداء صلاه الجمعة في مسجد قريب وبرك في الست ورحته  
 بهن وضعتهم ثم حدث ما حدث، وطلبا يراقب أعمال الثقب حتى امساء دون  
 أن يعثر على شيء وأحدث تصور م لا بد أن يكون قد مرت به بهل و بطلان من  
 دعر وجوف متبطن لتطير، هذا اللحظة التي سقطت فيها بعض قطع السمب أو  
 أحد الحواظ إلى أن صار من الحيلة لم يكن هناك شيء يمكن أن أمرله لأخى أو  
 لمظنته لتخفيف من وقع الحادث ولكن ذهنتي بصعة أمور

هائدا واقف أشهد من أكثر المناظر مأساوية عمان يقلبون الأناقص أملا  
 في أن يعثر على جسم امرأة أو طفلة على قيد الحياة، مع أن كمية لأناقص امهيرة  
 تكفى ثقبها وحده أن يقص على أي شيء حتى ولكن وجوه الصمال وروع الكلام  
 الذي يتدلونه أنه عملهم لا يختلف عما يمكن أن تكون أو ن يتفوه به لو كانت  
 المهمة امكولة إليهم عديدة تماما ولا تطوى على أي مأساة، كساء عمارة حديثة  
 فعلا والأب حارس أو ولف من ردهه القدر ولكنه مأساة لا يمكن أن يحسن  
 أحد، إدراكه سبب محيته إلى هذا المكان، وهو قادر على تبادل الحديث معي أو مع  
 غيري، أي أن يصرف بذهنه عن التفكير فيب يجرى ادم عيبه وما يتوقع أن يسفر  
 عنه البحث وسط الأناقص

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي ألاحظ فيها شيئا كهذا، ولكن المفارقة هنا بدت  
 لي أكبر منها هي أي مره سابقة المفارقة بين حادث الموت وطريقة تلغى الناصر له،  
 حتى لو كانوا من أقرب المقربين إلى شخص المفقود للحبر وقع شديد في بداية  
 ولكن ما أسرع ما يثبت لذهن الخبر ويمشأ معه لقد طلبت مسرة طويلة لا  
 أستطيع حلالها أن انصور كيف يمكن أن تعيش أي أم أو أب بعد فقد الابن أو  
 الب، أو كيف يسمر العاشق بولها في الحياة بعد فقد حبسه ليع ولكني  
 صادقت بعد ذلك، المرأة ثلث المرة، ما يميز بي عطني، إدراك قدره الإنسان على  
 التأقلم مع أشد الأحداث يلاما، أكثر كثيرا عما كنت أنصور

ومع مرور بضعة أيام على هذا الحادث، تأكد لي هذا أكثر فأكثر، وكنت النتيجة  
 مرجعا من الاذتياع والمرض هي نفس ابوقت الاوتياح لأن لآلم أقل بكثير مما كنت

توقع، والفرع من حجم الفسوة التي نزلت لي أنها كاملة في الجميع، بدرحة أكثر بكثير أصلاً من كنت أظن

## - ٥ -

عند كنت أنا وروحي على الناحية التي اقلنا من أوروبا إلى مصر، لأول مرة بعد زواجنا، وأحدث أصعب لها أشتاتاً وخط حلتهم، واحد بعد الآخر، فبعداً لبقائها الأول بهم، حدثتها من أنها قد لا تستطيع معانة أحى عند الحميد، لا مصعوبة، بسبب اشتعاله المستمر بحوثه العلمية وتجاربها في مركز البحوث بالديهي، بالإضافة إلى وظيفته كأستاذ في كلية الهندسة. وقد ضلت روحي تذكروني بما قبلتها عن عند الحميد، مرة تلو الأخرى، بعدة سنوات بعد ذلك، إذ أن اندى حدث كان العكس بالضبط. فمن بين الإخوة جميعاً لم يكن يفتي بأحد أكثر من لعائد عند الحميد، وكان يبدو وكأنه لا عمل له ولا رطله. ثم هو جالساً بسطاه التام عن أي عمل، سواء في الجامعة أو مركز البحوث، بل وعن أي قراءة أو كتابة، هذا كثافة بعض الخطابات لتقصيره لأنه المقيم بالدمسا، و توقع على نطاقات النهضة بالكرسي عامس لأقارب زوجته المملوية. كان سبب هذا التعبر الذي طرأ عليه مذهلاً وغير متوقع بآخرة

بعد عودتي وروحي إلى مصر في ١٩٦٤ م أسابيع قليلة بدأت تظهر على عند الحميد أعراض مرض بعض عضال لم استطع تفسيره. بدأ يكلم عن أشخاص يريدون إيداءه ولا يكشفون عن مصابفته بكمالات تعويية غير مفهومة، دون أن يعصم عن يمكن أن يكون هؤلاء الأشخاص أو عن السبب الذي يمكن أن يدفعهم إلى مصابفته. ثم بدأ يعمل بعض لباس البسطاء، كجوانب عمارته مثلاً، أو المشرف على حمام السباحة بالمادى الذي يذهب إليه، بمنطة شديدة ويهيجهم دون مرورهم إيمانهم منتهى الصبر معه. كان حديثه شخصيات مثيرة، إلى جوار التحارث أو المباحث العامة، أو إلى الأستاذ البرمسي الذي كان يتعاون معه في تأليف كتاب يتعلق بتجربته في مركز البحوث قبل صاغت بهذا المرض مباشرة، وكان موضوع

الكتابات صلة باستحداثات الطاقة النووية. كما كان كثيراً ما يربط، على نحو غير واضح بالمرءة، بين ما يحدث له وما يحدث لمصر والعالم، ويستحدث أثناء ذلك كلمة إحصائية كاس تتردد كثيراً على لسانه وهي كلمة الـ (system) وكان هناك قوة وحدة تحكم العالم، احتار هذه الكلمة اسماً لها، وترسم مجرى الأحداث هنا وهناك، حتى ما بدا لها أنها قد طبقت، إلا أنها كانت في شرح كنه هذا الـ (system) وأهدافه، صحت ما وسم بترسل في الكلام. هذا تطويع نحن تفسر بعض الأحداث على نحو نرى أنه يلائم مع نظريته صحت أيضاً وقال إن هذا هو المستوى لأور أو التي من مستويات الفهم ولكنها لا تلتزم ما يكون عن فهم حقيقة هذا الـ (system)

كنت أأخذ في كلامه وهو يحاول شرح ما يحدث في العالم حديثه شديدة وإن لم يكن متسقاً تماماً ولا واضحاً، كما وجدت جدانية أشد في كثير من القرارات التي اتخذها وتعمق بسط حياته والتي نفذها بصورة متقطعة، الطير كان انقطاعه انعام عن التدريس، مع استمرار حصوله على المرتب، بل وعلى كل العلاقات التي يحصل عليها وملاؤه في الخدمة، يطوى على ثمره بالغ وحرارة زائدة عن الحد، ولكني كنت أعجب بكل ما أدهاه من تردد على خط حياته المعسر في سهم الاستهلاك دون أن أستطيع أن أجاريه في هذا التردد

استعني عن السيارة، وصدر يذهب حيث يشاء مشياً على قدميه، بما في ذلك دعامته لشراء حاجيات المنزل من مأكولات، إذ اسعنى أيضاً عن الخدم وقدمت زوجته بكل الأعمال اللازمة للنظف والتنظيف. ثم يكف أو يشعر بى علة في أى من ذلك، ولا في استخدام اتصالات العمة التي لم يستعملها بعض إخواني منذ عشرات السنين، وبذلك كل ذلك وكأنه اسبوك طبيعي، بل ولم يلاحظ أنه يقوم بأعمال غير مأثورة. امتنع أيضاً عن قراءة الصحف انقطاعاً تاماً، ومن ثم لم يعد يفهم ما تلى بفضله بحروح هذا الوزير من لورة أو تأليف ذات الحكومة الجديدة وقد ذل في مرة، تعلف على شكواى من حالة التي وصلت إليها الخراف المصرية ذبا حلال هذه الخراف لا تصدر لأمثالك، بل ليعوض مختلف حد من الناس. وكنت

أشعر بأن كلامه فيه شيء مهم صائب، ولكنه لم يكن قادر على الاسترسال في توضيح ما يقصد، ولم أكن أن أقدرُ على الاقتداء به

بعد أن مقطّع مطاعاً تاماً عن أى عمل خارج المنزل، وتوقف تماماً عن التدريس وعن القراءة في مجال تخصصه، وهو فرع من فروع الهندسة الكهربائية، أصبحت تسيطر عليه لا تستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية من محطة الإذاعة المصرية، وفي رسم بعض الصور البسيطة غير الملونة. والخروج لشراء الأشياء الضرورية التي تحتاجها روحه. ولكن كاتب أكرر متعه بحصل عليها هي في لدهاب ثلاث مرات كل أسبوع، هي أوقات محددة لا تتغير، إلى البادية القريب من بيته، فيجرب حول الملعب عدة مرات، ثم يسبح في حمام مساحه عدد ثمانين المرات دهبا وإيدان، ثم يتلقى دشا ساخنا ثم ياردا، ويعود إلى منزله ليتناول عشاءه حقيما في الثانية عشرة ظهرا ثم ينام بوماهنا

كان يقول لي، عندما أمد به عما إذا كان لأزال مواظبا على أخرى والساحة، إن هذا هو السبب الوحيد لديه للاستمرار في الحياة، إذ من جذري الحياة إذ توقف عن السباحة والخرى؟ وعندما أصيب مرة بأزمة قلبية رخصه الطبيب وشدد عليه بأن يتبع عن الخرى والسباحة، استمع الطبيب مستجاباً تاماً، وعاد بعد شفائه مباشرة إلى ما كان يفعله، واستمر على هذا مسوات كثيرة، يجرب ويسبح، حتى قارب الشدائد دون أن يلحقه من ذلك أى ضرر

كنا أنا وأخي أحمد، قد اضطررنا في مدة هذا التغير الذي طرأ على عبد الحميد، لاتخاذ بعض الخطوات الخاصة لمنع مراد من لتدهور في حالته النفسية، خاصة وأن روحته حاءتاً يوماً وهي تكنى وهي حاله في شدة، لتجرب باعتدله بالصرب دون سرر على بواب العمارة اقتنعنا بضرورة اللجوء إلى طبيب نفسي الذي رأى ضرورة دخوله المستشفى وتلقيه بعض الخدمات الكهربائية. حدث هذا مرتين ثم استقرت حالته وعمط معيشته على ما وصفت، وظل على هذه الحال نحو أربع سنه، حتى بلغ التاسعة والسبعين



لأنه أن عبد الحميد قد شعر بما أكتفه في مصفى من حب له، ومن عجبت شخصي  
بمط حياته، ويكثر من راته وموقعه، هو تنسى واسترح إلى وأندى من المودة  
أكثر مما كان يبدى لبقية إخواني لم يكن يستطيع مجازتي في الإنفاق، إذ لم يكن له  
دخل غير منته، وما يحصل عليه روجه مقابل بعض الدروس الخصوصية، فكان  
يستحيل عليه الذهاب إلى بعض المطاعم التي أذهب إليها أو مجازتي في الذهاب  
إلى حفلات الموسيقى العربية التي تقام في الأبرار، أو حتى في زيارة بعض الأتارب  
الذين يسكنون بعدا عن منزله، ما لم اصحبه هو ووجهه في مساوئي، أو أذهب  
لعداء أو عشاء في مطعم أو لخمعة موسيقية في مساهمة نرد أن أدفع أن تكاليفها  
ولكن الشيء الذي أبدو سعادة عمرة به هو الذهاب بقضاء يومين أو ثلاثة على  
ساحل لبحر الأحمر في فندق صغير بديع بالقرب من مدينة رأس مندر، ما أكثر ما  
ذهب إليه نحن الأربعة، فإذا بعد الحميد، حتى وهو في التاسعة والسبعين، يقصر  
إلى الماء محمرد ووجهه وسبح في الماء الشديد البرودة، وكأنه سمكة أعادها صاندها  
إلى البحر بعد أن رأى عذبتها على الر

كتب أحمد عبد الحميد، وعم كل ما مره من معانيه، ورغم قلة دخله  
بالمقدرة بقية الإخوة، أهدأ نالاً وأكثر رفيا بحياته ما جميعا صحيح أنه بدأ أصابه  
ذلك المرض بنفسى فقد مر به القديم وقدرته على الاسترسال في الصحت، نضلاً  
مالمط عن توقعه عن القيام بأي عمل للمح، ولكنى مادراً ما رأيت منه أى دليل  
على شعوره بالقلق، أو سمعت منه تعبيراً عن سخط أو نلهم على أمل صعب  
الحقيق كان ولده الأكبر نعم بالمسا فكان عبد الحميد به هب كل مصع سوت  
لزيارته ويسمع ثناءها بالسيرة في حلمان رضى انه الأصغر سوان كثيرة في  
ماليريا في مركز لتعليم العوص، فكان عبد الحميد يذهب إليه لمرّة تلو الأخرى  
نقص شهر أو أكثر، فستمع تتحرر مناح جديد ونمط مختلف من الحدة، في ظل  
كرم دافع وحب حقيقى من انه وروحه انشويديه كان النمط الطبعي الذي اختاره  
لحياته، وبسولة لتمام بسيط دائماً وفي مواعيد ثابته، ومواطنته على أخرى  
والساحة في أى طرف من لطروف وبهما كان لحو، مصادر كافية للرضا بالحياة

وهذه أسرار، بل لعل هذا النمط من الحياة هو الذي حلّصه تمامًا من مرض السكر  
ندى أصيب به قبل أن يبيع الخمسين، وحافظ له على بشاعه وعدواته النديه حتى  
بلغ التاسعة و لسمعين، عندما حدث لايته لأصغر ذلك الحدث لعظيم.

كان طارق، به الأصغر، شابا رائف من أكثر من ناحية كان طويلًا عريض  
وسيمًا، شيط العنق والحسم، ولكن كان أكثر من يبره عشقه للطسعة، وهي صفة  
بذرة في المصريين ولكنها كانت موجودة في أبيه وقوية جدًا عند أمه علمه أبوه  
الملاحه في البحر وهو صغير، فأصغر عندما كبر عنى أن يتعلم أبى واستى الملاحه  
بدورهم، وأن يكون هو معنهم. وحرب مرة العطس في أحد مراكز العطس في  
شرم الشيخ مهم حيًا عماره تحت الماء من أسماك رثعة الألوان وشعب مرجانية  
ثم أراه بعض الغردان في سماء جمال الصحراء فعشقها أبدًا. أصبحت شرم  
الشيخ أحب مكان إلى قلبه، يقص فيه شهورًا متتالية، حتى وهو لا يزال طالبًا في  
كلية التجارة، ويبيت عدة نوب في الصحراء القريبة منها، فإذا جاء إلى القاهرة  
مضطربًا لأداء امتحان أو تجديد بطاقة، أنهى مامورياته في أقصر مدة ممكنة إذ لم  
يكن يرى في القاهرة، عنى حد فونه إلا فصلدوا كبيرًا للقمصه، وعاد سرعه  
إلى شرم الشيخ

عندما اصطر طارق إلى القيام بعمل دائم لكسب قوته، اشتغل مرشدًا للسياحين  
في العطس في شرم الشيخ، وأخبر من المال ما يمكنه من الإقامة بنصح سواك في  
المب حصل حلاليه على لماحسير في العلوم السياسية، ثم سمع أن من الممكن أن  
يحصل على الدكتوراه من إحدى جامعات ماليزيا بمئة أهل مما تتطلبه دراسه في  
أوروبا، فصلا عن توفير مراكز العطس في ماليزيا أيضًا، فذهب إلى كوالا لامر.  
وحصل منها على الدكتوراه، ولكنه فصل بعد ذلك أن يكسب ورقة من عمل إلى  
جوار لبحر

بعد أن حلت الأزمة الاقتصادية بماليزيا في ١٩٩٧ التي أودت بحره كبير من  
مديراته، عاد إلى شرم الشيخ، وبدأ سعيًا هو وزوجته السوديه التي تعرف بها  
في ماليزيا، ووجد هو وزوجته عملا في أحد المراكز الباحه وسط مجمرعه من  
الأصدقاء الذين يشاركرهم عشق الطيحه وكراميه حياه المدن الكبيره. ولم تكن

ورجته السويديّة أنس حماماً منه نقصاء الهزار في العطس و الليل في الصحراء ثم سمعنا فحاة بساتنه صداع شديداً طنه في الداه أفرأ تعبه لم تبين، عندما جاء لتكشف في القاهرة، أنه مانع عن روم في الملح، لم يستطع أمهر أطباء فيسا علاجه، فمات في بيت أبيه وأمه في القاهرة بعد عام ونصف من بداية شعوره بالمرض، وهو في السادسة والأربعين من عمره.

لم يثر أي شك حول مكان الذي سيمد من طارقي، فقد كما يعرف أنه احتار مكاناً حميلاً على ربوة عالية في الصحراء، على بعد خمسة كيلو مترات من شاطئ البحر في شرم الشيخ، وأحضر زوجته وأصدقاءه بأنه لا يريد أن يذهب في أي مكان غيره. وقد رتب أصدقاءه لقيمته في شرم الشيخ كل شيء، بل وحضروا ماسارات من شرم الشيخ إلى القاهرة لنقل حثامه، وامتدحوا كل تصرعات المطلوبة لمرور السيارات حتى مكان الدفن. سافرت روحتى مع الموكب لتكول سنداً لأمه في الطريق وأثناء مراسم الدفن، وحكت لي روحتى بعد عودتها أن أحي عبد الحميد بدا طبعاً تماماً وشماسك، وأنه لم ينقطع عن الحديث طوال مسره إلى أعلى الربوة حتى تم فيها الدفن.

كان عبد الحميد طوال شهر المرض واقفاً تماماً الثقة بأن الله سيتم شدة، وعم فقلب من لا شيء أمل بعد فراء لتقرير الطيب المصري وعدم اختيار الطيب المصري، بعد أن اشتد المرض، بين تركه يموت بالتدريج وبين إجراء عملية أخرى الأمل في الشفاء بعد ما صعب جداً، مع احتمال قوى لبقاء صبع سرت أخرى في حالة أمرب إلى الموت منها إلى الحياة، انضم إليها عبد الحميد في اختيار الحل الأول، إذ أكدت لما روجة الابن أن هذه كانت رغبة هارقي التي لاشك فيها وتلتى عثر عليها قبل أن يفقد وعيه. فمات انقطع عبد الحميد عن اتع نظامه اليومي، من السير إلى البادية ثم أخرى وراحة ثم شراء حاجيات المنزل. نج ولكن هذا الانقطاع لم يسمر أكثر من شهر عاد بعمه إلى مصر نظامه القديم، وتساءلنا، فيسا رين أنصب، عما إذا كان قد استطاع حقاً أن يتغلب على أحرانه كان كثير أنصمت قس وفاة أمه، وظل كثير أنصمت بعدها، فلم يكن يعرف بالضبط نوع

الأفكار التي تدور بذهنه. ولكن الأمر انصح له، عندما تدهورت صحة عبد الحميد  
 فحالة تدهورا ملحوظة، وبعد المدة على المشى أكثر من يصعب خطوات، وتذكرت  
 قوله المسم عن معدان الحياة أى معنى، فى نظره، إذا بعد مدة على الحرى  
 والسبحه



عمور سنة بعد أخرى، وفقدت وحقاً بعد آخر من إخوانى، وهو ما كان لابد أن  
 يتوجهه أحر العقود الواقف فى حر الصيف، بشرط ألا يصح أن الترتيب مسيرعى  
 بدقة كاملة. فقدت أولاً أختى بعيمه فى ١٩٨٣، وهى لم تحاور الثانية وسين،  
 وكانت حريه فى سنواتها الأخيرة بسب تدهور صحتها وبسب حبة إيمانها فى  
 رواج كبرى باتها، وهدرة ست أخرى مع روحها إلى أمريكا، وشملها فى العنور  
 على روج لأصغر سنها وأقربهن إلى قلبها. وعثرت أكثر من مرة عن فرعها من فكرة  
 أن تذهب ثمرة تمها فى جمع ما جمعت من مال إلى روح هذه الثت أو تلك.

ثم بعدت أختى محمد بعد ذلك بثلاث سنوات. جاءنى خبر وفاته وأنا فى  
 كليثوريا فى خطب من أختى أحمد بعيمه فى وبعد شهر قليل من وفاته جاءنى  
 بيا رواج أزمته من من عمها الذى قيل إنها كانت تحبه وهى عمة. ثم مات أختى  
 حبيب فى ١٩٩٠ وهو فى ثلثة وستين دون. يحقق الشهرة التى كان ينسأها  
 كمؤلف مسرحى. وعشت أختى عظمة بعده خمسة عشر عاماً حتى توفيت فى  
 الخامسة والثمسين دون أن تعدنى ملكة من ملكاتها اللدية أو لعدة إلا فى الشهور  
 الستة الأخيرة، حيث أصبحت عاجزة عن السير من حجرة إلى أخرى، ولكنها  
 احسعت حتى النهاية شهيقها لمانقة للطعام وخبة، وكان يسمرنى أن رهاها تسم  
 اسمها واسعة، قبل أن تغوب بأسابيع قليلة، عندما ترى عدة الحبوب الشامية إلى  
 أحصرت لها، ثم وهى تلثمها كلها تنهاها فى لحظات دون أن تعأ بما يصعب بها

كان لابد أيضاً من على قلب الحبة أن تعكر صغر حبه أحرص و بصعب  
 عثرت صفو أختى عبد الحميد حتى ثل وعة أبه، با أصابه من ضعف شديد فى  
 السمع، حتى أصبح توحيه الكلام. ليه مهمة فى عدة للصعوبة وقليلة الحدوى، لا



مستطع أحد أن يمارسها بفترة طويلة مهما حسنت بيته وصدق عزمه. وقد أدرك هو هذا صبح هو نفسه قبل الكلام مطلوب على نفسه، وكم كنت أشعر بالذهشة واخرجت إذ اكتشف أن لـب الواحد لعدم دعوت له لكي يصم إليّ عشاء أو برهة هو ضعف قدرته على السمع، مما قصى عني أي احتمال ساهمه من حاشه في الحديث أو الصلح

إن أحى أحمد فقد أصابته مجموعة من بهلبل التي لم تعفده شطه، وإن كان قد حثم عليه الحرب بعد فقدان المكنز لروحته، فعلى يقتضى معظم أيامه في سب وبيع في قرية كمشوش بالمروحية، كان أبى قد ترك لنا فيها خمسين فدانا لم يحتفظ بها بصيبه فيها إلا أحمد. فنكح أحمد من ربيعة بصيبه من الأرض بنجاح وأصاف إليه، ووجد من العلا حين من يخدمه ويحبب له اللبن ويظفوه طعامه ويظف بيته، فأصبح التقاؤه في القاهرة نادراً، وإن حل يحضر على حضور حفلات أسي بغيره للكريمات كل عام. ومع هذا كنت أراه في أسواق الأخيرة، خلال الحفلة، يجلس وحيداً لا يكاد يحط أحداً، ثم يكون أول من يستأذن في الانصراف

ثم بعد أن حثى حبيب حماسه وشهوة الحياة مع تعفده في السن، وأطن أن الذي احتفظ له بهذا الجماس هو حبه للمفردة والكثافة، وشعوره العامر بسعادة يد رأى شيء مثوره، كتبنا أو مقالاً، ولكن صنعت حركته كثيراً بسبب خلطه في سافه جعته لا يدري بيته إلا لماماً، وأصبح هو أيضاً من الصعب التقاؤه دون الذهاب إليه في منزله، وهي مهمة أحدثت تردد صعباً، في نظري على الأقل، سنة بعد أخرى

## -٦-

كنت نظرة أسمى وأسمى، وجلهها كله، إلى انطلاق، نظرة سلسة قماً كدوا بالعين بطرون إسه على أنه «أعص الخلال»، وكانت كل الظروف الاجتماعية السائدة أمام أسمى وأسمى تمرى هذه النظرة وتدعمها، ومن ثم كان لخبر لطلاق على

سمع وبصر أطفال صغار ، ومع سبي حداثته وكأته كانه كان لأمره تدبير  
 قليلا عندما بلغ سن الشباب ، فكان حرم طلاق أختي محمد ثم حافظه أحب ومع  
 وإن آثار دهنها وامتصاصا حول أبي قدر استطاعته أن يشي أختي محمد عن فكره  
 الطلاق إلى حد أن هدده بأنه إذا طلق زوجته سيطلق هو أمه ! قال أختي ذلك بهجة  
 تتراوح بين لحد وادرج ولكنه أراد أن يبين لمحمد خطورة ما فعله ، فردت أمي ،  
 وكانت حاضرة ، برد يراوح بدوره بين الفرع الخيمى والمصططن ، تمنح على طلاقها  
 هي بلا دس لم يستجب محمد لوجاه أبي وطلق زوجته ، كما لم يستجب حافظ  
 للمحذورات المستميتة لإبعاد زوجته ، سواء من جسدنا نحن ، أو من جانب أهل  
 زوجته كانت النتيجة لم . بنتي أختي محمد طوال الخمسين عام التي انصرفت  
 على طلاق أكثر من أربع أو خمس مرات ، ولم أرب أختي حافظ قط مد كان  
 غيرها أسوعا أو أسوعين ، وحتى الآن ، وهي لاند أن تكون قد نعتب الخمسين  
 من عمرها ، وبكى لأعرف في أي بلد تعيش

رأيت حالات الطلاق ريدة كثيرة هي الجيل الثاني فيما انتهت ريجتهن  
 بالطلاق من حالت من الإحوة الشمالية ، أي بسببه الرابع ، لا يتظر أن تريد وقد  
 عاود أصعرا السبعين ، ارتفعت هذه النسبة إلى نحو النصف في الجيل التالي ، أي  
 بين أولاد ويات الإحوة الشمالية فص بين عشرين ولدا وقت تزوج منهم ثمانية  
 عشر ، انتهت ثمانية زيجات بالطلاق ، وكنهم لادوا هي معتل العمر ومن ثم  
 طلاق لأمهم مرض واسعة ، دا شاءوا ، بالطلاق و بروج من جديد .

لا أحد من الصعب تفسير هذا التغيير . فقد كان الطلاق في حالة أبي وأمي أقرب  
 إلى المسحيل ، وأبعد ما يكون عن التصور ، إذ ما الذي كان يمكن لأمي أن تفعله  
 شمانيه أولاد ، لم يولد أصعراهم إلا بعد أن بلغت الأربعين ، وهي عذرة تمام عن  
 كسب أي دخل لا من عملها ولا من أهله ؟ كانت أمي وساء جيسها يتصورون أن  
 إجابات أكثر عدد من الأولاد والبنت سوف يشكهم الزوج ويقبله بقود ثمنه من  
 الحركة ومن محرد استكر في الطلاق ولكن من المؤكد أيضا أن المرة في أيام أمي  
 وأبي كانت على استعداد بقول معدمه أسوأ بكثير مما يمكن أن يقبله الزوج لآن ،

حتى لا يفرق الطلاق بينها وبين أولادها، وهي تعتمد على أى جدل أى قدرة على الإنفاق عليهم بمجرد ما

فى آخر حفلة من حفلات الكريسماس التى أضاف فى بنائها طرب إلى حبل أولادها وبناتها، وقد انتشرت بينهم حالات الطلاق على النحو الذى ذكرته، وأعمار معظمهم تتراوح بين الأربعين والخمسين، فوجدتهم أكثر ميلاً للحزن والاكتئاب مما كنا عليه، نحن أمائهم وأمهاتهم، فى مثل سنهم، وأقل استعداداً للصراح والصحت، وأقل تفاؤلاً بالهبة، ثم يكسب طلاق هو السبب الوحيد، ولا هو، وما أظن، السبب الأساسى لكل هذا الحزن المخم عليهم، فقد وجدت نفس المثل إلى اخرين والاكتئاب فى المروج وبطنى على اسواء كان من الوصح فى أن شيوخ هذا الجيل إلى الحرب لدى هذا الجيل، الحزب من الأسرة لا يرجع إلى سبب مرمى يتعق بهذا شخص أو ذاك، وهذه الأسرة دون غيرها، بل يتعلق بما حدث لمصر بوجه عام، بل وربما يتعلق أيضاً بما حدث فى العالم ككل



لم يقص أكثر من سنتين على بدايه هذا التقليد فى سنة ١٩٦٥، بدعوة الأسرة كلها للعشاء فى يوم الكريسماس من كل عام، حتى وقعت حرب ١٩٦٧ عسى تعد الحياة فى مصر بعد ١٩٦٧ مثلما كانت قبلها، كانت هذه الحرب هى البدايه الحقيقية لما سسمى فى مصر «الانفتاح الاقتصادى» أى، دخال مصر فى العالم الواسع. وقد أشاع هذا الانفتاح على العالم درحة عالية من شورى فى المجتمع المصرى، وأثر من الأمل لدى شرائع واسعة من المصريين أكثر بكثير مما يمكن تحصيله. ولم يكن من قبل المصدرة أن اقتربت ندانة عصر الانفتاح فى مصر بدرجة عصر التصخم الخافض، الذى وضع حذاءً بعصر مذهل لا تكاد الأسعار تتعبره بين عام وآخر، ولا ترد فيه، مدحون والنفروات إلا سدهاء شديد، ولا يكاد يغير فيه لمرة وطبعه الذى بدأ به، ولا رجوعه، ولا يشيع فى النفوس قلق مص مما يمكن أن يأتى به المستقبل. كان هذا هو العدم الذى ولدت فيه والذى عشت فيه حتى أشرفت على الأربعين. أما سى الأصغر فقد ولد قبل ثلاثة أشهر من إعلان اسادات دة سياسة الانفتاح، وكان

معظم أولاد و بنت إخواني شراوح منهم حسنة بن حمس وعشر سنوات شمس هؤلاء الأولاد والبنات وهم سمعوب اءاهم وأمهاتهم لا مكفون عن الكلام عن ارتفاع الاسعار، سيما أن الموضوع لا يكاد يرد على لسان أبي أو أمي. لقد بدا أبي وأمي وكأنهم قد اطمأن على أولادهما تمام الاطمئنان عندما رأوهم قد أتموا دراستهم الجامعية، فظنوا أنهم لا يمكن أن تصيبهم بعد اليوم أى ضائقة مالية. ولكن أبى وأمي لم يربا، ولا كان من الممكن أن يتوقعوا ما حدث بعد هاتين العشرين عاماً. أصبح المرتب الذى تأتى به الوظيفة الحكومية عبر كاف المرة، حتى لمحتصوب على ثلاثة أو عسالة كهربائية، فمالمثل جهاز التكييف والليفر يون اىون وجهاز الفيديو، ناهيك عن السيارة الكيفة أو السبرتين، وكلها أشياء أصبح يعتبرها جيل أولادى من ضروريات الحياة. مثل هذه الأشياء أفقدت الوظيفة الحكومية، عمرتها البسط والذات تعريب فى مكانه، أنهتها التى عمرها نى رأى، بن وعمرتها ن وإخوانى. وعندما فقدت الوظيفة الحكومية أبنتها فقدت الشهادة الجامعية، التى بضم الحصوص على هذه الوظيفة، الكثير من قيمتها. لاجب أن تعرفت مشعر الشاس نحو أساتذتهم ومدرسيهم، ولمح هؤلاء لأستاذة والمدرسون مطهر هذا التغير تعبيرت دورها بطرنهم هم إلى تلاميذهم بل وبطرنهم إلى «بهم

علما فمر «على، الابن الأكبر لأخى عبد الحميد، أن يترك مدرسته قبل أن يحصل على الشهادة الثانوية، وأن يسافر إلى النمسا بلد أمه، لبحث عن أى عمل، أو الالتحاق بمدرسة تدرس عمال المنزلية، ورأى علامات الاستعراب والامتعص على وخوف جميعا، قابل سحرأ «وماذا فعل أبى شهادة البذكورا التى حصل عليها مرة من اعملترو مرة أخرى من ألمانيا، وبوطنيته الرائعة كأستاذ جامعى؟ إنه لم يستطع حتى أن يشتري لى دراجة! »

أصبحت الكلمة التى تتردد بكثرة على ألسنة هذا الجيل الذى يتسمى إليه أولادى وأولاد إخوانى هى كلمة «مشروع» وكانو يقصدون بها مشروعا استثماريا بأتى بربح كاف للخصوص على هذه السلع التى لم يكن معروفة من قبل، والتى بدت أسعارها أهد بكثير عن متناول أبدى أصحاب الوظائف دوى بذل الثالث صاحب هذا

تحويل دخول التلفزيون إلى السوق وانتشاره كاشفاً النار في بهشيم، ثم أصاب  
 لتليفزيون بدوره موجات سريعه في برامجها وكمية ربيع إعلاناته، أدت إلى تعريب  
 مصر، أكثر فأكثر، مما يحرق في العالم بواسطة، وإدنا سيميريون يقول للناس بـ  
 الحياة يمكن أن تكون متممة، بل ومن الواجب أن تكون متممة، وبدى يقصر في إمتاع  
 نفسه هو شخص مقصر في القيام بواجب مقدس، أو بالأحرى شخص فشل بكل  
 معنى الكلمة، لا يصلح لا كروح ولا كصديق. هذا كان الحصول على هذه المصادر  
 الرائعة للمتعة متعدياً في مصر بسبب الارتفاع الهبط في الأسعار وقلة لدخول،  
 وقلة لفرص المتاحة لإقامته «مشروع» يحقق الدخل المطلوب، فلا مانع من السعر،  
 بل ولا مانع حتى من الهجرة الدائمة

هكذا انتشر أفراد هذا الجيل من أستراليا، يبحثون عن مصدق للبرق في أي مكان  
 في العالم يمكن أن يعدهم بتحقيق هذه الحياة الحديثة الرائعة. هدرت ثلثون منهم مع  
 زوجهما إلى أمريكا، وهاجر ثالث إلى أستراليا ورابع إلى النمسا وجرت حاصس  
 الحب أولاً ثم ذهب إلى فيلينا، وتزوجت بنت أخرى من رجن استمر في الهابة في  
 بحسرا، ولكن أعليهم رأى نحن في السفر لنضع سواب إلى إحدى دول خليج

من المدهل إذن كيف بدأ للعالمية العظمى من هذا الجيل أنه لا حل أمامهم إلا  
 السفر. لقد فتحت مصر أبوابها أمام عالم جديد العالم إليها ولكنه طرد المصريين  
 منها ومع هذا ما حققت الهجرة الأمل التي عقدت عليها. فقد روت سى  
 أختي اللين هاخرت مع زوجهما إلى أمريكا فلم أحد في حياتهم هناك ما عوّضهما  
 عما تركاه في مصر، بل وانتهى الأمر بإحداها أن بركت وزوجها هناك وعادت  
 نطفها إلى مصر، ولأولاً لا يعرف، بعد انقضاء عشرين عاماً عن  
 سفرهما لأول مرة إلى أمريكا، ما إذا كان الرجل قد وجد عملاً مناسباً أو لم يجد،  
 بل ولا حتى ما إذا كان له عمل على الإطلاق. أما من سافروا إلى الخليج فقد  
 صدهوا مشكلاً من نوع آخر. لم يكن الشعور بالعارفة قويا ومحصناً كما كان مع من  
 هاجر إلى أمريكا أو إلى أستراليا، فاللد المهاجر إليه عربي، والتليفزيون ماضق  
 بالعربية، والأفلام المصرية متوافرة في دور السينما والتليفزيون، والصور وبقية

الأصمة المصرية في متدول البد، ورياره مصر سهلة على أى حال عندما يكون في  
خلج وإما كانت المشكلة أن البلاد هناك ليست بلاداً حقيقته، وإما هي بلاد  
مصطنعة احتلت احتلالاً، رهما حاول المهاجر إليها تعويض ذلك بشراء المزيد من  
السلع أو اقتناء مجوهرات ثمينة لروحه أو ألعاب كهربيائية لأولاده، بما كان  
يستحيل عميه فتأواه في مصر، مهم فعل ذلك فإنه لا يستطيع منء الخواء نفسه  
الدى بتعاقم الإحساس نه يوماً بعد يوم لا عجب أن فترت بسر إلى الخلج بكثرة  
أحداث الطلاق ويسرتر العلاقة بين الزوجين سواء نهى لأمر بالطلاق أو سم يسه  
فها هو شاب من شباب العائلة يعمل في شركة خرول في الخليج، يقضى الأسابيع  
وحيداً في وسط البحر، بعيداً عن زوجته وطفليه فلا يراهم إلا للصعة أيام كل شهر  
أو أكثر. وها هو آخر يحاول إيجاز روحته على التحف فثمة بعض أهل الخليج  
متفرص وتعود إلى مصر وحدها وتطلب لطلاق. وثالث يترك زوجته وأولاده في  
مصر ويذهب إلى الخليج مفردة ويرسل لهم ما يعينهم على العلاء في مصر، وما  
يسمح للأولاد بإعناق مبالغ طائلة على الألعاب الإلكترونية، وكن تفشل الروحة  
في الاحتياط بهم في البيت ولا تدري كيف صعد ما اندى يصعونه في الخارج

هناك من لم يسافر لأمى أمريكا ولا إلى إسرائيل ولا إلى الخليج، وزجداً حل  
في الاشتغال في مؤسسة أجنبية داخل مصر تريد مرتباتها نفس سرعة انتضهم أى  
أن الحل في ظل الافتتاح كان يحصر إما في خدمة لأحاب في الخارج أو خدمتهم  
في الداخل. أم من صنعت ممتة وبعدهم طمرحه وبقى عى ما كان عليه قبل  
الافتتاح فقد أصبح معرضاً لمختلف أنواع القاء عن حوله، أو للشعور بأنفس  
وبأب الصير بما أصاب حياته بعدنية هو الآخر بالتوتر والاضطراب

واعى بوجه حاصر م لاحظته من شدة الميل إلى العمل لخدمة الأحمى لدى  
الجيل الأصغر، أى حيل إحصاى والحد أنشقى إن حميدى أنا لا أزالاً طمير  
صعيرين ولكن هناك من الأحماد الآخرين من تخرجوا في الجامعة وبدأوا العمل  
وكسرو رزقهم بأنفسهم، فبدأى لا أكاد أحد واحد منهم يكسب رزقه من عمل  
غير خدمة شركة أو مؤسسة أجنبية، سواء في داخل مصر أو خارجها منهم من

يعمل شركة برول بالخليج، ومن يعمل مرشداً ومعبداً للعصا هي شركة سياحة  
أحبيه شرم الشيخ، ومن يعصن شركة أدويه أجبيه بالمعديه، وآخر يكتب  
محاسبة أجبي بالمعديه أيضاً، ومن يعمل بهيمة الإداغة البريطانية بسند، وآخر  
شركة تلغريون عالميه هي كينيا، بالإصاذه إلى أولاد المهاجرين الذين يعملون كدهم  
بالطبع في البلاد التي هاجر إليهم وأنشغل أحدهم في وظيفة بالبيت الأبيض  
لأمريكي م الذي كان يمكن أن يعرف بدهم أبي لو كان قد سمع بوع الأعمال  
التي يقوم بها الآن أحفاد أساقه؟ ودا سمع بأن أحدهم يكسب ورقه (وان كان ورقاً  
ومبركاً) بالبناء باللغة الإغريقية كجرء من إعلانات بذاع في بعض قنوات التليفزيون  
العربية، وترويج بوع من أنواع الصدود الذي تنتجه شركة أمريكية شهيرة؟

#### -٧-

سند سوابق فليله رأيت ابن أحد إخواني، وكان في نحو لعشرين من عمره،  
وهو جالس وحده وعلى أذنيه سماعتان متصلتان بجهاز راديو أو تسجيل صغير،  
دون أن يسمع أحد غيره ما يبعث من هذا الجهاز، وكان رأسه يميل يميناً ويساراً  
دون أن يستطيع أن يحاربه في ذلك لأن لا تسمع ما يسمعه كنت أرى مثل هذا  
المظهر لأربعة، ربما في الفتى وقتئذ ركانه مختل العقل، ولكن سرعان ما اعتدت  
امطر عذمت تكررت مثله حتى مثله لقد بد هذا المظهر عريفاً جداً في البداية  
شخص مثلي لم تكن الموسقى شغل هذا الجزء، تكسر من وقته ههنا شغل من  
وقت الشباب الآن، فإذا استمع إلى موسقى كان من البادر أن يستمع إليها مفردة  
بل كان يسمعها عادة وهو مخاطب من، ولم تكن هناك تلك الوسيلة التي يعرفه  
عزلاً تأت عن الناس وتصمم أذنيه عن حوله وعلى أي حال كانت الموسقى  
والأغاني هي البيت الذي نشأت فيه من نوع مختلف غامراً

كانت الموسيقى والأغاني التي يسمع إليها أبي أو أمي، في التلحظت البادرة  
التي كنا يسمعون فيها أي موسيقى أو أعان، بل وحتى موسيقى لأغاني المصرية  
التي كنت أستمع إليها أنا وإخواني، كانت من النوع الذي يلائم حالة المصريين

وفتيه، وشفق مع علامه لرجل ياتراه في حبس أبي وأمي أو حبلى أب ورجوت  
 كبت امرأة دمعة في المنزل في أغلب الأوقات، ومحشمة، قليلة الاحتلاط  
 بالرجال فلم خرجت المرأة واحتلقت بمرحاض بل وسبحت لنفسها أحيانا  
 دتمنايل سونغ أو آخر من الرقص في حضورهم، سارعت للموسيقى والأغاني  
 المصرية بالتميز لتلبية الأعراس الجديدة المطبوعة بهم صاحب هذا انتشار للموسيقى  
 الغربية الأسرع إيقاعا وانتشار مختلف أنواع الأجهزة التي تسمح بسماع هذه  
 الموسيقى والأغاني في أي مكان وكفاءة غير معهودة فهذه الأجهزة جميعها الورد،  
 سهله الخشب، ومن الممكن للمرأة أن يسمح إليها وحده أو مع آخرين، في المنزل أو  
 السيارة أو أثناء سيره في الطريق، ومن أسهل الأمور تسجيل ما يعجبه منها وتخزينه  
 وإعداده للاستماع إليه في أي مكان لا عجب أن أصبحت الموسيقى والأغاني تلعب  
 دوراً في حياة ولادى وحياة جيلهم، ثم في حياة أولادهم، هم كثير عاملت في  
 حياتهم حياة أشقائهم، نهيك عن دورها في حياة أبي وأمي كذا أصبح النوع لدى  
 بعضهم من الموسيقى ونوع الكلام لدى يستمعونه في الأغاني، مختلفا جداً  
 أيضاً كانت موسيقاتنا وأغاني أكثر حرراً وأطال يباع، أم أولادنا وأحفادنا  
 فيريدون موسيقى يستطيعون رقص على إيقعها وكلمات أكثر مرحاً يمكنهم  
 ترديدها على ألسنتهم بحس لآخر، حتى ولو كانوا في الحقيقة أقل وعاءاً لا يخيه ما  
 وأكثر حوقاً من يستعمل

نقدر ما زادت أهمية الموسيقى ولقاء والرقص لدى هذا الجيل من الأولاد  
 والبنات، بالمقارنة مع الجيل الذي كنا في مثل سنهم، قلت أهمية السبسة وضعف  
 بشدة الاهتمام بالشؤون العامة والقومية وأظن أن الطاهر بن متراسكان. بعد كانت  
 المثمة، بل والمثمة الحالة هي الهدف، فب هي بالضغط جسدي الانتعش، بالسبسة  
 وبالأمور العامة والقومية؟ هذه الأمور السبسة والقومية تتعقد في نهاية الأمر  
 بالنزاع أخلاقي، ولكن المرء مع مسئول عن نفسه فقط هذا هو ما توصل إليه هذا  
 الجيل الجديد من الأولاد والبنات، ودام الأمر كذلك فلا شيء يبدو أكثر مصيبة  
 للوقت وهذا إدارة للعمل من السبسة وشئون الوطن بل وحتى إذا تفرصنا أن



بعبارة مسار السياسة والعمل من أجل إرضاع شأ. الوطن يمكن في نهاية المطاف أن  
يريد من حقد الناس من المتعة والسعادة، فأى أثر يمكن أن يكون لى لنا، أو لآى  
شخص آخر، في تغيير الأحوال في الاتجاه المشؤد؟ إن هذه الأمور تبدو لآى وكأنها  
محكومة بقوة لا تلك شأنها شيئاً وحارجه تماماً عن إرادتنا. أهلاً يكون الاهتمام  
بها إن مصيحه لوحت وتنديداً بالجهنم لا يفيد؟

هكذا، يبدو لى تفكير هد خيل من شباب أسرتنا ليوم ولكن إذا كان الأمر  
كذلك فلماذا إذن كل هذا الحزن والاكنتاب اللذين يحثم، عليهم؟ ولماذا يبدو  
ركائهم أفس حظاً من هدوء السال والضمائية وانصب عن النفس مما كنا في مثل  
سبهم؟ هل يمكن أن يكون السب هو هد الذى ذكرته حالاً، أى إن هد التوجه إلى  
تحقيق متعة الخاصة بصرف النظر عن أى اعتبار آخر، كالشعور بالمسئولية  
والاجتماعية أو بآثرهم خلقى، هو نفسه المستور عن كل هذا الحزن والاكنتاب؟ هل  
يمكن أن يكون تحديد الهدف بأنه السعادة أو المتعة الباردة بصرف النظر عن أى هدف  
آخر، وتقييم أى عمل أو هدف آخر وفق نجاحه أو فشله في تحقيق هد الهدف  
وحده، السعادة أو المتعة، هو السب الطرق لتحقيق السعادة والمتعة، وبأقصى  
طريق لتحقيقهما هو السعى إلى تحقيق هدف آخر؟

- ٨ -

عندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنت في السابعة عشرة من عمري،  
وكنت كل اللاسات تدعو للانتهاج الشديد بقيامها ثورة معاشة تطيح بمدك فاسد  
ويظلم سياسي واجتماعي مكروه، والسبى يعمل ذلك مجموعة من الصراط بشأن  
لم نسمع عن أى منهم من قبل، ولكنهم يبدو من كلامهم وبصرهم أنهم شيان  
وعنيين غامرا! بحياتهم من أجل الهوى يبذلهم، ويبدون في سلوكهم ليومى  
أقرب إلى عامة المصريين في عهدناه من كانوا يسكون بمقاييد احكم قلوبهم ولكن  
لعل أهم سبب للانتهاج بقم الثورة كان هو ما ذكرته حالاً من أن عمري وقتها لم  
يكن قد تجاوز السابعة عشرة

كان أي وقت قيام الثورة في الجامعة والسنن من عمره. ولا أذكر أنني سمعت  
 منه أي تعليق ضد الثورة، بل لا أشك، بسبب ما أعرفه عن رأيه في الملك وهي  
 لأحزاب سياسية التي كانت تبادل الحكم من الثورة، في أنه قد عبر قيام الثورة  
 أفضل من عدمه. ولكني أذكر أيضاً أنه لم يبد حماساً له من أي نوع. ولا أخاص  
 في التعبير عما يعلقه عليها من إجاب، وهو موقف قصّر به وقتها بشهور صحته،  
 ولكني لأن، وقد مر على قيام الثورة أكثر من خمسين عاماً، أميل إلى تفسير هذا  
 الموقف من شأنه أخرى. فأننا الآن، بعد أن تجاوزت السنين أستطيع أن أنصو  
 كيف بدت ثورته في عصره. شبيهة بأحداث حدثت في الماضي، حتى وإن لم يكن  
 اسمه كمالاً، وكيف بداهه خمس هؤلاء الصباط محتلط بمختلف المشاعر والدواع  
 الطبيعية التي لا بد أن توجد في أمثالهم وبى لا يمكن أن تكون حلصة وبقية مائة  
 بالمائة. كما أنه لا بد أن له أن طموحات هؤلاء الصباط، على الأقل كما يعرفون  
 عنها في كلامهم، أكثر بكثير من قدراتهم، في عالم تحكمه مختلف الأهداف  
 الأنانية. ولندعوه للأسف بقوة عسكريه واقتصاديه ليس لدى هؤلاء الصباط لقدرة  
 على مواجهتها وتعلب عليها

بلغ حماساً للثورة أقصى مدى له في مطلع الستينيات، أي بعد قد منها عشر  
 سنوات. كما نحن طلبه للمنه في إنجلترا بعد نهزنا الخطوات الحثارة التي تعدت في  
 طريق الوحدة العربية والتسمية وإعادة توزيع الدخل لصالح العمال والمزارعين  
 الصغار، وإتاحة مختلف أسبع والخدمات المصروفة بأسعار هي متناول الجميع،  
 أرحى محناً، كما في حالة المعلمين وعلاج. كما في سبيل ذلك على سبيل  
 لصبر الصمغ عن نمو الديكتاتورية والنظام البويى، كما أننا لم نمتعت لحقيقة  
 موقف النظام الجديد من قضية الهوية والحفاظة على التراث ومقاومة التعريب،  
 فقد بدت لنا هذه القضية ثبوتة وكما يه بالمعارضة بالهرص لانقصادى واستغلال  
 الإرادة السياسية تجاه الدول الكبرى. بل لم نعتق أهميه تذكر على ما كان يرتكبه  
 النظام من أخطاء فاحشة في احتجاز الأشخاص الذى يوكل إليهم مسئوليات شديده  
 الخطورة، كرئاسة الجيش مثلاً، وكأننا كما على استعداد لتصديق ما يحب تصديده

مصرف الطر من بعده أو قرنه من الحقيقة كما شوق إلى أن يكون له جيش قوى  
مصرف الطر عن كل ما كما سمعه عن تصرفات المشول عن الحش، وكما تحرق  
شوقاً إلى أن تصبح مصر في عهد الدول الصناعية المتقدمة مصدراً لها من أرباحها  
دخلها ببعض أمر حلة الانطلاق الاقتصادي التي يسير بعدها النمو الاقتصادي  
شكل تلقائي ومنظم دون حاجة إلى نصحيات مستثناة ولم يعلق أهمية على  
اعتماد خطة التنمية اعتماداً كبيراً على المعونات الأمريكية، التي كانت تأتي في  
صورة قمح وسمك وروعية، وعلى المعونات السوفيتية التي كانت تمول السد العالي  
واسمية الصناعية، وكذا ليس من الممكن أن تنفق هذه المعونات وتلك فجأة  
دون أي خطأ أو جرم من جانبها، فتتوقف تنمية الاقتصاد توقيفاً تاماً، كما  
حدث بالفعل

كان أسوء واحد، أو بالأحرى حيلة أيام فقط، كافية لإيقاظها من كس هذه  
الأحلام الحميلة وهي الأيام ٥ - ٩ يونيو ١٩٦٧، إذ من الممكن أن أقول إنه يعمى  
من المعاني، لم يستعد حلى توريه حتى الآن مد بحرصه لصدمة الهزيمة العسكرية  
التي ميّتها هي يونيو ١٩٦٧، رغم مرور ما يقرب من أربعين عاماً عليها، ولكن  
الحقيقة أن تابع حيلة الأمن، الواحد منها بعد الآخر، استمر طوال هذه الأربعين  
عاماً حتى أصبح من دواعي المثل الشديد أن يقارن له بين ما انتهيا إليه وما كانت  
عليه طموحاته و ما لنا عندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢

هي السبعينات تحرر السادات من الالتزام الذي فرضته الثورة على نفسها بإعادة  
توزيع الدخل لصالح الشرائح الاجتماعية الدنيا، كما أطاح باستقلال مصر  
السياسي، وقبل ما رفضه النظام في السيات من صعوبات أمريكية وإسرائيلية  
وصعوبات المؤسسات المالية الدولية كصدوق النقد و لك الدولى في مقابل هذه  
أعضاء السادات للمصريين موعاً من الديمقراطية سرعان ما تبين، للأسف، أنها  
ديمقراطية مرفقة لم تمنح السادات من وضع كل معارضة في السجن قبل مقسه  
بأنه مع قبلة أما الرواج الاقتصادي الذي شهدته مصر في عهد السادات فكان  
بدوره وواجب ظاهراً مصدرة تحولات انهاجرين من الخارج، أو تحولات المعونة

لأمريكية، أو رفاع أسعد الشروك أو رواح الساحة، وكلهم مصدر لدجل بحرح  
عن سيطرة المصريين. هم أن جمعت أعمار الشروك، وقتل تحويلات  
المهاجرين، وتكرر صرب السباح، حتى بدأ المصريون يدفعون الشئ الساعه لإهمان  
الصاعه والرعاية

وفي السبعينيات والسبعينيات عاد الكساد الاقتصادي بعد سراب فليله من بداية  
عهد مبارك، واستمر دون انقطاع تقريبا حتى الآن، واستمر النظام في لا صلاته  
بزيادة الفاحشة في تعاوت بين الدحول، وهو التعاوت الذي راد من خدمه  
وقسوه استمرار الكساد لاقتصادى وارتفاع معدلات البطالة. كما استمر النظام  
في استكثفه مطالب لأمر يكيين والإسرائيليين ومثلى المؤسسات لدولة، سواء  
فيما يتعلق بمصبة فلسطين أو فتح أبواب لاقتصاد دون صوابط. وأما الديمقراطية  
السياسية التى تصح ريفها في أو حر عهد السادات فقد زادت ترسبها في عهد  
مبارك، حتى أصبح الكلام عن «أزهى عصور الحرية» في عهده مشر محزنة  
المصريين.



هكذا بدأ لى، دعا أن مر أكثر من نصف قرن على قيام ثورة ٢٣ يوليو، أن امالنا  
التي عمدناها على هذه الثورة في ١٩٥٢ قد حاب أكثره، فلم تتحقق امالنا في  
تحقيق الديمقراطية، ولا في حل مشكلة فلسطين، ولا في اقدمم الاقتصادى، ولا  
في التقريب بين الطبقات، ولا حتى في نشر التعليم ومحو الأمية. نعم، رتب  
المستوى المادى للمعيشة، ولكن بأقل كثيرا كما صورته ونعصم إليه، ولا يبدو أن  
المصريين يتمتعون اليوم بحرية سياسية او فكرية أكثر مما كانوا يتمتعون به في  
١٩٥٢، ولا بسلام اجتماعى أكثر عدالة. بدالى أن التقدم الحقيقى الذى لا شك فيه  
هو فقط أن المصريين قد أصبحوا اليوم أكثر عددا بكثير مما كانوا مد نصف قرن،  
فأصبحوا أكثر من سبعين مليوناً بعد أن كانوا اثنين وعشرين، أى أن عددهم  
تضاعف أكثر من ثلاث مرات، وهو تقدم لا يستهان به بمقيار داروسى بحث، ولكنه  
أبعد ما يكون عما كانوا عليه عندما دبت الثورة في سنة ١٩٥٢

بدلى أيضاً من استعراض تطور الأحوال والأحداث في مصر في الخمسين عاماً  
 في مرتبة مدثورة يوليو أن من أفضل لشخصيات أو الأوصاف التي يمكن أن تقدم  
 بهذه الفترة، شخصيتها أو وصفها بأنها كانت بشكل في إحصاء العصر  
 الأمريكي<sup>٥</sup>، أو على الأقل الخمسين عاماً الأولى من هذا العصر الأمريكي. فقد  
 كتب في المدشرة من عمري عندما انتهت الحرب بعديّة شابية في ١٩٤٥. وبعد  
 بدأت فترة ما بعد الحرب بسعي الولايات المتحدة لحثيث لم ورائة مطلق العودة  
 التي كانت تنصص للاستعمار اسيطاني والفرنسي، وقد حدثت هذه الوراثة في سد  
 عربي بعد آخر، كما حدث في سد بعد آخر في آسيا وإفريقيا. وقد دخلت مصر  
 تحت العمود الأمريكي في ١٩٥٢ ولازمت غنته حتى الآن. أما استقبالات التي  
 شهدتها مصر خلال هذه الفترة، من استغلال سبي إلى حصول تام، فلا يجب أن  
 نخجل عن أنظارنا طبيعيه بصورة مأجودة ككل. إذ انظرنا إلى هذه الفترة على هذا  
 النحو فإن مصر تدو كأنها فقط متبدلت سيداً حديد أسيد قليم، ومن ثم فإن  
 التقدم محدود دائماً يسمع به السد الرافى. وهو لا يسمع إلا ما لا يتعارض مع  
 مصالحه. هل كان خاطر كهذا يترى هو ما كان يدور ذهن أس عندما سمع بقيام  
 الانقلاب العسكري في ٢٣ يونيو ١٩٥٢. ومن ثم لم يتحسس شدة لما سمعه من  
 أحوار وبيانات الثورة<sup>٦</sup>

لقد كان أبى في العشرين من عمره عندما وقعت حادثته دشواى، إلى قبل  
 سبها للإجبر ظلماً عدداً من الملاحين المصريين عقب، بهم على حرية لم  
 يرتكبوها، وإن أراد للإجبر فقط إدخال الرعب في نفوس الشعب المصري. وقد  
 قال لى أبى به سكي بكاء مرأ سبب حادثة دشواى. ولكن حادثة دشواى  
 والأحداث المعاصرة لها لم تدخل في وعى السياسى إلا عن طريق القرعة. وبعد  
 حدودها بوقت طويل، سدا دخلت في وعى أبى. لحظة بلحظة، فكونت حرة من  
 محرره العسكري والعاطفى. عندما سمع أبى بقيام ثورة ١٩٥٢ لا بد أن هذا المخزون  
 من الأحداث والاطاعات قد أثر في نظرتة إلى هذه الثورة وفي توقعته بشأنها، أما  
 أن وحيى فمما كان عيباً أن يعيش هذه الثورة لحظة بلحظة قبل أن يصل إلى مصر

السنحة التي وصل إليها من مدح خطتها الأرسى، وإن لم يجد من الملائم أن يذكر لها  
وفتها ما كان يدور بذهنه.

#### - ٩ -

لم يكن يحظر سائى عندما ركت الساحرة إلى إنجلترا في ٢٣ يناير ١٩٥٨،  
وعمرى ثلاثة وعشرون عاماً بالضبط، أن إنجلترا مستلمة هذا الدور المهم في  
حياتى أبى ساقصى فيها ست سنوات متتالية في مطلع شبائى، وسأتزوج من  
جدي سنها، وسأظل بعد ذلك أسافر إليها مرة في كل صيف، بدون انقطاع تقريباً  
خلال الأربعين عاماً التالية، وأن تطل هذه الدوره ولعمري القاعدة الأساسية التي  
تعرف من خلال على العالم العربى والحضارة العربية

كذلك بقصى في ابداية، ما ورو جتى، شهر أو شهرين من كل صيف في بيت  
يملكه والدنا ورو جتى في بلدة مطقة على سبحر في الساحل بشرق إنجلترا هي  
«فيلكسو» (Felkstone)، وهي بلدة صغيرة ليس بها حادية شديدة ولا شخصيه  
متميزة، وإنما كانت ميزتها الوحيدة وجود ودي ورو جتى فيها، وبسبب الحميل  
محبته الرائعة المطقة مشرة على البحر فلم توفى م ورو جتى ثم والده، وال على  
العور أى دافع بديلاً لهاب إلى فيلكتسو، وتحولنا معها إلى مدينة كامردج، تلك  
المدية الرائعة التي اعتبرها من أقرب مدد العالم إلى قللى كنت في سوب السبعة  
كثيراً ما أذهب إلى كامردج مع بعض أصدقائى المصريين لقضاء يوم جميل، من أيام  
الأحد، في حر قوارب في بيهي، ويتفرح على مائى كليانها التي تحلب اللب، ثم  
يسير نحو ساعة إلى اقوية، الملاصقة لكامردج «جرانشستر» (Granchester) فتناول  
الشئى ولطائر التي اشتهر بها الإنجليز في بستان من شجر التماح، ويحمل هذا  
الاسم (The Orchard)، وقد شجر هذا البستان في المنطقة كلها، ليس فقط  
لحملة، ولكن لأنه كان المكان المفضل لساول الشئى لعدد من شهر الكتاب  
والعلاسة الإنجليز وأصدقائهم الذين عاشوا فترة من حياتهم في كامردج، مثل  
الفيسر في م تراندول ومجشائى، والاقتصادى الشهير كير وقد حرص  
أصحاب البستان، بغير الإنكان، أن يبيع كل شئ على حابه، الموائد والكراسى

وانكوش الخشنى الذى يستخدم إذا سقط المطر، كما كسب بضبط عندما كان هؤلاء  
الرجال اعظم يساولون الشاى فيه

استطعت بما ادخرته من مال فى فترة عملى بانكويت شراء شقة صغيرة، ولكنها  
فى موقع بالغ الجمال فى كامبردج، تطل على النهر مباشرة وتقع فى أقصى الطرف  
لشرفى لكامبردج، ومن ثم فهى ملاصقة للحقول لا نهاية لها من ناحية الشرق  
تسمح للنمو بالنسب مسافات طويلة لا يرى خلالها إلا النهر والأبقار والخيل، وهى  
ترعى فى هذه الحقول لمجموعة ملكة شائعة للمجتمع ككل، ويجمع الفنايون  
الإنجليزى إقامة أى بناء عليها كئنا يؤجر هذه الشقة سبعة أو عشرة أشهر فى كل عام  
لأستاذ فى الجامعة كامبردج أو لبعض طلبة الدراسات العليا فيها، على أن يحلواها  
لدى شهر الصيف وهكذا ظلنا نأتى إلى كامبردج فى كل صيف تقريبا منذ سنة  
١٩٧٨ وحتى الآن، أى مدة تعرب من ثلاثين عاماً، ولا أظن أنه قد انمضى عام  
واحد خلال هذه الثلاثين عاماً لم أذهب فيه مع أسرتى وبعض أصدقائى لساول  
الشاى فى ذلك المكان الجميل فى حرم بشير

ها قد مرّ إذن ما يقرب من نصف قرن على بداية تعرّفى على غطاء الحياة  
الإنجليزية. وعندما أفرد غطاء الحياة حينئذ بما أصبحت عليه الحياة الإنجليزية اليوم،  
لا أكد أصداق حجم التعيررات التى طرأت عليها، وهى محتفلة بواحي الحياة  
والأمر يستحق بلا شك أن يروى بعض التفاصيل



كانت إنجلترا بلا شك فى سنة ١٩٥٨، عندما سافرت إليها فى بعثى الدراسية،  
أقل راحة بكثير منها الآن. كانت بعض مظاهر الفقر موحدة حتى فى أرمي الأحياء  
وأكثرها تقدماً، كما كان الفقر وتوزيع الدخل موضوعاً أساسياً فى الموضوعات التى  
يدرسها السياسيون وتكتب عنها الصحف. لم يكن من البادر على الإطلاق أن ترى  
متسراً أو أكثر حلال سبرى من محطة مترو الإنفاق فى لندن إلى كنلى، أو أن  
أشاهد امرأة فقيرة واقفة على الرصيف تحاول بيع كمية صغيرة من المأكلة، فى يوم  
شديد ببرودة، دون أن يكون على حشمتها ما يكفى لحمايتها من البرد. كانت

الاشتراكية لا تزال موضوعا مهما ، يدعو إليها البعض بحماسة ويتقدها البعض  
شده ، وليست كما هي الآن موضوعا مهملًا أو مثيرًا للسخرية . كان إطلاق وصف  
«مركسي» أو «شيوعي» على شخص يكتفى لاستدراج العصب والسط عليه ،  
وبس كما أصبح الآن شيئًا نادرًا من ناحية ومثيرًا للدهشة بدلًا من السخف ، من  
نحية أخرى . معم كانت مظاهر نفق أكثر شيوعًا في إنجلترا حينئذ كما هي الآن ،  
وإن لم تكن تعازي بالطبع مظاهر المعرفى البلاد التي أتت منها ، ولكنى أستطيع أن  
أقول بكل ثقة ، إن إنجلترا ، في أشياء أخرى مهمة للغاية كانت حينئذ أكثر رقبًا بكثير  
كما هي الآن ، وأكثر عصرًا

كنت أسمع مد رقت طويل ، من أمي ومن إخواني الذين سمعوني إلى رؤية  
بحلرا ، فصلا عن الكثيرين من لكتاب والصحفيين ، كلام كثير في شأن على  
أحلاق الإنجليز وبالات على قوة حساسهم بالصلحة لعامة واستعددهم بطيعي  
للانترام بالقوة واحترام القانون حتى ولو كان يتطلب منهم التضحية بمصلحتهم  
الخاصة ، ذاكما مهم أن هذا في صالح المجتمع ككل . كم سمعت عن احترام  
الإنجليز «للقانون» ، بل وكانت تنذر بهذا الاحترام وترغم أن الإنجليز يحن  
الوقوف في الطوبور . حتى إذا كان يحفل سبب وجود الطوبور أصلا . كنت قد  
سمعت أيضًا عن مدى استهجان الإنجليز بل ودهشتهم من أى شخص يحاول  
العث ماى شى . يعتبر مملوكا ملكية عامة ، كشجرة في حديقة أو مقعد في قطار ،  
وعن مدى احترامهم لحقوق الآخرين فلا يسمح أحد لنفسه بالاعتداء على حق  
الآخرين في قطار في تمنع بالهدوء ، طوال الم حلة فلا يعك صموم صحيح يصدر  
من راديو أو راكب يكلم آخر بصوت عال أكثر من اللازم . إلح . وقد لاحظت كل  
هذا بنفسى عندما أيت إنجلترا لأول مرة في ١٩٥١ ، ثم رأيت من جديد خلال  
إقامتى الطويلة انتهاء من ١٩٥٨ ، ولم ألاحظ تعبرا علما فى شىء من ذلك حتى  
تركت إنجلترا في ١٩٦٤ . ولكنى كنت كلما زرت إنجلترا بعد ذلك ، مرة بعد  
أخرى ، ألاحظ البدهور المحفوظ في كل هذه الأمور . شعرت دهشة شديدة عندما  
رأيت لأول مرة كلاما مكتوبا بخط كبير ، وباستخدام دهان لا يسهل محوه . على



حوادث محطات مترو الإيمان، كتبه عدلون أو منكري لا يصدون إلا محض البعث والتحريب، وعندما بدأت ألاحظ أشياء مماثلة في المطارات بعضها والحدائق العامة ودوراب المياه وعلى الكبارى وملاط المهملات، وكثرة الرجايات الفارعة والملق والأورق التي استعنى عنها أصحابها ملقاة على الرصيف أو على أرض محطات المطار، ثم تكن لمحتلر أكذلك قط، ولكنى بدأت أرى نوع الأشخاص الذين يمكن أن يفعلوا مثل هذا، بل ورأيت بعضهم وهم ينددون بفعله ضديه وقتيات مرهقود يسبرون في الشوارع بلا هدف، يرتدون ثيابهم بإهمال واضح ومتعمد، وبعضهم يدخن السجائر، ويحملون في أيديهم رجايات أو علل عتري على مشروبات كحولية مختلفة، يتكلمون ويصيحون بصوت عال وبدو عليهم الاستعداد الكامل لإهانة أى شخص يحاول أن ينمى من بهم، بالك على الأقل وبما بالصر أيضاً، ثم نسمع أو نقرأ في الصحف عن واحد من هؤلاء وقد طعن شخصاً لا يرفه عطفواه أو سكين بدون هدف معروف، أو بدون هدف على الإطلاق، ومن ثم نسمع من يعرف لك من الحكمة تجت الشوارع ابتادة أو الخابيه سام المارة بعد حلول نظام

وقد انتشر الإقبال على البارز وشرب الخمر بوجه عام خلال هذه العقود الخمسة لأخيره، وبدأت العاده تنتشر أكثر فأكثر بين صغار السن، حتى أصبح منظر فئة محمورين يسرون في الشوارع، ممن لم يدعوا اعشرين بعد، منظرًا متكرراً، خاصة في عطلة أحر الأسبوع، وهو منظر منفر للغاية خاصة من الفتيات، ولكن يبدو على انسانين الآخرين في الشارع، من الإنجليز أنفسهم، أنهم بدأوا يقبلوه كمظهر طبيعي ومألوف ولا بدو عليهم الانزعاج منه

لاحظت بداية هذا التحول هذا منتصف الستات، مع بداية ظهور حركة الهير (Hippies) الى افترت بإطلاق الشباب لشعر رؤوسهم، وبدأ الحديث يكثر عن انتشار المحمرات بين الشباب، التي كانت أنواعاً حقيقه في اسذابة وبسبل الإقلاع عنها، ثم أصبحت أكثر خطورة وأصبح الإقلاع عنها أصعب وقد اقترن هذا ذلك بما عرف من هذه الفترة من ارتفع مستوى المعيشة رتبعاً ملحوظ وحلون فترة من

أرجاء الاصصدي غير المسبوق، مع وصول لمجتمع إلى حالة لعائلة الكاملة والأرتفع لشديد في مستوى الأجور كسب تلك السنوات أيضاً هي فترة ظهور فرقة البيتلز (Beatles) التي حققت شعبية هائلة، وعلى الأخص بين المراهقين الذين كانوا يستقلون عائلتها بالصباح الهستري وكانهم قد فقدوا نوعي

في أوائل السبعينات عرست على المسرح الإنجليزي أول مسرحية يظهر فيها بعض الممثلين عرايا تماماً كان هذا العرض «أوه كالكما» (Oh! Calcutta)، من تأليف راند مرسي مشهور ومحترم لا كيث نايدان (Kenneth Tynan). لابد أنه اعتمد أنه قد آن وأن شخص من هذا القلد الذي لا يروم له، وهو رند الملائس في العمل البقي وسرعان ما انتشرت موجة من التحرر الجنسي في الأفلام والمسرحيات اعترت مطهرات من مطاهر زيادة ما يتسبب به الناس من حرية بوجه عام وهكذا أصبح ما لم يكن يتصور ظهوره إلا في الأفلام التي تقصد الإثارة الجنسية عمداً (المساة بالوزن) والمزوج عرسته إلا في دور عرض خاصة، متاحاً في جميع دور العرض ولا تطب إلا أن يدع لك هذا من ثمانية عشرة

صحت ذلك أيضاً تساهل تدريجي في تقديم الخمر في البارات والمطاعم، فزادت الساعات التي يسمح فيها للبارات بأن تفتح أبوابها، وخصص الس الذي يسمح فيها تناول خمر في الأماكن العامة ثم بدأ يظهر التساهل شيئاً فشيئاً مع الشواد جسيماً فقد كانت ممارسة الضدو الجنسي في منتصف القرن العشرين جريمة يعاقب عليها بقانون حتى ولو كانت بين شخصين بالعين وبرضا الطرفين ثم انتشر التساهل على سطح الحياة ومارسوا حرية أكبر في تعبير عن ميولهم، في الشوارع والأماكن العامة، وفي الأفلام والمسرحيات، وفي الكتابات الصحفية وكتب، حتى أصبح ما يظن أنه شذراً أن يسر من أي شخص اعتراض على هذا النوع من الممارسة الجنسية، واعتبر هذا لاعتراض دليلاً على الإعراف في الرجعية وصيق الألق، واعتداء صرحاً على حرية الآخرين. أصبح منعو الأفلام والمسرحيات كثيراً ما يتمدون تصميم الفيلم أو المسرحية شخصية رجل أو امرأة من الشواد طمعاً في كسب رصاً هؤلاء على العمل أو عبا للاتهام بالرجعية

عندما أتأمل هذا التطور الهش في موقف الإنجليز من الشذوذ الجنسي أحد من لطيف المفارقة بين انصور الشديد الذي كان يديه الإنجليز إزاء أى تقارب جسدى بين رجل وامرأة، ولو كانت ملاصقة صغيرة أو مصفحة لا لزوم لها، وبين موقفه من علاقة الشذوذ الجنسي. إني أذكر مثلاً كيف كان الإنجليز يبدى لبعشه الشديدة والثلى لا تحبو من امتعاض، عندما يرى رجلاً مصرماً يمدق صدقه أو يقبضه بعد عية طويلة أو قصيرة، أو عندما يرى شابين مصريين يسيرون فى أحد شوارع لندن وقد أمسك أحدهما بيد الآخر أو وضع ذراعه فوق كتفه. إن مثل هذا الذى كان يعتبره المصرى طبيعياً عاماً وتعبيراً لا عنصه فيه عن العودة أو الاشياق، كان الإنجليز يشتم فيه راحة علاقة غير سوية ومعرفة كما حيثند، نحن الطلبة المصريين نشعر ببعض الخجل عندما نلاحظ نظرة الإنجليز إلى ما قد يقوم به أحياناً من عناق وتقبيل، بل وربما شعر بعضنا، عندما يلاحظ موقف الإنجليز من هذا الأمر بأنه دليل أصغر على «تحتف» وعدم «تدبس»، يصف إلى العديد من الأدلة الأخرى. ها قد دار الرمز دورته وأصبح الإنجليز يظنرون واحتقار إلى أى شخص لا يبدى «نعمها» لشعور الشذوذ ولا يقلل ما يقدمون عليه من تقارب جسدى فى الأماكن العامة، ويبدى أى اعتراض أو يتبرم بإصرار استنواد على التعبير عن مشاعرهم على الملأ وبلا حجل، تأكيداً منهم على أن هذا التعبير هو حق من حقوق الإنسان وأن هذه العلاقة التى يمارسوها ليست أقل «طبيعية» من علاقة الرجل بمرأة. الآن يعتبر الإنجليز أن من يستحق وصف «المتخلف» وعدم «التدبس» هو الذى يبدى أو يشعر بأى ندم إزاء هذه العلاقة لشذوذ. وعيب نحن المصريين، بالطبع، أن نعتاد هذه المديير الحديده فى الحكم على الأمور

اقترون هذا الانحياز نحو المريد من التحرر فى العلاقات الجنسية دامت مع كبير فى معدلات انطلاق، وارتفاع مدهش فى نسبة ممارسة الجنس بين المراهقين، وفى نسبة الفتيات المراهقات اللاتى يصمحن أمهات دون رواج، ونسبة «لعائلات» أو ما سمي بالمعائلات، التى يعيش فيها الأطفال مع الأم دون الأب، أو مع الأب دون الأم. وأصبح المثلث أن نجد امرأة لم تتعد العشرين بكثير تعيش مع صبيها أو طفلتها بعد أن تركهما الأب، أو تركت الأب، وتعتمد لمواحيه دعات معشها هى

وطفله على معونة شهرية من الدولة ، وتوسع هذا من حقوقها على المجتمع طالما كانت هذه بطروف تمنحها من الاشتغال بعمل تنكسب منه

كتب في أوائل السبعينات قد استمع إلى محاضرة لأساد بحيرى محمص في التاريخ الاجتماعي ، تطرق فيها إلى الحديث عن طاهرة كانت لا تزال في بدايتها في إنجلترا في ذلك الوقت ، ولكن الرجل أدرك خطورتها وأهميتها ، وظهر صدق حدسه مع مرور الوقت عندما شاعت هذه الطاهرة وبدأت في العدم العربي كله ، ثم في بلادنا أيضاً . كان الرجل يشير إلى حبوب مع الحمل ، التي تشير إليها الإنجليز الآن بكلمة واحدة صغيرة هي «الحبة» (The Pill) ، فقال إن هذا الاختراع سوف يحدث في المجتمع والأسرة والعلاقات بين الناس بوجه عام آثاراً أثر ثقل في أهميتها عن آثار اختراع الآلة البخارية . كان الرجل يكرر بالطبع فيما يخص هذا الاختراع الحديث من فصل بين ممارسة الجنس وبين الإنجاب ، وما لا بد أن يعنيه هذا من بداية النهاية لهذه الحرية لطويل جداً من تاريخ الإنسانية الذي عرصب فيه هذه العلاقة بين ممارسة الجنس والإنجاب مختلف أنواع القيود على حرية المرأة والرجل على السواء ، ودم مؤسسات وتنظيمات اجتماعية عريقة اعتنقها الإنسان من البدنيات أو حتى من المبدسات التي لا تحور أساساً بها . فإد هذه الحبة المدهشة تهدد كل هذه التنظيمات والمؤسسات في الصميم وتشر الشكوك حول ضرورتها وجدواها .

كان من بين هذه الآثار الخطيرة بلا شك ما بدأت المرأة تحظى به من حرية لم يكن لتحلم بها ، ونمو الحركات النسوية نتيجة لذلك أو مقرباً منه ، ولندهور الذي أصاب العائلة وانزعاج من الطلاق . إلحاح من لقد قرأنا بعدم اجتماع أمريكي رأياً يربط بين هذا التحرر الذي حققته المرأة وبين انتشار طاهرة الشذوذ الجنسي . فإد أصبحت المرأة قادرة على ممارسة الجنس دون أن يترتب على ذلك إنجاب ، أصبحت معرصة ، أكثر فأكثر ، لأن تعيش مستقلة عن الرجل ، كما ضم الرجل شرع من التبعية لإرادته ما اكتسبه المرأة من قوة جديدة واستقلال عنه . وهي قوة قد يحيف بعض الأنواع من الرجال وقد يدفعهم دعماً إلى نوع آخر من العلاقات الجنسية

المدهش في ظل هذه الظروف كلها، وعلى الرغم من هذه لدرجة غير المسبوقة من التحرر الجنسي وسهولة تكوين العلاقات الجنسية الخططة التي لا نلزم أحداً بشيء، أن ملاحظ مدى سيطرة الجنس، ودرجة غير مسبوقة أيضاً، على مختلف وسائل الإعلام ومختلف أنواع الفنون، سواء في الأدب أو السينما أو المسرح أو الأغاني أو الفنون التشكيلية، كان من المعقوف جداً أن متوقع أنه كلما تحرر الناس من القيود التي تفرضها التقليد والقيم السائدة على الجنس، قلت سيطرته هذا الموضوع على الأدباء، وانصرف الناس إلى التفكير في أمور أخرى ومشكلات أخرى ولكن بعكس البصيرة هو الذي حدث من وردودة مع الزمن فلا زال موضوع الجنس يُعتمد عليه في جذب الجمهور إلى القيم الحديثة والمسرحية الحديثة والسلع الحديثة، ولا زالت الصور الجنسية تعتمد عليها الصحف والمجلات لزيادة التوزيع وكسب قراء جديد، ولا زال مصمموا الأزياء يتفتنون كل عام، ويتباهون بمصممهم في استغلال نفس المدفع ونفس الميول لترويج أزيائهم الحديثة الخ

إلى أقارن الآن بين ما كنت أشاهده من أفلام ومسرحيات وبرامج تليفزيونية وما كنت أقرؤه في الصحف ومجلات في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، أثناء سنوات إقامتي الأولى في إنجلترا، وبين ما أقرؤه أو أشاهده الآن كلما زرتهم من جديد، فأجد اكتمالاً صارخاً ومزاييد انقوة موضوعات الجنس على حساب الموضوعات الأكثر صلة بالمشكلات الاجتماعية أو الأخلاقية والأصعب صلة بالعلاقة بين الجنس. لقد أحدثت نسبة المسرحيات والأفلام التي تناولت مثل هذه الموضوعات، لأجيرة تصاعداً شيئاً فشيئاً، وأعلقت أنوب بعض دور السينما التي كانت تعتمد على جمهور هذا النوع من الأفلام الحادة، كيف يعبري من (Everyman's) في هاستيد (Hampstead) أو سينما الأكاديمي (Academy) في شارع أكسفورد (Oxford St) ومالت المسارح التي لم تكن تعرض إلا مسرحيات تشيكوف أو بريخت أو سارتر أو برناردشو وأمثالهم، إلى تقديم مسرحيات من نوع مختلف يعلب عليها الجنس أو تعتمد على الموسيقى والغناء والرقص. حدث تطور مهم بلا شك في أدواق الناس وفي معدلات الترويج التي يحققها هذه الأنواع أو تلك

من المسرحيات والأفلام. صحيح أنه لا زال من الممكن أن يرى في لندن أفضل ما يتجه مؤلفو المسرح ومخرجو السينما في العالم العربي، بل ربما كان من الأسهل أن ترى في لندن أفضل ما نتجته محرجو السينما المتشوقون لشعاعات أحمر، من أن تراه في أي بلد آخر في العالم، ولكن من المؤكد أن بسبب العث إلى اسمين قد ارتفعت بشدة، وأن الدفوق السائد فيما تعرضه للمسرح أو دور السينما في لندن قد أصابه تدهور شديد لا يعادله إلا الارتفاع الكبير في العقود التي أصبحت تنكفئها الأفلام الحديثة والمسرحيات الأسعراصية وبعائية

حدث تدهور مماثل فيما يخصه التلفزيون وما نشره الصحف والمجلات وما تخرجه المطابع من كتب. بددت السرعة في الكتابة والفرقة على الهواء، كما راد الاعتماد في ترويج كل هذا (الصحف والمجلات وبرامج التلفزيون وأفلام السينما والمسرحيات) عبر وسائل لا تختلف عما يستخدم في ترويج السلع. الإلحاح، والتعجيز، واللاؤد، والصور المثيرة ومحتف أشكال الإبداع، سواء فيما يكتب على أغطية الكتب من وصف غير صحيح لمحتواها، أو ما بعده ما نشتت الصحف أو عابث مقالات و إعلانات الأفلام والمسرحيات من أشياء لا نجد لها القدرى أو مشاهد أثرى الحقيقة



حب، يجب مع انتشار نمط المجتمع الاستهلاكي واكساح نظام السوق بحيره من النظم، بدأ المجتمع الحديث يندى تسامحاً أكثر مع الأقليات ومفورا متريابا من التعبير بين الناس على أسام اللون أو الجنس أو العبيدة. كان الرجل الأسود مد نصف قرن يلقى في المجتمعات العربية معامه شديده لإجحاف، كما كان الأوروبيون يطرون سعال وسحرية إلى أصحاب الثقافات المغايرة لثقافتهم من كان يصور مد حمصين عاماً أن يصح لاعو كرة اقدم من السود أعصفه في القرى «سومي» لدوية أو روسة، أو أن عظى سطولة ويمددون في التشر شققشان أمر بكتان سوداوان، وأن يحظى هؤلاء للاعاون وهذا القنادب بمعاملة لأبطال إذ حلو كل هذا بشرى للدولة التي يتسوب إليها أو من كان تصور أن تمتع شوارع

مدينة مثل لندن معطاعم ومقهى تقدم مأكولات من كل صنف وتنتمي إلى مختلف الثقافات والأحاسس والمذرت، ويذهب إليها للإعجاب أكثر مما يذهب إليها لأحاطة؟ أو أن يرى شوارع لندن ومحللاتها مكتظة بالأحاسس المختلفة حتى ليصح من يصعب أن يصدق أنك في عاصمته الشعب البريطاني؟ نعم، لقد سوى نظام السوق والتطور التكنولوجي (أو كاد يسوى) بين الجميع، فمضى أو كاد يقضى على أى تميز لأحد عن غيره، وعلى أى محاولة من جانب الصفوة من أى نوع، سواء كانت صفوة اجتماعية أو ثقافية أو أخلاقية، لتميز نفسها عن الباقين بل وما هو نفس التطور لكاد يقضى حتى على أى محاولة للرجل تمثيل نفسه عن المرأة، و للمرأة تمثيل نفسها عن الرجل. وما أكثر ما سمعنا ونسمع من تصفيق وترحيب بهذه التسوية بين الناس ولكنى أجد في نفس شعوري بالخوف المستطير من أن تكون هذه التسوية أشبه ما يفعله «وانور انرلظ» إذ يسوى ثقته كل ما يسير فوقه وكثير ما يحظر لي أن أشتا شئها بهذا هو ما فعلته، ولا زالت فعله، حضارة السوق بالأشياء باسم على السواء فعدت رأيا شئنا بعد آخر، ما كان مجانيا متاحا للجميع، أصبح محلا للمع والشر، أخذ البيع والشراء يشعلا الناس أيضا وعندما يصبح كل شئ محلا للبيع والشراء، يروى أيضا أى معيار آخر لتفسير بين الأشياء والأشخاص

- ١٠ -

في أواخر سنة ١٩٧٠ حدث لي حادث طبع، أو على الأقل اعتبرت كذلك حينئذ، قضيت سنة أيام من آنسى أيامى على الإطلاق

كتب وقها في الخامسة والثلاثين من عمري، وقد انقضى على حصولي على الدكتوراه ورجوعي إلى مصر ست سنوات، قضيتها مدرسا ثم أستاذا مساعدا في الاقتصاد في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، و ثلاث أحيانا لبعض الوقت للتدريس في الجامعة الأمريكية، وسافرت خلالها إلى إنجلترا أكثر من مرة لقضاء حر، من عطلة الصيف ومعى زوجتي وطفلاتي في ريادة برانديها في بلدتهما في

شمال شرقى لندن كنت أذهب خلال هذه الرحلات إلى لندن للاشتقاء ببعض  
الرملاء القدامى، وقد أمرت على أستاذى القديم روبير (Robbins) للتحية، وبكى  
نادرا ما كنت أحاول زيارة الأستاذة الأمريكية التى أشرت على خلال تذكره  
إديث برور (Penrose)، فلم أكن أقبلها إلا مضطرا

طلعت دائما أحمل حاضيا وشعورا بالامتداد لأستاذ روبير ثم أكن أشعر  
متشهما للأستاذ برور لم أكن أشعر بحوله بأى صعوبة. وقد طلعت علاقتنا ودية إذ  
لم يسع أحدا منا قط إلى الآخر، حتى ذلك الوقت على الأقل، ولكنى كنت اعتبراها  
دائما أستاذة عديدة، بلعت ما بلعته باجتهادها وطموحها دون تمير خاص يريد عن  
المألوف، لا عقدا ولا حلقا، وعندما شرعت مرة فى اختبار الإهداء الذى ماصدو  
به كتابى الأول لى من فى إنجلترا ويتخصص ربى للدكتوراه، هديت الكتاب  
إلى شخص لم يكن هى منهما، فجاء لاهدا «كلأى» إلى أبى الذى علمى حب  
الكلمة المطبوعة وإلى أستاذى روبير الذى علمى ألا أقدمها. كنت هذه العبارة  
تطوى على بعض المسألة فى راحتى، إذ من الصعب أن يتعلم امرء «حب الكلمة  
المطبوعة» من شخص واحد، ناهيك عن تعلم «عدم تقديمها» ولكنى كنت  
مدفوعا بالضع بالرغبة فى أن يكون الإهداء سيعا ومؤثرا على أن ابى يهمنى الآن  
أنى لم أذكر الأستاذ برور فى الإهداء، ولا حظرت أن أذكرها، مع أنها هى التى  
أشرت على حتى ابى يتخصص الكتاب، وهى التى أشرت على الإجليزية به  
هو من على شجرة، إذ أبى لم أكن أشعر بأى امتنان نحوها من أى نوع، وقد بدا عليها  
الاهتمام عند قرأت الإهداء ولكنها لم تدقق عليه فقد وجهت إليها الشكر  
التقليدى فى المقدمة من بين من شكرت، ولكن اسمها ورد ضمن عدد كبير من  
الأشخاص الذين لم يساهمو فى الكتاب مساهمة ذات شأن، ومنهم السدة التى  
كتبت لرسالة على الآلة لكاتبه

هى إحدى ربانى لندن قائدة رئيس قسم الاقتصاد بكلية للدراسات الشرقية  
والإفريقية بجامعة لندن، وكان شأن الإجليزية رفيعا متحصلا فى فساديات الشرق  
الأقصى، وهى لى ب. وصيه مدرسو لاقتصاديات الشرق الأوسط سوف يعلى عنها  
هيب فى كيت وشجعى على التقدم لها ووعدنى بمزاررتها



مرحت بالخبر فرحاً شديداً، ولم أتردد لحظة في التقدم للوظيفة كنت وقتها أعتبر الحصول على وظيفة أستاذ في جامعة لندن أفضل مما يمكن أن يحدث لي في حياتي الأكاديمية، وكانت كل الظروف الأخرى تشجع على اتخاذ هذه الخطوة أن يعيش في لندن، تلك المدينة العظيمة، ولو لصنع سواب، وبالتقريب من والذي روي حتى، فتعوي علاقة طعنى بهما. والوظيفة سمح لي بأن أشتري بيتاً بتقسيط، طبقاً لنظام ادأوف في إنجلترا، فسكن متاحة بقة جميلة لا يبعد كثيراً عن فصل المسرح ومعارض الموسيقى ودور السينما التي تعرض أفضل ما يمكن أن ينع من أفلام. كل هذا فضلاً بالطبع عن فرصه الفرع العام للبحث والكتابة، إذ توفر الجامعة الوقت الكافي بذلك وكل أراجع العلمية التي قد أحاس إليها، بالمقارنة بمعوى اتامة التي تنسم به حياً في مصرى لا يكاد يسمح بعمل أى شىء دى شأن على الإحلاق، كما اكتشفت في السنوات الست التي انقضت على حصولي على الدكتوراه ولم أُنشج فيها شيئاً دالاً، المهم! لا يصعب مقالات كتب على عجل عن اقتصاديات البلاد العربية، ومقالات كتب على عجل أيضاً عن عصر نظريته ابن خلدون الاقتصادية

لم يحظر مالي قط أن اتصل بالأستاذة سرور لأستشرها في تقديمي للوظيفة، وكانت قد أصبحت أستاذة في الكلية التي رُغب في التعيين فيها، إذ سم يحظر بي لظ أن يكون من الممكن أن تعرض على ذلك، وطلب أن محرد تشجيع رئيس القسم بي على تقدم للوظيفة، فضلاً عن شعوري باستحقاقى لها، كحيداً لصمان حصوى عليها. تقدمت إذن للوظيفة وأُرسلت بي جامعة لندن مذكرة للحصول بي إنجلترا لمائة الأثلفة المحتص وعمد الكلية، فظلت أن هذه المعلقة أمر شكلى بحث لاند بيتهى بتعيسى، وسافرت إلى لندن مبتهجة وواعد نفسي بمستقبل دهر وبداية حية مثمرة

فوحثت بمقابلة رسمية للعباية، وإداني أحسن أمام ستة أو سبعة من لأساده الكسرى في عرفة صيد الكلية الذي رأس الاحتماج، وشعرت بأنى امتحان عبير توحه إلى فيه لأسنله بقاصيه من كل صوب، وشعرت بدعوانتيه من العميد في

حتى ياره للأسته التي وجهها إلى. ولكنى فوجئت تمام بعد وابه (اصحه من الأستاذة برود نصمها التي كنت أظن أنها سوف تحاول تسهيل مهمتى. أما أكبر قدر من عدوانية فقد جاءت من الأستاذ برنارد لويس (Bernard Lewis). أمزج لشهير، الذى كان قلبه لا يزال أسادا في بعض الكلية قبل أن ينتقل إلى جامعة برنستون فى لولايات المتحدة، ثم سمعا عن دوره فى رسم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فخاصة أحداث ١١ ستمبر، ثم قرأنا كنه القطيعة ضد العرب والمسلمين التي كتبها فى أعقاب تلك الأحداث وحدث رو حاكبيرا

عند انسرحعت فى دهى فيما بعد الأستاذة التي وجهت إلى خلال هذه المقابلة لم يزلنى شئ فى أن افكر بر بعض تعيبي كان قد نخذ من قبل أن أحضر إلى لندن، ولما اضطررنا لإجراء المقابلة مرعاة ليحضر الشكليات، ومرامعه لشعور رئيس القسم الذى شجعى على التقدم للوظيفة

كانت الأستاذة من نوع فلندا مكتب عن الاقتصاد العربى ورس عن اقتصادات الشرق الأوسط؟ وما لدى دعك لمكتبه عن بن جلدون؟ وهل أنت على استعداد لتعلم اللغة التركية؟ (هكذا كاتب أسفة برود لويس). أو هل تريد المحي، لأن بسبب صغر من أطفالك وهى بسك ترك ابوظيفة بعد سوب قليلة؟ (هكذا كاتب أسئلة العميد) أو لا ترى أن كتاباتك بعد حصول على الدكتوراه بحصة الصنة موضوع وسالة (دكتوراه)، أو لم يكن من الأجدر لك لالتزام بتخصص وعدم التطرق لموضوعات بعيدة عن موضوع تخصصك؟ أو هل تستطيع حقا التدريس فى حصول تتكوب من أعداد صغيرة من الطلاب وأنت قد تعودت على المحاضرة أمام عدة مئات منهم؟ (هكذا كاتب أسفة برود) لا أدكر أى سمعت سؤالا منجيب إلا من رئيس القسم، ومع ذلك فقد خرجت من لقائه وصيا عن أدائى ولم يحضر بيالى قعد أن استيحه لى سرف يحطروسى بها بعد خروجى بدقائق قليلة هى الرقص

كنت الصدمة شديدة وبخه الأمل كسرة ولما حدث أفكر فى الأمر بهذوء بعد رجوعى من مصر، وبحثت أن برود لويس كان له التأثير الحاسم على

السبق، بين يهيم العميد بعصه، وأن سرور بدورها لم تجد لها مصلحة في محبته  
 إنه أكن أدرك وقتها إلى أي مدى يدس برنارد لوس بالولاء للصهيونية، ولكني الآن  
 لا أشك في دوافعه إلى رفض تعسى مدرت في تلك الوظيفة. بي لم أعرف يهوديا  
 واحدا في حياتي لا يسيطر عليه ولاؤه لإسرائيل، ولا يصرب الصبح عن أي  
 عبر آخر إذا تعلقت منه هذا الولاء أن يتصرف على نحو معين. ولأن أن برنارد  
 لوس سأل بعصه عن لمصلحة التي يمكن أن يحققها لإسرائيل نعين اقتصادي  
 مصري واعدا، يظهر من كتاباته أنه يهيم بحال العرب في وظيفته في جامعة مهمه  
 نتيج به الاتصال المستمر بطلته من محتلف حسيات والأرجح أن يكون قد سمع  
 من سرور أو من عميسرها سم أبي، ولا أشك في أنه يعرف من هو وأه. انذرح  
 الإسلامى ادى يهيم بدوره أن يهيم العرب والمسلمون من كونهم إلح كان  
 لاند إادن أن يرخص سرور لوديس بعصى. والرجل كسر السطوة وقرب من وولاره  
 خرجية سرطيديه اقريبه بدورها من كلية الدراسات الشرفيه والإقريبه، فلا بد أن  
 يكون لمرحل نفذرة على التأثير في عميدها أما لأسادة سرور، فمى صوء ما  
 أعرفه عن شخصيتها وطموحاتها، م الذى يمكن أن نجيه من مجيء اقتصادي  
 مصرى في مقس النعم، يعرف اللغة العربية أشى تتظاهر بمعرفته بعكس الحقيقة،  
 ويعرف عن حوسب الحياه لاجتماعية والثقافية في مصر ما تجهله أيضا، وهو على  
 أي حال لا بدو أنه يحمل لها تقديرًا كبيرًا أو احترامًا، والى

هكذا اسفر رأيي ونعميري لما حدث وفروث ألا تكون بيبي وبين سرور أي  
 علاقة بعد الآن، وأن أرفض الالتقاء به في وروجه إذا جاء إلى مصر في زيارتهما  
 لها بين الحين والآخر وهذا هو بالفعل ما حدث. فلم جاء إلى مصر بعد شهر  
 قليلة، واتصلت بي كالمعتدهت مماثلتهن، وكان من الواضح لهما سبب هذا  
 الرفض

كأن روح يديت سرور إنخيارب فاصلا بكرها في لسن كثيرا كان قد تجور  
 السعن، وكان أستاذًا مرموقا في علم سكان وله مؤلفات تحطى بالاحترام، وكنت  
 أحذه وحلا محضر للعبة، كرى في معامنه لاس، وواسع الأفق والمثقف. وقد

أسست لاضطراري لمقاطعة سب ما فعلته روحته ثم جاءه رده على موقفى فمراد  
تقديرى له وإعجابى به فقد تسلمت بعد أيام من رجوعهما إلى لندن خطان طويلان  
منه ، يصل إلى ست أو سبع صفحات ، يقول فيه إنه يهيم تمام قوة شعورى بحياة  
الأمم ، ولكنه يرجو أن أتعلب على هذا الشعور ، وألا أدع ما حدث يترك أثرا باقيا  
فى نفسى ثم أحد بحكى لى فى الخطب قصة بعد أخرى مما حدث له فى حياته وما  
حلته له هذه السحرة أو تلك من حيله مل ثم تين له فيما بعد كم كان يبالغ فى  
أهمية ما حدث له ، وأن كثيرا مما اعتبره كثرته تدعو إلى الإحباط الشديد ، تين له  
فيم بعد أنه كان يطوى على حير عميم أرسلت له ردا أعبر فيه عن امتننى لعطفه  
وسل مشاعره ولم تمض سنة أو سنان حتى كنت قد سبت لأمر برمنه ، بل  
وتيب لى بعد مرور بضعة سواب أخرى صحة ما قاله الأسد معجور عن لكارة  
التي قد تطوى عن حير عميم ولكنى لم أعبر رأى بالطبع فى روحته انتفيت بها  
بعد ذلك مرتين أو ثلاثا فى مدينة صغيرة قريبة من كامردج حيث اثثرت لنفسها  
مرلا تعيش فيه بالقرب من ابهى بعد أن مات زوجها وأحيلت هى إلى المعاش  
وكانت تذى حرصا شديدا على أن أتصل بها كلما جئت إلى كامردج ، ودعتى أنا  
وروجتى لتناول عشاء مع ابهى فى حديقة منزلها ، وكان يطيب لى أن أستعيد  
ذكرات السوات التى قصتها أستاذة فى كسة لندن للتصدد وما حدث بها ومن  
هذا الطاب المصرى أو ذات ثم جاءنى خبر وفاتها وهى على مشرب الشامبين ،  
وكت قد تحلصت من كل شعور بالمراة إراءها ، ولكنى لارلت أعتقد أبهى لم أكن  
لأحسر كثيرا لو لم أعرفها فى حياتى قط



بعد هذه الحادثة تأفل من عام جاءنى عرسا صاا معربان فى وقت واحد ، حرت  
حيرة شديدة هى الاختيار بينهما عرس من الجامعة الأمريكية ببيروت شعيبى  
أستاذة مساعدا للاقتصاد ، وآخر من مؤسسة فورد لقضاء عام كامل فى أى مكان  
احتاره لكتانة بحث أو كتاب أكون قد دأبه ويحتاج إلى عام من التفرغ لإبائه كان  
لكلا العرسين مراده ابوا صحة ، وطال تردى صحاوت أن أحصل على موافقة

الجمعية الأمريكية لسرود، أو مؤسسه مورد على شأكل العرض عما واحداً من  
 الجمع بين لاتبين قسم أفتح رائدء مرورى بهذه الحيرة وابتدد الطويل تصادف ان  
 فابت رحلا سب من أقاربى ، كنت أعرف عه الحكمة وسداد الرأى كان قد جاور  
 الثعالبى ، واستمع إلى مشكلتى فى لاحتياز بين شيتين كلاهما طيب ، فكأن رده  
 محتصرٌ وحاسماً «الحقيقة با جلال أن حناوك لهذا العرض أو ذاك من يكون له  
 أثر مهم على الإطلاق فى المدى الطويل ، ومن المسألة كلها لا تستحق كل هذا الملق  
 أو الحيرة» رأنا لا أشك الآن فى أنه كن على صواب

- ١١ -

كب فى صباى ، ومن مقل الشباب ، أنصوّر أن ثمة ما يمكن تسميه «الحقيقة»  
 أوه حقيقة الأشياء ، أو أ هالك «إجابات نهائية وحاسمة» على لأئلة مهمة اتى  
 تشعل ساء ، وأن كل ما يحتاج إليه لاكتشاف هذه الحقيقة أو هذه الإجابات النهائية  
 هو أن نقرأ الكتب والمفالات التى كتبها تشرلر بالحكمة ، وأن شاهد  
 المسرحيات والأفلام الحيدة ، وأن نسمع إلى الموسيقى برفيعة هكذا كما نطق ،  
 ومن ثم شعرتا بأن قراءه رمت هذه الأشياء ، والاستماع إلى هذه الموسيقى ،  
 لمست مجرد عمل معد أو جدير بالثناء بل واجب من واجبات اتى بلام المراء إذا  
 قصر فى ادائها هكذا اعتبرنا انهم مقصرون إذا لم تكن مثلاً قد قرنا بعد «الحرب  
 والسلام» لتولسوى ، أو الإحوة كراماروف لستويمسكى ، أو كتاب «رأس المال»  
 لكرب ماركس أو «أصل الأنوع» لدارو ، أو لم شاهد شكسبير أو بريحت على  
 المسرح ، أو أفلام دى سك وبرجمان فى السم ، أو إذا لم يكن تطوع التبرين  
 موسيقى باح وهندس ، أو بين موار وبيتھوھن . يجب أن أدكر أنى أثناء سرود  
 السعنة فى إنجلترا كنت أشعر بتأليب لصمير ، ليس فقط إذا لم أذهب لمشاهدة  
 مسرحية شكسبير مثل فى مسرح قرب ، أو حضور حفلة موسيقية فى صالة  
 الموسيقى الكبيرة (Festiva Hall) الواقعة ببحر ، حبر وترلر ، على بعد خطوات  
 عليه من كليتى ، من كب أشعر بوحصر الصمير أيضا إذا انقضى يوم لأحد دور ان أنم

قراءه صحفة «الأومرور» (Observer) الأسوعية، بتعليقاتها السياسية ومقالات  
للمدعى إلى

كم تغيرت نظرتى إلى هذه الأشياء، كتب، وكم تسد لى الآن نظرتى بتدعيم  
معرفة فى القول، بل أكاد أقول فى السداحة أيضاً، إن هدف من قراءة الكتب  
والصحف ورؤية امس حيات والأفلام والذهاب إلى حفلات الموسيقى، لم يكن  
مجرد الترويح عن نفس أو «تسبية»، بل ولا كان مجرد ردة معلوماتنا عما جرى  
فى العالم، بل كان هدف «المهم» والوصول إلى «الحقيقة»، ولكنى لم أعرف إلا  
بعد سنوات كثيرة كم هو صعب تحقيق هذا الهدف، إن كان ممكناً على الإطلاق  
فالصحف وشرائح الأخبار فى الراديو و التليفزيون سهاى علينا كل يوم بكمية هائلة  
من المعلومات، ولكنى أعرف الآن أن زيادة المعلومات كثيراً ما تؤدي إلى تضليل  
المهم بدلاً من زيادته، خاصة إذا قدمت إليك على النحو الذى تقدمها به، بيا عدة  
وسائل الإعلام أخبار سريعة وغير مترابطة وحالية فى معظم الأحيان من أى  
تحليل، وتختلط فيها المعلومات الهامة بغير الهامة، الضرورية مع غير الضرورية  
لقد اكتسب أيضاً بعد سنوات كثيرة، أن أكثر الكتب هى أيضاً من هذا النوع  
الذى يعطينى من المعلومات أكثر بكثير مما يعطيك من التحليل والفهم، وأن هذا  
التحليل، إذا وجد، نادراً ما يصب على الجوهرى ولهم، نادراً ما يجب على  
الأسئلة التى كنت تنتظر أن يجب عليها، ومن ثم نادراً ما يريد من فهدت لشيء  
تريد فهمه

بعض معروف أن عناوين الكتب كثيراً ما يكون صعبه الدلالة على ما يحتره،  
ولكن حتى إذا كان العنوان يصف محتوى الكتاب وصفا صادقا، ما أكثر ما يحب  
الكتاب أمثل بعد قراءة فصول قليلة منه، وكشف أنك أنه لا حاجة لك إلى إتمام  
قراءته. بل أنظر الآن إلى عشر كتب التى تسد موضوع «السمية الاقتصادية»  
من مختلف جوانبها، والواقعة الآن على رفوف مكتبتى، فلا أشعر بأى أسف إذا  
حدثت وفدت العائلة العظمى منها، إذ أن هذه العائلة العظمى قد تحب على أسئلة  
تسردى فعلاً معرفة الإجابة عليها، ومن تردى فهم بالأسباب الحقيقية لتفكر أو

بالتفكير الصحيحة للقضاء عليه. ولكن أستطيع أن أقول بعض الشيء عن معظم الكتب التي قرأتها في بقية فروع الاقتصاد، وهي عبر الاقتصاد من العلوم لاجتماعه. نعم في كثير منها ممارس عقلي شائقة، ولكن هذه الممارس العقبية أقرب إلى التمرينات الرياضية التي تقوى الجسم ولا تغذي، فهذه أيضاً تقوى عضلات العقل دون أن يريدها فهما للمشكلات التي يتكلم عنها

لخروج أورويل قول طريف يعرف فيه الكتاب الجيد بأنه «الكتاب الذي يقرب لك ما كنت تعرفه من قبل». إنه إذن ليس الكتاب الذي يضيف إلى معلوماتك، فهذا النوع من الكتب لا يقرب لك ما كنت تعرفه بالفعل، ولكنه يكتب الذي يدعك تفهمك لبعض الأمور. وقد ينظم هذا الفهم ويربته، فريد من وضح هذا الفهم في ذهنك، ومن تثبت صحته. أورويل يقصد أن يقول أيضاً، فيما أظن، أن أفضل الأفكار وأهمها هي أسعد الأفكار وأسهلها، ومن ثم فليس من الغريب أن تنظر على ذهن الكثيرين، فيما يكتب الجيد بعد لتأكيدهم وتوضيحها. ولكن الجمعية أن أكثر الكتب لس من هذا النوع، بل أكثرها شبر أسئلة غير مهمة وتوجب عليها إحداث غير متعمه فكيف لا يجب فيها الأمل؟

لهذا بسبب أعتقد أن أستاذي القديم (مصطفى بدران) الذي أعطى الدروس الوحيدة التي تلقيتها في علم الكيمياء في حياتي كلها، وكنت في الثالثة عشرة من عمري، كان علي صواب عندما كان يصرّح ألا يتكلم في موضوع لم يتأكد بعد من رغبته في معرفته وفهمه، وألا يقدم إجابة على سؤال لم يفهمه من وراءه. حل كان وراء هذه الطريقة في التعليم نفس الافتراض الذي يكمن وراء تعريف أورويل للكتاب الجيد، وهو افتراض أن الكلام الجيد مائة بالمائة لا يمكن أن يشكل «معرفة» حقيقية، بل يجب أن يكون الكلام، لكن يكون له فائدة حقيقية، صدى لما كان دور من قبل في ذهن المتلقي؟ وهل وراء هذه النظرة إلى التعليم وهذا التعريف للكتاب جيد بعض الفكرة، أو فكرة رئيسة لصلته بكان يقصده الشاعر الهندي طاغور في مقطوعته شعرية المحبلة التي سبق لي اقتطاعها، والتي تعزل

لقد ألفت ثروته طائفة في السفر إلى شواطئ بعده، فرأت جدلاً شهقة ومحيطت لا يحدّها حدّ، وبكى لم أحد مسسما من الوقت لأن احطو بصع حطوات فيلة حارج مربى، لأظر إلى قطرة واحدة من اسدى، على ورقة واحدة من ورق العشب؟

ربما كان فيما عرفة عن حياه بحب محفوظ شئاً يدعم نفس الفكرة، فدرحن الذى عرش حتى ملح الحامسة والتسمين وأنتج كل هذه الروايات التى حارت إعجاب الكثيرين وحسنت له حائزته نوبل، كان كرها للترحال بدرجة تمت البطر كان مسصفا اسماها مدهشا عديده وجيه والمقهى الذى يجلس فيه كل يوم، ويرفض رفضا دانا أى فرصة تتاح له للسفر لرؤية بلد جديد وتجربة أى منط محتف للحاء وكان تجذبه للحديدة، وهى بلا شك كثيرة جداً، كبت تدور كلها داخل رأسه نعم، نحن نعرف أيضاً أن بحب محفوظ كان قارئا بهدا، ولكن ما أقل إشادة بحب محفوظ بكتب يعيهم بأعسارهم أصحاب فصل كبير على أدبه وفكره، وما أصعب أن شئ تأثيراً لكتاب معي يعوق تأثير غيره، وكان المهم، فى حالة بحب محفوظ، ليس ما قرأه من كتب بل ما صنع دهب بهذه الكتب، أو على الأرجح ما حواه هذه الكتب لدمعه مما كان يدور بذهنه من نمل



دارسى مرة أخرى حسين، أثناء عشتى فى لندن، ووجدنى أقرئ فى كتاب جوزيف شومپتر (J Schumpeter) المصمم «تاريخ لحيل الاقتصادى» (History of Economic Analysis)، وهو كتاب يقع فى أكثر من عصفحة ومطسوع بحروف صغيرة، فإذا بحسين يعتر عن أسفه صاحك أن يكون هذا لكتاب اقتصاد وليس رواية، إذ ما أصبح كل هذه الصفحات، فى رأيه، إذالم تتضمن عملاً روائياً! وقد مرّ على وقت كبت فيه مثل حسين، أحمل كل هذا لإعجاب بالآداب، وأعلق عليه أهمية كبيرة، مثلكم كان حسين يعنى عليه من أهمية فى كشف «الحقيقة» أو فى فهم «حقيقة الأشياء» فى ذلك الوقت كبت إذا شرعت فى قراءة رواية



اللاامسكة شهيرة أو في مشاهدة مسرحية ككاتب كبير وتقوم بمثلها هرة مرموقة، أو قدمت لرؤيته فيلم محرج لاصع، أو تقع أن يصبح خالي بعد هزاة الرواية أو مشهدة مسرحية أو الفيلم محسناً جداً عن حالي قبلها، أو أن أجد في حملة أو لقرة من الرواية، أو في موقف إحدى شخصيات الرواية أو مسرحية أو الفيلم محسناً بموقف أو جات احاده في احده، أو حكمة يصع حداً يتكرر من مبادياتنا عن معنى الحياة، أو عن سر السعادة وؤس الع

لاشك أن فترة دراسة في بحثنا قد صرعتي عما كنت أفعه قبل معرى من الإنس على الأعمال الأدبية في صورها لمحتفها، كما أدت كثره قراءتي لكتب ومقالات الاقتصاد إلى إصعاف حاسني الأدسة ومن حماسني لأى نوع من الأدب وكنى عدى عدت أقرأ من حديد بعض الروايات وأتهد بعض المسرحيات والكثير من الأفلام تيت أنى كنت أطلب لمحتفيل، وأن كُتاب الرواية والمسرح والمدر حين السيمافس ليسوا بالضرورة أكثر حكمة من غيرهم، أو أكثر الناس معرفة بحقائق لأتباء بهم فقط فابوا، أى لديهم من نبوهة ما يمكنهم من رواية البصه أو كده الحوار أو إخراج الفيلم على نحو خداد ومشوق ومثير، أى ما يمكنهم من ساج عمل فى بأسر انقراء أو مشاهدين بحمله، دون ان يتسم بالضرورة بالعمق أو عداد بصيرة رأيت أن هذا الذى كنت أبوقه في الأعمال الأدسة ونسة لا ير حد حصة إلا في أعاد عذد صعر لنعايه من وهو انهاده لنصيه والحكمة في نفس الوقت، ولكن ما أكثر لفتائير اندي لا يمتوقون على جمهورهم في الحكمة وسداد الرأى وهؤلاء لا يمكن للمرء ان يوقع أن يحصل من أعصاهم النعية على أكثر من مجرد لتزفيه والترويج عن النفس

مع مرور الوقت أدركت أيضاً خطأ اعتقادى بأن في الموضوعى شك برء عن مجرد «الفن» أى بأن الموسيقى يمكن أن تغلبنى مسمعه «فكر» أو «فهم» من أى نوع يشهه ما يحصل عليه فارئ الكتاب أو المقال نعم هناك من أنواع الموسيقى ما يمكن اعتباره «أرقى» من غيره، ولكن التميز لها يتعلق بعمق الإحساس وليس بعمق الفكر

ما أشد الرهبة التي شعرت بها عندما حسنت لأول مرة في مواجهة الكاميرا مشترك في أحد برامج التلفزيون المصري. كانت فكرة الظهور في برنامج تلفزيوني تراءى لآلاف المئمة من الناس تمتع في معنى سرور والخوف في نفس الوقت. السرور، بحلبه بالتلفزيون من شهرة (أو من بطه كذلك)، والخوف من ارتكاب أي نوع من الخطأ ومن ثم لا يمكن أن يجسه هذه الشهرة من أثره عكس المطلوب بالنسبة ولكن سرعان ما ذهب خوف وقل السرور

ذلك أنسى بعد أن ظهرت في التلفزيون ثلاث أو أربع مرات، بدأ بعثري الشعور بالصقيع من طريقة معاملة المشاهير بالتلفزيون لصيغتهم تين في أن حماسية التلفزيون تصفى على ناعمين فيه أهمية لا يسحقها معظمهم، إذ أنهم يتصرفون وكأنهم وعظما من صفوف التلفزيون وهذه الأعداد العشرة من المشاهير، فيصدرون الأوامر لهؤلاء لصيغ بالالتفات إلى اليمين أو اليسار، وبأن يتحركوا على هذا النحو أو ذلك، وتشعر بعد لحظات بأنك كالمخلوق أو الشخص الذي فيدت عندما ودعاه من مكانه، وخرج الكلام معصا ولا روح، ويثم يقطعه مقدم لبرنامج بإعلان الجمهور والضيوف بأنه لا بد من قطع الكلام لمشاهدة فصل من الإعلانات التي لا توجد صلة بينها وبين ما كنت تكلم فيه، من المماجية تماماً لموضوع الحديث. وقد نظن أن لديك قدره على الانسحاب وعدم الاستمرار في هذه التمثيلية التي تقدم وكأنها فرصة ممتازة للحر، والكلام بحرية، ولكنك في الحقيقة تدرك بسرعة من كل هذه الحذير وبصرمة التي يحاط بها برنامجك أن لانسحاب مسحيين، إذ أن هذا الجمهور الموحش الذي يسخر البرنامج، أو يفتر أنه يتفكره، يجب أن تبنى رغباته ويشجعهم ليسرّج على هؤلاء الحمقى الذين قتلوا الحياء والتحرر أمامه، ولا وظيفة لهم في الحقيقة إلا تلبية والترجيع عنه، وهو، أي هذا الجمهور الموحش، مستطيع في أي لحظة بصط صمعه على زرار صمير، أن يحرك تمام من الصورة ويستعنى عنك

يستند بك راقصة أو معية أو فليما مسماثيا . وهذه الحرية المدعومة للحوار  
التلفزيوني تمثل من مستنها بشدة قدرة دارة التليفزيون على أن يحددوا أي حملة  
من حملات يعتبرونها مخالفة لسياسة العليا للتليفزيون أو للدولة ، دون أن يشعر  
المشاهد بأن أي حذف قد حدث ، ومن ثم يحدد هيب التليفزيون نفسه وقد سب  
إليه رأى غير رأيه

جسسى كل هذا أعقد اشقة في تليفزيون راقفد الرعة سواء في مشاهدته أو  
الاشتراك في أحد برامجها ، يستشاء حالات امتثالة وأيت ، فها أن الرب مع جد  
ويسمح بدرحة لا بأس بها من الحرية . وقد حاولت مرة أن أشتري عدم قطع  
البرامج بالإعلانات ، فأهموني أن هذا مستحيل ، وأدركت أن تطهرون على  
شاشة التليفزيون ، حتى في تلك البرامج لقيلد الحادة ، إن تطهر بدافع واحد فقط  
لدى مسجى البرامج والمثرفين على التليفزيون ، وهو تحقيق أقصى ربح يمكن من  
الإعلانات

بعرت أيضا نظري إلى المؤتمرات و ندوات التي لا تقطع في مصر وحدها  
فأصبحت أعتبر معظمها بصاعة لوقت دون فائدة تذكر ، وأصبحت أذهب كلما  
هكرت في حجم الأموال المطانة التي تمنى على جلب المدعويين إلى هذه المؤتمرات  
والندوات ، من أقصى أركب الأرض إلى مكان المؤتمر ، وعلى إقامتهم في الفنادق  
المعاصرة بلا أي طائل ، أو على الأقل بدون أي نفع عام ، وبم فقط لتحقيق أهداف  
أناة نحتة مثل تطاهر مظمى المؤتمر أو الدوة بخدمة قصة سلة ، صمانا  
لاستمرارهم في مناصبهم ، أو تحقيقا للشهرة وبيع الصوت ، أو لتعرب إلى بعض  
أصحاب الامود ابديين يمكن أن يحققوا لمظمى المؤتمر عرص من أعراسهم  
الخاصة .

فما أكثر ما وجدت ما ينص على هذه المؤتمرات أكبر بكثير من البرامج ، إذ كان من  
اليمكن تحقيق المطلوب (أو الذي يتظاهرون بأنه مطلوب) بمعاية أكبر ، إذ كان عدد  
المدعويين أقل ، ومدة المؤتمر أقصر ، وسجلات بعداء أو العشاء أقل إسرافا . حطر  
بعض أكثر من مرة ، أثناء حضورى لمؤتمر بعد آخر من هذه المؤتمرات ، أن لكل عصر

طريقته في إبعاد العناصر الاقتصادية بعد إشباع حاجات الناس الأساسية وإنشاء حاجات الناس المهيمن غير الأساسية على مصر القدمية كانت هناك طريقة به الأهرامات التي سحر الآلاف من الناس بسننها، وهي في نهاية الأمر قليلة الحدود وفي عصر الحديث حدث، فصلا عن برامج التبريد، هذه المؤثرات والدورات اللامنهنية أو على الوظيفة الحقيقة لهذه المؤثرات والدورات والتغيرات معه هو مجرد خلق مستهلكين جدد، ودفعهم دفعا أو حشهم على أن يرد من الاستهلاك، إذ من الذي يشمل مقاعد الطائرات الحديثة في كل ساعة من ساعات النهار والليل، والمتفلة بين مختلف بلاد العالم؟ ومن الذي يشتري كل هذه السلع التي لا فائدة ترحي منها، والمعروضة في الأسواق الحرة بالمطارات، إذا استعينا عن كل هذه المؤثرات والدورات والاحتمالات؟

كان هذا الإدراك، أو هذا السؤال، كذا لإصعاف رعتي في الاشتراك في هذه المؤثرات اللامنهنية، ومن بعد الحصول على تذكرة سفر مجانية بعراء قويا لي، ومن ثم شرعت في اشتراط شروط معسمة تقولي اسفر من أجل الاشتراك في مؤتمر، تضمن لي أكثر قدر من الراحة ومن أقل قدر من الجهد، ولكن مع مرور الزمن، لم بعد حتى هذا كافي، فأصبحت أرفض الاشتراك حتى من قبل أن ترفض شروطي

#### - ١٢ -

لابد أن ذلك لسرور القديم برؤية اسمي مشورا، وبالظهور على شاشة التبريد ومن على الدعوات للاشتراك في سنوات والمؤثرات، كان يرجع في نهاية الأمر إلى حب شهره وديوع الصفت، وهو شيء أشترك فيه مع كثيرين، بل وربما مع معظم الناس. ودي يتعلق الأمر بحاجه بيولوجية فيه لا تختلف كثير، عن حاجة الصبي الصغير، في لغت الأنظار ولو بالكه والحويل، إذ أب كسب لثمت الناس إليه فهو اصل على أي حال من تعامله تجاهلا تماما كأنه غير موجود

ألا يرجع الناس بشر خبر رواجهم أو أعياذ ميلادهم في الصحف ولحلات مع

أن الزواج أو الاحتفال بعد الميلاد ليس بضروره داعيا من ذوي العجز والمهارة،  
ومعظم الناس قادرون على هذا أو ذلك ولا يحتاج الأمر إلى توفير دكاء حصص أو  
مرددة؟ ولكن أن يعرف الآلاف جبر رواجي أو أن يروا صورتي في الصحف .  
أليس هذا شيئا طيبا يستحق حتى أن يفتق ثمره بعض المال واجتهد من أجله؟ وإذا  
افترضا أن للشهرة سببا يدعو للتقدير والإعجاب، فما الذي يجب أن يجلب للمرء  
السوء والانتهاج، من هي شهرة أم هذا सब الذي يدعو إلى لتقدير والإعجاب  
بصرف نظر عما إذا كان قد جلب له شهرة أو لم يجلبه؟ لاشك أن شيئا كهذا هو ما  
كان يدور ذهن الكاتب لسودي الشهير الطيب صالح عندما ألقى محاضره على  
طلبة الجامعة الأمريكية بالمعاصرة بعنوان «تفاهة أب تكون لمرء كاتب»، وكان محور  
محاضرة أنه كلما حدث له ما يحمله يطن أنه قد أصبح مشهورا ودائع انصبت فيسمع  
ويغلاؤه التيه والإعجاب بنفسه، حدث بعد ذلك مباشرة ما يعيده إلى صومعه ويصه  
إلى أن شهرته لم تعد حملة صالحة من الناس مما لا يسترحب كل هذا ليه والزهر  
فإذا أعس مثلا عن موهبه خاتمة فيمنه على أعماله الأدبية، فظن بنفسه الطنون،  
يحدث أن يور حاليته في قريته، فإذا بها تسأله في براءة عما يفعله بالوسط، وكيف  
يكسب قوته؟ إنها تفهم أن يكون الرجل طبيب أو مهندس أو مدرس، ولكن رجن  
يكتب القصص والروايات؟ أتى عمل هذا بالوسط؟

سأب صدقيا في مرة عن सब الذي جعله شترن في حوار تليفزيوني لا أرى  
فيه أي مبرر تحب لمرء إلى الاشتراك في لا الموضوع، ولا شخصية المدع  
نحاور، ولا انتباهاته السياسية، فقال لي إنه يظل سوب يكتب المقالات في  
صحيفة من الصحف بعد أخوي فلا يشعر بأنها كتبت له جمهورا يقرأه ويمرره، ثم  
يظهر مره وحده في برنامج تليفزيوني، ولو في ساعة متأخرة من الليل، فإذا نه في  
كل يوم ينافس من يعرف عنه وسأله اهتمام «حضرتك تطوع في التليفزيون؟»  
كما شك لي الممثل السياسي القدير إلياس سحاب من أنه ظل ينشر مقالاته السياسية  
في الصحف للبابية لمدة تقرب من أربعين عاما ثم حدث وعاد أخوه الأصغر  
الماسرو سبم سحاب من دراسته في موسكو وقدم حملة موسيقية واحده أو

جعلت في سرور واداعهما التلغريون، وإد بالنس كلما قابل شخصاً سألته «هل أنت شقيق مسلم سبحانه»<sup>٤٩</sup>

### م ع م

لقد تلوقت طعم الصيت والشهرة، مذ كنت تلعبذا صغيراً في المدرسة الابتدائية، إذ كلما دخل دائر و مفتش في أحد دروس اللغة العربية وحدثت لمدري بهنس في أذنه «نسى ابن الأستاذ أحمد أمين»، وقد وجدت الأمر لذيذاً واستمتعته، ولا شك أن هذه التجربة المبكرة قد عرست في نفسي بذور الإدمان، أي إدمان السعي إلى دبرع الصيت ولف الأنظار، وربما ساعد على نمو عدي أنى أصغر الأولاد في سمائله، مما يجعل للأنظار فيهم مصعده والظاهر أن حب الشهرة يمكن فعلاً أن يحول إلى إدمان بحيث إنه متى تسلط على الشخص أصبح من الصعب عليه أن يعيش بدون إشباعه إشباعاً مستمراً، وقد تزيد أيضاً الجرعة اللازمة للإشباع كلما زدهما يحوره منها

وقد أتيت لي بعض الجرعات الصغيرة للفت لأنظار، بصفتي الشخصية وليس بوصفي ابناً لأحمد أمين، وأن في المدرسة الثانوية عندما كان يطلب مني أحياناً أن ألقى كلمة في احتفال مدرسي أو آخر، بمولد الرسول مثلاً أو بذكرى الهجرة فكانت أقل سرور في معظم الأحيان، وأعمل الأمر حاداً بموق أهمته ككثير وأظلي أفكر في هذه حملة أو تلك، وأسود وانص، مدفوعاً بلا شك بالرغبة في تحقيق نجاح زاهر أمام هذه الجماهير العميرة، ليس هذا لا يريد عددهم عن العشرين أو الثلاثين، ممن لا يهمهم في الحقيقة في قليل أو كثير قصة لكنمة ليس سيليقيها هذا التلميذ الصغير كان لميكروفون بالصيح سحر لا يقوم، هل أن أشتيع استخدامه على النحو الذي يراه الآز، فما نالك مما يمكن أن يشعر به تلميذ في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره إذا زده نفسه أمام ميكروفون، ويحط في جمهور يجلس منه ماطر للمدرسة وكار رجالها<sup>٥٠</sup>

طلب مني مرة، وأنا في هذه السن، أن أشتري في مظهر في المدرسة حول موضوع بصعب أن تتصور أن تعقد حوله مناظرة في مدرسة حكومية في هذه

لأبدي كانت سنة هي ١٩٤٧ في أعقاب سباز وساء الكوليرا في بعض القرى المصرية فلما تم القضاء عده، ولم يكن لباس حديث إلا عه، فكر أحد مدرسي المدرسة في عقد ساطرة عنوانها «من المسئول عن انتشار الكوليرا» في مصر الحكومة أم الشعب؟» وقال لي هذا المدرس به سوف يمثل وجهة اسطر التي تلقى سلوم على الحكومة وأن علي أن أن أمثل وجهة نظر الأخرى، حتى تلقى بمسئولية على الشعب كيف حبريا أن الأصوات ستوحد بعد انتهاء المظاهرة لمعرفة أي المناظرين انصبر على حصصه وقبلت بسداحة إذ كتب لأربل حديث العهد بهذه الأمور، ولم يحظر بدلي قط أني مهروم لا محالة، فالباس لاند أن تصوّت في النهاية ضد الحكومة مرتين أنفسهم من المسئولية كان أهم هو أي دعيت للكلام أصلا، وأمام ميكروفون، وألفت بدلوى وكانت النتيجة هي طعنا هريكتي، المطمعة، والتي دهشت لها كثيرا إذ كنت قد خدمت بعض المحجج المقصود

معمودا من صمعت لذي لم رغبة في ثمت الأنظار وأصبحت فرصة بشو مقل لي في جريده سباز، أو يقف كلمة أمام بعض الناس المهمين، أو الظهور في التيفزيون، لا تحمل حادثة كبيرة لي، وكادت حادثة أي من هذه الأمور تحصر في مدى حادثة الموضوع الذي يعطى لي أن أشاونه بالكلمة أو الحديث، دون أن أدلي كثيرا عما قد يتصل به من «جمهورية».

لقد عرفت عددا من مشاهير الكتاب الذين شعرت بحوهم بحب خاص واحترام يريد عما أشعر به نحو غيرهم، ولا أظن أنه من قبيل الصدفة أن هؤلاء كانوا أيضا من أقل من عرف مبالاة بالشهرة وديوع الضيعة هكذا وجد مثلاً أحمد بهاء الدين، فكنت لصحفي الشهير الذي كان يسرع بتحويل مجرى الحديث لي موضوع آخر إذا سمع من أحد ناء على مقال مشور له، وكذلك عبد العظيم أسس أثناء الرياضيات والكاتب والماصل السيسى الشهير، وكنت أحس بأنه إذا سمع ناء على شيء كنهه أو عمل قام به، وإن قدم بشكر فائله شكر محلص، كان كمن يسمع ناء على شخص غيره أما انطيط صالح، فكان يصحك إذا سمع ناء عليه، وبني شله أنه يستحق شيئا عه، وصفا بصفه بأنه مجرد «كروث»

صغر كما كان يعبر شذوه من أى ماسبة يصعه فى مكان الصداده و يكون فيها  
محط الأنظار

قال لى الطيب صالح مرة إنه يعجبه شبيهه احد الكتّاب للشهرة «بالعاهرة»  
ولعله يقصد بذلك أن السعى إلى الشهرة مثل سعى المرء إلى كسب رصاء عدد  
كبير من الناس «مجهولى الهوية» عن لا تربطهم به أى صلة ، وأن إنشاء يمكن أن  
يقبل ويسعى إليه إذا صدر من شخص معين أو عدد قليل من الأشخاص الذين يكن  
المرء لهم احتراماً وتقديراً ، أم الشهرة ، أو صدور الثناء من أعداد غفيرة من الناس  
لا يعرف المرء قدرهم الحقيقي ، فيجب ألا يكون باعثاً على القبح أو السرور ، بل  
لعله قريب من عمل الخادش للحياء

#### - ١٤ -

اصبني دهشة عندما أدنى بي استعر صى لكل هذه البدايات والهبات ، إلى  
اكتشافى بهذا العدد الكبير من لأمنته على نوع أو آخر من حبيبه لأمل كمار على  
أيضاً أن اكتشف فجأة كثرة الأشياء اسي أصبحت أعترها غير حديرة بالاكتراث أو  
غير مهمه ما أكثر الأشياء الى كت أعبرها مهمة بل وضرورية فى يوم ما فلم أعد  
أعتبرها كذلك . ب أى نوع من النظم ، مهما كن ما يحلته بي من لدة من المصى ،  
مكن الآن سهوله أن يحل محله نوع آخر دون أن أشعر بخير ما كما لم أعد أعلق  
الأهمية القصوى التى كنت أعلقها على قراءة كتب معينة ، بهيك عن الأفلام  
السيمائية التى اكتشفت حينها فلم يعد من السهل خداعى بها لم أعد أتلف على  
سماع لأحار أو قراءتها مثلما كنت أفعل ، إذ لم أعد أعنى أهمية كبيرة على  
تصريحات كت لى أن أكثرها كاذب أو على وعود أكثرها لا يتحقق أما لعت  
الأنظار الذى كت أثوق شدة بي بحقيقه فقد تنب لى أن القدر الصئيل الذى حققته  
منه يريد بكثير عن حاجتى إذا كن الأمر كذلك حقاً ، فما هو لمهم إذن؟ وكيف  
يصح للحياء معنى إذا فقد كل شىء أهمته فى نظرى؟

لأننى لا زلت أعتبر بعض الأشياء مهمة ، من مهمة جداً ، إذ أنى لاحظ لى



لم أقعد قدرتي على الانتهاج، بل والانتهاج الشديد، ولا أستطيع قط أن  
'دعم' أي الآن أقل معده أو رصا عن جانبى مما كنت فى أى وقت من الأوقات فى  
الماضى صحيح أن هناك أنواعا من السرور والانتهاج كنت أشعر بها فى بعض  
اللمحات فى الماضى ولم أعد أشعر عظمها الآن 'ذكر مثلا ذلك السرور العمرى  
كنت أشعر به عندما كنت القطار يقرب من محطة فيلكستون (Felixstowe) باعتبارها  
وهى البلدة التى كان يقيم بها ومأزجتي، إذا كنت قادما إليها من لندن، وأعرف  
أن رو حتى تتطرس فى محطة انقطاع كيف يمكن أن يتكرر مثل هذا الشعور الآن؟  
وكذلك شعورى عندما رأيت أول مقال لي يتناول قضية اجتماعية ومبسية عامة،  
وهو منشور فى مجلة الأهرام الاقتصادية فى فبراير ١٩٨٢، وعنوانه مكتوب بالحظ  
المرص على غلاف المحلة كيف يمكن أن يتكرر هذا الشعور الآن بعد كل ما شمر  
لى من مقالات وكنت؟ نعم إن مثل هذه المشاعر لا يتكرر، فما هو إذن تفسير ما  
أشعر به لأن من رصا عن حياتى، وسمالى لكن يوم جديد بدرجة من الشقاؤل من  
الدر أن شعرت عظمها فى الماضى؟ تفسير ذلك أنى، وإن كنت قد عدت المشاعر  
المتأججة بالسرور فقدت أيضا المشاعر المتهمة بالحزن لقد عرفت عوبى وقتنها،  
ولم أعد أعذب نفسي بأن أتمنى أن أكون شخصا آخر أو أحصول على ما أعرف أن  
من المستحيل تحفقه. أصبحت مستعد لأن أقبل بسهولة أن هناك من هو أفضل منى  
فى هذا الأمر أو ذلك، قانع بأن لدى من هذا شىء أو ذلك ما يكفينى ورياده  
ولكنى أجد أيضا أن خوفى من المستقبل، بما فى ذلك الخوف من الموت، أقل بكثير  
مما كان. أصبحت معتبعا، بدرجة أكبر من اقتناعى فى أى وقت فى الماضى، بقول  
الفيلسوف البريطانى دافيد هوم (David Hume) إن الموت لا يجبهه لسبب بسيط  
وهو أنه لن يكون موجودا عندما يجىء الموت، وقوله أيضا إن لا هالاته مما إذا كان  
سموت فى الأمس أو بعد بضع سنوات فى البصر بقدر لا هالته مما إذا  
كان قد ولد فى منتصف القرن الثامن عشر أو أوائله

لم تكن نصل إلى ماسمى أحبار الموت، عندما كتب أصغر سنا، إلا لماما،  
وكانت فترات طويلة تفصل بين خسر وآخر. فوحدث أنى كلما تقدمت فى السن،  
توالى على أحبار موت الكثير من معازى وبعض أصدقائى، وهم فى سن قريبة

من مسي' ومع موالى هذه الأحبار ونصؤر المدد الفاصلة سها أصسحت دهشتى  
بدى سماع ،خبر نقل ، وإذا بالخر يصبح أكثر فأكثر خبرا عاديا ، بينما كان يبدو لى  
مد عشرين أو ثلاثين سنة خبر شادا ومدهش

لاحظت أيضاً عبرا فى مشعرى إزاء مواعيد العراء فقد كان من أنقى الأمور  
على مسى مند عشرين أو ثلاثين عاما ، الذهاب إلى سردق للعراء ، وأحاول تجبه  
بعدم الإمكان ، فلا أذهب إلا عندما لا تكون ثمة ممر من ذلك . ولكنى الآن أجد فى  
احلوس فى سردق العراء والاستماع إلى القران من فارئ بحسن التلاوة ، باعثا  
لدرجة لعسة والمكسة ، ومدة لتعكر من جديد ، دون مقاطعة من أحد ، فى  
الشخص الذى فقدته . وأذكر أحيانا والذى عدم كانت تحدثنا عن صديقه من  
صديقاتى فقدت كثيرين من أعزائى ، منهم بعض أولادها ، فكانت تنهر فرصة  
سماعها عن أى عراء يقدم بالقرب منها ، ولو كان لشخص لا ترط بها صلة ،  
فتذهب بتقديم العراء كمحور د فرصة لدرب الذموع من حديد واحلوس وسط ساء  
بحرف أبهى يشمرن بثل مشعرها . كانت أمى تصف لنا همد بهم تام لمشعر هذه  
المرأة ، وتصيف ما معناه أنها أحيانا تشمر بشعور بمائل . كنت أنمحب سماع ذلك  
إذ أن أمى لم تصدف فى حياتها ، الكثير من صدمات لفقده أشخاص مربيين مها  
لهذه الدرجة . ولكن أمى كانت تتكلم ، على الأرجح ، عن الأحران بصفة عامة ،  
وهى كثيرة

بعم إن أسماء الحرن كثيرة ، ولكن مصادر العرج كثيرة أيضاً ، ولارال لى  
الكثير منها . كتابة مقال أو كتاب جيد ، أو أعتره جيداً ، خاصة إذا حصل على  
تقدير شخص أو أشخاص أحمل لهم تقديرًا ولو كانوا قليلين إلقاء محاضرة  
ناجحة فى موضوع يثير حماسى . رؤية انتى متهجة أو أحدا يلى سعيد لأى  
سب ، وحررى معهم ، ومع زوجى وحميدى ، شريف ولارا ، نوحبة شهية فى  
مطعم جميل ، كل هذا يحب لى سرورا مسجود . ولارال لى بروجنى ، بعد غيبة  
طويلة أو قصيرة ، يلا نفس بالسروو ، وإن لم يكن مؤحى بالمعاطفة كما كان عندما  
كان فى شبانا

صحيح أن الأمشة على حية الأمل كثيرة ، ولكن ما أكثر ما غمر به أيضاً فى حانا

من أحداث سارة لم يكن يحظر بابا وقوعها، ولا كما يأمل فيها من أكثر خطتنا  
تدولا، نعم، ما أكثر الآمال التي تصب بالحسنة، ولكن ما أكثر مصدر السرور التي  
سم يكن متوقعها، او يطمح بها، صحيح أن الإصرار على إنهاء بعض بهاية  
سعد موقف لا يعبر عن الحقيقة، ولكنه ليس أقل صدقا من الإصرار على بهائها  
بهية غير سعيدة

في ٢٣ نوفمبر ١٩٩٤، حلت ذكرى ميلاد والد زوجتي، وكان قد توفي قبل  
ذلك بشهور قليلة، وكما حبيبا تحته حبا حبا محراب عوته أشد اخرون، رغم أنه كان  
مد يد السابعة والثمانين، ولم يكن هور عا في أن يعيش أكثر مما عاش في ذلك  
اليوم قررت زوجتي وابنتي، وكنت ابنتي وقتها حاملا منظر مولودها في أي لحظة،  
أن تذهب ابنتي قهره لتضعها عنده نافذة من الزهور وأثناء عودتهما بالقطار جاء ابنتي  
المحاصر فأسرعتا إلى مستشفى قريب وضعت فيه ابنتي طفلا حبيلا في مساء نفس  
اليوم الذي ولد فيه حذها ولا زال هذا الطفل (شريف) الذي مع الآن الثانية عشرة  
من عمره، مصدر فرح متكرر لجميع هكذا تحولت للذكرى المحزنة فحاة إلى  
حادث سعيد، وإذا بهاية حاة حفلة بكل أنواع اخرون والسرور، تتحول إلى بداية  
واحدة بكل أنواع السرور والخرن

## مكتب أخرى للمؤلف

### باللغة العربية:

- ١- مقدمة إلى الاشتراكية، مع دراسة لتطبيقاتها في الجمهورية العربية المتحدة. مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦
- ٢- مدخل التحليل لاقصادى - مكتبة سيد وهبة، القاهرة، ١٩٦٧
- ٣- الاقتصاد القومى - مقدمة لدراسة النظرية النقدية - مكتبة سيد وهبة، القاهرة، ١٩٦٨، ١٩٧٢
- ٤- ماركسيه عرهمى وتحليل ونقد لمبادئ لماركسيه الأساسيه فى العصفه والتاريخ والاقتصاد - مكتبة سيد وهبة، القاهرة، ١٩٧٠
- ٥- امشرق العربى والغرب - بحث فى دور المورثات الحارميه فى تطور النظام الاقصادى العربى والعلاقات الاقصاديه العربيه - مركز دراسات الوحدة العربيه، بيروت ١٩٧٩، ١٩٨٣
- ٦- محله الاقتصاد والثقافه فى مصر - المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٢
- ٧- نمميه ام تعميه اقصاديه وثقافيه؟ حرمات شائعه عن التحلف والنميه وعن الرماء والرفاهيه، مطبعات قاهره، ١٩٨٣، وابنهه العامه لمكتب، القاهرة، ١٩٩٥
- ٨- الاقصاد واسياسه والمجتمع فى عصر الانفتاح - مكتبة مبدولى، القاهرة، ١٩٨٤
- ٩- محوره دمماه المصريه (بالاشتراك مع اليرانيث تايبور عولس) - مركز اليعوث للنميه الدوليه (أرنو)، ١٩٨٦
- ١٠- قصه ديون مصر - حارميه من عصر محمد عفى إلى اليوم - دار على محار للنشر، القاهرة، ١٩٨٧

- ١١ - نحو مصر جديد الأرملة لافساد والمجتمع في مصر - مكتبة مديبولي، ١٩٨٩
- ١٢ - مصر في مترق الطرق - دار المنطل العربي، القاهرة، ١٩٩٠
- ١٣ - العرب ومكة الكويت - مكتبة مديبولي، ١٩٩١
- ١٤ - السكان واسمه بحث في الأثر الإيجابية والسلبية لمو السكان، مع تطبيقها على مصر المؤسسة الثقافة العمالية، معهد الثقافة السكانية، القاهرة ١٩٩١
- ١٥ - الدولة البرجوة في مصر - دار سبيلشتر، القاهرة، ١٩٩٣
- ١٦ - معصرة الاقتصاد المصري دار مصر العربية لشتر، القاهرة، ١٩٩٤
- ١٧ - شخصيات لها ريج رياض الرئيس للكتب والشتر، بيروت، لطبعة الأولى ١٩٩٧، الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ١٨ - ماذا حدث للمصريين؟ - كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨، ومكتبة الأسره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، الطبعة الثالثة، دار بهلال، فبراير ٢٠٠١، طبعة الرابعة، دار شروق، ٢٠٠٦
- ١٩ - لثقبون لعرب وإسرائيل - دار اشروق، القاهرة، ١٩٩٨، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥
- ٢٠ - نعوته - سلسلة (افراء) - دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩، الطبعة الثانية ٢٠٠٠، الطبعة الثالث، ٢٠٠١
- ٢١ - التوزيع الوثائق سلسلة (افراء)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩، لطبعة الثانية، دار عين للشتر، ٢٠٠٥
- ٢٢ - بعولة والتسمية العربية - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، الطبعة الثانية، ٢٠٠١
- ٢٣ - وصف مصر في نهاية القرن العشرين - دار اشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، لطبعة الثانية، ٢٠٠٥
- ٢٤ - كشف الأقمعه عن نظريات السمية الاقتصادية، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٣

- ٢٥ - عومة الفهر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، الطبعة الثانية ٢٠٠٥
- ٢٦ - كتب لها تاريخ، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٣
- ٢٧ - منحنيات مصرية مده، سلسلة أفر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣
- ٢٨ - عصر الجماهير الصغيرة، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥
- ٢٩ - عصر لشهير بالعرب والمسلمين، دار شروق، القاهرة ٢٠٠٤، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤، الطبعة الثانية، دار الشروق ٢٠٠٧
- ٣٠ - مستقليات، أممات في أحوال مصر وعرب والعدم في منتصف القرن الواحد والعشرين، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، أبريل ٢٠٠٤
- ٣١ - خرافة التقدم ونحلف، دار الشروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، الطبعة الثانية ٢٠٠٧

### باللغة الإنجليزية

- 1 Food Supply and Economic Development With Special Reference to Egypt F Cass, London, 1966
- 2 Urbanization and Economic Development in the Arab World, Arab University in Beirut, 1972.
- 3 The Modernization of Poverty A Study in The Political Economy of Growth in Nine Arab Countries, 945 1970 Brill, Leiden, 1974, 2d Edition 1980.
- 4 Project Appraisal and Income Distribution in Developing Countries, (Coedited with J MacArthur) a special issue of World Development, Oxford, February 1978
- 5 International Migration of Egyptian Labour, (with Elizabeth Taylor Awny) International Development Research Centre, Ottawa, 1985
- 6 Egypt's Economic predicament, Brill, Leiden, 1995

- 7 Whatever Happened to the Egyptians? American University in Cairo Press, Cairo 2000.
- 8 Whatever Else Happened to the Egyptians? American University in Cairo Press, Cairo 2004.
- 9 the Illusion of Progress in the Arab world, AUC Press, Cairo 2006

### كتب مترجمة:

- ١- التخطيط المركزي - تأليف جان تروجن، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي، القاهرة ١٩٦٦
- ٢- مقالات مختارة في التنمية الاقتصادية (بالاشتراك)، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي، القاهرة، ١٩٦٨
- ٣- مدخل في تجارة الذوا و سمة للاقتصادية، تدف واحبار تتركه، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي، القاهرة، ١٩٦٩
- ٤- الشمار- الحروب برنامج من أجل السلام، تقرير اللجنة المستقلة المشكلة لبحث قضايا التنمية الدولة برئاسة ولى برانت (بالاشتراك) الصندوق انكوبنى للتنمية، الكويت، ١٩٨١

## ملحق الصور



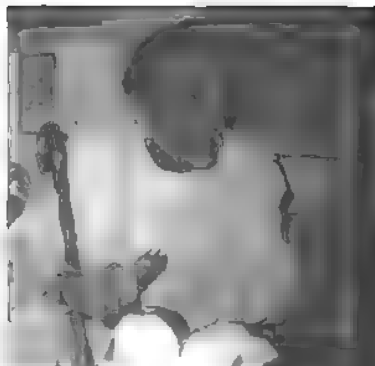


من جعفر ▲

البحر و صفا ▼



إخواني في السموات



▲ خير محمد

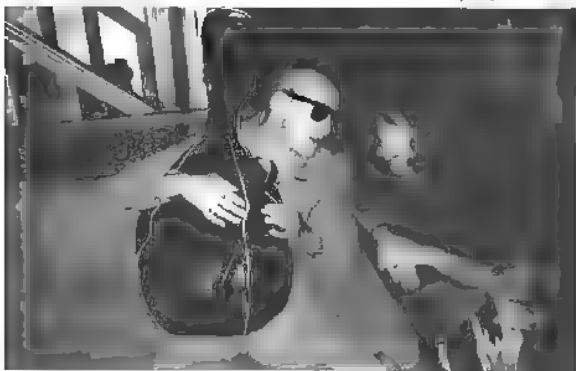
▼ خير محمد - جازي





▲ سچ نگر - محمودؑ مین کرینو مھر سیں (حوالی ۱۹۶۲ء)

▼ خانہ لکھ انداز مین بیسہ یا عیار (۱۹۶۴ء)





▲ ميشيل حنني مع المنظمة الشعبية في  
بمعاطر البحرية



▲ مع موسمين حنني في بضماعاطر البحرية بمصر  
( ١٩٥٥ ) وبعث بحدائق شوشة

▼ جورج أوزيرين



▼ الطيف الأوس من  
مصر ١ عدد بلفمصريين ( ١٩٤٤ )





▲ يتحدث ابن حبيب الأمريكية (جوان) ١٩٨٨

▼ ستم خيرة حسن منار بالجامعة الأمريكية (١٩٩٢)





▲ ملائكة كارد الهدوى بين سبي وجوسي ١٧

▼ بين باحلووت شي رجة محمد مرزوق بن لصد ١٨ حبيب لاسيه ١٧٥





▲ حاد حمر، يارالايير، ديمه كير، بوسطن، (١٩٩٧)

في حواشي كاسر ح ١٩٦٣

▼ من المين، عشميه مجدى، حاد الميلاوى، ويديم ميحدين، مرماس عطا اب



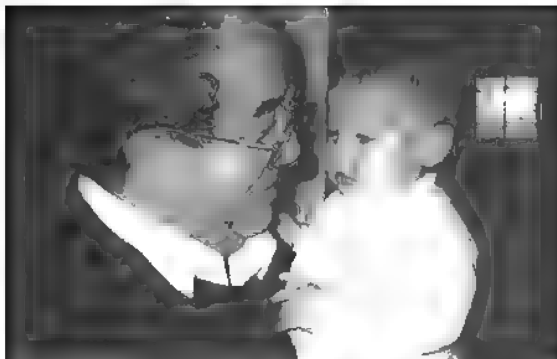


▲ لایلا و الحمیدان فی حر شستر ۶۱ (۲)

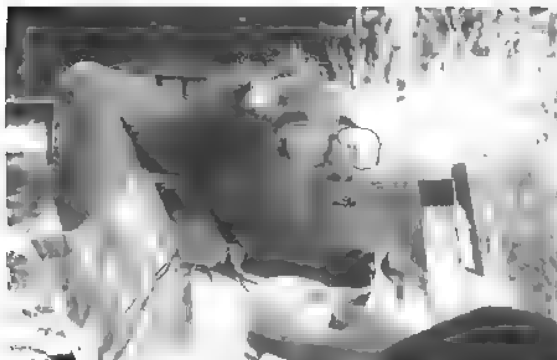
▼ شر حر شستر مع امی حمید (۵) ۶







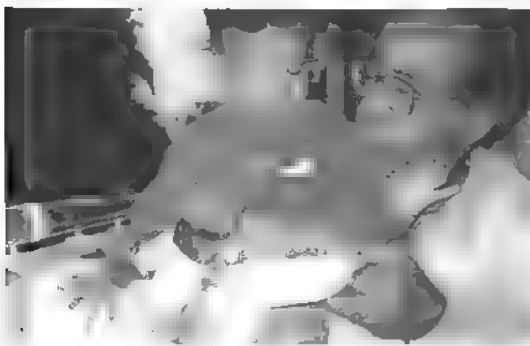
▲ جلال ونگار ( ۱۹۹۰ء )  
♥ میں جو افسوس ہے ( ۲۰۰۲ء )





▲ جمال ذبیح قاسمیر دج ۱۹۸۰

▼ حیات و تراھی قاسمیر دج (۱۹۸۰)





▲ جہان شوروہ (۱۹۵۰ء)

▼ جہان بے سرب (۱۹۰۹ء)





▲ عيسى شرمه ولا (۲۰۰۵)

▼ لا ، ۱۲



نادر و محبت گس ۶ (۲) ◀



◀ احمد نادر و آنا شمس ۴ (۲)



▶ احمد ر. يوم زفافهما (٦٠٠٠)



▼ تصوير من روجه من احمد يوم زفافهما (٦٠٠٠)





▲ سببه يوم زفافه، ١٩٩٧

▼ زعيه وشرف يوم الزفاف ١٩٩٢





▲ في حفلة خطوبة رانيا ١٩٩٠

▼ يوم زفاف رانيا وعبد الله الثالث مع وحيه - إسماعيل العادس (١٩٩٢)







▲ أحمد دة وسامير بكوس (VC)

▼ جعفر سة وسامير حصة تخرج دة





▲ داميّه محمد عمر الكويكب (١٩٦١)

▼ ناصر أحمد عمر الكويكب (١٩٧٠)





▲ حجاب احمد جي مادر النيران يانگويو ( ۹۰۵ )

▼ حجاب ودمر وحدتتيمه جي انگويو ( ۱۹۶۵ )





▲ مع جان من میلکستو ایڈیٹر (۱۹۹۷)



▲ و ر جان من کامریج (جوائی ۱۹۷۹)

▼ والد جان فی لمیجرہ رموائی (۱۹۸۸)





▲ بیج خان سے کانپور دج (جولائی ۱۹۶۶ء)

▼ بیت والدہ جہاں سے میلکستو جیہہ "صحیفہ کلچر" میں سہ ماہی "صحیفہ" (جولائی ۱۹۶۶ء ۱۹۶۷ء)





▲ تامر (١٩٧٧)



▲ مامر عبي شريف بالمعدني قبل ان يكتفأ  
بالبيراد ١٩٧٢

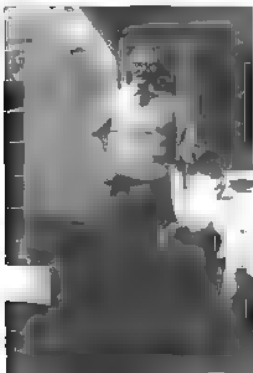
▼ أحمد (١٩٧٧)



▼ دية من تسعة من عمرها (١٩٧٧)



✽ مع خان مير پيدا المند دي (جو سن ۱۹۶۵)



خان مير وانه ها مير تيلکستو بعد الزواج (جو سن ۱۹۶۶) ✽



✦ خان مع والدین، لندن، ۱۹۵۹ء (جولائی ۱۹۵۹ء)



✦ خان پرستاشی جان، یوم سترخان الی  
مصر لاؤ، ۱۹۵۱ء (۱۹۵۱ء، ۱۹۵۱ء)

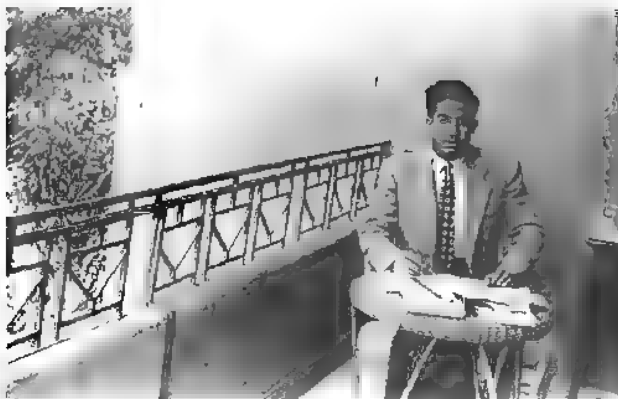




▲ جمع خان یوسف د احمد شاه ابرو (۱۶۶۰)



الروايه (۱۶۶۰) ◀



▲ هي لڊ ريز

▼ هي نسيڻ



▼ هي اسلاميڻ





▲ الشيخ حسين



▲ ابن محمد (حوالي ١٩٦٥)

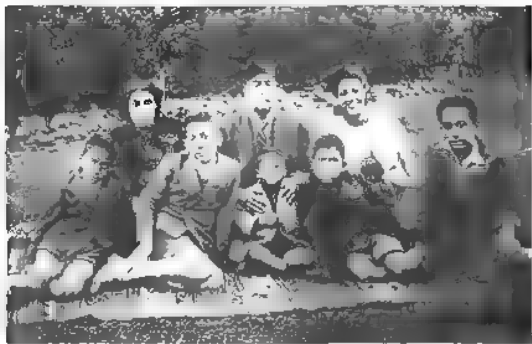
▼ جلال بن القاسم د



▼ ابن ماجد



▲ بي وحيي و خوي محمد و احمد بن حبيبہ قصور گيمبر ( ١٩٥٢ )



▲ ب و اولاد ب و محمد احمد - فم بركة مالمعمر الك به في حوتيه ( ١٩٩٠ )  
من لقميل عبد الحليم و فاطمة - حسن و ب و حبيب و سيمه و احمد

[illegible]



▲ من سدار جامعة بحث بن سمندر الد  
لاوريس نابو والأرضي سوانس ٩٢٦ )



▲ بن مالوي الأزهري



من من لو الحامدة والعش بن  
بعينها احى محمد و على ميمه ◀







### مطابق الشروق

خامساً ٨ شارع مديرة الشروق - د. ١٠٠٠٠٤٩ - دوكي ١٠٣٧٣٦٧ (١٠٠)  
مرونة على ص. ١١١٦ - د. ١٠٠٠٠٤٩ - د. ١٠٣٧٣٦٧ (١٠٠)

## ماذا علمتني الحياة ؟

منذ سنوات كثيرة، رأيت فيلما بولنديا صامتا لا يزيد طوله على عشر دقائق، ظلت قصته تعود إلى ذهني من وقت لآخر، وعلى الأخص كلما رأيت أحداً من أهلي أو معارفي يصادف في حياته ما لا قبل له برفه أو التحكم فيه.

تبدأ القصة البسيطة بمنظر بحر واسع، يخرج منه رجلان يرتديان ملابسهما الكاملة، ويحملان معاً، كل منهما في طرف، دولاباً عتيقاً ضخماً، يتكون من ثلاث ضلف، وعلى ضلفته الوسطى امرأة كبيرة، يسير الرجلان في اتجاه الشاطئ وهما يحملان هذا الدولاب بمشقة كبيرة، حتى يصلا إلى البئر في حالة إعياء شديد، ثم يبدآن في التجول في أنحاء المدينة وهما لا يزالان يحملان الدولاب، فإذا أَرادا ركوب الترام حاولا صعود السلم بالدولاب وسقط زحام الركاب وصيحات الاحتجاج، وإذا أصابهما الجوع وأرادا دخول مطعم، حاولا دخول المطعم بالدولاب فيطردهما صاحب المكان.

لا يحتوى الفيلم إلا على تصوير محاولتهما المستميتة في الاستمرار في الحياة وهما يحملان دولابهما الثقيل، إلى أن ينتهي بهما الأمر بالعودة من حيث أتيا، فيبلغان الشاطئ الذي رأياه في أول الفيلم، ثم يقبيان شيئاً فشيئاً في البحر، حيث تفرغهما المياه وهما لا يزالان يحملان الدولاب.

منذ رأيت هذا الفيلم وأنا أتصور حالي وحال كل من أعرف وكان كلاً منا يحمل دولابه الثقيل، يأتي معه إلى الدنيا ويقضى حياته حاملاً إياه دون أن تكون لديه أية فرصة للتخلص منه، ثم يموت وهو يحمله. على أنه دولاب غير مرئي، وقد نقضت حياتنا متظاهرين بعدم وجوده، أو محاولين إخفائه، ولكنه قدر كل منا المحتوم الذي يحكم تصرفاتنا ومشاعرنا واختياراتنا أو ما نظن أنها اختياراتنا، فإنا لم اختر أبى وأمى أو نوع العائلة التي نشأت بها، أو عدد إخوتي وموقعي بينهم، ولم اختر طولى أو قصرى، ولا درجة وسامتى أو دعامتى، أو مواطن القوة والضعف في جسمي وعقلي، كل هذا على أن أحمله أينما ذهبت، وليس لدى أى أمل في التخلص منه.

